

تفسير الملا علي القاري

المسمى

أنوار القرآن وأسرار الفرقان

الجامع بين أقوال علماء الأئمة وأصول الأئمة وذوي العرفان

تأليف

نور الدين علي بن سلطان المروي المكي الحنفي

الشهير بـ: الملا علي القاري

المتوفى ١٠١٤ هـ

مقتبسه

الشيخ ناجي السويدي

المجلد الرابع

من أول سورة الشعراء إلى آخر سورة الفتح

مستورات

من رواية بصيرت

دار الكتب العلمية

DKi

بيروت - لبنان

تَقْسِيمٌ

المِثْلَانِ عَلَى الْقِيَادِ

المُسَمَّى

أَنْوَارُ الْقُرْآنِ وَأَسْرَارُ الْفُرْقَانِ

الْجَامِعُ بَيْنَ أَمْوَالِ عُلَمَاءِ الْأَعْيَانِ وَأَحْوَالِ الْأَوْلِيَاءِ ذَوِي الْعِرْفَانِ

تَأْلِيفُ

نُورِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ سُلْطَانِ الْهَرَوِيِّ الْمَكِّيِّ الْحَنْبَلِيِّ

الشَّهِيدِ بِ: الْمَلَأَ عَلَى الْقَارِي

الْمُتَوَفَّى ١٠١٤ هـ

تَحْقِيقُ

الدُّكْتُورُ نَاجِي حَسَنُ السَّوْدِي

الْجُزْءُ الرَّابِعُ

مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الشَّعَرَاءِ إِلَى آخِرِ سُورَةِ الْفَتْحِ



دار الكتب العلمية

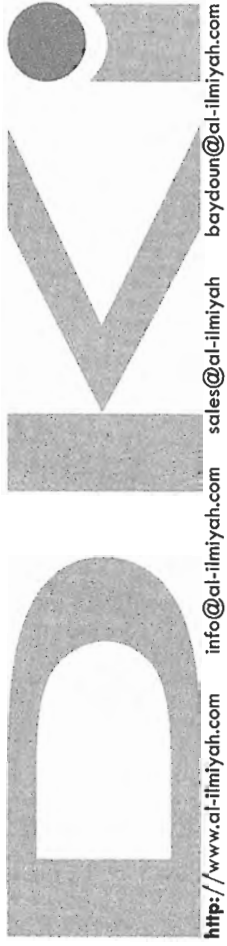
Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah

DKI

أسستها محمد باقر بن محمد بن يوسف سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



baydoun@al-ilmiyah.com
sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
http://www.al-ilmiyah.com

الكتاب : تفسير الملاء علي القاري

Title : TAFSIR
AL-MULLA 'ALI AL-QARI
AL MULLA ALI AL-QARI'S
EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of the Holy Qur'an

المؤلف : الملاء علي القاري (ت ١٠١٤ هـ)

Author : Al-Molla Ali Al-Qari (D. 1014 H.)

المحقق : الدكتور ناجي السويد

Editor : Dr. Naji As-souwayd

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

عدد الصفحات (٥ مجلدات) 2592 Pages (5 Volumes)

قياس الصفحات 17x24 cm Size

سنة الطباعة 2013 A.D.-1434 H. Year

بلد الطباعة : لبنان Printed in : Lebanon

الطبعة : الأولى (لبنان) Edition : 1st (2 Colors)

Exclusive rights by © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضيد الكتاب كاملاً أو مجزاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Solah Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠





[مَكِّيَّة]

وهي مائتان وسبع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله اسم عزيز رضي من الزاهد بترك دنياه ومن العابد بمخالفة هواه ومن القاصد بقطع مناه، ولا يرضى من العارف أن يساكن شيئاً غير مولاه.

﴿طَسَمَ﴾ [الآية 1] قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالإمالة وحمزة بإظهار نونه والجمهور على أن معنى حروفه: الله أعلم بما في مراده.

وقال جنيد: الطاء طرب التائبين في ميدان الرحمة والسين سرور العارفين في ميدان الوصلة، والميم مقام المحبين في ميدان القربة. وقال بعضهم: الطاء شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد المصطفى ﷺ.

وأفاد الأستاذ: إن المعنى ارتقى بحمد ليلة الإسراء عن شهود شجرة طوبى حتى بلغ سدرة المنتهى فلم يساكن شيئاً من المخلوقات في الدنيا والعقبى. ويقال: الطاء طرب أرباب الوصلة على بساط القرب بوجدان كمال الروح، والسين سرور العارفين بما كوشفوا به من بقاء الأحدية باستقلالهم بوجوده، والميم إني موافقهم لله بترك التخير على الله وحسن الرضا باختيار الحق لهم، وعند قوم إن الطاء إشارة إلى طهارة عزّه وتقُدُّس علوّه، والسين دلالة على سناء جبروته، والميم دلالة على مجد جلاله في آزاله. ويقال: الطاء إشارة إلى طيب قلوب الفقراء عند فقد الأسباب لكمال الأنس بمعرفة وجود الرزق بدل طيب قلوب العوام بوجود الإرفاق والأرزاق. ويقال: الطاء

إشارة إلى طيب أسرار أهل التوحيد، والسين إشارة إلى سلامة قلوبهم عن مساكنة كل مخلوق، والميم إشارة إلى منة الحق عليهم بذلك.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية 2] أي السورة أو آيات القرآن أو هذه الحروف ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الآية 2] الظاهر إعجازه وصحته أو المظهر أحكامه وحجته.

﴿لَعَلَّكَ بَخِشٌ قَفْصًا﴾ [الآية 3] أي قاتلها ومهلك لها، ولعل الإشفاق 316 أ / المخاطب أي اشفق على نفسك أن تقتلها ﴿أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 3] / لأجل أن لا يؤمنوا أو مخافة أن لا يوقنوا.

قال سهل: لعلك تشغل نفسك عنا بالاشتغال بهم حرصاً على إيمانهم بنا فما عليك إلا البلاغ لنا فلا يشغلك ما لنا عنا.

وقال الأستاذ: أي لحرصك على إيمانهم وامتناعهم من إيقانهم فأنت قريب من أن تقتل نفسك من الأسف على تركهم اتباعك فلا عليك إذ ليس الأمر إليك ولا تبديل لحكمنا أصلاً، فمن حكمنا له بالشقاوة لا يؤمن أبداً فليس عليك إلا البلاغ عني والدلالة عليّ فإن آمنوا وإلا فكلهم إليّ فسيرون يوم القيامة ما يستحقون من العقوبة.

﴿إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ [الآية 4] دلالة واضحة ملجئة إلى إيمانهم أو بلية قاهرة على إيقانهم ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الآية 4] منقادين خاشعين.

قال الأستاذ: أخبر عن قدرته على تحصيل مراده من عباده فهو قادر على أن يؤمنوا كرهاً لأن البقاء عن تحصيل المراد يوجب النقص في الربانية والقصور عن الإلهية.

﴿وَمَا يَأْنِيهِمْ مِّنْ ذِكْرِ﴾ [الآية 5] طائفة من القرآن أو موعظة للإيمان ﴿مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ [الآية 5] يوجبه من كمال رحمته إلى نبيه الرحيم بأمته ﴿مُحَذِّثٍ﴾ [الآية 5] أو مجدد إتيانه وتبينه لتكرير التذكُّر وتنويع التقدير ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ [الآية 5] إلا حددوا إعراضاً عن ذكرهم وإصراراً على ما كانوا عليه من كفرهم.

قال سهل: ما أحدث لهم علماً بما أنزلناه عليهم إلا أعرضوا عنه وادعوه لأنفسهم.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ [الآية 6] بالذكر بعد إعراضهم عن الشكر بحيث أدى بهم إلى الاستهزاء به من صريح الكفر ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ [الآية 6] إذا مسهم عذاب الله في الدنيا أو العقبي ﴿أَنْتَوُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية 6] من أنه كان حقيقاً بأن يصدق ويعظم أمره أو يكذب فسيخف قدره.

وقال الأستاذ: أي ما نجدد لهم شرعاً وما نرسل إليهم رسولاً إلا أعرضوا عن تأمل برهانه وقابلوه بالتكذيب بدل إيمانه، ولو أنهم أنعموا النظر في آياتهم لاتضح لهم صدقهم في حالاتهم ولكن المقسوم لهم من الخذلان في سابق الحكم منعهم عن الإيمان، فقد كذبوا وعلى تكذيبهم أكبوا فسيأتيهم عاقبة أعمالهم بالعقوبة الشديدة الجامعة بين الحرقه والفرقة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾ [الآية 7] أو لم ينظروا إلى / عجائبها وما فيها من 316/ ب غرائبها ﴿كَرَّ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 7] صنف محمود كثير المنفعة عديم المضره.

قال أبو بكر بن طاهر: أكرم زوج من نبات الأرض آدم وحواء فإنهما كانا السبب في إظهار الأنبياء والأصفياء.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [الآية 8] أي في إتيان كل من أصناف النبات ﴿لَايَةً﴾ [الآية 8] لدلالة على أن منبتها تام القدرة كامل الحكمة سابغ النعمة شائع الرحمة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 8] في علم الله وقضائه ولذا لا ينفعهم تبليغ أنبيائه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية 9] بأوليائه.

وأفاد الأستاذ: أن فنون ما ثبت من الأرض في وقت الربيع لا يأتي عليها الحصر لكثرة أنواع البديع، ثم اختصاص كل شيء منها بلون وطعم ورائحة مخصوصة وكذا لكل شكل وهيبة وورق وزهر ونور مختلفة إلى ما تلطف عنه العبارة وتضعف عنه الإشارة ففي ذلك آيات لمن استبصر ودلالات لمن نظر وتفكر.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 9] القاهر الذي لا يقهر القادر الذي لا يقدر
﴿الرَّحِيمُ﴾ [الآية 9] المحسن بعباده المرید لسعادة أوليائه.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ [الآية 10] أي اذكر حين نادى ﴿أَنْ أَنتَ﴾ [الآية 10]
أي إئت أو بأن أنت ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 10] لكفرهم بربهم وتعديهم على
غيرهم من استعباد بني إسرائيل وذبح أولادهم.

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 11] بدل أو بيان، والاقتصار على القوم من باب الاكتفاء
وللإيماء إلى برهان الأولى فإنه رأس الضلال ومنشأ الإضلال ولأن ظلم غيره
راجع إلى حكمه وأمره ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ [الآية 11] استئناف تعجيباً له من إفراطهم في
ظلمهم واجترائهم على فعلهم، والمعنى ألا يخافون عقائدهم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [الآية 12] أي في دعوى الرسالة
﴿وَيَصْنَعُ صَدْرِي﴾ [الآية 13] في تلك الحالة ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ [الآية 13] من
الكلالة ﴿فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ﴾ [الآية 13] ليدفع عني الملامة وليس ذلك تعللاً منه
ولا توقفاً عنه في تلقي الأمر بل طلباً لما يكون معونة على امتثاله وتمهيداً للعذر
كما أشار إليه بقوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ﴾ [الآية 14] أي تبعة ومطالبة. والمراد قتل
القبطي المخالف لمتابعته وإنما سماه ذنباً لأنه لم يكن مأموراً بمقابلته ولهذا عدّ
من خطيئته قبل بعثته وظهور توبته ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [الآية 14] بمقابلته قبل أداء
الرسالة، وهو استدفاع/ للبلية المتوقعة، كما أن ما قبله استهان في أمر الدعوة. 317 أ

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا﴾ [الآية 15] أي اذهب أنت وأخوك ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّارُ﴾ [الآية 15]
بمعجزاتنا ودلالاتنا على أنكما من أرباب رسالاتنا ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [الآية 15] يعني
موسى وهارون وفرعون ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾ [الآية 15] سامعون لما يجري بينكما وبينه
فأظهركما عليه بإلقاء خوفي عليه ورعبي لديه. وقال أبو عبد الله الروذباري: ظاهره
سؤال وباطنه نوال سأل الحق تعالى عن علمه بحاله فأجاب بقوله كلا ثم بدأ
فقال: ﴿فَاذْهَبَا يٰأَيَّتُهَا النَّارُ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الآية 15]، فتقدير سؤاله هل في سبق
علمك وواجب حلمك أن يقتلوني. واستدل على ذلك بجواب الحق له كلا، ثم
خاطبه هنالك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لما أمر موسى بالذهاب إلى فرعون وقومه ودعائهم إلى ربهم به علم أنه شديد الخصومة قد غرّته نفسه بالحكومة وهو لا يبالي بما يفعل فأخذ يتعلّل لا على وجه الإباء والمخالفة ولكن على وجه الاستغناء والاستقالة إلا أن علم أن الأمر به جزم والحكم به عليه حتم فسأل أن يشرك هارون معه في الرسالة وأخبر أنه قتل منهم نفساً قبل هذه الحالة وأن في حكم فرعون أن دماً عليه لا محالة. فقال: وأخاف أن يقتلون قبل الرسالة، إلى أن قال له الحق كلا وهي كلمة ردع وتنبيه أي كلا لن يكون الأمر كما توهمت هنالك فارتدع عن تجويز ذلك وانتبه بأني معكما بالنصرة والقوة والكفاية والرحمة والسلطان لكما دون غيركما وأنا أستمع ما يقولون وما يقال لكما.

﴿فَاتَبَا فَأَرْعَوْتَ فَقُولَا إِنَّا﴾ [الآية 16] أي كل واحد منا ﴿رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 16] أو أفرد لاتحادهما في الأخوة أو في أحكام الملة ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الآية 17] أي خلهم يذهبوا معنا إلى حيث أردنا.

قال الأستاذ: ويقال في القصة إن موسى وهارون عليهما السلام كانا يترددان إلى باب فرعون سنة كاملة لم يجدا طريقاً إليه ثم بعد سنة عرضا الرسالة عليه فكان من القصة ما كان من الغصة لديه.

﴿قَالَ﴾ [الآية 18] فرعون لموسى ﴿أَلَمْ تُرْكِكْ فِينَا﴾ [الآية 18] في منازلنا وفي بيتنا ﴿وَلِيدَا﴾ [الآية 18] طفلاً مولوداً سمي به لقربه من الولادة ﴿وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ عُمْرِكَ سِنِينَ﴾ [الآية 18] والمعنى كنت في تربيتنا زماناً كثيراً حال كونك صغيراً وكبيراً، قيل: لبث فيهم ثلاثين ثم خرج إلى مدين / عشر سنين ثم دعا إليهم 317/ ب يدعوهم إلى الله ثلاثين ثم بقي بعد الغرق خمسين.

﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْنَاكَ أَلَمْ تَفْعَلْ﴾ [الآية 19] وهي قتل القبطي الذي كان في خدمتي ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية 19] بنعمتي لك في تربيتي.

قال محمد بن علي: ليس من الفتوة تذكّار الصنائع بالمنة، ألا ترى فرعون لما لم يكن له فتوة كيف أتى بذكر صنعه وامتن على موسى بفعله.

وقال ابن عطاء: التربية توجب حقاً في الفتوة من ذلك حق الأبوة والبنوة، ألا ترى كيف ذكر الله تعالى في قصة موسى: ﴿أَلَمْ تَرْكِبْ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الآية 18] فإذا أوجب تربية الأعادي حقاً أوجب الدين حفظه وحرمة فتربية الحقيقة الذي هو من الحق إلى عباده أولى لرعاية حقوقه وذمته، وهو معنى قوله: ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ رَبَّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصفات: الآية 126].

﴿قَالَ فَعَلْنَاهَا﴾ [الآية 20] أي تلك الفعللة ﴿إِذَا﴾ [الآية 20] أي إذ فعلت ﴿وَأَنَا مِنْ الصَّالِينَ﴾ [الآية 20] أي في حال كوني من الجاهلين، كما قرئ به. والمعنى من الجاهلين لوقوع الوكزة قتلاً أو المخطئين لأنه لم يتعمد قتله بل أراد به تأديبه.

قال الأستاذ: فلم يكن لموسى جواب إلا الإقرار والاعتراف فقال كل ذلك كان بلا خلاف.

﴿فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ [الآية 21] فأكرمني الله بالنبوة ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 21] إليكم بالدعوة. قال بعضهم: الفرار عندما لا يطاق من سنن المرسلين. قال الله حكاية: ﴿فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الآية 21] كذا في تفسير السلمي، وفيه إن فراره إنما كان قبل النبوة وبعثة الرسالة ولا يجوز بعدها إليهم في هذه النسبة، وأما خروجه ﷺ من مكة إلى المدينة سنة الهجرة فإنما كان بالإجازة المقرونة بالحكمة. وقيل: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء، كذا ذكره السلمي أيضاً، وهو محمول على كمال الخوف من الله وعدم الالتفات إلى خوف ما سواه.

وقال ابن عطاء: أي فررت من مجاورتكم لما خفت من جرأتكم على ربكم لما لم تحفظوا مراتب حقوقه على وجه تحقيقه ولم أر عليكم علامات توفيقه. وقال أبو بكر الوراق: المؤمن من يفر بدينه من موضع إلى موضع إذا خاف على دينه من الهوى والبدع والضلالات.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يجحد حق تربيته / والإحسان إليه في ظاهر حالته ولكنه بين أنه إذا أمر الله بشيء وجب اتباع أمره. وقوله: ﴿فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الآية 21] يجوز حمله على ظاهره وأنه خاف منهم على نفسه والفرار عند

عدم الطاقة غير مذموم عند كل أحد. ويقال: فررت منكم لما خفت عليكم أن تنزل بكم عقوبة من الله بشؤم شرككم.

﴿وَتِلْكَ﴾ [الآية 22] التربية ﴿بِنِعْمَةٍ تَنْهَىٰ عَلَىٰ﴾ [الآية 22] أي ظاهراً وهي في الحقيقة راجعة إلي ﴿أَنْ عَبْدَتْ بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ﴾ [الآية 22] أي سبب عن تعبيدك بني إسرائيل وقصدك ذبح أبنائهم فإنه سبب وقوعي إليك وحصولي في تربيتي لديك، فلا نعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم هنالك ولذا قيل إنه مقدر بهمة الإنكار أي أو تلك نعمة تمنها عليّ وهي أُمي عبدت والمعنى ليس ذلك نعمة ولا لك عليّ فيها منة.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿[الآيتان 23، 24] عرفه بإظهار خواصه وآثاره من مصنوعاته الدالة على كمال صفاته المسيرة إلى جلال ذاته ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الآية 24] مصدقين الأنبياء أو محققين الأشياء.

قال الأستاذ: نطق اللعين بجهله وسأل عن النحو الذي يليق بفيه فسأل بلفظ ما وما إنما استخبر عن ذاته ما لا يعقل أي غالباً فقال: وما رب العالمين، وكان الواجب أن يقول: ومن رب العالمين، فأعرض موسى عن لفظه ومقتضاه وأخبر عما صح في وصف الله.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوَّلَهُ إِلَّا تَسْمِعُونَ﴾ (٢٥) ﴿[الآية 25] تعجباً من مقوله في جوابه على وجه عدوله لأنه سأل عن حقيقته وأجاب عنها بذكر فعله وصفته مع أن هذا من كمال حكمته وإظهار رأفته ورحمته على أمته ولذا ورد النهي عن التفكير في ذات الله كما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: الآية 110]، ولا تدركه الأبصار فهو الظاهر بصفاته الباطن بذاته.

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٦) ﴿[الآية 26] زاد في البيان وأوضح في البرهان إذ لا يتصور أن يكون فرعون اللعين رب الأولين والأولون هم سبب الآخرين فبطل دعواه أنه إله، ولما عجز عن جواب الحجة وأراد فتح باب العداوة على طريقة / الجملة ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية 27] أي على زعمه

﴿لَمَجْنُونٌ﴾ [الآية 27] لنقصان عقله أسأله عن شيء ويجيبني عن آخر على وجه تكرر. وقيل: سماه رسولاً على السخرية فتدبر.

وقال عمرو المكي: لما سأل موسى هذا السؤال وأجابه بقوله ربكم ورب آبائكم الأولين علم فرعون أن الحجة قد وجبت لكن خاف الافتضاح عند قومه فأعرض عن مساءلة موسى ورجع إلى قومه بقوله إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون بزعمه.

وأفاد الأستاذ: أن فرعون حماه عن سنين الاستقامة في المخاطبة وأخذ في السفاهة فقال: إن رسولكم الذي أرسل إليكم يعني بزعمه لمجنون ولم يكن في شيء مما كان يجري من موسى عليه السلام ما يتعلق به فقال إنه من صفة المجانين في الكلام.

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُومَ تَقُولُونَ﴾ [الآية 28] علم أنه لا جواباً لكم غير ذلك ففي الأول لا يفهم لما رأى شدة شكائهم حاسبهم وعارضهم بمثل مقاتلهم.

﴿قَالَ لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الآية 29] عدل عن المحاجة بعد انقطاع الحجة كما هو آداب الجهلة عند الغلبة أن يظهروا العداوة بالمشاتمة والمضاربة والمقاتلة.

﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 30] أي أتفعل بي ذلك ولو جئتك بحجة ظاهرة هنالك من المعجزة يبين صدق دعاوي بالرسالة المتضمنة للدلالة على وجود الصانع وحكمته في آثار صفاته الجلالة.

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [الآية 31] في أن لك بينة فإن دعوى النبوة يقتضي حجة ﴿فَأَلْفَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 32] ظاهر ثعبانيته ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيْضَاءٌ لِلنَّظَرِ﴾ [الآية 33] فيها شعاع كاد يغشي الأبصار ويبيد أفق الفلك الدوار، ولعل إظهار الآيتين لتكمل نصاب الشهادتين وليتأكد الحجة على المعاند بالقضيتين.

وأفاد الأستاذ: أنه أظهر معجزته بإلقاء العصا وقلبه سبحانه ثعباناً في الفضاء وكاد يلتقم دار فرعون بمن فيها ووثب فرعون هارباً من فوق قصره واختفى تحت سريره وانتقض من الخوف ظهره وتلطح بالوحشة ثوبه وافتضح في دعوى ألوهيته واتضح عجزه في حالته، ثم إنه استقال / موسى واستغاث 319/أ به واستجاره فأخذ موسى الثعبان فأداره فردّه الله عصا كما أرادّه فلما فارقه موسى عليه السلام تداركته الشقاوة وأدركه شؤم الكفر في ذلك المقام واستولى عليه الحرمان من الإسلام وانقياد الأحكام كما قيل:

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذي الضني عاد إلى نكسه⁽¹⁾

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ﴾ [الآية 34] مستقرين عنده منقادين له ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية 34] فائق في علم السحر وما هو في طريق الكيد والمكر ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾ [الآية 35] ويكون الملك والملك تحت أمره ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الآية 35] في دفعه وقهره بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية إلى مؤامرة القوم من العسكر والرعية وتنفيرهم عن موسى بإظهار الاستشعار عن ظهوره وغلبته واستيلائه على مملكته.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الآية 36] أخر أمرهما وقيل احبسهما ﴿وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الآية 36] جمعاً يحشرون السحرة ويأتون بهم للمعارضة فإنه أهون في دفع دعوى الفتنة وأسهل في رفع المحنة ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ﴾ [الآية 37] مبالغ في أمر السحر ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية 37] بأساليب المكر فبعثوا فذهبوا فحشروا ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الآية 38] لما وقّت فيه من ساعات يوم معين ونهار مبين، وهو وقت الضحى من يوم الزينة⁽²⁾.

﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ [الآية 39] أي اجتمعوا في تلك الحال لتشاهدوا ما جرى في آخر المال ﴿لَعَلَّنَا نَبْنِئُ السَّحَرَةَ﴾ [الآية 40] في دينهم الذي

(1) نسب إلى صالح بن عبد القدوس. انظر العقد الفريد (1/ 234) والتمثيل والمحاضرة (19/ 1).

(2) يعتبر من أكبر أيام مصر في قديم الزمان. انظر تاج العروس (1/ 8060).

هم عليه ﴿إِنْ كَانُوا هُمْ الْفَلِيلِينَ﴾ [الآية 40] على موسى وما لديه ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأَجْرُكُ﴾ [الآية 41] أي مالاً ومنالاً وجاهاً وقدرأً ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْفَلِيلِينَ﴾ [الآية 41] فيما أظهر أمراً.

في تفسير السلمي دل ذلك أن طالب الأجر على عمله مبطل لسعيه ومضيّع لأمله ومن عمل لله وأخلص في طلب رضاه كان عمله بعيداً في طلب الأعراض منزهاً عن ملاحظة الأعراض، ألا ترى أن الأنبياء عليهم السلام كيف اتفقوا على هذا الأمر حيث قالوا لأممهم: ﴿مَا أَشْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: الآية 57].

﴿قَالَ﴾ [الآية 42] أي فرعون ﴿نَعَمْ﴾ [الآية 42] لكم الأجر المبين ﴿وَلَكُمْ إِذَا لِمَنْ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 42] في أمر الدنيا والدين.

قال ابن عطاء: رب قرب أورث بعداً ورب بعد أورث قريباً، من 319 ب/ تقرّب/ إليّ بشيء غير الله أورثه ذلك بعداً عن مولاه. والمتقرّب على الحقيقة إلى الله من تقرّب إليه به لا بشيء سواه.

وأفاد الأستاذ: أنهم نطقوا بخساسة همتهم فضمن لهم عطاء أجرتهم ومن يعمل بأجرة لغيره ليس كمن يكون لله في عمله، ومن لا يكون له ناصراً لا بضمان الجعالة فعن قريب سيخذه لا محالة. ثم من طلب عند مخلوق مقام القربة كان ما يصل إليه من المذلة يزيد على ما أمله من المعزة. قيل: ذلك التقريب هو أن يكونوا هو أول من يدخل عليه يوم اللقاء، فعلى هذا المقربون من الله من لهم الوصول إلى مقام رضاه والناس بوصف الغفلة ولهم على الله دخلة والخلق في أسر الحجة.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ [الآية 43] أي بعدما قالوا له إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين، ولم يرد به أمرهم بالسحر بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه من المكر توسلاً به إلى إظهار الحق وإيضاح الأمر ﴿فَالْقَوْمُ هَاجَمُوا وَصَبَّوهُمُ﴾ [الآية 44] المزوقة بالزئبق ونحوه من التموهيات الموحية للتخييل بأنها الحيات الساعيات. قيل: كانت سبعين، وقيل سبعين ألفاً.

وأفاد الأستاذ: أنها كانت أوتاراً ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ ﴿[الآيتان 44، 45] أي بعزة الإله وأمره ورضاه ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ [الآية 45] أي حية تسعى ﴿تَلْقَفُ﴾ [الآية 45] وقرأ حفص بالتخفيف أي تبتلع ﴿مَا يَأْكُفُونَ﴾ [الآية 45] ما يقلبونه عن وجهه من الجمادية بتمويهاتهم وتزويراتهم الخيالية أنها الحيات الحقيقية.

﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِيدِينَ﴾ (٤٦) [الآية 46] فألقاهم الله على وجوههم منقادين للدين عند ظهور حجة اليقين ﴿قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ الْغَالِبِينَ﴾ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿[الآيتان 47، 48] عطف بيان لدفع توهم أنه يراد به فرعون اللعين ﴿قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ﴾ [الآية 49] أي برب موسى وهارون أو لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الآية 49] أي أمركم بالإيمان به ﴿إِنَّهُمْ﴾ [الآية 49] أي موسى ﴿لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [الآية 49] ولذا غلبكم أو تواطأتم على عملكم ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 49] وبالصنيعكم كما بيّنه بقوله: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 49].

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ [الآية 50] لا ضرر علينا في ذلك ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [الآية 50] لراجعون إلى ثواب ما هنالك.

قال / ابن عطاء: من اتصلت مشاهدته بالحقيقة احتمل معها كل ما يرد 320/أ عليه من النعمة والمحنة ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 51] من أتباع فرعون اللعين.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى﴾ [الآية 52] أي بعد سنين يدعوهم إلى الدين ﴿أَنْ أَسْرِ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الآية 52] بني إسرائيل وغيرهم من المؤمنين ﴿إِنَّا كَرَّمْنَا مَثْوًى﴾ [الآية 52] يتبعكم فرعون وقومه أجمعون ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ [الآية 53] حين علم بخروجهم ﴿فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الآية 53] جمعاً يجمعون العساكر ليتبعوهم قائلين ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ [الآية 54] طائفة قليلة ﴿فَلْيُلْؤَنَّ﴾ [الآية 54] أي في غاية القلة، وإنما كانوا قليلين مع كونهم العرفاء من ستمائة وسبعين بالإضافة إلى جنوده المجتمعين، إذ روي أنه خرج وكانت مقدمته ستمائة ألف.

﴿وَأَنبَأَهُمْ لَنَا لَفَاطُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الآية 55] ما يغيظنا في بابهم فلا بد من حقوقهم وعقابهم ﴿وَأَنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الآية 56] وقرأ ابن عامر والكوفيون حاذرون أي ومن عاداتنا الحذر واستعمال الحزم في الأمر للحذر ولذا جمعنا العسكر ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ ﴿٥٧﴾﴾ [الآية 57] أي فخلقنا داعية الخروج في قلوبهم حتى خرجوا كأنهم مضطرون في خروجهم ﴿مِّن جَنَّتٍ ﴿٥٧﴾﴾ [الآية 57] بساتين مشتملة على أشجار ذات أزهار وأثمار ﴿وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾﴾ [الآية 57] جارية في أنهار ﴿وَكُؤُوزٍ ﴿٥٨﴾﴾ [الآية 58] ودفائن من درهم ودنانير ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [الآية 58] منازل عليا ومجالس بهية.

﴿كَذَلِكَ ﴿٥٩﴾﴾ [الآية 59] الأمر هنالك ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الآية 59] أي أعطيناهم بعد هلاك أعدائهم جزاء لما صبروا على بلائهم ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ ﴿٦٠﴾﴾ [الآية 60] أي فاتبعوهم بما ترى ﴿مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الآية 60] داخلين في وقت شروق الشمس. ﴿فَلَمَّا تَرَىٰ الْجَمْعَانِ ﴿٦١﴾﴾ [الآية 61] أي كل منهما الآخر بالعيان ﴿قَالَ أَصْحَبُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَذْكُونٌ ﴿٦١﴾﴾ [الآية 61] لَمُحَقُّونَ ﴿قَالَ كَلَّا ﴿٦٢﴾﴾ [الآية 62] لن يدركوكم فإن الله وعدكم الخلاص منهم ﴿إِنَّ مَعِيَ رَقِي ﴿٦٢﴾﴾ [الآية 62] بالمعونة ﴿سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الآية 62] سيدلني إلى طريق النجاة عنهم.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ﴿٦٣﴾﴾ [الآية 63] النيل أو القلزم⁽¹⁾ وهو الذي يتوصل أهل مصر منه إلى الطور وإلى الحرمين الشريفين ﴿فَانْفَلَقَ ﴿٦٣﴾﴾ [الآية 63] أي فضرِب فانفلق فرقا بينها مسالك اثني عشر بعدد الأسباط ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ ﴿٦٣﴾﴾ [الآية 63] أي كل قطعة عظيمة من الماء الواقف في الهواء ﴿كَالطُّودِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الآية 63] كالجبل المتين الثابت في مقره من الأرضين فدخلوا في ب/320 شعابها كل/ سبط في شعب منها ﴿وَأَزَلَفْنَا ﴿٦٤﴾﴾ [الآية 64] قربنا ﴿ثُمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الآية 64] فرعون وقومه من البحر أو من بني إسرائيل حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم.

﴿وَأَنبَأْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الآية 65] فحفظ البحر على تلك الهيئة السننية إلى أن عبروا بالكلية ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الآية 66] بإطباق البحر

(1) المكان الذي غرق فيه فرعون. انظر لسان العرب (12/ 492) ويطلق عليه البحر الأحمر.

عليهم أجمعين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [الآية 67] ما ذكر من الإغراق والإنجاء من البلية ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [الآية 67] أي وأية آية ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾ [الآية 67] أي أكثر قوم فرعون ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 67] كما قال تعالى: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ [يونس: الآية 83] على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 68] المنتقم من العصاة ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الآية 68] بالمطيعين.

﴿وَأَنذَرْتُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 69] أي على مشركي العرب حيث ادعوا أهم على دين آبائهم وإن إبراهيم من أنبيائهم ﴿نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية 69] ليعلموا أنه كان رئيس أهل التوحيد والدين القويم ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 70] ﴿يَا أَبَتِي﴾ [الآية 70] سألهم ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ [الآية 71] أجساداً وأجساماً ﴿فَنَظَّلْنَاهَا عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [الآية 71] فندوم لأجلها ملازمين واقفين.

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ﴾ [الآية 72] أي دعاءكم ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ [الآية 72] حين تدعونهم فيستجيبون لكم ﴿أَوْ يَفْعَلُونَكَ﴾ [الآية 73] على عبادتكم لهم ﴿أَوْ يَضُرُّو﴾ [الآية 73] من أعرض عنهم ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 74] فإننا بهم مقتدون اعترافاً بأنهم جاهلون مقلدون ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ﴾ [الآية 75] أي انتبهتم فعلمتم ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 75] أي أي شيء تعبدونه ﴿أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ أَتْلَمُونَ﴾ [الآية 76] مما لا ينفعون ولا يضررون ﴿فَأَنذَرْتَهُمْ عَذَابَ﴾ [الآية 77] في أمر الدين ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 77] استثناء منقطع، أي لكن محبة ثابتة في قلوب المؤمنين.

قال الأستاذ: فكأنه ضرب بلطف أضرب عن ذكرهم صفحاً وتوصل إلى ذكر الله نصحاً ثم لما أخذ في شرح وصفه كان لا يسكت فقال: والذي والذي، في تعداد نعته ومن أمارات المحبة كثرة ذكر الحبيب والإعراض عن ذكر الرقيب، فتنزهه المحبوبون بالتقلب في رياض ذكر محبوبهم والزهاد يعدون أورادهم وأرباب الحوائج يعدون مآربهم فيطنبون في دعائهم لمطالبهم والمحبون يشهدون في ثناء محبوبهم.

وقال سمنون: لا تصح المحبة لمن لم ينظر إلى الأكوان وما فيها بعين

321/ أ العداوة حتى يصح / له بذلك محبة الله والرجوع إليه بالانقطاع عما سواه.

﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الآية 78] إلى طريق الدين وتحقيق اليقين.

قال الواسطي: لما استغرق إبراهيم في الخلعة احتشم من ذكر خليله بالتصريح فرجع إلى الصفات وجعل يقول الذي ولم يصرح بل كنى ولما كان في ابتداء مقاماته وأوائل جذباته ولم يستغرق في الخلعة وحالاته جعل يصرح ويقول ربي ربي.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام كان مهتدياً، فالهداية التي ذكرها فيما يستقبله من الأزمنة الآتية أن يهديني إليّ فإنني محو في وجوده فليس لي خير عني فبعد أن يكونوا مستغرقين في نفوسهم لا يهتدون من نفوسهم إلى معبودهم فيهديهم عنهم إلى ربهم فيصرون في نهايتهم مستهلكين في وجوده فانين على أوصافهم ويصير مفارقهم بعدما كانت ضرورة ذاهبة منهم ضعيفة فيهديهم إليهم.

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي﴾ [الآية 79] قال النهرجوري: الذي يطعمني حلاوة ذكره ﴿وَيَسْقِينِي﴾ [الآية 79] كأس محبته، أي لسكري في شكره.

وقال الأستاذ: لم يشر إلى طعام معهود وشراب مألوف ولكن أشار إلى الاستدلال به من حيث أن المعرفة لهم بدل استقلال غيرهم بطعامهم وإلى شراب محبته الذي يقوم بدل استقلال غيره بشرابهم.

﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ [الآية 80] وإنما لم ينسب المرض إليه لأن مراده تعداد نعمة الله عليه والمقام يقتضي التأدب لديه، ولأن المرض يتبع الأكل والشرب غالباً وهو أثر فعل العبد كسباً كما قال ابن الرومي:

فإن الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب⁽¹⁾

(1) نهاية الأرب في فنون الأدب (1/ 278)، وبهجة المجالس وأئس المجالس (1/ 149).

قال ابن عطاء: إذا أمرضني رؤية الأغيار كان شفائي الرجوع إلى مشاهدة الجبار.

وقال الأستاذ: لم يقل أمرضني لأنه حفظ أدب الخطاب. ويقال: لم يكن ذلك مرضاً معلوماً ولكنه أراد تمارضاً موهوماً كما يمارض العشاق طمعاً في عيادة الأحباب، كما قال قائلهم:

يود بأن يمشي سقيماً لعلها إذا سمعت منه بشكوى تراسله⁽¹⁾
وقال بعضهم:

إن كان يمنعك الوشاة زيارتي/ فادخل عليّ بعلة العواد⁽²⁾ 321/ب

ويقال: ذلك الشفاء الذي أشار إليه الخليل هو أن يبعث الله جبريل ويقول له يقول مولاك: كيف كنت البارحة.

﴿وَالَّذِي يُبَيِّنُ﴾ [الآية 81] في الدنيا ﴿ثُمَّ يُخَيِّنُ﴾ [الآية 81] في العقبى. وأسند الإمامة إليه لأنه لا قدرة لغيره عليه مع أن الموت تحفة المؤمن وهدية الموقن لكونه وصلة إلى نيل الدرجات العلية والمثوبات الجليلة التي يستحقق دونها اللذات الدنيوية مع ما فيه من الخلاص من أنواع المحن والبلى. قال بعضهم: يمينتي ظاهراً ثم يحييني بالاستتار ويحييني بالتجلي باطناً.

وقال أبو عثمان: يمينتي بخوفه ويميتني برجائه. وقال الواسطي: يمينتي بالاستتار ويحييني بالتجلي والإظهار. وقال جنيد: يمينتي بالغفلة ثم يحييني بالذكر والطاعة. وقيل: الذي يمينتي بالمحنة ثم يحييني بالنعمة.

وقال محمد بن حامد: يمينتي بالطمع ويحييني بالقناعة.

وقال الأستاذ: يمينتي بإعراضه عني وقت تعزُّزه مني ويحييني بإقباله عليّ حين إفضاله. ويقال: يمينتي عني ويحييني به.

(1) نسب إلى كثير عزة. انظر الزهرة (1/ 108)، ودواوين العرب (2/ 186).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (5/ 428).

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الآية 82] لعله أراد بالخطيئة الغفلة والتقصير في الطاعة كما قال بعضهم: حسنات الأبرار سيئات الأحرار.

قال أبو عثمان: أخرج سؤاله على حد الأدب حيث لم يحكم بالمغفرة على الرب ولكنه قال: والذي أطمع أي طمع العبيد في مواليهم وإن لم يكونوا مستحقين شيئاً لهم عليهم.

وأفاد الأستاذ: إن خطيئة الأحابب شهودهم محبتهم ونفسهم عند شدة البلاء عليهم وشكواهم ما يمسه من برحاء الاشتياق لديهم. وفي معناه أنشدوا: وإذا محاسني اللائي أدل بها كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتر (1) ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ [الآية 83] كمالاً في العلم والعمل والصدق أستعد به خلافة الحق ورياسة الخلق ﴿وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الآية 83] الكاملين في مقام الصلاح وحالة الفلاح القائمين بحقوق الله وحقوق عباده وفق رضاه.

وقال الأستاذ: حكماً على نفسي أولاً فإن من لا حكم له على نفسه لا حكم له على غيره.

﴿وَجَعَلَ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الآية 84] أي ثناء حسناً وصيئاً / 322 أ وجاهاً في الدنيا يبقى أثره إلى العقبى ولذا ما من أمة إلا وهم محبوبون له مثنون عليه ومتسبون إليه.

قال سهل: ارزقني الثناء في جميع أمم الأنبياء.

وقال ابن عطاء: أطلق السنة أمة محمد بالثناء عليّ والشهادة لي فإنك جعلتهم شهداء مقبولين في الثناء.

وقال الأستاذ: أي لا أذكرك إلا بك ولا أعرف إلا بك.

﴿وَجَعَلَنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الآية 85] في الدار المقيم ﴿وَأَغْفِرْ

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [الآية 86] بالتوبة عن العصيان والهداية إلى الإيمان ﴿إِنَّكَ كَانَتْ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ [الآية 86] طريق اليقين ولا يبعد كون هذا الاستغفار قبل علمه عليه السلام أن أباه من الكفار.

وأفاد الأستاذ أنه عليه السلام قاله قبل يأسه من إيمان أبيه وهذا على لسان العادة للعلماء، وأما على بيان الإشارة للعرفاء، فذكره في وقت غلبات البسط ويتجاوز ذلك عنهم هنالك وليست إجابة العبد واجباً عليه سبحانه وأكثر ما فيه أن لا يجيبه، ثم لهم سلوة في ذكر أمثال هذا الخطاب ولا يهتدي كل أحد إلى هذا الباب.

﴿وَلَا تُحْزِنُنِي﴾ [الآية 87] لا تفضحني بمعاتبتي على تفريطي وتقصيري أو بتعذبي لجوازه عقلاً أو لتعليم الأمة لخفاء العقوبة مع أن الأنبياء معصومون عن سوء الخاتمة. قال بعضهم: خافوا الأنبياء على أنفسهم مع عظم مكانهم وسني مراتبهم فقال الخليل: ﴿وَلَا تُحْزِنُنِي﴾ [الآية 87] فمن أمره على نفسه فما هو إلا لغفلة له أو الاستدراج عليه.

وقال الأستاذ: أي لا تخجلني بتذكيري خلتي فإن شهود ما من العبد عند أرباب القلوب وأصحاب الخصوص أشد عقوبة ﴿يَوْمَ يُعْتَوْنَ﴾ [الآية 87] أي الخلائق أجمعون لأنهم معلومون.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الآية 88] أي أحداً أبداً ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الآية 89] أي مخلصاً موحداً سليم القلب عن معصية الرب أو لا ينفعان إلا حال من هذا شأنه وبنوه وأعوانه حيث اتقوا ما له في سبيل البر وأرشد نبيه إلى طرق الخير.

قال ابن عطاء: بقلب سليم أي تسليم من عند رب كريم. وقيل: القلب السليم اللديغ، ولعله إشارة «لدغت حية الهوى كبدي».

وقال الأستاذ: قيل هو الذي سلم من الضلالة ثم من البدعة ثم من الغفلة ثم من الغيبة ثم من/ الحجة ثم من المضاجعة ثم من المساكنة ثم من 322/ب الملاحظة هذه كلها آفات والأكابر سلموا منها والأصاغر امتحنوا فيها.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 90] قُرِبَتْ لَهُمْ بِحَيْثُ يَرُونَهَا مِنَ الْمَوْقِفِ فَيَسْتَبْشِرُونَ بِأَنَّهُمْ مُحْشَرُونَ إِلَيْهَا ﴿وَبُرَزَتْ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الآية 91] أَظْهَرَتْ لَهُمْ فَيَتَحَسَّرُونَ عَلَمًا بِأَنَّهُمْ مَنْجَرُونَ إِلَيْهَا، أَوْ الْمَعْنَى يَعْرِضُونَ عَلَى النَّارِ وَيَعْرِضُ عَنْهُمْ مَنَازِلُ الْأَشْرَارِ ﴿وَقِيلَ لَهُمْ إِنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 92] مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿[الآيتان 92، 93] عَلَى زَعْمِ أَنَّهُمْ شَفَعَاءُ﴾ ﴿هَلْ يَبْصُرُونَكُمْ﴾ [الآية 93] بِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ ﴿أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ [الآية 93] بِدَفْعِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ لِأَنَّهُمْ وَالْهَتَمُ يَدْخُلُونَ النَّارَ بِجَمَلَتِهِمْ لِقَوْلِهِ: ﴿فَكُبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [الآية 94] أَيِ الْآلِهَةِ وَعِبَدَتِهِمْ ﴿وَجُودُ إِبْلِيسَ﴾ [الآية 95] أَيِ شَيْطَانِهِ أَوْ سَائِرِ أَتْبَاعِهِ ﴿أَجْمَعُونَ﴾ [الآية 95] أَيِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ.

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ [الآية 96] جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْقَوْلِ وَمَقُولِهِ مَبِينَةٌ لِلْقَضِيَةِ ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الآية 97] إِذْ سُئِلَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿[الآيتان 97، 98] أَيِ فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ أَوْ اشْتِرَاكِ الْإِرَادَةِ.

وقال الأستاذ: لا فضيحة أفضع ولا عيب أشنع مما يعترفون به على أنفسهم بقولهم: ﴿إِذْ سُئِلَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 98] وأقبح أنواع الشرك وأشنع أنواع الكفر والجحود هو التشبيه في صفة المعبود.

﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 99] أَيِ الشَّيَاطِينِ أَوْ الرُّؤْسَاءِ الْأَقْدَمُونَ ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ [الآية 100] كَمَا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ ﴿وَلَا صَلِيقَ جِيمٍ﴾ [الآية 101] قَرِيبَ أَوْ مِنْهُمْ إِذْ ﴿الْأَجَلَاءُ يَوْمَئِذٍ بِمَنْعِهِمْ لِيَمْنٍ مِنْ عَدُوٍّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: الآية 67] وَجَمَعَ الشَّافِعَ وَوَحَدَ الصَّدِيقَ لِكَثْرَةِ الشَّفَعَاءِ وَقِلَّةِ الْأَصْدِقَاءِ أَوْ لِأَنَّ الصَّدِيقَ الْوَاحِدَ يَسْعَى فِي وَقْتِ الْبَلَاءِ أَكْثَرَ مِمَّا يَسْعَى فِي وَقْتِ الشَّفَاءِ.

قال الأستاذ: في بعض الأخبار أنه يجيء يوم القيامة عبد يحاسب فتستوي حسناته وسيئاته ويحتاج إلى حسنة واحدة يرضي عنه خصومه فيقول الله له: عبادي بقيت لك حسنة واحدة إن كانت أدخلتك الجنة انظر وتطلب من الناس لعل واحداً منهم يهبك حسنة واحدة، فيأتي العبد في الصفيين ويطلب من أبيه ثم من أمه ثم من أصحابه فيقول الكل في بابه فلا يجيبه أحد إلى ما به وكل

يقول له: أنا اليوم فقير إلى حسنة واحدة، فيرجع إلى مكانه فيسأله الحق سبحانه/ فيقول: ماذا أجبت به، فيقول: يا رب لم يعطني أحد حسنة من حسناته، 323/ أ فيقول الله تعالى: عبدي ألم يكن لك صديق فيّ، فيذكر العبد فيقول فلان كان صديقاً لي، فبدله الحق عليه فيأتيه فيكلّمه في بابه فيقول: بلى لي عبادات كثيرة قبلها اليوم عني فقد وهبتها منك، فيسير هذا العبد فيجيء إلى موضعه فيخبر بذلك ربه فيقول الله: قد قبلتها منه ولم أنقص من حقه شيئاً وقد عفوت لك وله. وهذا معنى قوله: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الآيتان 101، 100].

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ [الآية 102] أي فليت لنا رجعة في العقبي ﴿فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 102] في الدنيا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [الآية 103] فيما ذكرنا من القصة ﴿لَايَةً﴾ [الآية 103] لحجة وعظة وعبرة للمستبصرين والمعتبرين ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾ [الآية 103] أكثر قومه ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 103] به أو بربه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْغَزِيرُ﴾ [الآية 104] الغالب على مراده ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 104] بعباده.

﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الآية 105] أي أمته ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 105] إليهم، وقوم نوح ومن قبله ولأنه تكذيب واحد واحد منهم تكذيب لجميعهم ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ [الآية 106] لأنه كان منهم ﴿أَلَا نُنْفِوُكُمْ﴾ [الآية 106] الله فتركوا عبادة من سواه ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الآية 107] مشهور بالأمانة عندهم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 108] مخالفته أو عقوبته ﴿وَأَطِيعُوا﴾ [الآية 108] فيما أمركم به من التوحيد لله والطاعة لرضاه ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 109] أي على تبليغ الأمر ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 109] نوعاً من الأجر ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 109] فأجره أعلى وأعلى في القدر ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الآية 110] كرّره للتأكيد وللإيحاء إلى أن اجتناب السيئات وارتكاب الطاعات هو المطلوب في جميع الحالات يستوي فيه المبتدأ والمنتهى في المقامات.

قال الواسطي: التقوى أوائل المنازل وأواخرها ولا غاية له في المناهل وذلك أنه ليس للمتقي غاية ينتهي إليها ولا نهاية يستغني عنها ثم حقيقة التقوى أن يتقي العبد من تقواه. وقيل التقوى هو التخلي عن كل مذموم في

التحلي بكل محمود.

﴿قَالُوا أَنْزِلْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الآية 111] الأقلون جاهاً ومالاً

وهذا من سخافة عقلهم في الأمور الدينية وقصور نظرهم عن الحطام الدنية
323/ ب الديوية حتى جعلوا أتباع المقلين فيها مانعاً عن أتباع المكثرين/ بها وجعلوا
إيمان الفقراء بما يذعن إليه الأغنياء دليلاً على بطلانه وحجة على ضعف شأنه،
وأشاروا بذلك إلى أن اتباع الضعفاء ليس عن نظر وبصيرة بل إنما هو لتوقع مال
ورفعة فلذا قال: ﴿قَالَ وَمَا عَلِمَ بِمَا كَانُوا يَمْلُوكُ﴾ [الآية 112] إنهم عملوه
خالصاً من رياء وسمعة أو طمعاً في حصول طعمة وأنا ما أحكم إلا بالظواهر
والله أعلم بالسرائر.

﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ [الآية 113] ما جزاؤهم من ثوابهم وعقابهم على
مقتضى بواطنهم إلا على الله المطلع على أحوالهم ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الآية 113] ذلك
لعلمهم ما هنالك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون.

قال الأستاذ: وكذلك أتباع كل رسول إنما هم الأضعفون لكنهم في
حكم الله هم المتقدمون الأكرمون ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 114] أي
من الفقراء لتوقع إيمان الكافرين من الأغنياء حيث استكفوا باتباع الضعفاء ﴿إِنْ
أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الآية 115] ما أنا إلا منذر للمكلفين عن الكفر والمعاصي
سواء كانوا أعزاء أو أذلال فكيف لي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء.

﴿قَالُوا لَنْ نَمُوتَ نَحْنُ﴾ [الآية 116] عما تقول من الدين ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ
الْمَرْجُومِينَ﴾ [الآية 116] من المضروبين بالحجارة أو المشتومين ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي
كَذِبُونَ﴾ [الآية 117] فيما بلغتهم من طريق الصدق اليقين ﴿فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
فَتْحًا﴾ [الآية 118] باب الحكم في نصرة الدين ﴿وَيَحْيَى وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
[الآية 118] من قصد فعلهم أو شؤم عملهم.

﴿فَأَجْنَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ [الآية 119] المملوء ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا
بَعْدُ﴾ [الآية 120] بعد إنجائه ﴿الْبَاقِينَ﴾ [الآية 120] من قومه الكافرين ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ
لَآيَةٌ﴾ [الآية 121] شاعت للحجة وذاعت للعبرة ﴿وَمَا كَانَتْ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[الآية 121] في علمه القديم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 122] القادر على الاستئصال ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الآية 122] بتأخير العقوبة عنهم اليوم بالإمهال.

وزاد الأستاذ فيما أفاد من أنه لم يقطع الرزق عنهم مع قبح أفعالهم وهو عزيز لا يستنصر بقيح أعمالهم وما كان لو جمعوا على طاعته ليتجمل بأفعالهم.

﴿كَذَّبْتَ عَادٌ﴾ [الآية 123] أي قيلتهم ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 123] أي جملتهم ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْفِئُ﴾ [الآية 124] مخالفة الدين ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿فَأَنقَرُوا اللَّهُ وَأَطِيعُوا﴾ [الآيتان 125، 126] في أمر البقين ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 127] كالطامعين ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 127] في تصدير القصص فهذه الجملة دلالة على أن البعثة مقصورة/ على الدعوة إلى المعرفة 324/ أ والطاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه ويبعد عن عقابه، وعلى أن الأنبياء مبرؤون عن المطامع الدنية والأعراض الدنيوية.

قال أبو جعفر: أزيلت الأطماع عن الرسل أجمع لدناءة الطمع.

وأفاد الأستاذ: أن من عمل لله فلا ينبغي أن يطلب الأجر من سواه وفيه تنبيه للعلماء الذين هم ورثة الأنبياء أن يتأدبوا بآدابهم فلا يطلبوا من الناس شيئاً في بث علومهم ولا يرتفقون منهم بتعليمهم وتذكيرهم ومن ارتفق من المستمعين في بث ما يذكره من أمر الدين ويعظ به المسلمين فلا يبارك الله للناس فيما يسمعون ولا للعلماء أيضاً بركة فيما منهم يأخذون ويبيعون دينهم الخطير بالعرض اليسير ثم لا بركة لهم فيه يبقون به عن الله ولا ينتفعون وسيقعون على سخط من الله وعذابه.

﴿اتَّبِعُونَ كُلَّ رِجٍّ﴾ [الآية 128] مكان مرتفع ﴿ءَابَآءَ﴾ [الآية 128] علامة للمارة ﴿تَبَتُّونَ﴾ [الآية 128] بنائها لاستغنائهم عنها أو قصوراً مفتخرون بها ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَافٍ﴾ [الآية 129] مأخذ الماء وقصوراً مشيدة البناء أو حصوناً مرتفعة بالهواء ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 129] تسكنون بها وتدومون فيها فتحكمون أساس بنيانها ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ [الآية 130] بسوط أو سيف أو لكمة ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الآية 130]

متسلطين ظالمين بلا رأفة ورحمة ولا قصد تأديب ونظر في عاقبة.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 131] بترك هذه الأفعال الدنية ﴿وَأَطِيعُوا﴾ [الآية 131] فيما أدعوكم إليه من الأعمال الرضية فإنه أنفع لكم في الأحوال الدنيوية والأخروية ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 132] ﴿بِمَا تَعْرِفُونَهُ مِنْهُ أَنْوَاعُ النِّعَمِ الْجَلِيَّةِ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَيْنَ﴾ [الآية 133] كثيرة ﴿وَجَنَّتِ وَعُيُونٌ﴾ [الآية 134] غزيرة ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 135] في الدنيا والعقبى فإنه سبحانه كما قدر على الإنعام قادر على الانتقام.

﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ﴾ [الآية 136] أنصحت لدينا ﴿أَمْ لَمْ تُكُنْ مِنْ أَلْوَعِظِينَ﴾ [الآية 136] فإننا لا نرجع عما نحن عليه من الدين ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 137] ما هذا الذي جئنا به إلا كذب المرسلين الأولين. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحزمة بضمين أي ما هذا الذي جئنا به إلا عادة الأولين كانوا يزخرفونه ويزورونه من أمر الدين ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [الآية 138] لا في الدنيا ولا في العقبى ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [الآية 139] أي نبههم هوداً ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [الآية 139] ب/ أجمعين بسبب/ تكذيبهم للتوحيد والنوبة بريح صرصر عاتية ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 139] وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [الشعراء: الآيتان 139، 140] في نفي الإيمان عن أكثرهم إيماناً بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا في الدنيا بكفرهم وإشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه.

﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 141] إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَلَائِكِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ [الآيات 141-146] إنكاراً لأن يتركوا على حال تنعمهم مقيمين دائمين كما بيّنه بقوله: ﴿فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الآية 147] وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ [الآيتان 147، 148] لطيف لين اللطف ثمره الكريم ﴿وَتَنَجَّحُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُّوْتًا فَرِهِينَ﴾ [الآية 149] وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو فرهين أي بطرين آثرين مفتخرين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الآية 150] فيما تؤمرون ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية 151] ولا تنقادوا لأمر المجرمين من الرؤساء

والمنكرين من الأغنياء ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الآية 152] ولا يتداركون.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الآية 153] الذين سحروا كثيراً حتى غلب على عقولهم فصاروا كالمجانين ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [الآية 154] من الأكليين والشاربين ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ﴾ [الآية 154] من أنواع الدلالة ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [الآية 154] في دعوى الرسالة.

﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ﴾ [الآية 155] أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها ﴿هَٰذَا شِرْبٌ﴾ [الآية 155] نصيب من المال ﴿وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَقْلُومٍ﴾ [الآية 155] فاقصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها ﴿وَلَا تَسْهَوْهَا يَسْوءُ﴾ [الآية 156] بضرب وجرح ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ [الآية 156] عظم اليوم لعظم ما يحل فيه من العذاب الأليم فهو أبلغ من العذاب العظيم.

﴿فَفَقَّرُوهَا﴾ [الآية 157] أسند الفقر إليهم لأن عاقرها إنما عقرها برضاهم ولذا أخذوا جميعهم ﴿فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ [الآية 157] على قصرهم وكفرهم خوفاً من العقوبة لا توبة من المعصية أو عند المعاينة حين لا تنفعهم التوبة.

﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الآية 158] أي العذاب الموعود في الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشدُّ وَبَاقٍ﴾ [طه: الآية 127]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [١٥٨] وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُّوطَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا نُنْفِقُ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَانْفِقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿الآيات 158-164﴾ العالم بأحوال/ العالمين.

﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 165] أي مما بين من عداكم من العالمين لا يشارككم فيه غيركم حتى البهائم التي ليس لها ملة ودين وعقل ويقين ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ﴾ [الآية 166] لاستمتاعكم ﴿رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ﴾ [الآية 166] بيان لما، وأريد بهن جنس الإناث ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الآية 166] متجاوزون عن حد الشهوة أو مفرطون في المعصية لارتكاب هذه الجريمة.

﴿قَالُوا لَنْ لَّمْ تَنْهَ يَلُوطُ﴾ [الآية 167] عن أمرنا ونهينا وتقبيح مرادنا ﴿لَتَكُونَنَّ

مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٦﴾ [الآية 167] عن بلادنا.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ [الآية 168] من المبغضين ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 169] أي من شؤمه وعذابه ﴿فَنَجِّنَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 170] أي أهل بيته والمتبعين له على ملته بإخراجهم من بينهم وقت قرب حلول العذاب لهم ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ [الآية 171] هي امرأة لوط ﴿فِي الْغَدِيرِينَ﴾ [الآية 171] الباقين في القرية المتشاركين في العقوبة.

﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ [الآية 172] أهلكنا غير المؤمنين ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ [الآية 173] بالإنزال من السماء فوقهم حجراً ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الآية 173] مطر هؤلاء المجرمين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 173] رَبَّكَ هُوَ الْمُزِيرُ الرَّجِيمُ ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمِرْثَلِ﴾ [الآيات 174-176] الأيكة المفيضة تنبت ناعم الشجرة، والمراد بماء غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله إليهم شعبياً كما بعث إلى مدين وكان أجنبياً منهم فكذا ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ [الآية 177] ولم يقل أخوهم ﴿أَلَا نُنْفِوُكُمْ﴾ [الآية 177] وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ليلة وهي اسم بلدتهم.

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الآية 178] معروف بالديانة دون الخيانة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 179] في المخالفة ﴿وَأَطِيعُوا﴾ [الآية 179] في الموافقة ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 180] بل تبليغي عنهم بلا غرم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 180] فأجره أتم وثوابه أعم.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ [الآية 181] أتموه ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [الآية 181] حقوق الناس على وجه التعميم ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [الآية 182] بالميزان السوي القويم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الآية 183] لا تنقصوا أشياء من حقوقهم ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الآية 183] بنحو القتل والغارة وقطع طريق المارة ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 184] الخليقة الذين قبلكم.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الآيات 185، 186] ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [الآيات 185، 186]

أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين منافيين/ للرسالة بخلاف قوم صالح 325/ ب
فإنهم تركوا الواو لإرادة التأكيد والاستئناف ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الآية 186]
في دعواك بالنبوة وتهديدك لمن خالفك بالعقوبة.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنا كِسْفاً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الآية 187] قطعاً منها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ
الصَّادِقِينَ﴾ [الآية 187] بنزول العذاب عنها ﴿قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٨﴾
[الآية 188] بأعمالكم وأحوالكم فينزل بكم ما أوجبه عليكم في وقته الذي قدره أن
يصل إليكم.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ [الآية 189] بأن سلط الله عليهم الحر
سبعة أيام حتى غلت أنهارهم وأظلم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً
فأحرقوا بها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَىٰ عَذَابِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٩٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الآيات 189 - 191] هذا آخر القصص السبع
المذكورة على طريق الاختصار تسلية لسيد الأبرار وتهديد للمكذبين له من الكفار
﴿وَلَهُنَّ﴾ [الآية 192] أي القرآن أو ما سبق من البيان ﴿لَنَنْزِلَنَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٩٣﴾ نَزَلَ بِهِ
الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٤﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٥﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٦﴾ [الآيات
192-195] فصيح المبني واضح المعنى. وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي
بتشديد الزاي ونصب الروح الأمين.

وأفاد الأستاذ: أن كلام الله العزيز منزل على قلب رسوله الكريم غير
منفصل وبغير الله غير متصل، وهو على الحقيقة لا على المجاز منزل ومعناه:
إن جبريل كان في السماء فسمع من الرب فحفظ ونزل وبلغ إلى الرسول فمرة
كان يدخل عليه حال تأخذه عنه عند نزول الوحي عليه فيرد جبريل ذلك على
قلبه ومرة كان يتمثل له الملك فيسمعه، وكان الرسول يحفظه ويؤديه والله
ضمن له أن سيقربه حتى لا ينساه فكان يجمع الله له الحفظ في قلبه ويسهل
القراءة على لفظه، ولما عجز الناس بأجمعهم عن معارضته مع تحديد إياهم
للإتيان بمثله علم صدقه أنه من قبل ربه من طريق قلبه.

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ [الآية 196] أي ذكر القرآن ومعناه بحسب البيان ﴿لَقَدْ زُيِّرَ الْأَوَّلِينَ﴾

[الآية 196] كتب المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ﴾ [الآية 197] علامة على صحة القرآن مع قطع النظر من دلالة المعجزة أو على رسالة محمد إلى هذه الأمة ﴿أَنْ يَعْلَمُوا عَلَمُوا بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ﴾ [الآية 197] أي يعرفوه بنعمته المذكورة في كتبهم. وقرأ ابن عامر تكن بالتأنيث وآية بالرفع على أنها الاسم والخبر/ لهم وأن يعلمه بدل من الآية.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ [الآية 198] جمع أعجمي على التحقيق ويؤيده أنه قرئ بالتشديد ﴿فَقَرَأُوا عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا﴾ [الآية 199] أي أكثرهم ﴿بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 199] لتكبرهم وكثرة تعللهم ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ [الآية 200] أدخلنا القرآن المبين ﴿فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّمِينَ﴾ [الآية 200] أي منهم ومن غيرهم فعرفوا مبانيه وإعجازه ومعانيه ثم من عاندهم لم يؤمنوا بما فيه ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الآية 201] الملجئ إلى التوبة حين لا تنفعهم الندامة.

﴿فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾ [الآية 202] فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 202] بإتيان العقوبة لكمالهم في الغفلة واشتغالهم بالنعمة ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ [الآية 203] تحسراً وتأسفاً على ما كانوا يفعلون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنه لو نزل بغير لسانهم هذا الكتاب لم يهتدوا إلى طريق الصواب وقالوا لو كان بلساننا لعرفناه ولأما به واتبعناه، فأزاح عنهم العلة وأكد عليهم الحجة ثم أخبر عن صادق علمه منهم وسابق حكمه فيهم بالشقاوة عليهم وهو إنهم لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم في القيامة حتى لا ينفعهم الإيمان ولا الندامة.

﴿أَفِعْدَابًا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الآية 204] حيث يقولون ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: الآية 48]، ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ [٢٠٥] ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ [الآيات 205-207] لم يغن عنهم تمتعهم في دفع عذابهم.

وقال الأستاذ: إن أرخيئنا لهم المدة وأمهلناهم أزمنة كثيرة وهم بوصف الغفلة فما الذي كان ينفعهم إذا أخذهم العذاب بغتة ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا

لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ [الآية 208] أنذروا أهلها إلزاماً للحجة ﴿ذِكْرَى﴾ [الآية 209] تذكرة وتبصرة ونصبها على العلة ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الآية 209] ولو أهلكنا العالمين بلا خطيئة.

﴿وَمَا نُنَزِّلُ بِهِ الشَّيَاطِينَ﴾ [الآية 210] كزعم الكفرة أنه من قبيل ما يلقي الجن على الكهنة ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ [الآية 211] وما يصح لهم أن ينزلوا به إليه ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الآية 211] وما يقدرُونَ عليه ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ [الآية 212] أي بالمواجهة لكلام الملائكة في السماء من الوحي النازل للأنبياء ﴿لَمَعَزُولُونَ﴾ [الآية 212] لعدم وجود المشاركة في صفاء الذات وضياء الصفات وقبول فيضان الكلمات على الكمالات وانتعاش بالصور الملكوتية لكون نفوس الشياطين في غاية من الخبائة الظلمانية.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ/ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ [الآية 213] تهيج 326/ ب لزيادة المخلصين ولطف لسائر المكلفين ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الآية 214] الأقرب فالأقرب منهم فإن الاهتمام بشأنهم أهم من غيرهم.

قال الأستاذ: وذلك بتعريفه أنه لا ينفعهم قرابته منهم ولا تقبل شفاعته فيهم على تقصيرهم وعدم إيمانهم فليس هذا الأمر من حيث النسب بل باعتبار التقوى والحسب. هذا نوح لما كفر ابنه لم ينفعه بنوّه وهذا إبراهيم لما كفر أبوه لم تنفعه أبوته، وهذا محمد ﷺ وكثير من أقاربه كانوا أشد الناس عليه في عداوته فلم ينفعهم نسبه وقرابته.

﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ [الآية 215] ألن جناحك وكن من المتواضعين ﴿لِمَنْ أُنْبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 215].

قال الأستاذ: قاربهم في الصحبة واسحب ذيل المجاوزة على ما ينذر منهم في تقصير الخدمة واحتمل منهم سوء الأعمال وعاشرهم بجميل الأحوال وتحمل عنهم وارحم كلهم فإن مرضوا فعدهم وإن حرموك فأعطهم وإن ظلموك فتجاوز عنهم وإن قصروا في حقك فاعف عنهم واشفع لهم واستغفر لهم.

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ [الآية 216] ولم يتبعوك فيما يؤمرون ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا

تَعْمَلُونَ ﴿[الآية 216] من أعمالكم إذ ليس لي اطلاع على أحوالكم في مآلكم.

وفي تفسير السلمي قيل: برىء كل نبي عن مَن عصاه من ذرية الأنبياء ﷺ شرف مرتبته وعظم قربته لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ [الآية 216] بارتكاب العصيان بعد تحقق الإيمان ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ﴾ [الآية 216] من أعمالكم لا بريء منكم في آجالكم فإن لك محل الشفاعة والشفاعة تزيل عنهم ظلمة المعصية.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الآية 217] الذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم. وقرأ نافع وأبو عامر فتوكل بالفاء على البدل من الجزاء.

قال جنيد: التوكل أن تقبل بالكلية على ربك وتعرض بالكلية عما دونه فإن حاجتك في الدارين إليه فلا تعتمد إلا عليه.

وقال الأستاذ: انقطع إلينا واعتصم بنا وتوسل بنا إلينا وكن بنا وإذا قلت فقل بنا وإذا وصلت فصل بنا واشهد تقلبك في قبضتنا وتحقق بأنك بتناولنا. ويقال: توكل على العزيز تجد العز بتوكلك عليه وانقيادك إليه وتفويض/ بالكلية عما دونه أمرك إليه فإن العزيز من وثق بالعزيز الرحيم الذي 327/أ يقرب من تقرب إليه ويجزل الخير لمن توسل إليه وتوكل عليه.

﴿الَّذِي يَرَبُّكَ جِنَّةَ نَقُومٍ﴾ [الآية 218] إلى الصلاة وحدك من المتطوعين أو المتعبدين ﴿وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ [الآية 219] وتصرفك في أركان الصلاة فيما بين المصلين. والمعنى يزجيك إذا صليت بوصف الوحدة وإذا صليت في الجماعة يعني توكل على من يراك في حال اجتهادك لمرضاة مولاك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية 220] لأقوالك وأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 220] لأحوالك وأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه اقتطعه بهذه الآية عن شهود الخلق فأمن علم أنه بمشهد من الحق وأعاد فائق حالاته وحقائق طاعاته ثم هوّن عليه معاناة مشاق عباداته برؤيته له في تقلباته إذ لا مشقة في حمل البلوى لمن يعلم أنه بمرأى من المولى لأن تحمل الجبال الرواسي يهون لمن حملها على شفرة من جفن عينه على مشاهدة ربه. وقوله: ﴿وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ [الآية 219] فهم

نجوم وأنت بدر، وهم بدور وأنت شمس، وهم شمس وأنت للشمس شمس. ويقال: تقلبك في أصلاب أبائك من المسلمين الذين عرفوا الله فسجدوا له من دون من لا يعرفوه ولم يدخلوا في الدين، إنه هو السميع لأئین المحبين العليم بحنين العارفين. ويقال: السميع لأئین المذنبين العليم بأحوال المطيعين.

﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الآيتان 221، 222] كثير الكذب عظيم الإثم من الكهنة والمنجمين ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتُرُهُمْ كَذِبًا﴾ [الآية 223] أي يسترق المسموع من السماء فيختطفون كلمة من الملائكة ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس مع مائة من الكذب، ففي الصحيحين الكلمة يختطفها الجني فيقرأها في أذن وليه ويزيد فيها أكثر من مائة كذبة⁽¹⁾ وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقى قبل أن يدركها.

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الآية 224] أي الضالون يعني شعراء الكفار يهجون سيد الأبرار والصحابة الكبار ويقولون نحن نقول مثل ما يقول محمد، فبعض الغواة يجتمعون إليهم ويستمعون / منهم ويرون عنهم.

ب/327

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ ﴿٢٢٥﴾﴾ [الآية 225] من أودية الكلام ﴿يَهيمُونَ﴾ [الآية 225] يذهبون كالمجنون ويخوضون في كل لغو وهم متحIRON فتارة للباطل يمدحون وتارة للحق يذمون.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ [الآية 226].

وأفاد الأستاذ: أن المراد بهم الشعراء الذين في الباطل يهيمون وفي أعراض الناس يقعون وفي التشبهات عن حد الاستقامة يخرجون ويعدون في أنفسهم ما لا يفون ويسلكون سبيل الكذب فيما يتفوهون.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الآية 227] في سائر الأوقات والحالات.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (7561)، ومسلم في الصحيح (122/2228).

قال جنيد: الذكر الكثير هو دوام المراقبة في جميع الأحوال وطرده الغفلة عن القلب عن جميع الأفعال ﴿وَأَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمْتُمْ﴾ [الآية 227] استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين المكثرين لذكر الله حيث أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ومتابعة رضاه ولو قالوا مهاجاة أو أدلى به الانتصار ممن هاجاهم من الكفار مكافأة. روي أنه لما نزلت ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ﴾ [الآية 224] جاء حسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إليه ﷺ وهم يبكون لديه فقال: قد علم الله حين أنزل هذه الآية من السماء أنا شعراء فأنزل الله ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 227] الآية، رواه ابن جرير وغيره⁽¹⁾.

والسورة وإن كانت مكية لكن أربع آيات منها وهي والشعراء إلى آخر السورة مدنية كما صرح به محيي السنة وغيره من الأئمة ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الآية 227] أي مرجع يرجعون بعد الموت أو حين الفوت وقرىء أي منفلت ينفلتون أي أي منصرف ينصرفون، والمعنى إذا عوقبوا على ظلمهم تحققوا آيسوا ما عملوا وندموا على ما أسلفوا وصدقوا ما كذبوا.

وقال ابن عطاء: سيعلم المعرض عنا ما الذي فاته منا. هذا وسياق الآية وإن كان في الكفار وشعرائهم لكنه عام لكل ظالم فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولذا كتب الصديق الأكبر عند الوصية لعمر رضي الله عنه: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أبو بكر ابن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن يعدل فذلك ظني به ورجائي فيه وإن يَجُرْ ويبدل فلا أعلم الغيب» ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الآية 227] نقله ابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله تعالى عنها⁽²⁾.

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (5/ 277) رقم (26051)، وانظر تفسير الطبري (418/ 19) وتفسير ابن كثير (6/ 175).

(2) تفسير ابن كثير (6/ 177)، وتفسير ابن أبي حاتم (11/ 54) رقم (16846).



[مَكِّيَّة]

وهي ثلاث وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: إنه اسم عزيز قصده العاصي لطلب تخفيفه فظل وزره مغفوراً، اسم كريم قصده العابد لطلب تشريفه فصار أجره موفوراً، اسم جميل أمه الولي لطلب تشريعه فظل سعيه مشكوراً، اسم عظيم تعرض الفقير لوجوده فمحقته العزة وطوحته السطوة فصار كأن لم يكن شيئاً مذكوراً، جلت الأهمية فأنى بالوصول وتقدّست الصمدية فمن الذي له أهل ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴿[المدثر: الآية 55].

وكم باسطين إلى وصلنا أكفهم لم ينالوا نصيباً⁽¹⁾
﴿طس﴾ [الآية 1] بطهارة قدسي وسناء أنسي لا أخيب أمل من أمل لطفي.
ويقال: بوجود بري يطيب قلوب أوليائي وبشهود وجهي يغيب أسرار أصفياي.
ويقال: طلب القاصدين مقابل تعطفي وسعي العاملين معامل بلطفي ﴿تِلْكَ﴾ [الآية 1] آيات هذه السورة ﴿ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الآية 1] لما أودع فيه من الحكم والأحكام أو لصحته بإعجازه الأنام. وفي عطف إحدى الصفتين إيماء إلى أنه مقروء بالسنتنا ومكتوب بأيدينا وجامع لما يحتاج إليه في ديننا وتأخيرته عن القرآن هنا باعتبار تعلق علمنا وتقديمه في الحجر باعتبار وجود اللفظ بعد شهود الخط والحظ.

(1) نسب إلى العباس بن الأحنف. انظر الشعر والشعراء (1/ 180).

﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 2] حالان من الآيات أي هادية ومبشرة للمصدقين ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [الآية 3] أي الذين يعملون الصالحات، وخصاً بالذكر لأن الصلاة أم العبادات البدنية والزكاة أم الطاعات المالية، فالمراد بهم الكاملون في الأمور الدينية ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [الآية 3] فيتحملون التكاليف الشاقة لخوف لحوق العقابة ووثوق المحاسبة.

قال بعضهم: التنبيه في إقامة الصلاة أن لا يواصلك بها ولا يفاصلك 328/ ب بتركها لكن اتباع الأوامر تعظيماً لأمرها. / قيل: لا يكن حظك من صلاتك إقامتك بها دون السرور بما أهلت لها من القربة والمناجاة بسببها.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الآيات وهذا الكتاب الجامع للبينات بيان وشفاء ونور وضياء وذكرى وبشرى لمن خلقنا له، الإيمان على ما أكدنا له الأمان وضمننا له الإحسان الذين يديمون المواصلات ويستقيمون في إدام المباحات ويؤدون عن أموالهم وأحوالهم وسكناتهم وحركاتهم الزكوات بما يقومون في حقوق المسلمين أحسن مقام في كل باب وينوبون عن ضعفائهم أحسن مناب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَلَهُمْ﴾ [الآية 4] القبيحة حتى رأوها حسنة بجعلها محبوبة للطبع مكروهة للشرع ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الآية 4] عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع لها.

وقال الأستاذ: أغشيناهم فهم لا يبصرون أعمينا عليهم المسالك فهم عن الطريقة المثلى يعدلون أولئك الذين في ضلالتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [الآية 5] في الدنيا وسوء الحساب في العقبى ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ﴾ [الآية 5] أخسر الناس في الخسارة وأنجسهم في التجارة لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة.

قال الواسطي: من أعرض عن الله أو خالف شيئاً من أمر مولاه جعل عقوبته في دنياه بتزيين عمله في قلبه وتحسينه في مهواه حتى لا يرى المخالفة

مخالفة وفضل بالكلية عن طريق رشده وسبيل هداه فيكون إذ ذاك الهلاك والوقوع في الفتنة هنالك.

وأفاد الأستاذ: أن سوء العذاب هو أن يجد الآلام والأسقام ولا يجد التسلي برؤية المبلى في ذلك المقام ولا يحمل عنه ثقل البلاء والعذاب شهود المبلى في ذلك الباب وذلك للكفار وأهل الحجاب، فأما المؤمنون فيخفف عنهم العقاب في الآخرة حسن رجائهم بالله ثم تضرعهم إلى الله ثم فضل الله معهم بالتخفيف في حال البلاء ووقت العناء ثم ما يوقع عليهم من الغشية والإنامة كما في الخبر إلى إخراجهم من النار.

﴿وإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ﴾ [الآية 6] لتؤتاه أحسن الإتيان ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [الآية 6] أي حكيم وأي عليم وجمع بينهما في معرض البيان للإشعار بأن / علوم 329/ أ القرآن منها ما هي حكمة وأحكام كالعقائد والشرائع ومنها علوم مجردة كالقصص والإخبار عن المغيبات والبدائع.

وقال أبو بكر ابن طاهر: إنك لتلقى القرآن من الحق حقيقة وإن كنت تأخذه في الظاهر عن جبريل بالواسطة قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: الآيتان 2، 1]. وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم.

وقال الأستاذ: أي الذي أكرمك بإنزال القرآن عليك من السماء هو الذي يحفظك عن الأسواء والأعداء وصنوف البلاء.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ﴾ [الآية 7] أي اذكر أسرار قصته التي هي من آثار علم الله وأنوار حكمته، والمراد بأهله زوجته وأهل بيته ﴿إِنِّي ءَأَسْتُ﴾ [الآية 7] أبصرت ﴿نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا﴾ [الآية 7] من أهلها ﴿بِخَيْرٍ﴾ [الآية 7] عن حال الطريق وكان قد فعله لقلّة الفريق وظلمة العميق ﴿أَوْ ءَاتِيكُمْ بِسَحَابٍ مِّمَّنْ﴾ [الآية 7] بشعلة نار مقبوسة، ونوّنه الكوفيون على أن القبس بدل منه والعدتان على سبيل غلبة الرجاء عند حصول القصص ولذا عبر عنها بصيغة الترجي في طرود القصص والترديد للإيمان إلى أنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أخذهما ثقة بعادة ربه أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [الآية 7] رجاء أن يستدفعوا بها من البرد

القوي فإنهم كانوا في الليل الشتوي.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ [الآية 8] قارب النار موسى ﴿ثَوْدَىٰ أَنْ بُورِكَ﴾ [الآية 8] أي بورك أو بأن بورك ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ [الآية 8] في طلبها أو في مكانها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الآية 8] أي ومن هو حولها من الملائكة وهو البقعة المباركة في قوله تعالى: ﴿ثَوْدَىٰ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَكُونَتْ إِنْ أَنْ أَلَّهُ رَبُّنَا الْعَالَمِينَ﴾ [القصاص: الآية 30]، وهنا قال: ﴿وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 8] تنزيلاً له عما لا يليق بذاته ولا ينبغي لصفاته وتصدير الخطاب ببورك إشارة إلى البشارة وهي أنه قد قضى له أمر عظيم يقصر عنه العبارة. وعن ابن عباس وغيره: أي قدس من في النار وهو الله سبحانه والنار نور والأنوار عليك ومخاطبة يعني أنه نادى موسى منها وأسمعه كلامه من جهتها.

وقال ابن عطاء: أصابتك بركة النار بوارد الأنوار عليك ومخاطبة الحق ب/329 لديك فإنك أنست في الظاهر ناراً وكانت في الحقيقة أنواراً/ فأزال عنك أنسك بها وخصك الأنس بنورها وكلمك وأنباك عند الكلام وخصصت به فيما بين الأنام.

وأفاد الأستاذ: إنه عليه السلام لما سار بأهله من مدين شعيب متوجهاً إلى مصر وطنه ودجا عليه الليل وأخذ امرأته الطلق وشدة الويل وهبت الرياح الباردة وقدح النار فلم يورد الزند بالشرارة الشاردة وضاق على موسى الأمور الواردة حيث تشتت به الهم واستولى على قلبه الشغل الأهم، فرأى ناراً من بعد فقال لأهله: امكثوا إني أبصرت ناراً. وفي القصة أنه تشتت أغنامه وكانت له بقور وثيران تحمل متاعه فشردت فقالت امرأته: كيف تتركنا وتمضي والوادي مسبع، فقال: امكثوا إني لأجلكم أمضي وأتعرف أمر هذه النار لعلني آتيكم منها إما بقبس وشعلة أو بخبر عن قوم نزول عليها لنا بهم استعانة ومن جمعتهم منفعة. وكان في رأي عينه أن تلك النار التي لاحت له قريبة وكان يمشي موسى والنار تتباعد حتى قرب من النار فرأى شجرة رطبة تشتعل كلها ناراً من أولها إلى آخرها وهي نار مضيئة فجمع خشبات من

حولها وأراد أن يقتبس منها فعند ذلك سمع النداء من الله: ﴿يَمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾ [الآية 9] فكان موسى عند الشجرة فسمع النداء من الله لا من الشجرة كما توهم المخالفون من أهل البدعة وحصل الإجماع أن موسى تلك الليلة سمع كلام الله سبحانه ولو كان النداء في الشجرة لكان التكلم بذلك الشجرة ولا ينكر في الجواز أن يكون الله أسمع موسى كلامه بإسماع خلقه له وخلق كلاماً في الشجرة أيضاً، فموسى سمع كلامه القديم، وسمع كلاماً مخلوقاً في الشجرة أيضاً وهذا من طريق العقل جائز إلى يا موسى إنه الضمير للشأن أو للمتكلم وهو أوفق في البيان لما في طه والقصص ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ [القصص: الآية 30] فأنا خبر والله بيان له ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الآية 9] صفتان ممهدتان لما أراد أن يظهره أي القوي القادر على مراده الفاعل بمقتضى مشيئته وفق حكمته في عباده وبلاده.

وقال الأستاذ: الذي يخاطبك أنا الله العزيز في استحقاق جلالي الحكيم في جميع أفعالي.

/ ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الآية 10] أي ونودي أن ألقِ عصاك قال: فألقاها فإذا هي 330/أ حية تسعى ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾ [الآية 10] تتحرك وتضطرب سريعة ﴿كَأَنهَا جَانٌّ﴾ [الآية 10] حية خفيفة ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [الآية 10] لم يرجع إلى عقبه من كمال رعبه في قلبه من جهة ربه كما أشار إليه بقوله: ﴿يَمُوسَى لَا تَخَفْ﴾ [الآية 10] أي من غيري ثقة بي ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ [الآية 10] أي لا يخافون حين يوحى إليهم من فرط استغراقهم بي ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [الآية 11] منهم أو من غيرهم ﴿ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ [الآية 11] صدر عنهم ﴿فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الآية 11] بهم.

قال الواسطي: إلا من ظلم برؤية النفس والالتفات إليها والإقبال عليها. وقيل: إلا من خاف غيرنا أي وغفل عن أن الأمر كله لنا.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراه في عصاه من البرهان المبين حتى يحصل له كمال اليقين فقلبها الله حية صغيرة ثم حية كبيرة فأوجس في نفسه خيفة وولى مدبراً هارباً من الحية وكان خوفه من الله أن يسلمها عليه لما كان معلوماً لديه بأن الله أن يعذب من يشاء بما يشاء كيف شاء، فقال له الحق:

يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون، أي لا يتبقى لهم أن يخافوا إلا من ظلم وهذا يدل على جواز الذنب على الأنبياء فيما لا يتعلق بتبليغ الرسالة بشرط عدم الإصرار على الذلة فأما من لم يجوز عليهم الخطيئة فيحمل هذا على ما قبل النبوة. فلما رأى موسى انقلاب العصا علم أن الحق هو الذي يكاشفه بالنداء.

ويقال: كيف علم موسى أن الذي سمعه كلام الله، والجواب: أنه يتعريف منه إياه فيجوز أن يكون ذلك العلم فيه ضرورياً ويجوز أن يكون كسبياً ويكون الدليل له الذي علم به صدقه في قوله إني أنا الله هو ما ظهر على يده في الوقت من المعجزة كقلب العصا وإخراج اليد البيضاء كما قال تعالى: ﴿وَأَدْخُلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [الآية 12] لأنه كان عليه مدرعة صوف لا كم له ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٍّ﴾ [الآية 12] آفة كبرص ﴿فِي يَسْبَعِ آيَاتٍ﴾ [الآية 12] في جملتها أو معها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ [الآية 12] أي مرسلأ إليهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَتِيْرِينَ﴾ [الآية 12] خارجين عن طاعة ربهم.

قال الأستاذ: وفي القصة أن موسى عليه السلام ذكر انشغال قلبه ب330 ب بحديث أهله وما أصابه تلك الليلة من الأحوال التي أوجبت انزعاجه / وقصده إلى طلب النار فقال تعالى: إِنَّا كَفَيْنَاكَ ذَلِكَ الْأَمْرَ وَوَكَّلْنَا بِأَمَارَاتِكَ وَأَسْبَابِكَ فَجَمَعْنَا أَغْنَامَكَ وَسَلَّمْتَ تِلْكَ الْمَرْأَةَ.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا﴾ [الآية 13] بأن جائهم موسى بها على طريق خرق العادة ﴿مُبْصِرَةً﴾ [الآية 13] بيّنة واضحة وظاهرة لائحة أو مبصرة كل من نظر إليها وتأمل فيها ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 13] صريح سحرته.

﴿وَحَمَدُوا بِهَا﴾ [الآية 14] أي أنكروها وكذبوا بها ﴿وَأَسْتَيْقَنَتَهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [الآية 14] أي والحال أنها استيقنتها ﴿ظُلُمًا﴾ [الآية 14] لأنفسهم بالعصيان والعدوان ﴿وَعُلُوًّا﴾ [الآية 14] ترفعاً عن الإيمان وتجاوزاً عن الكفران، ونصبها على العلة أو الحاليتين ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 14] وهي الإغراق في الدنيا والأحزان في العقبى.

قال الأستاذ: ولم يظهر الله سبحانه آية على رسول من أنبيائه إلا كانت في الوضوح بحيث لو وضعوا النظر فيها موضعه لوصلوا إلى حصول العلم وثلج الصدر في حقيقة الأمر، ولكنهم قصرُوا في بعضها بالإعراض عن النظر فيها وفي بعض عرفوها فقابلوها بجحدها وكما يحصل من الكفار الجحد يحصل من العاصين في بعض الإلمام ببعض الأنام حالة يعلم فيها بالقطع إن ما يفعله غير جائز ويتوالى على قلبه الخواطر الزاجرة للداعية له عن فعلها من غير أن يكون متغافلاً عنها أو ناسياً لها، ثم يقدم على ذلك غير محتفل موافقة لشهوته هنالك، وهذا الجنس من المعاصي أكثرها شؤماً وأكبرها لوماً وأشدّها في العقوبة وأبعدها في المغفرة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ [الآية 15] لدينا وحكماً مبيناً فقاما بشكره وعملاً بأمره ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 15] ممن لم يؤت علمهما. وفيه تنبيه على فضل العلم وشرف أهله وتحريض للعالم على أن يحمد الله على ما آتاه من فضله ويعتقد أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه كثير من مثله، وإيماء إلى أن العلم في الحال والمآل خير من الملك والمال ولذا لم يدخلها في غير مقال الحمد للملك المتعال.

قال ابن عطاء: أي علماً بربه وعلماً بنفسه فأثبت لهم علمهم بالله علم أنفسهم وألبسناهم على أنفسهم حقيقة العلم بالله ولذا/ قال علي رضي الله 331/أ عنه: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»⁽¹⁾.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [الآية 16] أي النبوة أو المعرفة الخاصة أو الملك والحكومة بأن قام مقام أبيه دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر.

قال جنيد: أعلمناهما بسم الله الرحمن الرحيم فورث سليمان ذلك من أبيه داوود فكتبه وصدر كتبه فلذلك قالت: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 29] إنه افتتح بسم الله الرحمن الرحيم، ولم تر قبله مفتتحاً بهذه الفاتحة أي التي هي

(1) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (1/ 189) رقم (349)، والمقاصد الحسنة (1/ 657) رقم (1149)، وكشف الخفا (2/ 262) رقم (2532).

كثيرة الفاتحة ﴿وَقَالَ يَتْلِيَهَا النَّاسُ عُلْمًا مِّنَ الظَّيْرِ وَأَوْتِنًا مِّنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 16] من أنواع البر وأصناف الخير. قاله تحدثاً بنعمة الله واشتهاراً لا تكبراً وافتخاراً ودعا للناس على وجه الاستئناس إلى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظام ما أوتيته من الخير ومن ذلك ما حكى أنه مر بببليل يصوت ويترقص فقال: يقول إذا أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاخنة فقال: تقول ليت الخلق لم يخلقوا، والصواب أن العلم بمنطق الطير على حقيقة المقال دون ما يفهم من قرينة الحال كما توهم من قال: لعل كان صوت الببليل عن الشيع وفراغ البال وصياح الفاخنة عن مقاساة شدة الحال وتألم القلب والبال، فإنه حينئذ لم يكن خرق عادة بل مجرد فراسة ناشئة عن كياسة مع أن مثل هذه المقالة لم تتصور في قضية النمل والهدهد.

هذا وقد قال أبو عثمان المغربي: مَنْ صدق مع الله في أحواله فهم عنه كل شيء وفهم عن كل شيء ما صدر من مقاله فيكون له في أصوات الطيور وصرير الأبواب علماً يعلمه ويتنبأ في جميع الفصول والأبواب. ولعل هذا أحد معاني فصل الخطاب والله أعلم بالصواب.

وأفاد الأستاذ: أن في قوله علمناه منطق الطير دلالة على معجزته فأظهرها لقومه وأمته ليعلموا بها صدق إخباره عن نبوته ومن كان صاحب بصيرة وحضور قلب بالله يشهد الأشياء كلها بالله ومن الله فيكون مكاشفاً بها من حيث التفهيم لها فكأنه سمع من كل شيء. وتعريفات الحق سبحانه للعبد 331/ ب كل شيء من كل شيء لا نهاية له وذلك موجود/ فيهم ومحكي عنهم، وكما أن ضرب الطبل مثلاً دليل تعرفون بالمواصفة بسماعه وقت الرحيل والنزول فالحق يخص أهل الحضور بفنون التعريفات من سماع الأصوات وشهود أحوال المرئيات في اختلافها من الحالات، كما قيل:

إذا المرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة⁽¹⁾

(1) ربما يكون لأبي فراس. انظر المدهش (1/ 231).

﴿إِنَّ هَذَا﴾ [الآية 16] ما ذكر من العلم والمعرفة والنبوة والمعجزة ﴿هُوَ
الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [الآية 16] الذي لا يخفى على أهل الخبرة أن ليس فوقه منقبة
﴿وَحِشْرٌ﴾ [الآية 17] أي جمع ﴿لِسُلَيْمَانَ جُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ [الآية 17]
ولعل ذكر الإنس في الوسط إشعار بأنه من أهل الإنس ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [الآية 17]
يحسبون يكفّ أولهم ليتلاحق آخرهم.

وقال الأستاذ: سخر الله لسليمان عليه السلام الجن والطير فكان الجن
مكلفين والطير له كانت مسخرة لأنه كان عليها شريعة محررة ولذا الحيوانات
التي كانت في وقت حتى النمل والهدهد وغيره كان يعرف سليمان خطابهم
وكان ينفذ عليهم حكمه في بابهم.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ [الآية 18] أي مروا على واد بالشام كثير النمل
وأرادوا أن ينزلوا في ذلك المحل ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا
يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُودُهُ﴾ [الآية 18] نهي لهم عن الحطم بحسب الظاهر، والمراد
نهيها عن التوقف في مكانها بحيث يحطمونها كقولهم: لا رأيتك ها هنا، فهو
استئناف أو بدل من الأمر لا جواب له على أن تكون لا نافية فإن النون لا تدخله
في السعة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 18] إنهم يحطمونكم إذ لو شعروا لم يعقلوا
وكانها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم والإيذاء مباشرة وتسبباً للأشياء.

قال جنيد: قال سليمان لعظيمة النمل: لم قلت ادخلوا مساكنكم أخفت
عليهم ظلماً، قالت: لا ولكن خشيت أن يفتنوا بما يروا من ملكك فيشغلهم
عن طاعة ربهم ذلك.

وقال الأستاذ: قيل إن سليمان استحضر أمير النمل الذي قال لقومه
ادخلوا مساكنكم فقال له: أما علمت أنني معصوم وإني لا أمكن عسكري أن
يطؤوكم أو يؤذوكم، فكان يجوز له أن يقول لم أعلم ذلك لأنه ليس بواجب
أن يكون النمل عالماً بعصمة سليمان، ولو قال قلت: لعلكم أبيح لكم
وطؤنا، لكان هذا أيضاً/ جائزاً ها هنا. وقيل: إن ذلك النمل قال لسليمان: إني 332/أ
أحمل قومي على الزهد في الدنيا فأمرتهم بدخول مساكنهم لئلا يتشوش عليهم

زهدهم في الدنيا ورغبتهم إلى المولى. ولئن صح هذا ففيه دليل على وجوب سياسة الكبار لما هو من رعيته من الصغار. وفي الآية دلالة على حسن الاحتراز مما يخشى وقوعه وإن ذلك مما تقتضيه عادة النفس وما فطروا عليه من التمييز. ويقال: إن ذلك النمل قال لسليمان: ما الذي أعطاك الله من الكرامة، فقال: سخر لي الريح، فقال: أما علمت أنا، الإشارة فيه أنه ليس بيدك مما أعطيت إلا الريح وقد بينه الكبير على لسان الصغير.

﴿فَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ [الآية 19] تعجباً من حذرهما وتحذيرها واهتداء بها إلى مصالح تدبيرها أو سروراً مما خصه الله من إدراك كلامها وفهم مرامها ولذا سأل توفيق شكره ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ [الآية 19] ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [الآية 19] لدي ﴿الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَتِي﴾ [الآية 19] أدرج فيه ذكر والديه تكثيراً للنعمة فإن النعمة عليهما نعمة له كما أن النعمة عليه يرجع نفعها إلى والديه لا سيما النعمة الدينية والمنح الأخروية ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [الآية 19] استدامة للنعمة واستزادة للرحمة ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية 19] في عمارة الجنة.

قال ابن عطاء: حبيبي إلى عبادك الصالحين أي من الأنبياء والمرسلين وسائر المؤمنين.

وأفاد الأستاذ: إنه سؤال لحسن العاقبة لأن الصالح من عباده من هو محتوم له بالسعادة ثم التبسم من الملوك ببدر لمراعاتهم حكم السياسة وذلك يدل على رضاهم واستحسانهم لما منه يحصل التقسيم، ولقد استحسن سليمان من كبير النمل حسن سياسته لمراعاة رعيته. وفي القصة إنه استعرضه جنده ليراهم كم هم فعرضهم عليه وكانوا يأتون فوجاً فوجاً حتى مضى شهر وسليمان واقف ينظر إليهم معتبراً فلم ينتهوا فمر سليمان عليه السلام. وفي قوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ [الآية 19] إلخ دليل على أن نظره إليهم كان نظر اعتبار وأنه رأى تعريف الله إياه ذلك وتنبهه عليه من جملة نعمه يجب له الشكر عليها. وفي 332/ ب قوله: ﴿وَعَلَىٰ وَلَدَتِي﴾ [الآية 19] دليل على أن شكر الشاكرين لله لا يختص بما

أنعم عليه على الخصوص من نفسه بل يجب على العبد أن يشكر الله على ما خَصَّ وعَمَّ من نعمه.

﴿وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ﴾ [الآية 20] تمامها فلم يجد الهدهد فيها ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدَّهْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَسَّائِينَ﴾ [الآية 20] أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضِر في مكانه ولا يراه لمانع من ساتر أو غيره فقال: ما لي لا أراه ثم احتاط في أمره فلاح له أنه غائب عن نظره فأضرب عن قوله وقال: هو غائب عن محله، كأنه يسأل عن صحة ما لاح له عن غيره.

﴿لَاَعْدِبْنَهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الآية 21] كنتف ريشه وإلقائه وإبقائه في الشمس أو جعله مع ضده في قفص الحبس ﴿أَوْ لَاَذْبَحْنَهُ﴾ [الآية 21] لتعتبر به أبناء الجنس ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنِّي﴾ [الآية 21] وقرأ ابن كثير أو ليأتيني ﴿بِسُلْطَنِ مُيَمِّنٍ﴾ [الآية 21] ببرهان يبين أمره ويظهر عذره.

قال جنيد: لأفرقن بينه وبين إلفه.

وقال أبو علي الروذباري: أضيق الشجون في البلاء معاشرة الأضداد. وقيل: لأبعدنه عن مجالس الذاكرين من الزهاد والعباد.

وقال الأستاذ: وتفقَد الطير أي تطلبه فلما لم يره في مرتبته تعرف ما سبب تأخره وغيبته ودل ذلك على تيقظ سليمان عليه السلام في مملكته وحسن قيامه وتكفله بأمور أمته ورعيته حيث لم يخف عليه غيبة طير هو من أصغر الطيور ساعة واحدة من حضرته ثم تهدده إن لم يكن له عذر بعذاب شديد وذلك دليل كمال سياسته ثم خَفَّفَ عنه ذلك إن كان له عذر ودل ذلك على عدله في مملكته وقال قوم: إنما عرف غيبته لأن الهدهد يعرف عمق الماء بإلهام خَصَّ به من ربِّ السماء وأن سليمان نزل منزلاً لم يكن ماءً هنالك فطلب الهدهد ليهديهم إلى ذلك ولعله كان مخصوصاً بزيادة المعرفة أو رئيساً لتلك الطائفة المعروفة. وروى ابن عباس رضي الله عنهما: سئل عن هذا وقيل إن هذا الهدهد يرى لما تحت التراب ويعرف فكيف لا يرى الفخ

مخفياً تحت التراب ولم يجرف⁽¹⁾، فقال: إذا جاء القضاء ضاق الفضاء وإذا جاء القدر عمي البصر. ويقال: إن الطير كانت تقف فوق رأس سليمان مصطفة وكانت تستر انبساط الشمس وشعاعها بأجنحتها ملتفة فنظر سليمان فرأى موضع الهدهد خالياً منه فعرف بذلك غيبته عنه، وهذا أيضاً يدل على كمال تفقده وتمام تيقظه وتعهدده. ثم في الآية دلالة على أن العقوبة على قدر الجريمة ولا عبرة بصغر الجثة وكبر الهيبة وفيه دليل على أن الطير في زمانه كانت في جملة أهل التكليف وبرهانه ولا يبعد أن يكون عليها شرع وأحكام ولهم من الله إلهام وإعلام. ويقال: من العذاب الشديد إلزامه خدمة أقرانه وهو أن يمنع حلاوة الخدمة فيجد ألم المشقة أو هو أن يقطع عنه حسن التولي لشأنه فيوكل إلى حوله ونفسه أو يمتحن بالحرص في طلبه ثم يحال بينه وبين مطلوبه من العذاب الشديد الطمع في لئيم القدر ثم لا يرتفع الأمر، ومن ذلك سلب القناعة وفقد حلاوة الطاعة، ومنه عدم الرضا بما يجري من القضاء، ومن ذلك توهم الحدثن وحسابه من الخلق في ظهور الشأن، ومن ذلك الحاجة إلى الأنسة، ومن ذلك ذل السؤال مع الغفلة عن شهود التقدير في الحال والمآل، ومن ذلك الابتلاء بمباشرة الأضداد في البلاد، ومن ذلك ضعف اليقين وقلة الصبر في الدين، ومنه حسابان الباطل بصفة الحق والتباس الحق في صورة الباطل، ومنه أن يطالب بما لا يتسع له ذات يده في ذلك المطلب، ومنه الفقر في القرية كذا ذكره الأستاذ خلطاً بين أنواع العذاب الشديد مما لا يتحقق إلا من الله ومما يتصور من بعض العبيد.

﴿فَمَكَثَ﴾ [الآية 22] وقرأ ابن عاصم بفتح الكاف أي فلبث ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [الآية 22] أي زماناً غير مديد من وقت التهديد، يريد به سرعة الدلالة على رجوعه خوفاً من حكم سليمان وأمره ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [الآية 22] يعني حال صباه وبنائه كما بيّنه بقوله: ﴿وَحِثُّكَ مِنْ سَيِّئِ يَكْرِ يَقِينَ﴾ [الآية 22] وفي مخاطبته إياه إيماء إلى أن في أدنى خلق الله من أحاط علماً بما لم يحط به ليتحاور نفسه

(1) تفسير ابن أبي حاتم (91/11) رقم (16973)، والدر المنثور (6/349).

إليه ويتصاغر علمه لديه. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو سبأً غير مصروف على تأويل القبيلة أو البلدة. روي أنه عليه السلام لما تمَّ له بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام به ما شاء الله ثم توجه إلى اليمن فخرج من مكة صباحاً فوافى في صفا ظهيرة فأعجبه نزاهة أرضها فنزل بها ثم لم يجد الماء فيها وكان الهدهد رآه لأنه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده هنالك إذ حلَّق حين نزل سليمان عليه السلام فرأى هدهداً واقفاً/ في ذلك المقام فانحط إليه لتمام المرام فتواصفا فطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع وحكى ما حكى. وفي عجائب قدرة الله ومراده وما خَصَّ به خواص عبادہ أشياء أعظم مما خص به هذا النبي المكرم يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً﴾ [الآية 23] يعني بلقيس وهي بالكسر ملكة سبأً ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ [الآية 23] أي سبأً إن أريد به القبيلة أو أهلها إن أريد به البلدة ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 23] تحتاج الملك في الملك القويم ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 23] أي بالنسبة إلى عروش أمثالها أو بالنسبة إليها لا إلى سليمان لعدم المناسبة بينه وبينها. قيل: كان ثمانين ذراعاً في ثمانين عرضاً وسمكاً من ذهب وفضة وبالجواهر مكللة.

﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 24] لأنهم كانوا يعبدونها ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الآية 24] أي عبادة الشمس وغيرها من قبائح أفعالهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الآية 24] سبيل الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [الآية 24] إلى طريق الصدق.

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي﴾ [الآية 25] أي قصدهم لئلا يسجدوا أو زين لهم أن لا يسجدوا على أنه بدل بعض من أعمالهم. وقيل: لا زائدة والمعنى لا يهتدون إلى أن يسجدوا. وقرأ الكسائي: ألا يا اسجدوا بتخفيف اللام على أن لا للتنبية ويا للنداء ومناداه محذوف أي ألا يا قوم اسجدوا، فعلى هذا صح أن يكون استثناءً من الله والوقف على يهتدون وأن يكون أمراً بالسجود. وعلى قراءة التشديد وما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجدة إما عند قراءتها أو

في الجملة ﴿يُخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 25] أي يظهر ما خفي على غيره من إشراق الكواكب وإنزال الأمطار وإنبات النبات وإيجاد الكائنات من العدم إلى الوجود ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [الآية 25] وقرأ حفص والكسائي بالخطاب فيهما.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [الآية 26] الذي هو أول الأجرام وأعظمها والمحيط بجملتها، فبين العظيمين بون عظيم.

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ﴾ [الآية 27] أي سنعرف أو سنبصر ﴿أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الآية 27] أي أم كذبت، ولعل التغيير في التغيير للمبالغة أو لمحافظة الفاصلة.

قال الأستاذ: وفي ذلك دلالة على أن خبر الواحد لا يوجب العلم 334/أ فيجب التوقف فيه على حد/ التجويز. وفيه دلالة على أنه لا يطرح بل يجب أن يتعرف هل هو صدق أم كذب. ولما عرف سليمان هذا العذر عذر الهدهد فترك ما توعد به من عقوبته فكذا سبيل الوالي يجب أن يمنعه عدله من الحيف على رعيته ويقبل عذر من وجده في صورة المجرمين إذا صدق في معذرتة.

﴿أَذْهَبَ يَكْتَلِي هَذَا فَالْقَهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى﴾ [الآية 28] تنح ﴿عَنْهُمْ﴾ [الآية 28] إلى مكان قريب منهم ﴿فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 28] يردون من الجواب بعد قراءة الكتاب.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية إشارة إلى أنه لا ينبغي للإنسان أن يذكر بين يدي الملوك كل كلمة فإنه يجز العناء بذلك إلى نفسه، وقد كان لسليمان كثير من الحشم والخدم فلم يستعمل واحداً في هذا التكليف إلا الهدهد ليخرج من عهدة ما قال. ويقال: لما صدق فيما أخبر وبذل النصيح لمملكه عوض عليه حتى أهل للرسالة والسفارة على ضعف صورته وحقارة هيئته فمضى الهدهد وألقى إليها الكتاب وتنحى إلى جانب ينظر ماذا يُجاب.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنَّهُ أَخْلَى إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 29] لكرم مضمونه وبرهانه أو لشرف مرسله، فإنها كانت عالمة بعظمة سليمان وسلطانه وقد قيل كَرَّمَ

الكتاب عنوانه أو لأنه كان مختوماً وفي الحديث كرم الكتاب ختمه.

وأفاد الأستاذ: أنه قيل لأن الرسول كان طيراً فعلمت أن من يكون الطير مسخرة له عظيم شأنه ويقال لأنه لم يكن في الكتاب ذكر الطمع في الملك وما يتعلق بهواه بل كان الدعاء إلى الله ويقال: أخذ الكتاب بمجامع قلبها وفندها فلم يكن جواب لها غير أن تقول: إني ألقى إليّ كتاب كريم، ولما عرفت قدر الكتاب وصلت باحترامها إلى بقاء ملكها ورزقت الإسلام وصحبة سليمان عليه السلام. وقيل: لأنه كتب اسم نفسه أولاً. وقيل: لأنه كان فيه البسملة مسطراً كما يشير إليه قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ [الآية 30] أي إن الكتاب أو العنوان ﴿وَإِنَّهُ﴾ [الآية 30] أي المكتوب أو المضمون ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ﴾ [الآيتان 30، 31] أي لا تتكبروا لدي أو بأن لا تعلوا عليّ معاندين ﴿وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [الآية 31] مؤمنين أو منقادين، وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود في بيان الإفادة لاشتماله على / البسملة 334/ ب الدالة على ذات الصانع وصفاته الكاملة الشاملة والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل والأمر بالإسلام الجامع للفضائل وليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجة على الرسالة، فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة.

قال ابن طاهر: لما قال الله تعالى للقلم اكتب قال: ما أكتب، قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أي بك ظهرت جميع الأشياء لا بغيرك، فلما رأت بلقيس كتابه مفتوحاً بما افتتح به اللوح المحفوظ قالت: ﴿أَلْقَى إِلَيَّ كِتَابَ كَرِيمٍ﴾ [الآية 29].

﴿قَالَتْ يَتَأْتِيَ الْملُوكُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ [الآية 32] أجيئوني في الأمر الحادث واذكروا لي ما تستصوبون ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [الآية 32] تحضرون وتستأمرون، استعطفتهم بهذه الملازمة ليمالئوها إلى الإجابة.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَوَّلُوا قُوَّةً﴾ [الآية 33] عدداً وعدداً إذ روي أن الملائكة كانوا ثلاثمائة واثنى عشر أميراً مع كل منهم عشرة آلاف ﴿وَأَوَّلُوا بِأَسْ سُدِيرٍ﴾ [الآية 33] أصحاب شجاعة وخدعة ومكيده ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ [الآية 33] موكلول في أمور المملكة

﴿فَانظُرْ﴾ [الآية 33] أي تفكري ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [الآية 33] من المصالحة والمقاتلة نطع أمرك ونتبع رأيك.

قال الأستاذ: أجابوا على شرط الأدب قالوا: ليس منا إلا بذل الوسع وما بنا إلا إظهار النصح ولا علينا إلا متابعة الأمر وتمشية الأمر وإمضاؤه إليك.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ [الآية 34] أي قهراً وعنوة ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ [الآية 34] أخرجوها من حيز العمارة ﴿وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ [الآية 34] بنهب أموالهم وتخريب ديارهم وتضييع أحوالهم من الإهانة والأسر في أهاليهم ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 34] تأكيد لما وصفت من بيان شأنهم وتقرير بأن ذلك من عاداتهم المستقرة المستمرة في أزمانهم وذلك لأنها كانت ناشئة في بيت الملك فرأت ذلك وسمعت ما هنالك فذكرت لهم عاقبة الحرب ومغبتها فإنها سجال لا تدرى عاقبتها. وأشارت إلى أن الصلح خير إن تيسر في قضيتها كما صرحت بقولها.

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾ [الآية 35] أي رسلاً بها ﴿فَنَظَرْتُ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [الآية 35] فمنتظرة بأي شيء يرجعون من عنده من / صلح أو غيره حتى أعمل بحسبه. نقل محيي السنة عن ابن عباس وغيره إنها قالت: إن قبل الهدية فهو ملك نحاربه وإن لم يقبل فهو نبي نتبعه⁽¹⁾.

هذا وقال الأستاذ وفي معنى أفسدوها قيل عطلوها عن أكابرها وأربابها وأزالوا عنها ما تعودوا أصحابها من سيرهم وسنهم فيها، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 34] تصديقاً لها، ويقال تغيير الملوك إذا دخلوا قرية عن صفتها معلوم عند أهلها إلا أنه ينظر في داخلها فإن كان عادلاً أزال سنة الجور وأثبت سنة العدل وإن كان جائراً أزال الحق وأثبت الباطل فخراب البلاد بسوء

(1) تفسير القرطبي (13/ 202).

الولاء من العباد فتستولي أسافل الناس وأراذلهم على الأعزة وأكابرهم وأعاليتهم
كما قيل:

يا دولة ليس فيها من المعالي شظية
زولي فمما أنت إلا على الكرام بلية⁽¹⁾

بعمارة الدنيا بولاء الرشد والهدى يكسرون رقاب الغاغة والجهلة
ويخلصون الكرام من أسرار قلة فيأخذ القوس بأزلهـا وتطلع شمس العدل من
برج شرفها وأعاليتها كذلك المعرفة والخصال الحميدة إذا باشرت قلب عبد
أخرجت عنه الشهوات والمنى وسفساف الأخلاق الناشئة من الهوى كالحسد
والفخر والشح وصغر الهمة وغير ذلك من الأوصاف الذميمة وثبت بدلها من
الأحوال العلية والأوصاف الرضية ما به نظام العبد وتتمام سعادته وأبطل منه
نضارته فتخرب أوطان الحقائق وتداعت مساكن الأوطان الحميدة للأفول
والزوال فعند ذلك تراكمت المحن وعظم الوبال والنكال . وقد جاءت في
القصة إنها بعثت إلى سليمان بهدايا وفي جملتها لبنة مصوغة من فضة وأخرى
من الذهب وإن الله سبحانه أخبر سليمان بما آتاه وأوحى إليه في معناه وأمر
سليمان الشياطين حتى يبنوا إيواناً بساحة منزله ميداناً وفرشوه بهيئة اللبن
المصوغ من الذهب والفضة من أوله إلى آخره وأمر بأن توقف عليها الدواب
وأن لا ينظف من آثارها من أوراثها وغيرها وكانت اللبتان معهم ملفوفتين في
حرير وأمر حتى ترك موضع لبنتين خالياً من الميدان مما كان على طريقهم
فلما وقعت أبصار الرسل على ذلك صغر في عينهم ما كان معهم هنالك
وخجلوا من تقديمها إلى سليمان فوقعوا في الفكرة كيف يتخلصون/ مما 335/ ب
معهم، فلما رأوا موضع اللبتين فارغين ظنوا أنهم سرق ذلك من بينهما فقالوا:
لو حضرنا هذا نسبنا إلى أنا سرقناهما من هذا الموضع فطرحوهما في الموضع

(1) نسب إلى أبي سهل المعقلي الطوسي . انظر يتيمة الدهر (2 / 99)، وقرى الضيف (4 / 405).

الخالى ودخلوا على سليمان عليه السلام. وروي أنها بعثت منذر ابن عمرو في وفد وأرسلت معهم غلماناً على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وخفاء فيه درعة وجرعة معوجة الشعب وقالت: إن كان نبياً ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقباً مستويّاً وسلك في الخرزة خيطاً فلما وصلوا إلى معسكره ورأوا عظمة شأنه وقدره تقاصرت إليهم نفوسهم وما في أيديهم من تقايسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل وأعلمه بالحال الذي هم عليه وأخبر بما يظهرون إليه، فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الجذعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدهد إليهم كما أخبر بقوله:

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ﴾ [الآية 36] أي وصله من أرسل إليه أو ما أهديت لديه ﴿قَالَ أَمِئْتُوْنِي بِمَالٍ﴾ [الآية 36] والخطاب للرسول والمرسل تغليباً. وقرأ حمزة بالإدغام ونافع وأبو عمرو بإثبات الياء وصلاً، وابن كثير وحمزة بإثباتها مطلقاً ﴿فَمَا ءَاتَيْنِيَ اللَّهُ﴾ [الآية 36] من النبوة والملك والمال الذي لا مزيد عليه ﴿خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَيْتُكُمْ﴾ [الآية 36] فلا حاجة لي إلى هديتكم ولا وقع لها عندي في تعليية مرتبتكم ﴿بَلْ أَنْتَ بِهَدْيَتِكَ﴾ [الآية 36] بما يهدى إليكم ﴿تَفْرُحُونَ﴾ [الآية 36] حباً لزيادة أموالكم أو بما تعدونه افتخاراً على أمثالكم لأنكم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا وتغفلون عن أمور العقبى.

قال جعفر الصادق: الدنيا أصغر عند الله وعند أنبيائه وأوليائه من أن يفرحوا بها ويحزنوا عليها.

﴿أَرْجِعْ﴾ [الآية 37] أيها الرسول ﴿إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 37] إلى بلقيس وقومها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُودٍ لَا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا﴾ [الآية 37] لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ [الآية 37] من سبأ ﴿أَذِلَّةً﴾ [الآية 37] بذهاب ما كانوا فيه من المعزة ﴿وَهُمْ صَافِرُونَ﴾ [الآية 37] أسرى مهانون.

قال الأستاذ: فلما رجعوا إلى بلقيس وأخبروها بما شاهدوا وسمعوا من

الإعلام/ والأعلام علمت أنه لا وجه لها سوى الاستسلام أو الإسلام⁽¹⁾، 336/أ
 فعزمت إلى المسير إلى خدمته عليه السلام. فلما أوحى الله إلى سليمان بأنها
 عزمت مستسلمة أو خرجت مسلمة ﴿قَالَ يَتَابِعُهَا الْمَلَكُ أَيُّكُمْ يَأْتِنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي
 مُسْلِمِينَ﴾ [الآية 38] أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله به من المعجزة الدالة
 على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر
 أتعرفه أم تنكره.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ [الآية 38] خبيث مارد من الجن ﴿أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ
 مَقَامِكَ﴾ [الآية 39] أي مجلسك للحكومة وكان مجلسه إلى الظهيرة ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ
 [الآية 39] على حملة ﴿لَقَوِيْ أَمِئْتُ﴾ [الآية 39] على تقطيع شيء منه وتبديله.

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية 40] آصف بن برخيا وزيره أو الخضر
 نصيره وجبريل أو قيل ملك أيده الله به. والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو
 اللوح أو الاسم الأعظم الذي إذا دعا به أجاب ﴿أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ
 طَرْفُكَ﴾ [الآية 40] أي نظرك ومنه قول القائل:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر
 رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر⁽²⁾

والمعنى إنك ترسل طرفك نحو شيء فقبل أن ترده إليك أحضر عرشها
 بين يديك، وهذا غاية السرعة العرفية وأتيك في الموضعين صالح للفعالية
 والاسمية والمقصود إظهار الكرامة بخرق العادة الدالة على صدق النبوة
 ودعوى الرسالة حيث كان مسيره شهرين تلك المسافة ﴿فَلَمَّا رَآهُ﴾ [الآية 40]
 أي العرش ﴿مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ﴾ [الآية 40] ثابتاً لديه حاضراً بين يديه ﴿قَالَ﴾ [الآية 40]
 تلقياً للأنعام بالشكر عليه ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ [الآية 40] تفضلاً عليّ من غير
 استحقاق بي ﴿لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُ﴾ [الآية 40] بأن أراه فضلاً منه بلا حول وقوة مني
 وأقوم بحق نعمته ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ [الآية 40] بأن أجد في البين نفسي وأقصر في أداء

(1) في المخطوطة: الإسلام.

(2) نسب إلى جارية. انظر بهجة المجالس (1/ 177)، ومحاضرات الأدباء (1/ 373).

طاعته ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [الآية 40] لأنه به مستجلب لها دوام النعمة وتمامها ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَّبِّي غَنِيٌّ﴾ [الآية 40] عن شكره وشكر غيره ﴿كَرِيمٌ﴾ [الآية 40] لا يمنع إنعامه عنه بكفره.

وأفاد الأستاذ: إنه لم يرغب سليمان عليه السلام في قول العفريت لأنه بنى القول فيه على دعوى الحول والقوة وكان آصف صاحب كرامات ب/336 وكرامات الأولياء ملتحنة بمعجزات الأنبياء إذ/ لو لم يكن النبي صادقاً في دعوته لم تكن الكرامة تظهر على من يصدقه ويكون من جملة أمته ومن المعلوم إنه ليس في وسع البشر من القدرة والقوة قطع المسافة البعيدة في لحظة ولا يصح تقديره في الجواز إلا بأحد وجهين: إما بأن يعدم الله المسافة بين عرشها وبين منزل سليمان وإما بأن يعدم الله ذلك العرش ثم يعيده بحضرة سليمان في ذلك الزمان. ثم حقيقة الشكر على لسان العلماء هو الاعتراف بنعمة المنعم على جهة الخضوع الدائم والأحسن أن يقال الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه فيدخل في هذا شكر الله من العبد لأنه ثناء منه على العبد بذكر إحسان العبد وشكر العبد من الله لأنه ثناء على الله بذكر إحسانه، إلا أن إحسان الحق هو إنعامه وأثر رحمته وإحسان العبد قيامه بطاعة الله وخدمته وما هو الحميد من صفته. فأما على طريق أهل المعاملة وبيان الإشارة فالتفكر صرف النعمة على وجه الخدمة. ويقال: الشكر أن لا يستعين بنعمته على معصيته. ويقال: الشكر شهود المنعم من غير المساكنة إلى النعمة. ويقال: الشكر على قسمين شكر العوام على شهود المزيّد قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: الآية 7] وشكر الخواص ما يكون مجرداً عن العرض وطلب العوض. ويقال: حقيقة الشكر قيد النعم وارتباطها لأن بالشكر بقاؤها ودوامها.

﴿قَالَ نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ [الآية 41] بتغيير بعض هيئته عن حالته ﴿نَظُرْ أَنهَدِي﴾ [الآية 41] إلى معرفته ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [الآية 41] إلى حقيقته أو إلى جواب مسألته.

وأفاد الأستاذ: أنه جعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه لأنه أراد أن

يتمتعها ويختبر عقلها .

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ [الآية 42] تشبيهاً عليها زيادة في امتحان ما لديها ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [الآية 42] لم تقل لا ولا بلى ولا هو هو لاحتمال أن يكون مثله إذ قد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس والحجّاب، وهذا من كمال فهمها في العبارة والإشارة في فصل الخطاب. ولما تبين لها أنه هو وأنه أظهره سليمان معجزة له وغيره لاختبار عقلها قالت: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ [الآية 42] بكمال قدرة الله وصحة نبؤتك / ﴿مِنْ قَبْلِهَا﴾ [الآية 42] قبل هذه الحالة وهذه 337/أ الكرامة بما سبق من ظهور المعجزة ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [الآية 42] منقادين لله بالوحدة ولسليمان بالنبوة.

ثم أخبر الله سبحانه عن حالها المتقدمة بقوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 43] أي ومنعها عبادتها الشمس عن طاعة مولاها، أو صدها الله عن عبادتها بتوفيق الإيمان لها ﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [الآية 43] استئناف فيه معنى التعليل ولذا قوي بالفتح. والمعنى إن سبب صدها عن عبادة ربها تشوهاً بين كفر بخالقها وإلا فمقتضى عقلها وفطرتها أن لا تعرض عن طاعة مولاها.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ [الآية 44] أي القصر وكان بنى صحنه من زجاج أبيض في غاية من الصفاء وأجري من تحته الماء وألقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره في الصدر فجلس عليه العظيم القدر ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ [الآية 44] أي فلما أبصرته ظننته ماء راكداً إليها فشمرت ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ [الآية 44] فرأى سليمان حسن رجليها وكان وصف لسليمان إنها جنية الأنساب ورجلاها كحافر الدواب ﴿قَالَ إِنَّهُ﴾ [الآية 44] أي ما تظنينه ماء ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ [الآية 44] مملس ﴿مِنْ قَوَارِيرٍ﴾ [الآية 44] من الزجاج ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [الآية 44] بعبادتي الشمس ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 44] فيما أمر به عباده المسلمين، والمشهور إنه تزوجها سليمان، وقيل زوجها من ذي تبع ملك هملان.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [الآية 45] بأن اعبدوه

ووحده وأطيعوه ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [الآية 45] أي ففاجؤوا التفرق والاختصام فأمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين واختصاصهم قد سبق في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: الآية 75] الآية.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ [الآية 46] بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا على ما مر في الأعراف ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [الآية 46] قبل التوبة فتؤخرونها إلى نزول العقوبة ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ [الآية 46] قبل حلولها ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الآية 46] بقبولها.

﴿قَالُوا أَطَّيَّرْنَا﴾ [الآية 47] أصله تطيرنا أي تشاء منا ﴿بِكَ وَيَمَنُ مَعَكَ﴾ [الآية 47] ممن آمن بك وتبعك لأن من ابتداء إنشاء هذا الإنباء تتابعت علينا شدائد البلاء 337/ ب ووقع/ بيننا افتراق الأبناء والآباء ﴿قَالَ طَبَّيَّرُكُمْ﴾ [الآية 47] سيبكم الذي جاء منه شركم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 47] وهو ما قدره من القضاء أو عملكم المكتوب عنده في اللوح المحفوظ في السماء ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [الآية 47] تمتحنون بتعاقب السراء والضراء.

﴿وَكَاثَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ [الآية 48] تسعة رجال وإنما وقع تمييز التسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين نفرين من الثلاثة أو السبعة إلى العشرة، والنفر من الثلاثة إلى التسعة، والغاية فيها غير خارجة ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الآية 48] لا يتداركون بإصلاح البلاد بعد الإفساد.

﴿قَالُوا﴾ [الآية 49] أي بعضهم لبعض ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ [الآية 49] مقول أو خبر وقع بدل أو حالاً ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ [الآية 49] لنباغتن صالحاً وأهل بيته ليلاً في إهلاكهم ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْلِيهِ﴾ [الآية 49] لولي دمه. وقرأ حمزة والكسائي بالتاء الفوقية المضمومة بعد اللام فيهما وبضم الحرف الرابع منهما على خطاب بعضهم لبعض ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ [الآية 49] فضلاً أن تولينا إهلاكهم وهو يحتمل التعدي والزمان والمكان وكذا ﴿مَهْلِكَ﴾ [الآية 49] في قراءة حفص كمرجع. وقال أبو بكر بالفتح فيكون فصلاً ﴿وَأِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الآية 49] أي نحلف إننا

لصادقون وهم كاذبون، أو واو الحال إننا لصادقون فيما ذكرنا لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً أو لأن ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك: ما رأيت ثمة رجلاً بل رجلين.

﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا﴾ [الآية 50] بهذه المواضع في خطابهم ﴿وَمَكْرًا مَّكْرًا﴾ [الآية 50] بأن جعلناها سبباً لإهلاكهم وعقابهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 50] بسوء ما بهم. روي أنه كان صالح عليه السلام في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا: زعم أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث، فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه فوقع صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في أماكنهم بالصخرة الواقعة على جميعهم⁽¹⁾ كما أشار إليه قوله سبحانه: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمِينَ﴾ [الآية 51] وقرأ الكوفيون بفتح أنا على أنه خبر محذوف تقديره هو أو بدل من اسم كان.

قال الصادق: مكر الله أخفى من ديبب النملة العرجاء على صخرة سوداء في الليلة الظلماء.

وقال الشبلي: اخترنا طريق التصرف سلامة من مكر الله فإذا كأنه مكر أي/ فلا حول ولا قوة إلا بالله.

أ/338

وأفاد الأستاذ: أن مكرهم ما أظهروا في الظاهر من موافقة صالح وعقرهم الناقة خفية ومكر الله فيهم جزاؤهم على مكرهم بأخذ ما أراد بهم من العقوبة عنهم ثم إحلالها بهم بغتة، والمكر من الله تخليته إياهم مع مكرهم بحيث لا يعصمهم ويزين ذلك في أعينهم ويحبب ذلك إلى قلوبهم ولو شاء لعصمهم ومن عظيم مكره انتشار الصيت بالصلاح والعمل في السر بخلاف ما يتوهم بهم من نوع الفلاح وفي الآخرة وسوقها لا يجوز مثل هذه الأعمال وسوقها.

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ [الآية 52] خالية أو ساقطة منهدمة ﴿بِمَا

(1) تفسير ابن كثير (6/200)، وتفسير الطبري (19/479) والكشاف (5/89).

ظَلَمُوا ﴿[الآية 52] بسبب ظلمهم على أنفسهم من الكفر والمعصية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 52] فيتعظون بالموعظة.

قال سهل: الإشارة في البيوت إلى القلوب فمنها عامرة بالذكر والطاعة ومنها خراب بالكفر.

وقال أبو حفص: خراب القلب من قلة الحزن إذ الحزن للرب عمارة القلب ألا ترى إلى قول النبي الأمين: «إن الله يحب كل قلب حزين»⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن في الخبر «لو كان الظلم بيتاً في الجنة لسلط الله عليه الخراب»⁽²⁾، فالنفوس إذا أظلمت بزلاتها خربت بلحوق شؤم الذلة حتى تعود صاحبها الكسل واستوطن مركب الفشل وحرمت التوفيق وتوالى على صاحبها الخذلان وقسوة القلب وخمود العين وانتفاء تعظيم الشريعة من القلب وأصحاب القلوب إذا ظلموا بالغفلة ولا يتردونها عن قلوبهم خربت قلوبهم حتى قست بعد الرقة وجفت بعد الصفوة، فخراب النفوس باستيلاء الشهوة والهفوة وخراب القلوب باستيلاء الفتنة والوحشة.

﴿وَأَبْجَسْنَا لَكَ الْذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 53] أي صالحاً ومن آمن معه من الأمة ﴿وَكَاثُوا يَنْفُوتُ﴾ [الآية 53] الكفر والمعصية فلذا خصوا بالنجاة من العقوبة.

﴿وَلَوْطًا﴾ [الآية 54] أي واذكر لوطاً ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ [الآية 54] أتفعلونها ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 54] تعلمون قبحها أو ترون فعلها.

﴿أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ [الآية 55] بيان لإتيان الفاحشة ﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ [الآية 55] التي خلقن للشهوة ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ﴾ [الآية 55] العاقبة فلا تخافون العقوبة.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (4/ 351) رقم (7884)، والبيهقي في شعب الإيمان (515/1).

(2) سبق تخريجه.

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [الآية 56] بعد سماع قوله ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [الآية 56] أي بعضهم لبعض من سفهائهم ﴿أَخْرِجُوا/ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّطْهَرُونَ﴾ [الآية 56] يتنزهون عن فعلتكم ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ [الآية 57] أي من آمن به من قومه وبناته ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ قَدَرْنَهَا مِنَ الْفَلَكِ يَن﴾ [الآية 57] قَدَرْنَا كونها من الباقين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا﴾ [الآية 58] كان حجراً ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الآية 58] المخوفين أن لا يفعلوا قدراً.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 59] ما قدر وقضى ﴿وَسَلِّمْ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَى﴾ [الآية 59] والخطاب للوط وللمصطفى لأن يحمد شكراً على ما أنعم عليه من إخوانهم وعرفاناً لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في أمر دينهم.

قال سهل: خلق الله تعالى السر وجعل حياته في ذكره وخلق الظاهر وجعل حياته في حمده وشكره وجعل عليهما الحقوق من الطاعات وفق أمره.

وقال ابن عطاء: من سلّم الله عليه في أزله سلم من المكاره في أبده. وقرئ هذه الآية بين يدي جعفر بن محمد فبكى ثم قال: سبحان من اصطفاهم لمعرفته وسلم عليهم قبل المعرفة بنعته. وقيل: الذين اصطفى هم أهل القرآن يلحقهم من الله السلام في العاجل بقوله: ﴿وَسَلِّمْ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَى﴾ [الآية 59] والسلام في الآجل بقوله: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: الآية 58]. قلت: ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: الآية 32].

وأفاد الأستاذ: أنهم هم الذين سلم الحق عليهم في آزاله وهم في كتم العدم متناول علمه ومتعلق قدرته لم يكونوا أعياناً في العدم ولا آثاراً في القدم فلما أظهرهم في الوجود سلم عليهم بذلك السلام ويسمعهم في الآخرة ذلك المرام، والذين سلم عليهم هم الذين سلموا اليوم من الشرك والشبهة، ثم من فنون البدعة ثم من وجود الألم والسقم، ثم من ضروب الذلل وصنوف الخلل، ثم من الغيبة والحجة وما ينافي دوام القربة. ويقال: اصطفاهم ثم هداهم وآواهم وسلّم عليهم بذلك السلام ويسمعهم في الآخرة ذلك المرام

والذي سلم عليهم هم الذين سلموا اليوم من الشك والشبهة، ثم من فنون البدعة، ثم من وجود الألم، ثم من ضروب الدلل وصنوف الخلل، ثم من الغيبة والحجة وما ينافي القرينة. ويقال: اصطفاهم ثم هداهم وآواهم وسلم عليهم قبل أن خلقهم وأبدأهم وبعد/ أن سلم عليهم بوده لقاءهم. 339/أ

﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 59] إلزام لهم بإرجاء العنان في ميدان البيان وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم إذ من المعلوم أن لا خير فيمن هو مبدأ كل خير بل مصدر كل شيء من نفع وضرر. وقرأ أبو عمرو وعاصم بالغيبة، والمعنى أم الذين بشركه تلك الأمم المهلكة ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الآية 60] التي هي أصول الكائنات ومبادئ المنافع للمخلوقات ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ﴾ [الآية 60] لأجلكم نفعاً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الآية 60] في محلهم ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [الآية 60] نزهة من أشجار وأثمار وأزهار ﴿مَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ [الآية 60] فضلاً عن أن تنبتوا ثمرها ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ﴾ [الآية 60] أيقرؤون بسواه ويجعل غيره شريكاً للحق وهو المتقوي بالخلق ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ [الآية 60] عن التوحيد التي هي طريق أهل التفريد وأرباب التمجيد وأصحاب التحميد.

وأفاد الأستاذ: إن ثمرات الظواهر غذاء النفوس وثمرات البواطن ضياء القلوب فلا يبقى في وقت الربيع من وحشة الشتاء بقية ولا يبقى في قلوبهم وأوقاتهم من الغيبة والحجة والنفرة والنهمة شظية.

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [الآية 61] ولأهلها استقراراً ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ [الآية 61] وسطها ﴿أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ [الآية 61] جبلاً ثابتاً لتكون فيها معادن المنافع وينبع من حضيضها المنابع ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الآية 61] العذب والمالح ﴿حَاجِزًا﴾ [الآية 61] برزخاً ظاهراً في نظر المصالح ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ﴾ [الآية 61] أي لا إله سواه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 61] طريق هداة وتحقيق رضاه.

قال جعفر: من جعل قلوب أوليائه مستقراً للمعرفة وجعل فيها أنهار الزوائد من بره في كل نفس ولمحة وأثبتها بجبال التوكل وزينها بأنوار

الإخلاص واليقين والمحبة وجعل بين القلب والنفس حاجزاً من القدرة لئلا يغلب عليه النفس بالظلمة وجعل الحاجز بينهما بالتوفيق والمعرفة.

وأفاد الأستاذ: أن نفوس العابدين قرار طاعتهم وقلوب العارفين قرار معرفتهم وأرواح الواجدين قرار محبتهم وأسرار الموحدين قرار مشاهدتهم وفي أسرارهم أنهار الوصلة وعيون القربة بها يسكن اشتياقهم وهيجان قلقهم واحتراقهم، جعل لها رواسي من الرغبة والرغبة. ويقال: الرواسي/ في 339/ ب الأرض الأبدال والأوتاد والأولياء بهم يديم إمساك الأرض والسماء، ببركاتهم يدفع عن أهلها البلاء. ويقال: الرواسي هم أئمة الدين الذين يهدون المسترشدين إلى طريق اليقين. ويقال: جعل بين العبودية وأحكامها والحقيقة وأعلامها حاجزاً بالقدرة العلية فلو غلبت العبودية كان جحداً للحقيقة ولو غلبت الحقيقة كان طياً للشرعية. ويقال: السنة المريدين مقر ذكره وأسماعهم محل الإدراك الموصل إلى الفهم من مرة العيون مقر الاعتبار من صنعه.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [الآية 62] المضطر الذي أحوجه شدة ما به إلى اللجوء إلى الله والرجاء من بابه.

وقال سهل: المضطر المتبري من الحول والقوة والأسباب المذمومة.

وقال ابن عطاء: حال المضطر أن يكون كالغريق أو كالمتعطل في مفازة قد أشرف على الهلاك ولم يعرف الطريق.

وقال سهل: دعوة صنفين من الناس مستجابة لا محالة مؤمناً أو كافراً، دعاء المضطر ودعاء المظلوم، تُرفع فوق الحجاب يقول الله تعالى: «وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»⁽¹⁾ ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [الآية 62] ويرفع عن الإنسان ما شاء ويزيله متى ما شاء.

وفي تفسير السلمي: إن من يقدر على كشف المحن عن قلوب عباده إلا

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (4/ 84) رقم (3718)، والبيهقي في شعب الإيمان (5/ 409) رقم (7101).

مَنْ أَبْلَاهُمْ بِهَا ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [الآية 62] بأن ورثكم سكنها والتصرف فيها ممن قبلكم بها ﴿أَءَلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ [الآية 62] الذي حفكم بهذه النعمة العامة وخصكم بهذه المنحة الخاصة ﴿فَلَيْلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ [الآية 62] أي تذكرون آلاءه ونعماءه، أي تذكراً قليلاً، وما زائدة، والمراد بالعلة القدم أو الحقارة المربحة للفائدة إذ فائدة التذكر هي توحيد الله سبحانه بالعبادة ولا يترتب على تذكرهم تلك العائدة. وقرأ أبو عمرو وهشام بالغيبة.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه فصل بين الإجابة بالكلام والكشف بالإنعام، ودعاء المضطر ليس له حجاب ودعاء المظلوم مستجاب لكن لكل أجل كتاب. ويقال: للجناية سراية فمن كان في الجناية على نعت المختار فليس يسلم له دعوى الاضطراب عند سراية جرمه الذي سلف منه وهو مختار فيه فأكثر الناس يتوهمون أنهم مضطرون وذلك الاضطراب/ سراية ما بدر منهم في حال اختيارهم، وما دام العبد يتوهم من نفسه شيئاً من الحول والحيلة ويرى شيئاً من الأسباب يعتمد عليه ويستند إليه فليس بمضطر إلى أن يرى نفسه كالغريق في البحر أو كالضال في متاهة البر، بل المضطر يرى عنانه بيد سيده وزمامه في قبضته كالमित في يد غاسله ولا يرى لنفسه استحقاقاً لأن يُجاب لاعتقاده في نفسه أنه من أهل السخط والعذاب. وينبغي للمضطر أن لا يستعين بأحد في أن يدعو له لأن الله وعد الإجابة له لمن يدعو له ثم كان وعد للمضطر الإجابة وكشف سوءه، وعده أن يجعله من خلفاء الأرض ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: الآية 5] ولم يقل العسر أزاله ولكنه قال ﴿مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: الآية 5] كذلك قال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [الآية 62] فنهار اليسر حاصل بعد ظلام العسر. ثم قال: ﴿أَءَلَهُ مَعَ اللَّهِ فَلَيْلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ [الآية 62] لأن العبد إذا زال عنه عسره وكشف عنه ضره نسي أمره مما كان فيه قبله كما قال القائل:

كأن الفتى لم يَعْرِ يوماً إذا اكتسى ولم يك صعلوكاً إذا ما تموّلاً⁽¹⁾

(1) نسب إلى جابر بن الشعلب الطائي. انظر الحماسة البصرية (1/ 48)، والتذكرة السعدية (28/1).

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الآية 63] بالنجوم السماوية والعلامات الأرضية والظلمات ظلمات الليالي والإضافة لأدنى الملابس أو مشتبهات الطرق الملتمة ﴿وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الآية 63] من المطر الذي سبب نعمته ﴿أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ﴾ [الآية 63] ويقدر على ذلك سواء ﴿تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 63] تعالى القادر والخالق عن مشاركة العاجز المخلوق. قال بعضهم: أي من يدلکم على عيب نفوسکم وفساد طاعتکم ويزيل عنکم وساوس قلوبکم ويعینکم على استقامة طریقکم إلا الله، ومن يرسل رياح فضله بين يدي معرفته سواء.

وقال الأستاذ: إذا أظلم عليه الوقت في معارض الخواطر عند استيهام وجه صواب ما في الضمائر وضاق الوقت على صاحبه بوحشة التدبير وظلمات أحوال التجويز والتحير عند طلب ترجيح بعض الخواطر على بعض بشواهد العقل والبصائر فمن الذي يرشدكم لوجه الصواب بترك التدبير والاستسلام لحكم القدير/ والخروج عن مجوزات العقول إلى قضاء شهود 340/ب التقدير وتفويض الأمر إلى اختيار الحق في الأحكام والاستسلام لما سبق بها الأقدار وجرى بها الأقسام وجف عنها الأقلام، ومن الذي يرسل رياح فضله بين يدي اختيار أنوار اختياره بمحو آثار واختبار نفسه واعتباره وتعجيل حسن الكفاية بمقداره، تعالى الله عما يشركون من إحالة المقادير على الأسباب والتدابير.

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 64] بأسباب سماوية وأرضية كما يريده ﴿أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ﴾ [الآية 64] يرزق عبده ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [الآية 64] على أن غيره يقدر على شيء يظهر شأنكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 64] في إشراككم في العبودية فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية. قال ابن عطاء: صححوا برهانكم لتعلموا أن لا برهان لكم.

وقال الأستاذ: أي يظهر ما يظهر بقدرته على مقتضى سابق حكمته والتخصص بما تعلق به محض مشيئته وحقق فيه قوله وحكمه وسبق به قضاؤه

وقدره فإذا زال وكفى وانتفى وعدم بعض ما يظهره ويخلقه فمن الذي يعيده مثل ما بدأه ومن الذي يضيق الرزق ويوسعه ويقبض في بعض الأوقات وعلى بعض الأشخاص وفي وقت آخر وعلى قوم آخرين يبسط، هل في قدرة أحد غير الله ذلك أن لا توهمهم شيئاً هنالك فأوضحوا بذلك حاجتكم وإن قد عجزتم فهلا صدقتم وبالتوحيد أقررتم.

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 65] أي من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما الغيب أي شيئاً من ﴿الْفَيْبِ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الآية 65] علّام الغيوب المطلع على عيوب القلوب ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 65] أي الخلق أجمعون ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [الآية 65] متى يحشرون وأي متى ينشرون لعدم علمهم بالساعة.

﴿بَلْ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [الآية 66] أي انتهى وتكامل فيها أسباب علمهم من الآيات الدالة عليها بأن القيامة كائنة لا محالة لكن كما ينبغي لا يعلمونها ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [الآية 66] متحIRON فيها لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم بها وقصور نظرهم/ وتفكرهم عنها. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: بل أدرك، بمعنى تتابع حتى استحكم.

وأفاد الأستاذ: أن الغيب ما لا يعلم بالاضطرار وليس للخلق عليه دليل في الاستبصار، فهذا الذي يستأثر بعلمه الحق ويتقاصر عنه علوم الخلق، ثم ما يريد الله أن يخص قوماً بعلمه أفردهم به ثم قال: بل أدرك علمهم في الآخرة، ففي الجملة يشكون ولا يبتغون ولا بالقطع يجحدون وهكذا حكم مريض القلب لا حياة له في الحقيقة ولا راحة اليأس من الطريقة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ [الآية 67] وفي قراءة الشامي والكسائي إننا لمخرجون من القبور إلى البعث والنشور ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 68] قبل وعد محمد عليه السلام، وتقديم هذا على نحن لأن المقصود بالذكر ها هنا هو البعث وتأخيره فيما تقدم لأن المقصود به المبعوث ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 68] أسمار المتقدمين.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 69]
 تهديد لهم على تكذيب صدر عنهم وتخويف أن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين
 عنهم، والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون رفعاً للمؤمنين في ترك الجرائم التي هي
 صفة المكذبين.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 70] على تكذيبهم وإعراضهم بمقتضى فساد
 أغراضهم ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ﴾ [الآية 70] حرج صدر ونكد أمر ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾
 [الآية 70] من كيد ومكر فإن من حفر بئر لأخيه وقع فيه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ [الآية 71] العذاب الموعود ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
 [الآية 71] في إيعادكم الموعود ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ [الآية 72] تبعكم
 ولحقكم أو دنا منكم ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الآية 72] في حلوله وهو عذاب يوم
 بدر بعد نزوله وعسى ونحوها في مواعيد الملوك كالجزم بها وإنما يطلقونها
 إظهاراً لوقارهم في مقام اعتبارهم وإشعاراً بأن التلويح منهم كالتصريح من غيرهم
 على طبقه ووفقه جرى كلامه سبحانه في وعده ووعيده مع زيادة الإيماء إلى أنه
 لا يجب عليه شيء من الأشياء.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [الآية 73] جميعهم بتأخير عقوبتهم على
 معصيتهم وتقصيرهم في طاعتهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 73] حق
 النعمة/ بل يستعجلون بحملهم وقوع العقوبة.

341/ ب

قال سهل: منعه فضل وعطاؤه فضل ولكن لا يعرف مواضع فضله في
 المنع إلا الفضلاء من خواص الأولياء، وما أحسن قول ابن عطاء:

ربما منعك فأعطاك وربما أعطاك فمنعك⁽¹⁾

وقال الأستاذ: لأنهم لا يميزون بين محنهم ومنحهم وعزيز من يعرف
 الفرق بين ما هو نعمة من الله له أو محنة وإذا تقاصر علم العبد عما فيه
 صلاحه وعسى أن يحب شيئاً ويظنه خيراً وبلاؤه فيه، وعسى أن يكون شيئاً

(1) شرح الحكيم العطائية (1/ 77) .

آخر بضده ورب شيء يظنه نعمة يشكره عليها ويستديمه وهي محنة له يجب صبره عنها ويجب شكره لله على صرفها عنه وبعكس هذا كم من شيء يظنه الإنسان بخلاف ما هو به .

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ [الآية 74] ما تخفيه وتستتره ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 74] من عداوتك ومحبتك فيجازيهم بحسب ما قاموا في حضرتك وغيبتك .

وقال الأستاذ: لا تلبس على الله أحوالهم باستواء ظاهره وباطنه فموافق يعلمه ومنافق يخالف باطنه ظاهره يلبس على الله حاله وهو سبحانه يعلمه وكافر يستوي في الجحد سره وجهره يعلمه وهو يجازي كلاً على ما عمله، كيف لا وهو قدره وعلى ما عليه قضاء له وقسمه .

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ﴾ [الآية 75] خافية، والتاء للمبالغة ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 75] أي كائنة في الجهات العلوية والسفلية ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الآية 75] من اللوح القلمي أو العلم الأزلي .

وقال الأستاذ: مثبت في اللوح المحفوظ حكمه، ماضٍ فيه مشيئته، متعلق به علمه، حق فيه قوله .

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ﴾ [الآية 76] يصرِّح وينص ﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 76] كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وسائر الأسرار .

﴿وَإِنَّهُمْ﴾ [الآية 77] أي القرآن ﴿هَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 77] وخصوا لكونهم المنتفعين ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 78] بين بني إسرائيل ﴿بِحُكْمِهِ﴾ [الآية 78] الحق المقتنن بالحكم المحقق ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 78] الغالب في مراده ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 78] بأحوال عباده .

وأفاد الأستاذ: أن بني إسرائيل يخفون بعضاً من الكتاب وبعضاً منه يظهرون ومع ما يهوون يدورون . وخصّ هذه الآية بحفظ الله له/ عن التغيير

والتبديل فيما يدينون وهذه نعمة عظيمة قليل منهم الذين يشكرون وكتابهم الذي هو القرآن هدى ورحمة للمؤمنين لا كتابهم الذي أخبر الصادق أنهم له محرّفون مبدّلون وهو العزيز المعز للإسلام وأهله الكريم العليم فيما يستحقه كل أحد من الثواب العظيم والعذاب الأليم.

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 79] ولا تبال بعداوة من سواه ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [الآية 79] وفي طريق اليقين. قال بعضهم: التوكل على ربك أن لا تعصيه من رزقك.

وقال الأستاذ: اجتهد في أداء فرضه وثق بالله لصدق وعده في نصره ورفده وكفايته وعونه لعبده ولا يهولنك ما يجري على ظواهرهم من أذى يتصل بك منهم فإنما ذلك كله بتسليطنا إن كان محذوراً وبتسهيلنا إن كان ميسوراً وإنك لعلى حق وضياء وصدق وهم على شك وفي ظلمة شرك.

﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [الآية 80] فاقطع طمعك عن مشايعتهم ومعاضدتهم ولا تبال بمخالفتهم في متابعتهم لأنهم كالموتى في عدم انتفاعهم باستماع ما يتلى من كلام المولى ﴿وَلَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ [الآية 80] ولو أعلنت النداء ﴿إِذَا وَلَوْ أَمْذَبِينَ﴾ [الآية 80] أي لا سيما في حال إدبارهم فإنهم حينئذ لا يدركون شيئاً بالإشارة والإيماء. وقرأ ابن كثير: ولا يسمع الصم الدعاء.

قال يحيى بن معاذ: العارفون لله أحياء وما سواهم موتى. وقال أيضاً: الميت من تكون حياته بحرسته والحي من تكون حياته بربه.

وأفاد الأستاذ: إن الذين أمارت الله قلوبهم بالشرك وأصمهم عن سماع الحق وليس في قدرتك أن تهديهم للرشد وتنقذهم عن أسر الشرك.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الضَّالِّينَ﴾ [الآية 81] وقرأ حمزة تهدي العمي ﴿إِنْ تَسْمِعُ﴾ [الآية 81] ما يجدي إسماعك ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 81] إلا من هو في علم الله إنهم مؤمنون ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الآية 81] منقادون مخلصون.

وقال الأستاذ: أي تهديهم من حيث الدعاء والدلالة ولكن لا تهدي

أحداً من حيث إزالة القلب من الباطل والإمالة إلى العرفان إذ ليس بقدرتك
342/ ب الإزالة والإمالة ما تسمع/ إلا مَنْ أسمعناهم حيث التوفيق والإرشاد إلى سواء
الطريق.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 82] أي دنا ووقع معناه إليهم وما هو وعد
وأمن البعث والحساب لديهم ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ [الآية 82] وهي
الحساسة. روي أن طولها ستون ولها قوائم وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها
طالب. وروي أنه عليه السلام سئل عن مخرجها فقال: «من أعظم المساجد حرمة
على الله»⁽¹⁾ يعني المسجد الحرام ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ [الآية 82] من الكلام، وقيل من
الكلم إذ قرئ بالتخفيف. وروي أنها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان
فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في أنف
الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه⁽²⁾، وفي الأولتين للدالتين إشارة خفيفة إلى
تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ﴿أَنَّ النَّاسَ﴾ [الآية 82] وقرأ الكوفيون
بافتح ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 82] أي المتلوة أو من القرآن أو المنصوبة من البرهان.
وقيل: من خروجها وسائر أحوالها فإنها من آياته سبحانه ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ [الآية 82]
بل يشكون والجملة حكاية لقوله سبحانه عند ذلك أو علة لخروجها هنالك.

وأفاد الأستاذ: إنه إذا حق الوعد بإقامة القيامة أوضحنا اشتراطها من
كلام الدابة وغير ذلك من العلامات الدالة وعند ذلك لا ينفع الإيمان ولا
يقبل العذر عن العصيان.

﴿وَيَوْمَ تَخْرُجُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ [الآية 83] جماعة وهو يوم القيامة ووقت
الندامة ﴿مَنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 83] من الثانية بيانية للجماعة المحشورة
والأولى تبعيضية لأن أمة كل نبي سائلة لجماعة من المصدقة والمكذبة ﴿فَهُمْ

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (2/ 176) رقم (1635)، وانظر تخريج
الأحاديث والآثار (3/ 9) رقم (929).

(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 340) رقم (3187)، وانظر تخريج
الأحاديث والآثار (3/ 19) رقم (928).

يُوزَعُونَ ﴿[الآية 83] يساقون ويحبس أولهم ليتلاحق آخرهم وهو عبارة عن كثرتهم وتباعده جهتهم.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا﴾ [الآية 84] إلى مكان الحساب وموقف العذاب ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِبَآئِنِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عَلَمًا﴾ [الآية 84] أي أجمعتكم من التكذيب بها وعدم العلم بتحقيقها ﴿أَمَآذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 84] أم أي شيء كنتم تعملونه غير ذلك، والاستفهام للتبكيك والتوبيخ هنالك.

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 85] حلّ العذاب الموعود/ بهم من دخولهم في 343/أ النار ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ [الآية 85] بسبب ظلمهم في كسبهم وهو تكذيبهم بآيات ربهم ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ [الآية 85] باعتداد لهم لشغلهم بعناء عذابهم وبلاء حجابهم أو بأعذار تنفعهم أو تدفع عنهم ما نزل بهم أو لا ينطقون مطلقاً لشدة أحوالهم وفظاعة أهوالهم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِسَكَنُوهَا فِيهِ﴾ [الآية 86] بالنوم والقرار ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [الآية 86] أي ليبصروا فيه سبباً من أسباب معاشهم في هذه الدار ويأخذوا فيها زادهم لمعادهم من دار القرار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 86] أي لا لغيرهم حيث لا ينتفعون.

﴿وَيَوْمَ يُفْعُ فِي الصُّورِ﴾ [الآية 87] أي القرن أو في الصور بفتح الواو كما قرىء به وهو جمع صورة والنفخة هي الثانية ﴿فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 87] من هول القيامة أو من هيبة النفخة، وعبر بالماضي لتحقق الواقعة ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الآية 87] أي لا يفزع به لتثبيت قلبه من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين والشهداء الصالحين ﴿وَكُلُّ أُنُوفٍ حَاضِرَا﴾ [الآية 87] حاضروا موقفه أو راجعوا أمره. وقرأ حفص وحمزة: أتوه بصيغة الماضي ﴿دَخِرِينَ﴾ [الآية 87] صاغرين خاضعين خاشعين.

وأفاد الأستاذ: أن ذلك اليوم يوم إزهاق الأرواح وإخراجها عن الأجساد والأشباح فمن روح ترقى إلى عليين ومن روح تنزل إلى سجين، هؤلاء في حواصل طير تسرح في الجنة وتأوي بالليل إلى تحت العرش في

قناديل معلقة صفتها التسبيح والروح والراحة، ولبعضها الشهود والرؤية ثم هم على مقادير استحقاقهم في عقابهم على ما كانوا عليه في دنياهم، وأرواح الكفار في النار يعذبون على مقادير الأوزار.

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾ [الآية 88] أي تبصرها ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [الآية 88] ثابتة في مكانها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [الآية 88] في سرعة سيرانها، وذلك لأن أجرام الكفار في هيبتها إذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتعين حركتها ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾ [الآية 88] أي تشاهد صنعه بعين بصرك وبصيرتك ﴿الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية 88] أحكم خلقه وسوؤه على ما ينبغي فعله ﴿إِنَّهُمْ خَيْرٌ يِمَّا تَفْعَلُونَ﴾ [الآية 88] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بالثنية أي عالم بظواهر الأعمال وبواطن الأحوال.

343/ب قال ابن عطاء: الإيمان ثابت في قلب العبد / كالجبل أنواره تخرق الحجب.

وقال الصادق: نور قلب المؤمنين الموحدين وانزعاج أنيس المشتاقين تمر مر السحاب لا يلتفت إلى شيء غير الله ولا له قرار مع سواه. كذا في تفسير السلمي. وقيل للجنيذ في أواخر الحال: ما لك عند السماع أن لا تتغير بكلام القوال، فقرأ للجواب: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [الآية 88].

وقال الأستاذ: وكثير من الناس اليوم من أصحاب التمكين السالكون بنفوسهم السابحون في الملوك بأسرارهم. قالوا: إن الإشارة اليوم إليهم كما قالوا: العارف كائن بائن أو كائن معهم بظواهره وبائن عنهم بسريره.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ [الآية 89] إذ ثبت له النفيس بالخسيس والباقي بالفاني وسبعماية بواحدة ﴿وَهُمْ مِنْ فَجَعِ يَوْمِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [الآية 89] أي من خوف عقوبة يوم القيامة. وقرأ الكوفيون بالتنوين ونافع معهم بفتح الميم.

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ [الآية 90] بالشرك والمعصية ﴿فَكَتَبْتُ وَجُوهَهُمْ فِي النَّارِ﴾ [الآية 90] فكتبوا فيها على وجوههم ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 90] ما تجزون إلا جزاء أعمالكم وفق أحوالكم.

﴿إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ [الآية 91] من التعرض لها ولأهلها أو جعلها محترمة لصادرها وأوردها، وتخصيص مكة بهذه الإضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها فلا يمانعه قوله: ﴿وَلَكُمْ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [الآية 91] خلقاً وملكاً ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية 91] المنقادين المخلصين الثابتين في الأزمان.

﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ [الآية 92] وأن أواظب على تلاوته أو متابعتة ﴿فَمَنْ أَهْتَدَى﴾ [الآية 92] باتباعه ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ [الآية 92] فإن منافعه عائدة إليه ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ [الآية 92] بمخالفته ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الآية 92] فلا علي من وبال ضلاله شيء لأن مضاره واقعة عليه ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [التور: الآية 54] وقد بلغت كما هو ظاهر لديه.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام أخبر أنه أمر بالدين الحنيفي والتبري من الشرك الجلي منه والخفي وأخبر أن من اتبعه وصدقته أوجب الحق زمامه وحقه.

﴿وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 93] على نعمة النبوة وسائر أصناف المنحة ﴿سِيرِيكُمْ أَيْنِيهِ﴾ [الآية 93] القاهرة في الدنيا والآخرة / ﴿فَعَرِّفُونَهَا﴾ [الآية 93] لكن حين لا 344/أ تنفعكم المعرفة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 93] وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالخطاب، والمعنى لا تحسبوا أن تأخير عذاب الأعمال للغفلة عن الأحوال بل للإمهال لا للأعمال، أو المعنى لا تظنوا أنه غافل عن أعمالكم فأحسنوا جميع أحوالكم.

وقال الأستاذ: سيريككم عن قريب آياته فطوبى لمن رجع قبل وفاته والويل على من رجع بعد ذهاب الوقت وفواته.

سورة القصص

[مَكِّيَّة]

وهي ثمان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باسمه يسعد الصباح والروح ، وباسمه يرجى الفلاح والنجاح ، وباسمه
نعمة الدنيا ومنحة الأخرى ، فله الآخرة والأولى ، فطوبى لمن داوم على ذكره
وواظب على شكره واشتغل به في صحوه وسكره .

وأفاد الأستاذ: إنه اسم عزيز من تعرض لحوله أيسر في دنياه وعقباه
ومن اشتاق إلى لقياه استعذب منه ما يلقيه من بلواه ، فإن طلب مؤنساً مما
سواه في عقباه أو دنياه ضلّ من يدعو إلا إياه .

﴿ طَسَّرَ ١ ﴾ [الآية 1] الطاء تشير إلى طهارة نفوس العابدين عن عبادة
غير الله وطهارة قلوب العارفين عن تعظيم غير الله ، وطهارة أرواح الواصلين عن
محبة غير الله ، وطهارة أسرار الموحدين عن شهود غير الله . والشين تشير إلى سر
الله مع العاصين بالنجاة ومع المطيعين بالدرجات ومع المحبين بدوام النجاة .
والميم تشير إلى منّة على كافة المؤمنين .

﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ ﴾ [الآية 2] الظاهر في معجزاته والمظهر
لحكوماته ﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ ٣ ﴾ [الآية 3] نقرأ بإلقاء جبريل إليك ﴿ مِنْ نَبَأِ مُوسَى
وَفِرْعَوْنَ ٣ ﴾ [الآية 3] بعض أنبأنا إليهم من أنبأتهما ﴿ بِالْحَقِّ ٣ ﴾ [الآية 3] الثابت عن
وصف الصدق ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣ ﴾ [الآية 3] لأنهم به المنتفعون .

وأفاد الأستاذ: إن سماع قصة الحبيب من الرب توجب سلوة القلب

وزهاب الكرب وبهجة السرور وزبدة المراد وثلج الفؤاد. وكرّر الحق ذكر قصة موسى تفخيماً لشأنه وتعظيماً لقدر برهانه ثم زيادة في البيان لبلاغة القرآن ثم إفادة لزوائد من المذكور قبله في كل موضع كرّره.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 4] استكبر في أرض مصر وتجبر على أهلها.

قال جنيد: ادعى ما ليس له.

وقال ابن عطاء: / استكبر وافتخر بنفسه ونسي عبودية ربه. وقيل: أظهر 344/ ب ظلمه في أهل ملكه.

وقال الأستاذ: تكبر بغير حق فأقماء بحق وتجبر بغير استحقاق فأذله الله باستحقاق ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [الآية 4] فرقاً مختلفة يشيعونه فيما يريد من أحكام مؤتلفة، فصناً في حرمة وصناً في حفرة وصناً في خرقه وغير ذلك من صنعه ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ [الآية 4] وهم بنو إسرائيل من ذرية الأنبياء وخلاصة الأصفياء، وهذا من أكبر ظلمه ﴿يَدَّبْحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [الآية 4] أي صبيانهم ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ [الآية 4] يستبقي بناتهم حتى يصرن نسائهم وذلك لأنه كان كاهناً قال له: يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فإنه لو صدق لم يندفع بالقتل وإن كذب فما وجد الفشل ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 4] في العمل ولذا اجتراً على قتل كثير من ذرية أرباب النبوة لتخيّل فاسد ظهر من أصحاب الكهانة.

وقال الأستاذ: إنه سبحانه حكم بالفساد فيهم والله لم يرض بترك تلافيهم.

﴿وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 5] أي نفضل عليهم بإنقاذهم من يده ﴿وَنَجْعَلَهُمْ آيَةً﴾ [الآية 5] مقدمين في أمر الدين وما يتعلق به ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [الآية 5] لما كان في مملكة فرعون وقومه.

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 6] نسلطهم على أرض مصر والشام ﴿وَنُرِيَّ

فَرَعُونَ وَهَمَكُنْ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ ﴿[الآية 6] من بني إسرائيل ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [الآية 6] من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم فإن القبط قد سمعوا ذلك من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسون من قول إبراهيم الخليل عليه السلام على ما ذكره ابن عباس. وقرأ حمزة والكسائي وقرىء بصيغة الغائب ورفع ما بعده.

وقال الأستاذ: أي نريد أن نمّن عليهم بالتخليص من أيديهم بأن نجعلهم أئمة بهم يهتدي الخلق ومنهم يتعلم سلوك طريق الصدق ونبارك في أعمارهم فيصIRON وارثين لأعمار من ينأوئهم ويصير إليهم مساكنهم ومنازلهم، فهم هداة وأعلام وسادة وقادة بهم يقتدى وينورهم يهتدى، ﴿وَتُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 6]، نزول عنهم الخوف من/ الأغيار ونرزقهم البسطة والأقدار، ونمد لهم في الأجل باعتبار الأقدار، ونري فرعون وهامان وجنودهما وقومهم ما كانوا يحذرون من زوال ملكهم على أيديهم، وإن الحق سبحانه سيعطي وإن كان عند الخلق أنه يبطل.

أ/345

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَى﴾ [الآية 7] بإلهام أو رؤيا منام أو على لسان نبي أو ملك وصفي ﴿أَنْ أَرْضِعِي﴾ [الآية 7] ما أمكنك أن تخفيه ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ [الآية 7] بما ينافيه ﴿فَكَأَلَيْهِ فِي أَلْيَمٍ﴾ [الآية 7] نهر النيل الذي شبه البحر ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ [الآية 7] عليه الضيعة ولا الشدة ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ [الآية 7] لفراقه في الهجرة ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ﴾ [الآية 7] بالقربة ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 7] إلى الأمة.

قال جنيد: إذا خفت حفظه بواسطة عدوه فسلميه إلينا واقطعي عنه شفقتك وتديرك لدينا ليكون مفوضاً إلى تدبيرنا فإن حفظه علينا.

وقال ابن عطاء: ما دمت تحفظ نفسك بتدبيرك فهي على شرف الهلاك فإذا أزلت عنها تدبيرك وسلمتها إلى مدبرك يرجى لها الخلاص.

وقال الواسطي: الذي حفظه في اليم قادر أن يصرف عنه الهم من فرعون وما قصده من الألم، كذا في تفسير السلمي. وروي أنه لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبال بني إسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الأرض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث

منعها من السعاية، فأرضعته أمه ثلاثة أشهر ثم أتى فرعون في طلب المواليد واجتهدت العيون في تفحصها فأخذت له تابوتاً وجعلته فيه فقذفته في النيل فوقع التابوت في نهر كان يجري منه إلى بيت فرعون فأخذه أهل داره.

وقال الأستاذ: أي ألقينا في قلبها وألهمنا إليها فانجذب في ذلك خاطرها وجرى ذلك منها وهي مختارة بإخبار أدخل عليها. ويقال: قتل فرعون ذلك اليوم كثيراً من الولدان المولودة لبني إسرائيل رجاء أن يقتل مَنْ رأى في النوم ما عبر له أن ذهاب ملكه على يد إسرائيل يوجد ويولد. ثم إنه ربّاه في حجره ذلك اليوم ليعلم أن الأقدار لا تُغَالَب، فجعلته في تابوت وقيّر رأسه وألقته/ في نيل مصر فجاء الماء به إلى بركة كان فرعون جالساً على 345/ب حافته، فأخذه وحملوه إليه وفتحوا رأس التابوت لديه، وكان كما قاله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: الآية 39]، قيل: كان الله قد خلق ملاحه في عيني موسى مَنْ وقع عليه بصره لم يتمالك من حبه فلما رآه فرعون أخذت رؤيته بمجامع قلبه وكذلك تمكّن حبه من قلب امرأته، ﴿فَالْقَطْعُ: أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [الآية 8]، تعليل لالتقاطهم إياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيهاً له بالعرض الحامل عليه. وقرأ حمزة والكسائي حزناً بضم فسكون.

قال السلمي: ﴿فَالْقَطْعُ: أَلْ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ [الآية 8] فرحاً وسروراً ولم يعلموا أن ما أضمر القدرة فيه من تصييره لهم ﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَزَ وَحُوذُهُمَا كَانُوا خَطِيعِينَ﴾ [الآية 8] في فكرهم فأخطؤوا في تربية عدوهم بعد أن قتلوا ألوفاً لأجله بيدهم أو كانوا مذنبين في أمرهم فعاقبهم الله بأن ربي عدوهم في حجرهم.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 9] حين رآته ﴿قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ [الآية 9] هو قرّة عين لنا، لأنهما لما رأياه أخرج من التابوت أحياه. وروى النسائي عن ابن عباس أنه أجابها بقوله: أما لكم فنعم وأما لي فلا⁽¹⁾. فكان كذلك. وفي رواية

(1) تفسير الطبري (524 / 19) وتفسير ابن كثير (222 / 6) وتفسير القرطبي (11 / 196).

قال: لك لا لي⁽¹⁾. ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها ﴿لَا تَقْتُلُوا﴾ [الآية 9] خطاب بلفظ الجمع للتعظيم، وخاطبت الجند كما قصد الشفاعة للكليم ﴿عَسَى أَنْ يَفْعَلَنَا﴾ [الآية 9] فإن فيه مخايل اليمن والبركة ودلائل الفهم والمنفعة ﴿أَوْ نَخَذَهُمْ لَكَ﴾ [الآية 9] أي نتبناه فإنه أهل له ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 9] إلى ماذا يؤول أمره أو إنهم على الخطأ في التقاطه أو في طمع النفع منه أو التبني له وذلك لأنهم ظنوا أنه جاء من أرض أخرى لأنه أكبر من ابن سنة وفرعون لا يخاف إلا من أولاد تلك السنة.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا﴾ [الآية 10] خالياً من كل شيء كالمجنونة في غم ولدها لما وهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون أو من الهم لفرط وثوقها بوعده الله أو لسماعها إن فرعون عطف عليه وتبناه ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ﴾ [الآية 10] إنها قاربت لتظهر / مصرحة بموسى وأمره من فرط الضجر لما وقع فيه أو من كثرة الفرح لسماع تبنيه ﴿لَوْلَا أَنْ رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [الآية 10] بالصبر والثبات فيه ﴿لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 10] من المصدقين بوعده الله في رده وحفظه لا بتبني فرعون وعطفه.

وفي تفسير السلمي: أي لتظهر أنها في السر من حفظ موسى ورده إليها ومنع أيدي الظلمة عنه.

وقال ابن عطاء: لولا أنا أمرناها بالكتمان لحالها لأظهرت في موسى ما ضمن الله لها.

وقال الصادق: الصدر معدن التسليم والقلب معدن اليقين والفؤاد معدن النظر والفكر والضمير معدن السر والنفس مأوى كل حسنة وسيئة.

وقال الأستاذ: ولما ألقته أمه في الماء سکن الله قلبها وربطه عليها وألهمها الصبر لديه إن كادت لتبدي به من ضعف البشرية ولكن ربط قلبها بالتأييدات الإلهية.

(1) تفسير الطبري (19/ 525)، والكشاف (5/ 123).

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾ [الآية 11] لأخت موسى وهي مريم أو أم كلثوم
 ﴿فُصِّيهِ﴾ [الآية 11] تتبعي أثره وتفحصي خبره ﴿فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ [الآية 11]
 أي فقصت فأبصرته عن بُعد ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 11] إنها تقصه أو إنها
 أخته.

﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ [الآية 12] تحريماً قديماً، ومعناه منعناه أن يرتضع
 من المرضعات ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 12] قبل تتبعها أمره ﴿فَقَالَتْ﴾ [الآية 12] أخته
 ﴿هَلْ أَتَاكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ [الآية 12] يضمنونه ويرضعونه لأجلكم
 ﴿وَهُمْ لَهُمْ نَصْحُونَ﴾ [الآية 12] لا يقصرون في إرضاعه وتربيته. روي أنه قيل لها:
 إنك لتعرفيه فأخبرينا بحاله، فقالت: إنما أردت أنهم للملك ناصحون فأمروها أن
 تأتي بمن يكفله فأتت بأمرها فلما وجد ريحها استأنس بها والتقم ثديها فقبل لها:
 من أنت منه حتى أبى كل ثدي إلا ثديك، فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن
 ما أوتي بصبي إلا قبلني، فدفعوه إليها وأجري الأجر والعطاء عليها فذهبت به إلى
 بيتها من يومها شاكراً لحالها ومنالها وراجية لحسن مآلها.

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [الآية 13] برؤية ولدها ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾
 [الآية 13] بفراقه ﴿وَلِتَعْلَمَ﴾ [الآية 13] علم مشاهدة وصدق ﴿أَنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا
 وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 13] إن وعده حق وقوله صدق.

وقال الأستاذ: فمن بالغدوة كانوا في اهتمام قتله كيف يقتلونه أمسوا
 وهم في جهد/ كيف يغذونه ويربونه، ثم كانوا يدعون أمه حاضنة ومرضعة له 346/ ب
 ولم يضرها ذلك، وكانوا يقولون لفرعون إنه أبوه ولم ينفعه هنالك. ولما أخذته
 أمه علمت بتصديق الله ظنها وسكن عن الانزعاج قلبها.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [الآية 14] مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوءه وذلك سن
 الوقوف لمثله وهو من ثلاثين إلى أربعين فإن العقل يكمل حينئذ باليقين. وروي
 أنه لم يبعث نبي إلا على رأس الأربعين ﴿وَأَسَوَّى﴾ [الآية 14] اعتدل قدّه أو تكمل
 عقله ﴿ءَايَاتُهُ حُكْمًا﴾ [الآية 14] حكمة وفهماً ﴿وَعِلْمًا﴾ [الآية 14] بالدين ومعرفة.
 وقيل: المراد بهما النبوة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الآية 14] ومثل ما فعلنا بموسى وأمه ﴿نَجَّيْ

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 14] على إحسانهم في طاعة الله وأمره.

قال جنيد: لما تكامل عقله وصحت بصيرته آتيناها حكماً في نفسه بما يتجدد عنده من موارد زوائد الموائد عليه من ربه.

وقال الأستاذ: لما كمل سنه وتمَّ عقله واستوى خصال كماله ﴿ءَالَيْتَهُ حُكْمًا﴾ [الآية 14] وأتممنا له التحصيل ووفرنا له علمه بحاله وبذلك جرت سنتنا مع الأنبياء والأصفياء من قبله.

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ [الآية 15] أي مصر أو غيرها أتينا من قصر فرعون ونحوها ﴿عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [الآية 15] في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقع حصولها وهو وقت القيلولة كما صرح به ابن عباس وقتادة وجماعة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ [الآية 15] يقصد كل قتل الآخر منهما ﴿هَذَا مِنْ شِيعِنِهِ وَهَذَا مِنْ عُدُوِّهِ﴾ [الآية 15] أحدهما ممن شايعه على دينه وهو السبطي والآخر من مخالفيه وهو القبطي، والإشارة على الحكاية ﴿فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعِنِهِ﴾ [الآية 15] فسأله أن يغيثه بالإعانة ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى﴾ [الآية 15] فضرب القبطي بجمع كفه أو دفعه بطرف أصبعه ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الآية 15] فقتله، وأصله أنهى إليه العمر من قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ﴾ [الحجر: الآية 66]، ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [الآية 15] لأنه لم يؤمر بقتل الكفار في ذلك الزمان ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ من جهته وإنما عدّه من عمل الشيطان، وسماه ظلماً واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات صدرت عنهم ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية 15] ظاهر العداوة والإضلال أو مظهر طريق الضلال وما يترتب عليه/ الوبال. 347/أ

وقال الأستاذ: وكزه موسى ليدفعه عن الإسرائيلي ولم يرد قتله، فمعنى أنه لو دفعه بأيسر مما دفعه ولم ينسب القتل إلى الشيطان ولكن دفعه عنه بالغلظة نسبة إليه بأن حمله على تلك الحدة لديه، وإذا أراد الله أمراً أجرى أسباباً يحصل بها مراده ولولا أنه أراد فتنه موسى ووقفه بدفعه لما قبض روحه بوكزه وقد يضرب الرجل الكبير من الضرب بالسياط الكثيرة ثم لا يموت، فموت القبطي إجراء لما أراد من قضائه وقدره.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ [الآية 16] بقتله ﴿فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ [الآية 16] ما جرى من وكزه ﴿إِنَّهُمْ هُوَ الْفُفُورُ﴾ [الآية 16] لذنوب عباده ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الآية 16] بهم على وفق مراده.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [الآية 17] أي أقسم بإنعامك عليّ وإحسانك إليّ بإعطاء القوة وسائر النعمة لأوتين من مثل هذه الوكزة ﴿فَلَنْ أَكُونُ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 17] فلن أستعمل قوتي في مظاهر أعدائك بل أصرفها في مناصرة أوليائك. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لم يستثن فابتلى به مرة أخرى⁽¹⁾ أي لم يقل فلن أكون إن شاء الله أولاً فابتلى بالعون للمجرمين ثانياً، وفيه إشكال ولم يبتلى بالعون للمجرمين بل على المجرمين لأجل المجرمين المحترمين.

﴿فَأَصْحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [الآية 18] ينتظر سوءاً من فرعون لما له من شدة الغضب.

قال ابن عطاء: خائفاً من قومه يتربص مناجاة ربه. وقيل: خائفاً من نفسه يتربص نصرة ربه. وقيل: مستوحشاً من ضده منتظراً المؤنس يأنس به. وقيل: خائفاً من زلة الجناية منتظراً للكفاية رجعاً للعصمة والحمالة ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرْتُم بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُ﴾ [الآية 18] يستغيث للإنس ﴿قَالَ لَكُمْ مُوسَى إِنَّكَ لَفَوِيءٌ مُبِينٌ﴾ [الآية 18] بين الغواية حيث تتسببت لقتل رجل ثم تدعوني إلى آخر في هذا اليوم.

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ [الآية 19] أي بالقبطي لأنه لم يكن على دينهما ﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ [الآية 19] قاله القبطي، وقيل السبطي، ولا يلائمه قوله ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 19] متطاولاً على / أهلها غير ناظر إلى العواقب ومآلها ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الآية 19] بين الناس على وجه الاستئناس.

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ [الآية 20] قيل هو مؤمن آل فرعون وابن عمه ﴿مِّنْ أَقْصَا

(1) تفسير القرطبي (13/ 263)، والكشاف (5/ 127).

الْمَدِينَةِ ﴿[الآية 20] آخَرَهَا﴾ ﴿يَسْعَى﴾ [الآية 20] يُسْرِعَ فِي سِيرِهِ إِلَى أَدْنَاهَا ﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّكَ أَلَمَلٌ﴾ [الآية 20] أَشْرَافَ الْجَنْدِ ﴿يَأْتِمُرُونَ بِكَ﴾ [الآية 20] يَتَشَاوِرُونَ بِسَبِّكَ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَعْلَمُوا فِرْعَوْنَ بِصَنْعِكَ ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ [الآية 20] ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّكَ قَتَلْتَ الْقَبْطِيَّ بِقَصْدِكَ ﴿فَأَخْرَجَ﴾ [الآية 20] مِنَ الْمَدِينَةِ ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الآية 20] فِي أَمْرِكَ.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [الآية 21] أَنْ يَدْرِكَهُ الطَّلَبُ، وَقِيلَ يَتَرَقَّبُ الْكُفَايَةُ وَالْحِمَايَةُ مِنَ الرَّبِّ ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوَرِ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 21] خَلَصْنِي مِنْ شَرِّهِمْ وَاحْفَظْنِي مِنْ مَكْرِهِمْ.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدْيَنَ﴾ [الآية 22] تَجَاهَهَا وَقِبَالَتَهَا وَهِيَ قَرْيَةُ شَعِيبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمْ تَكُنْ فِي سُلْطَةِ فِرْعَوْنَ مَعَ أَنْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مِصْرَ مَسِيرَةُ ثَمَانِ لَيَالٍ ﴿قَالَ عَسَىٰ رَيْتَ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الآية 22] أَيِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَوِيِّ، قَالَهُ تَوَكَّلًا عَلَىٰ رَبِّهِ وَحَسَنَ ظَنٍّ بِهِ وَكَانَ لَا يَعْرِفُ طَرِيقَ مَقْصَدِهِ فَعَنَّ لَهُ ثَلَاثَ طُرُقٍ فَأَخَذَ فِي أَوْسَطِهَا وَجَاءَ الطَّلَابُ عَقِيْبَهُ فَأَخَذُوا فِي الْآخِرِينَ مِنْهَا ظَنًّا إِنَّهُ لَا يَسِيرُ عَلَىٰ الْجَادَةِ فِيهَا.

قال جعفر: توجه إلى ناحية مدين ببدنه وتوجه بقلبه إلى ربه طالباً منه سبيل الهداية فأكرمه بالكلام والرسالة فكل من أقبل على الله بالكلية فإن الله يبلغه مأموله البتة.

وقال الأستاذ: توجه بنفسه تلقاء مدين من غير قصد إلى مدين أو غيرها بل خرج على الفتوح وتوجه بقلبه إلى ربه ينتظر أن يهديه إلى النحو الذي هو خير له فقال: عسى ربي أن يهديني لأرشد سبيل لي.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [الآية 23] وَصَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ مَا كَانُوا يَسْتَسْقُونَ لَدَيْهِ ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 23] فَوْقَ شَفِيرِهِ ﴿أُمَةً مِنَ النَّكَاسِ﴾ [الآية 23] جَمَاعَةَ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفِينَ ذَهَابًا وَإِبَابًا لِلْمَنَاوِبَةِ عَلَىٰ مَا هُوَ الْمَعْتَادُ فِي السَّقَايَةِ ﴿يَسْقُونَ﴾ [الآية 23] الْمَاشِيَةَ ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ [الآية 23] فِي مَوْضِعٍ أَسْفَلَ مِنْ مَكَانِهِمْ ﴿أَمْرَاتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [الآية 23] تَمْنَعَانِ أَغْنَامَهُمَا انْتِظَارًا لِخُلُوعِ الْمَاءِ لَهُمَا ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾

[الآية 23] ما شأنكما لا تسقيان غنمكما ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾
 [الآية 23] بصرف مواشيهم عن الماء حذراً عن مزاحمة الرجال/ بالنساء. وقرأ أبو 348/أ
 عمرو وابن عامر بفتح الياء وضم الدال أي حتى ينصرف الرعاء ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ
 كَبِيرٌ﴾ [الآية 23] في السن لا يستطيع أن يخرج لسقي الماء فيرسلنا اضطراراً مع
 الرعاء.

قال ابن طاهر: ورد في الظاهر ماء مدين وورد في الحقيقة على مالك
 مياه الأنس والمحبة وبساتين المعرفة ووجد عليه أمة أي خواص جماعة من
 العباد الصفوة يرتقون في تلك البساتين من الروضة فأشربهم وشرب معهم من
 تلك المياه شربة أورثه ورود ذلك الموارد والمورود على مخاطبة الحق وأورثه
 شرب ذلك الماء الثبات في حال المخاطبة.

﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ [الآية 24] مواشيها رحمة عليهما مع ما كان به من النصب
 والجوع ووصب جراحة القدم وغيرهما، وقد صح عن عمر رضي الله عنه أنه لما
 فرغ الناس جعلوا صخرة لا يستطيع رفعها إلا عشرة على رأس البئر فرفع موسى
 الحجر وحده ثم لم يستق إلا ذنباً واحداً ودعا بالبركة وأروي عنهما. وقيل:
 كانت بئر أخرى صخرة كبيرة عليها فرفعها واستقى منها، وهذا هو الأظهر فتدبر
 ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ [الآية 24] ظل شجرة أو جدار خربة ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا
 [الآية 24] لأي شيء ﴿أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ [الآية 24] من طعام يسير أو كثير
 ﴿فَقِيرٌ﴾ [الآية 24] محتاج وسائل من غير وسائل. وقيل: معناه إني فقير من الدنيا
 لأجل ما أنزلت إلي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين والغرض من هذا
 الكلام في خطابه إظهار الفرح به والشكر على ما به في بابه.

قال أبو بكر ابن طاهر: لما طال عليه البلوى أنس بالشكوى فقال: إني
 لما أنزلت إلي من خير فقير، يناجيه بلسان الافتقار وليس في الشكوى إلى
 المحبوب نقص في الاختيار.

وقال الحسين: إني لما خصصتني به من علم اليقين فقير إلى أن تردني
 إلى عين اليقين ثم حق اليقين.

وقال جعفر: فقير طالب لديك زيادة الفقر إليك إني لا أستغني عنك بشيء سواك.

وقال الأستاذ: لما وافى موسى مدين شعيب كان وقت الهاجرة وكان لهم بئر يستقون منها فيصبون الماء في الحياض ويسقون عنهم مواشيهم، وكان شعيب كف عنه بصره لكثرة بكائه، ففي القصة أنه بكى حتى ذهب بصره فرد ب/348 الله عليه بصره، ثم بكى حتى رد الله عليه بصره، ثم بكى ثالثاً فأوحى الله إليه إن كان بكاؤك لخوف النار فقد أمتتكم منها وإن كان لأجل الجنة فقد أبحثها لك، فقال: لا يا رب ولكن شوقاً إليك، فأوحى الله إليه لأجل ذلك أخدمتك نبيي وكليمي عشر حجج. وكان لشعيب أغنام ولم يكن له أجير وكانت ابنتاه تسوقان الغنم مكان الرعاة ولم يكن لهم قوة استقاء الماء من البئر وكان الرعاة يستقون الماء من البئر ويسقون مواشيهم فإذا انفضوا فإن بقي في الحوض بقية من الماء فبنات شعيب كانتا تسقيان غنهما، فلما وافى موسى ذلك اليوم وشاهد ذلك الحال من القوم رق قلبه لهما، فلما انصرف الرعاة سقى عنهما ثم تولى إلى ظل جدار بعدهما وكان جائعاً مسافراً لم يتعود قط العربة والرحلة ولم يكن معه مال في تلك الحالة فطلب قوتاً يزيل جوعه ويسد رمقه، وقيل: سأل حال يستقل بها ولا يضطرب معها، وكان شعيب يخرج إلى ظاهر الصحراء في طريق الماشية فمسها بيده فوجد أكثر الزيادة في تلك الكرة فسألها فذكرتا له القصة، فقال شعيب: إنه جائع البتة. فبعث إحداهما لتدعوه إلى الضيافة.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [الآية 25] مستحيية مستترة بكم ذراعها. قيل: كانت الصغرى وقيل الكبرى، وهي التي تزوجها موسى.

قال ابن طاهر: لتمام إيمانها وشرف عنصرها وكريم نسبها أتته على استحياء فقد ورد: «الحياء من الإيمان»⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أنها إنما استحييت لأنها كانت تخاطب من لم يكن

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (24)، ومسلم في الصحيح (59/36).

محرمًا لها. وقيل: لما دعت للضيافة كانت مستحبة والكريم يستحي من الضيافة ﴿قَالَتْ إِنَّكَ آتِي دَعْوِكَ لِيُجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [الآية 25] جزاء سقيك لغنمنا. ولعل موسى إنما جاء ليتبرك برؤيته ويتطهر بمعرفته لا طمعاً في أجرته، بل روي أنه لما جاء قدم إليه طعاماً فامتنع عنه وقال: إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نَبِيعَ دِينَنَا بَدْنِيَانَا، فقال شعيب: هذا من دأبنا مع كل من ينزل بنا على أن كل من فعل معروفاً فأهدي بشيء لم يحرم أخذه.

وقال الأستاذ: لم تطب نفس شعيب لما أحسن موسى إليه أن لا يكافئه بما قدر عليه وإن كان موسى لم يرد المكافأة لديه. ويقال: ورد بظاهره ماء / مدين وورد بقلبه موارد الأنس والروح. والموارد مختلفة فموارد القلوب رياض 349/ أ البسط بكشوفات المحاضرة فيطربون بأنواع الملاطفة، ومورد الأرواح مشاهد الأرواح فيكاشفون بأنوار المشاهدة فيتغيبون عن الإحساس بالنفس وما لها من المجاهدة، وموارد الأسرار ساحات التوحيد فعند ذلك الولاية لله لا نفس ولا حس ولا قلب ولا أنس استهلاك في الصمدية وفناء بالكلية. ويقال: الأجنبية والبعد من المحرمية توجب إمساكه عن مخاطبتهما والإعراض والسكوت عن سؤالهما ولكن الذي بينهما من المشاكلة والموافقة بالسر لهما استنطقه حتى سألهما عن قصتهما، كما قيل:

أجارتنا إننا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب⁽¹⁾

ويقال: لما سألهما وأخبر عن حالهما لزمه القيام بأمرهما ليعلم أن من تفقد أمر الضعفاء وحالهم ووقف على موضع فاقتهم لزمه إزالة شكائهم. ويقال: من كمال البلاء على موسى أنه وافى الناس وكان جائعاً ومقتضى الرفق أن يطعموه، فقبض القلوب عنه واستوجابه واستقباله من موجبات حكم الوقت أن يعمل عمل أربعين رجلاً لأن الصخرة التي نَحَّاهَا عن رأس البئر وحده كان يقتلها أربعون رجلاً. تولى إلى الظل، وقال: أرايت إن يطعمني بعد مقاساة اللثيا واللثي فذلك فضلك، قاله بلسان الانبساط ولا لسان أحلى

(1) نسب إلى امرئ القيس. انظر العقد الفريد (1/ 196)، وخزانة الأدب (3/ 271).

من ذلك وهي شبه الشكوى ولكن إليه لا منه بل منه إليه . ويقال: تولى إلى الظل وروح البسط واستقلال السر بحقيقة الجود. ويقال: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [الآية 24] فزدني فقراً فإن فقري إليك يوجب استغنائي بك.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ [الآية 25] موسى ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ [الآية 25] وحكى لشعيب صورة ما جرى ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ﴾ [الآية 25] في هذا المكان المكين ﴿مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 25] فرعون وقومه أجمعين.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ [الآية 26] وهي التي استدعته ﴿يَتَأْتِيَ اسْتَشْجَرَةً﴾ [الآية 26] لرعي الغنم ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَسْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [الآية 26] فيه إيماء إلى أنه عليه السلام ما كان يلقي أخيراً جائعاً بين القوة في الخدمة والأمانة في الديانة. ب/349 وروي أن شعبياً قال لها: وما أعلمك بقوته وأمانته، فذكرت إقلاله الحجر ورفعته وأنه صوب رأسه حين يلقنه أمره، وأمرها بالمشي خلفه.

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ [الآية 27] أي تأجر نفسك مني ﴿ثُمَّ لَنِي حِجَجٌ﴾ [الآية 27] ظرف للإجارة ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا﴾ [الآية 27] عمل عشر حجج ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ [الآية 27] فإنما مد من عندك تفضلاً وتبرعاً من عندي عليك إلزاماً شرعاً، وهذا استدعاء للفقهاء لا نفسه حيث.

قال أريد ولم يقل أنكحتك مع ما في كلامه من إبهام المنكوحة ويمكن في ذلك اختلاف الشريعة ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ [الآية 27] إلزام إتمام العشر الموجب للصعوبة لديك أو المنافسة في مراعاة الأحوال واستيفاء الأعمال ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية 27] في الوفاء بالمواعدة وحسن المعاملة، ولكن الصعبة والعشرة أو المجاملة.

﴿قَالَ﴾ [الآية 28] موسى ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 28] الذي عاهدتني فيه ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ [الآية 28] قائم بيننا لا يخرج عما شرطنا ﴿أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ﴾ [الآية 28] أطولهما أو أقصرهما ﴿فَضِيتُ﴾ [الآية 28] وفيت ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ [الآية 28] لا نعتدي على طلب الزيادة فلي الخيار مطلقاً في الإرادة ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾

[الآية 28] من المشاركة ﴿وَكَيْلٌ﴾ [الآية 28] شاهد حفيظ على ما وقع من عقد الإجارة.

وقال الأستاذ: في القصة أن شعيباً قال لموسى: أدخل هذا البيت وأخرج بما فيه من العصي عصا، وكان بيتاً مظلماً، فدخل وأخرج العصا التي كانت لموسى وأظهر أدبه فيها معجزة وجاء في القصة: إنها كانت لآدم عليه السلام وقعت إلى شعيب من نبي إلى نبي وذلك إنه لما أهبط آدم إلى الأرض صال عليه ما على وجه الأرض من السباع فأنزل عليه عصا من الجنة وأمره جبريل أن يرد السباع عن نفسه بتلك العصا فلما أخرج موسى تلك العصا قال شعيب: رده إلى البيت وأخرج عصا أخرى، ففعل غير مرة ولم يحصل كل مرة في يده إلا تلك العصا، فلما تكرر الأمر هنالك علم شعيب أن له شأنًا فأعطاه ذلك. ثم القصة أن اليوم الأول الذي ساق غنمه قال له شعيب: إن طريقك تتشعب شعبين على أحدهما كلاً كثير فلا تسلكه في الرعي فإن فيه ثعباناً واسلك الشعب. / فلما بلغ موسى مفرق الطريقين تفرقت الغنم ولم تطاوعه وسامت في الشعب الذي فيه الكلاً، وأن موسى تبع الأغنام ووقع عليه المنام فلما انتبه رأى الثعبان مقتولاً وعصاه كانت قد قتلت الثعبان، فلما انصرف أخبر شعيباً بذلك فسر به هنالك. وكان موسى يرى في العصا آيات كثيرة ولذا قال: ﴿وَلِي فِيهَا مَثَابٌ آخَرٌ﴾ [طه: الآية 18].

﴿قَلَمًا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ [الآية 29] أي الأطول على ما صح في البخاري عن ابن عباس وروي أنه قضى أقصى الأجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرًا آخر ثم عزم على الرجوع إلى محله ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ [الآية 29] وكان في ليلة مظلمة شديدة البرودة والطرق مختلفة ﴿ءَأَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ [الآية 29] أبصر من الجهة التي تلي الطور ﴿نَارًا﴾ [الآية 29] عظيمة وعن النظر بعيدة.

قال أبو علي الروذباري: الجبل الذي كلم الله عليه موسى كان من العقيب ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [الآية 29] من الطريق ممن يوجد عندها من الفريق ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ [الآية 29] وقرأ عاصم بالفتح

وحزمة بالضم شعلة مقتبسة ﴿يَبْتَ النَّارِ﴾ [الآية 29] أو قطعة منها ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [الآية 29] تستدفئون بها.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ [الآية 30] جاءها ﴿نُورِيْكَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ [الآية 30] أتاه النداء من الجانب الأيمن لموسى أو من الوادي الأبرك ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾ [الآية 30] بجميع أطرافها وجملة أكنافها ﴿مِنْ الشَّجَرَةِ﴾ [الآية 30] بدل من شاطئ، بدل الاشتمال لأنها كانت ثابتة في تلك المحال ﴿أَنْ يَمْوِسَ﴾ [الآية 30] أي يا موسى ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 30] أي الذي يكلّمك رب العالمين، وهذا أوان خالف ما في طه والنمل في بعض المعاني، فهو طبقه ووفقه في المقصود من المعاني.

قال ابن عطاء: فلما تمّ له أجل المحنة ودنا أيام القربة والرأفة والمنحة وإظهار أنوار النبوة وأسرار الجنة وسار بأهله ليشتركوا معه في لطائف الصنعة.

قال جعفر: أبصر ناراً دلّه على الأنوار ولا تدري أي النور على هيئة النار، فلما دنا منها شملته أنوار القدس وأحاطته جلايب الأنس فخطوب ب/350 بالطف خطاب واستدعى منه أحسن / جواب فصار بذلك مكلماً شريفاً مقرباً مكلماً لطيفاً أعطي ما سأل وأمن مما خاف.

وأفاد الأستاذ: إنه تعالى أخفى تعيين موضع قدم موسى على الظنون بهذا الخطاب حيث قال في الكتاب: ﴿مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ [الآية 30] ثم قال: ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾ [الآية 30] وعندها سمع خطاب مولاه بلا واسطة، وأعز الأماكن عند أولي الأبواب مشهد الأحباب كما قيل في هذا الباب:

وإني لأهوى الدار ما تستقرني لها ألود إلا أنها من دياركا⁽¹⁾
ويقال: كم قدم وطئت تلك البقعة ولكن لم يسمع صاحبها بها سينه
وكم ليلة أجتت تلك البقعة ولم يظهر من تلك النار فيها شعلة. ويقال: شتان

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 133).

بين شجرة وشجرة، شجرة آدم عندها ظهور محنته وفتنته وشجرة موسى فتح نبوته وبدئ رسالته. أقول: ويمكن أن يقال هذه الشجرة من ثمرة تلك الشجرة لأن المحنة توجب المنحة والبلاء يورث الولاء ويكون وجه تسمية شجرة آدم بشجرة العلم والله أعلم. ويقال بتفضيل نوع تلك الشجرة وما يدري ما الذي كان لتلك الشجرة من الثمرة بل هي شجرة الوصلة ثمرها القرية أصلها ثابت في أرض المحبة وفرعها باسق في سماء الصفوة، أوراقها الزلفة وأزهارها وأنوارها تفتق عن نسيم الروح والبهجة. فلما سمع الكلام موسى عليه السلام تغير عليه الحال في ذلك المقام، وفي القصة أنه غشي عليه وأرسل الله الملائكة إليه حتى روحوا بمراوح الأنس لديه وكان هذا في ابتداء الأمر والمبتدئ مرفوق به، وفي المرة الأخرى خر موسى صعقاً وكان يفيق والملائكة تقول له: يا ابن الحيز مثلك من يسأل الرؤية⁽¹⁾، كذا في الحديث. والقصة في البداية لطف وفي النهاية عنف. ويقال: في الأولى ختل وفي الأخرى قتل.

فلما دارت الصهباء دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح مع النبيين في الصيف
ونظيره ما وقع لآدم عليه السلام من تشريفه أولاً وتعنيفه آخرأ بناء على
أن الولاء يعقبه البلاء.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الآية 31] عطف على أن يا موسى داخل تحت ما نادى

351/أ

سبحانه/ وتعالى.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى يا موسى اخلع نعليك وأقم عندنا هذه الليلة فقد تعبنا في الطريق لديك إن لم يكن هذا في النقل والآثار فهو ما يليق بتلك الحال عند الاعتبار، يا موسى كيف صعدت وكيف صوبت وكيف شرقت وكيف غربت ما كنت في الطريق وحدك، يا موسى أحصينا خطاك

(1) تفسير الخازن (3/ 90)، وتفسير البغوي (3/ 278).

إحصاء كل شيء عدداً، يا موسى تعبت فاسترح، يا موسى بعدما جئت فلا تبرح كذا العبد غداً إذا قطع المسافة في القيامة وتبوأ من منزله في الجنة وآخرون يمضون من الطريق إلى بساط الزلفة كذا العبد والخادم إذا دخل بلد سلطانه يبتدىء أولاً بخدمة السدة العالية ثم بعده ينصرف إلى منزله بالعافية وكذا اليوم أمرنا إذا أصبحنا كل يوم أن لا نشتغل بشيء من أمور الخلق حتى نفتح النهار بالخطاب مع الحق ونحضر بساط الخدمة وهو الصلاة من العبادة بل نحضر بساط الدنو والقربة لقوله: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: الآية 19]، المصلي مناجي ربه لو يعلم المصلي من يناجي ما التفت أي لم يخرج عن صلاته فيلتفت يميناً وشمالاً في التسليم الذي هو التحليل من عبادته.

﴿فَلَمَّا رَآهَا﴾ [الآية 31] أي لما ألقاها فصارت حية كبيرة ﴿نَهَزَتْ﴾ [الآية 31] تتحرك بسرعة كبيرة ﴿كَأَنَّهَُا جَانٌّ﴾ [الآية 31] حية صغيرة في جثتها وهيئتها أو في سرعة حركتها ﴿وَلَىٰ مُدِيرٌ﴾ [الآية 31] منهزماً من خوف ما رأى ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [الآية 31] لم يرجع إلى الوراء ﴿يَمْسُقْ﴾ [الآية 31] أي نودي بهذا النداء ﴿أَقْبَلْ﴾ [الآية 31] إلينا واعتمد علينا ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ [الآية 31] من غيرنا ﴿إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾ [الآية 31] لدينا فإنه لا يخاف لدي المرسلون، فرجع إلى مكانه الأول ووقف في مقامه الأكمل.

قال سري السقطي: الخوف على ثلاثة أوجه: خوف في الدين وهو خوف العامة، وخوف العارض عند تلاوة القرآن وهو خوف الخاصة، وخوف مزعج يجفل القلب ويهتز البدن ويذهب بالنوم ويورث الحزن وهو خوف أهل الحقيقة.

وقال الأستاذ: انقلب العصا حية فولى موسى مدبراً خيفة ولم يقف لمحة وكان موضع أن يقول حديث أوله تسليط الثعبان من ذا يطيق هذا الشأن، فقيل: لا تخف يا موسى إن الذي يقدر أن يقلب العصا حية يقدر أن

351/ ب يخلق لك منها سلامة إنك من الأمنين، / ليس المقصود من هذا خوف بلدك إنما أثبت هذا إلا سلطه على عدوك وهذا معجزتك على قومك.

﴿أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [الآية 32] أدخلها في جيب قميصك ﴿تَخْرِجَ يَمِينًا﴾ [الآية 32] كأنه قطعة قمر نور ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [الآية 32] عيب كبرص وداء ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [الآية 32] المراد بأحد الجناحين اليد اليمنى وبالأخر اليد اليسرى وكل منها مضموم ومضموم إليه بإدخال كل منهما تحت عضد الأخرى ﴿مِنْ الرَّهْبِ﴾ [الآية 32] من أجل الرهب إذا غلبك الرعب. عن ابن عباس وغيره: إذا خاف أحد ووضع يده على فؤاده يخف خوفه ويزول رعبه. وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء. وقرأ حفص بفتح فسكون ﴿فَذَلِكَ﴾ [الآية 32] وقرأ ابن كثير بتشديد النون والإشارة إلى العصا واليد وتذكيرهما باعتبار الخبر وهو قوله: ﴿بُرْهَانٍ﴾ [الآية 32] أي حجتان ومعجزتان ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية 32] مرسلهما ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿[الآية 32] خارجين عن حدهم وأمر ربهم.

وقال الأستاذ: قيل إنما قيل له اسلك يدك في جيبك لأن الدرعة التي كانت عليه لم يكن لها كم، وفي هذا إشارة لأن عند كل أحد أنه يصل إلى مقصوده ومراده بتشمُّره وحده واجتهاده وإخراج يده من كمه، والله قال لموسى: أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء وألق عصاك نجعلها ثعباناً بلا ضرر بك ولا استعمالك لها، يا موسى الأمر بنا لا بك، وأنا لا أنت في فعلتك، فذالك برهانان من ربك يا موسى في وصف خضوعك تجدني وبتبرئك من حولك وقوتك تصل إلي.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ [الآية 33] فأعني وادفعهم عني لأقوم بتبليغهم عني ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [الآية 34] وأوضح مني بياناً ﴿فَأَرْسَلْنَا مَعِيَ رِدْءًا﴾ [الآية 34] وقرأ نافع بالنقل أي معيناً ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ [الآية 34] بإتمام الحجة ورفع الشبهة ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [الآية 34] ولساني لا يطاوعني عند الحاجة. وقرأ عاصم وحمزة: يصدقني بالرفع على أنه صفة.

قال أبو بكر ابن طاهر: هو أفصح مني لساناً مع الخلق وكيف أكون

أ/352 فصيحاً معهم وقد سمعت لذيذ كلامك، وكيف أخاطبهم أو كيف/ أجعل لهم، وزناً مع ما آتيتني وخصصتني به شأناً ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ [الآية 35] سنقويك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ [الآية 35] غلبة وشأناً أو حجة وبرهاناً. قيل: هيبة في قلوب الأعداء ومحبة في قلوب الأولياء وسلطاناً على أنفسكما فلا يقدر الشيطان أن يغلبكما أو أصابه في أحكام الحدود على اتباعكما ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ [الآية 35] باستيلاء أو حجاج وإيذاء ﴿يَتَابِعِينَ﴾ [الآية 35] بسبب إظهار معجزاتنا ﴿أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ الْغَلِيُونُ﴾ [الآية 35] بإرادتنا وقدرتنا.

وقال الأستاذ: تعلل موسى عليه السلام بكل وجه رجاء أن يعافى من مشقة التبليغ ومقاساة البلاء لا علم أن النبوة فيها مشقة فلم يجد الرخصة والإعفاء عما كلف من تحمّل أعباء النبوة، وأجاب سؤاله في أخيه وضمن لهما النصر ثم إنهما لما أتيا فرعون قابلهما بالتكذيب في الرسالة ورماهما بالسحر والمكيدة وجاوباه بالحجة ودعواهما إلى سواء المحجة فأبى إلا الجحد إلى اللحد وهذا معنى قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 36] من المعجزات ﴿يَنْتَبِهُ﴾ [الآية 36] ظاهرات الدلالات ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرٍ﴾ [الآية 36] تخيل لا حقيقة له في الكائنات ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ [الآية 36] ادعاء النبوة ﴿فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 36] الأمم المتقدمة.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِي﴾ [الآية 37] ومن يتبع الهدى في دينه. وقرأ ابن كثير قال بغير واو على أنه استئناف وقع جواباً لمن سأل عن جوابه ﴿وَمَن تَكُونُ لَهُ عَنقَبَةُ الدَّارِ﴾ [الآية 37] العاقبة المحمودة فإن المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الحميدة هي الجنة. وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية 37] لا يفوزون بالهدى في الدنيا وبحسن العاقبة في العقبى.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُو آيَاتَهَا الْمَلَأَ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرٍ فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطَّيْنِ﴾ [الآية 38] أطبخ لي الآجر ﴿فَأَجْعَلْ لِّي صَرْحًا﴾ [الآية 38] قصراً عالياً ﴿لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الآية 38] في أن لكم إله غيري وإنه رسوله في الدين.

وأفاد الأستاذ: إنه ادعى الانفراد بالإلهية فزاد على عبدة الأصنام الذين جعلوا أصنامهم شركاء بل وسائل وشفعاء ومن زيادة ضلاله توهمه أن المعبود في جهة العلو وأنه يمكن الوصول إليه، ولعمري لو كان جهة لا يكون / تقدير 352/ ب الحصول لديه.

﴿وَأَسْتَكْبَرُ هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَغْيَرُ الْحَقُّ﴾ [الآية 39] بغير استحقاق من جانب الحق ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [الآية 39] اعتقدوا أنه لا قيامة لدينا ولا معاد إلينا. وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح التاء وكسر الجيم.

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [الآية 40] فطرحناهم فيه ككف رماد في ساحة الهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 40] ما حال المجرمين.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ [الآية 41] قدوة للضلال بالحمل على الإضلال ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْتَكَاَرِ﴾ [الآية 41] إلى موجباتها من الكفر والمعاصي وما يتبعها من الأنكال والأغلال ﴿وَيَوْمَ أَلْقَيْكُمُ لَا يُصْرُونَ﴾ [الآية 41] بدفع العذاب عنهم في جميع الأحوال.

﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ [الآية 42] طرد عن الرحمة أو لعن اللاعنين من الملائكة والمؤمنين ﴿وَيَوْمَ أَلْقَيْكُمُ هُمْ مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [الآية 42] سود الوجوه زرق العيون بين المخلوقين.

قال ابن عطاء: نزع عنهم أنوار التوفيق وأسرار التحقيق في ظلمات نفوسهم كالغريق لا يدلون غيرهم على سبيل الرشد والتوفيق ولا يسلكون بأنفسهم سوء الطريق فسماهم الله أئمة يدعون إلى الحريق.

وقال الأستاذ: واستكبر هو وجنوده وأبى إلا أن يدوم جحوده وعنوده فغرقه الله في البحر كما غرق قلبه في بحر الكفر وجعلهم أئمة لا بشرفهم لكن بسبب تلقيهم قدمهم في الخزي والمهانة على كل أمة فهم أئمة لكن لم يرشدوا إلا إلى الضلال ولم يدلوا الخلق إلا على المحال وما حصلوا إلا على سوء الحال وما ذاقوا إلا خزي الوبال، أفاضوا على متبعيهم من ظلمات

قلوبهم وافتضحوا في خسة مطلوبهم وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين، كانوا في الدنيا مبعدين عن معرفته وفي الآخرة مبعدون عن مغفرته فانقلبوا من طرد إلى طرد ومن هجر إلى بُعد ومن افتراق إلى احتراق.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الآية 43] التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ [الآية 43] أقوام نوح وهود وصالح ولوط وقوم فرعون بعدهم ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 43] حال كون الكتاب أنواراً لقلوبهم يتبصر به الحقائق ويتميز بها بين الحق والباطل من أحوال الخلائق ﴿وَهَدَى﴾ [الآية 43] وسبب هداية دلالة إلى معرفة الشريعة ﴿وَرَحْمَةً﴾ [الآية 43] / وموجب رحمة ونعمة في الدنيا والآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 43] ليكونوا على حال يرجى منهم التذكرة.

وأفاد الأستاذ: أنه إنما يطلب المنازل إذا خلا من الأجانب ورؤيتهم وأطيب المساكن ما كان رؤيتها يفقد الرقباء وغيبتهم فلما أهلك الله فرعون وقومه وأورث بني إسرائيل أموالهم وديارهم ومحي عن جميعها آثارهم طاب عليهم العيش في العبادة وطلعت عليهم شمس السعادة..

﴿وَمَا كُنْتَ﴾ [الآية 44] يا محمد حاضراً ﴿بِجَانِبِ الْفَرْقِ﴾ [الآية 44] من الوادي أو الطور فإنه كان في شق الغرب من مقام موسى عند ظهور النور ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ [الآية 44] أوحينا إليه أمر الرسالة ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الآية 44] لذلك حتى تعرف القصة وترى الحالة فما هو إلا من إعلام الله بالأمور الغيبية كالمعجزة الدالة على صحة النبوة. وقيل: أراد بالشاهدين السبعين المختارين.

﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا﴾ [الآية 45] خلقنا بعد موسى ﴿قُرُونًا﴾ [الآية 45] أمماً مختلفة ﴿فَطَوَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْعُمُرَ﴾ [الآية 45] أي الأزمنة فحرّفت الأخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم والآثار وانطمست الأسرار وانطفأت الأنوار إلى أن ظهر سعيد الأبرار وسند الأحرار ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [الآية 45] من شعيب

والمؤمنين به ﴿تَتْلُوا عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 45] نقرأ عليهم تعلماً منهم ﴿ءَايَاتِنَا﴾ [الآية 45] التي فيها قصتهم فيحكي ما رأيت فيهم ونقلت منهم ﴿وَلَنَكُنَّ كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الآية 45] إياك ومخبرين بما أتاك.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [الآية 46] موسى وقلنا له: ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مریم: الآية 12] فالأول عبارة عن النبوة والآخر إشارة إلى الرسالة. وعن بعض السلف معناه: إذ نادينا أمتك في أصلاب آبائهم حين سألتني موسى رؤيتك ورؤيا أمتك وقلت له: إنك لن تصل إلى ذلك لكن إن شئت أسمعت صوته⁽¹⁾. رواه النسائي عن أبي هريرة وكذا نقل عن ابن عباس وغيره.

قال ابن عطاء: أحببنا سؤال من دعا على الطور وجعلنا ما طلبه لأمتك إجلالاً لقدرك وعظيم محلك. وحكى ابن أبي يزيد أنه قرأ هذه الآية بين يديه فقال: الحمد لله الذي لم أكن ثمة، كذا في تفسير السلمي، ولعله ذكره على وجه الغيرة.

وقال الأستاذ: وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى وكلمناه ولكن خاطبناه / في بابك وفي باب أمتك فلم تقدح غيبتك في الحال وكوني لكم خير من كونكم لكم، أي في حسن المال، وزين المال وفراغ البال. ويقال: لما خاطب موسى وكلمه وسأل موسى أنني أرى في التوراة أمة صفتهم كذا وكذا من هم، فسأل عن أوصاف وعن الجميع كان الله يجيب إنهم أمة أحمد، فاشتاق موسى إلى لقائه فقال تعالى إنه ليس اليوم وقت ظهورهم فإن شئت أسمعت كلامهم، فأراد أن يسمع كلامنا فنأدى سبحانه وقال: يا أمة أحمد، فأجاب الكل من أصلاب آبائهم فسمع موسى عليه السلام كلامهم بعد ندائهم، ثم لم يتركهم الله بذلك من غير نفع هنالك فالغني إذا سأل فقيراً فأجابه لا يرضى بأن يرده من غير إحسان إليه فقال سبحانه: أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، ثم فما كان موسى عليه السلام يتلو

(1) تفسير ابن كثير (6/ 240)، وتفسير الرازي (12/ 90).

عليهم من آياته ذكر نبينا ﷺ بالجميل وكراماته بحسن الثناء عليهم فنحن في الوجود محدث مخلوق وفي ذكره قديم متعلق لا باستفتاح زمان لم يكن في العدم ولا أشياء ولكن كنا بتعلق القدرة متناول العلم والمشئمة مذكوراً للخطاب الأزلي والكلام الصمدي والقول الأبدي، فمن طلب موسى عليه السلام لأتمه جعلناه لأمتك وكما نادينا موسى وهو في الوجود والظهور ناديناكم وأنتم في كتم العدم وأنشدوا:

كن لي كما كنت لي في حال لم أكن
﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً﴾ [الآية 46] أوجبت إليك نعمة ﴿مَنْ رَبِّكَ﴾ لِيُنْذِرَ قَوْمًا مَّا
أَتَتْهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴿[الآية 46] لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى عليه
السلام وهي خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين إسماعيل على أن دعوة موسى
وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل وما حواليهم. هذا وقيل بين عيسى ورسولنا
عليهما السلام أربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد ابن سنان
العبيسي ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 46] لكي يتفركوا ويتدبروا فيتعظوا ويعتبروا.

﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ [الآية 47] عقوبة ﴿يَمَّا قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾
[الآية 47] من الكفر والمعصية ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾ [الآية 47] هلا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا
رَسُولًا فَتَنَّبِئَ بِآيَاتِكَ﴾ [الآية 47] في ما أمرتنا/ ﴿وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 47] 354 أ
المصدقين فيما أخبرتنا لما أرسلناك، والمعنى إن أرسلناك إليهم قطعاً للمعذرة
لديهم وإلزاماً للحجة عليهم.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ [الآية 48] أي الرسول المصدق بنوع من المعجزات
الدالة على صدق نبوته أو الكتاب المحقق ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾ [الآية 48] من لدنا
﴿قَالُوا﴾ [الآية 48] عناداً وتعنتاً واقتراحاً ﴿لَوْلَا﴾ [الآية 48] هلا ﴿أَوْفَىٰ مِثْلَ مَا
أَوْفَىٰ مُوسَىٰ﴾ [الآية 48] من الكتاب جملة واليد والعصا معجزة ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا﴾
[الآية 48] يعني أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمن موسى ﴿يَمَّا أَوْفَىٰ
مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 48] قبل زمان محمد عليه السلام. والمعنى إذا كفر أولئك مع
رؤية تلك الآيات لكفر هؤلاء المقترحون أيضاً لاتحادهم في سوء الحالات ﴿قَالُوا

سَحْرَانِ ﴿[الآية 48] يعنون موسى وهارون، وقيل موسى ومحمد فيتعين أن يكون فاعل يكفروا ضمير قريش فإنهم كفروا بنبوة موسى أيضاً حين جاءهم الرهط الذين أرسلوهم إلى يهود المدينة يسألنهم عن محمد عليه السلام بخبرهم ﴿تَظَاهَرَا﴾ [الآية 48] تعاونا بإظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتابين من التوراة والفرقان وقرأ الكوفيون ساحران بتقدير مضاف أو إرادة مبالغة أو المراد بهما التوراة والقرآن ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ [الآية 48] بكل منهما أو بكل الأنبياء معهما.

قال الأستاذ: تمنوا في زمان الفترة أن يبعث الله إليهم رسولا يهتدوا به في الديانة ووعدوا من أنفسهم الإيمان والإجابة، فلما أتاهم الرسول كذبوه وقالوا: هلا خص بمثله بمعجزات موسى من العصا واليد البيضاء وكان ذلك منهم خطأ واقتراحاً في غير موضع الحاجة وتحكماً بعد إزاحة العلة.

وكذا الملول إذا أراد قطيعة ملّ الوصال وقال كان وكاناً⁽¹⁾

﴿قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ [الآية 49] مما نزل على موسى وعلى من التوراة والقرآن ﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 49] إنا ساحران أو هما ساحران مختلفان وفيه تنبيه على أن الكتابين كليهما معجزتان.

﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ [الآية 50] دعاك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى واختاروا طريق الأردى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتِّعُونَكَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الآية 50] لأنهم من عنادهم بعدما لزمهم الحجة ما تركوا آراءهم / ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى ۖ مِنْ اللَّهِ﴾ [الآية 50] لا أضل ممن تبع هواه وترك هداه وقد ورد: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به من هداه»⁽²⁾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 50] الذين ظلموا أنفسهم بمخالفة الهدى وموافقة الهوى.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ [الآية 51] أنزلنا عليهم القرآن نزولاً متصلاً بعضه ببعض في الأزمان ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الآية 51] لكي يتعظون فيؤمنوا ويطيعوا.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (6/ 54).

(2) جامع الأحاديث (16/ 492) رقم (17365).

وفي تفسير السلمي قال بعضهم: إما تبعنا الموعظة والرسول الرسول والدليل الدليل لعلهم يتذكرون ويتنبهون من رقدة الغفلة.

زاد الأستاذ فيما أفاد: فما ازدادوا إلا كفرًا ونبؤًا وجحدًا وعتوًّا فلا إلى الحق رجعوا ولا إلى الاستقامة جنحوا.

﴿الَّذِينَ آمَنَهُمْ أَلَكَنَّا﴾ [الآية 52] يعني اليهود والنصارى ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ [الآية 52] قبل نزول القول المراد به القرآن ﴿هُمْ بِهِ يُمْنُونَ﴾ [الآية 52] أي هم الذين يؤمنون بالقرآن ويصلون إلى مقام العرفان ولا يبعد أن يكون المراد من آتيناه الكتاب سابقاً أسمعناه الخطاب لاحقاً.

وقال الأستاذ: أي من كحلنا بصيرته بنور الهداية صدقوا بمقتضى مساعدة العناية ومن أعميناه عن شهود التحقيق ولا يساعده ساعد وجود التوفيق انعكس في غوايته وانهمك في ضلالته.

﴿وَإِذَا يُنْزِلُ عَلَيْنَا﴾ [الآية 53] القول الحق النازل من عندنا ﴿قَالُوا ءَأَمْنَا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [الآية 53] منقادين ومصدقين لما رأى وذكره في الكتب المتقدمة قبل نزول القرآن وتلاوته عليهم وتبين صحته لديهم في الجملة.

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ [الآية 54] مرة على إيمانهم بكتابهم والعمل بخطابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن واتباعه على وجه الإحسان ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ [الآية 54] بسبب صبرهم وثباتهم على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده من الزمان ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الآية 54] ويدفعون بالطاعة المتجددة المعصية المتقدمة كقوله عليه السلام: «أتبع السيئة الحسنة تمحها»⁽¹⁾، رواه الترمذي وحسنه، أو لا يقابلون الأذى بمثله بل يعفون عن فاعله أو يجازون الإحسان في مقابله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية 54] في سبيل الخير/ ووجوبه. 355/أ

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (1/121) رقم (178)، والطبراني في المعجم الكبير (20/145) رقم (297)، والبيهقي في شعب الإيمان (6/244) رقم (8023).

وقال الأستاذ: بما صبروا على ارتكاب الأوامر واجتناب الزواجر يؤتون أجرهم مرتين مرة في عاجلهم ومرة في آجلهم مرة في الآخرة وهي المثوبة وأخرى في الدنيا وهي لطائف القربة.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ [الآية 55] القبيح من القول كشتهمهم ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [الآية 55] تَكْرُماً بهم ﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 55] جواباً لقومهم ﴿لَنَّا أَغْنَيْنَا وَكُمَّ أَغْنَيْنَا﴾ [الآية 55] كما يجازى بعمله منا ومنكم ﴿سَلَّمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 55] متاركة لهم وتوديعاً منهم ودعاء لهم بالسلامة عنهم ﴿لَا تَبْنِي الْجَنَّةَ﴾ [الآية 55] لا نطلب صحبتهم ولا نريد طريقتهم.

قال أبو عثمان: كل شيء سوى القرآن وذكر الله فهو لغو.

وأفاد الأستاذ: أن اللغو ما يلهي عن الله. وقيل: اللغو ما لا يوجب وسيلة عند الله. ويقال: اللغو ما لا يكون بالحق للحق. ويقال: هو ما صدر عن قلب غافل. ويقال: اللغو ما يوجب سماعه اللهو.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [الآية 56] أي نفسه أو هدايته والمعنى لا تقدر أن تدخله في الإسلام ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 56] بأن يخلق في قلبه الاهتداء على ما حققه أكابر العلماء والحاصل أي نفسه أو هدايته والمعنى لا يقدر أن يدخله في الإسلام إن الهداية تستعمل في خلق الاهتداء وبيان طريق الهدى في الابتداء وكلا المعنيين مستقيم في حقه سبحانه، وأما الرسول فليس له إلا المعنى الثاني وبيانه فلا ينافي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [فُضِّلَتْ: الآية 17] ولا قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: الآية 52]، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ﴾ [الأنعام: الآية 117] المستعدين لقبول الدين. والجمهور على أن الآية نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله ﷺ وقال: «يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج بها لك عند الله، قال: يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكن أكره أن يقال جزع عند الموت»⁽¹⁾ رواه الشيخان.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1360) رقم (1294)، ومسلم في الصحيح (24/39).

وأفاد الأستاذ: إن الهداية في الحقيقة إمالة القلب من الباطل إلى الحق وذلك من خصائص قدرة الحق. وتطلق الهداية بمعنى الدعاء إلى الحق توسعاً 355/ب وذلك جائز بل واجب في صفته عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: الآية 52]، ويقال لك: شرف النبوة ومنزلة الرسالة وجمال السفارة والمقام المحمود والحوض المورود وأنت سيد ولد آدم وتحية أهل العالم ولكنك لا تهدي من أحببت لأن خصائص الربوبية لا تصلح لمن وصفه البشرية ونعته العبودية.

﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 57] بعض قريش ﴿إِنْ نَجَّيْكَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَىٰ مَعَكَ﴾ [الآية 57] نؤمن بك ﴿تُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [الآية 57] نخرج من بلادنا لإجماع أهل مكة على خلاف مرادنا فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ﴾ [الآية 57] ألم نحسن إليهم ولم نجعل مكانهم ﴿حَرَمًا آمِنًا﴾ [الآية 57] ذا أمن بحرمة البيت الذي فيه يتفاخر العرب حوله وهم آمنون به ﴿يُجَبِّئُ إِلَيْهِ﴾ [الآية 57] وقرأ نافع بالتأنيث أي يحمل إلى الحرم وتجمع فيه ﴿ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا﴾ [الآية 57] أي ثمرات كثيرة من كل ناحية ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ [الآية 57] أي رزقاً لدينا من فضلنا وجودنا لتمام شهودنا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 57] جهلة لا يتفطنون ولا يتأملون، والمعنى هذا مع كفرهم في الدين فكيف نفرضهم التخوف والتخطف إذا كانوا موجودين فصاروا في عذرهم كاذبين معاندين.

وأفاد الأستاذ: إن من قام بحق الله سبحانه سخر له الكون بجملته ومن اشتغل برعاية سره الله وقام بحق الله واستفرغ أوقاته في عبادة الله سكن من التصرف بهيمته في مملكة الله، فالخلق له مسخر والوقت طلوع أمر والحق سبحانه متوالي أعماله وآماله يحقق ظنه ولا يضيع حقه ومن ضيعه يهلك في أودية ضلاله وبيته في متاهة حزنه ويبور بوزر هوانه.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبٍ﴾ [الآية 58] أي جماعة كثيرة من أهلها ﴿بَطَرَتْ﴾ [الآية 58] أشرت وطغت وبغت ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ [الآية 58] في معيشتها أو كفرت نعمتها ﴿فَإِنَّكَ مَسْكُونُهُمْ﴾ [الآية 58] حاوية وخالية ﴿لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[الآية 58] من السكنى أو لا يسكنها إلا المارة يوماً ما ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [الآية 58] منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر آثارهم.

وقال الأستاذ: لم يعرفوا قدر نعمتهم ولم يشكروا سلامة حالتهم وانتظام أمور معيشتهم فهامووا في أودية الكفران على وجوههم وخرّوا في وهدة الصغر على أذقانهم فأذاقهم كاسات الهوان لما كسر خمار بطرهم فمساكنهم عنهم خالية/ وسقوفهم عليهم خاوية وغراب التدبير فيهم ناعية. 356/أ

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ [الآية 59] عادته ﴿مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ [الآية 59] أصلها التي هي سوادها وأعمالها لأن أهلها أكثر فطانة وأعظم نباهة مع أنها مرجع غيرها ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [الآية 59] لإلزام الحجة وقطع المعذرة واستحقاق العقوبة ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [الآية 59] بالكفر والمعصية أو بتعدي بعضهم على بعض في المظلمة. وعن بعض المفسرين معناه: ما كان في حكمنا وقضائنا أن نهلك القرى ونخرب الديار حتى نبعث في أم القرى مكة رسولا يعرض عليهم القرى ثم نهلك من أعرض عن آياتنا وقبول ضيافتنا.

وقال الأستاذ: رسولا يأمن التكليف بأمرهم وبأمر التكوين على ما يريد نعتهم فيبعث الرسول إنذاراً ويعمي عليهم السبل اقتداراً يوضح الحجة بحيث لا شبهة في المحجة ولكنه لا يهدي إلا من سبق له السعادة بحكم القسمة.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 60] من أسباب الدنيا وبهجتها ﴿فَمَتَّعُ الْغَيَورَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الآية 60] ما هو إلا تمتع وزينة أياماً قليلة ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 60] وهو ثوابه من الجنة ونعيمها خير في نفسه من الدنيا وما فيها لأنه نعمة خالصة ولذة شاملة وبهجة كاملة وأبقى لوجوده أبداً أفلا تعقلون فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 60] وقرأ أبو عمرو بالغيبة وهو أبلغ في الموعظة.

قال النصرآبادي: الخلق كلهم عبدة النعم والقريب والعزير فيهم من يعبد المنعم من قطع عن الله بأي شيء فهو مغبون، قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ

مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿[الآية 60]﴾ خاطب به العوام وقال للخواص: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الآية 60].

وأفاد الأستاذ: أن الدنيا حلوة خضرة لكنها في التحقيق مرّة نفرة قشرها يوم أنها صفو ولكن من وراء صفوها حشواً.

﴿أَفَنَ وَعَدْنَهُ وَعَدًا حَسَنًا﴾ [الآية 61] وعداً بالجنة فإن حسن الوعد بحسن الموعود ﴿فَهُوَ لَقِيهِ﴾ [الآية 61] مدركه لا محالة في العقبي لامتناع الخلق في وعده بالمشوبة أو العقوبة ﴿كَمَنْ مَنَعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا﴾ [الآية 61] الذي هو شرب بالآلام والأسقام ممد بالمتاعب في الليالي والأيام ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنْ بَيْنِ الْمُخْضَرِينَ﴾ [الآية 61] / للحساب أو العذاب. قيل: نزلت الآية في النبي ﷺ وأبي جهل لكن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب.

قال أبو عثمان: من فرح بالدنيا فرح بغير مفروح به لأن أولها بلاء وأوسطها عناء وآخرها فناء، ومن عمل للأخرة وركن إليها وسعى سعيها آتاه الله خير الدارين لا محالة وأتته الدنيا وهي راغمة.

وأفاد الأستاذ: إن الدنيا سموم حنظلها هموم عسلها وتلف ما يحصل من شربها يغلب لطف ما يظهر من إربها وليس من أكرم بوجودان نعيم عقباه كمن فني بالوقوع في جحيم دنياه.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ [الآية 62] أي المشركين ﴿فَيَقُولُ أَأَنْ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الآية 62] إنهم شركائي ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ [الآية 63] وجب عليهم العذاب بثبوت مقتضاه وحصول مراده وقوله: ﴿لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: الآية 119] وغيره من آيات الوعيد والمراد منهم شياطينهم وسادتهم في الضلال خوفاً من أن يقول السفلة: لا ذنب لنا إنما الذنب لأصحاب الإضلال ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ [الآية 63] أي هؤلاء هم الذين ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ [الآية 63] ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ [الآية 63] أي فغوا غياء مثل ما غوينا وتسويلاً إليهم، أو المعنى اخترنا لهم إلا ما اخترنا لأنفسنا فلا عتب لهم علينا ولا مزية لهم لدينا ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ [الآية 63] منهم وتبعدنا لأجلك عنهم ﴿مَا كَانُوا بِإِيَّانَا يَمْبُتُونَ﴾

[الآية 63] وإنما كانوا يعبدون أهواءهم فنحن وهم سواء في الغواية واستحقاق العقوبة. اعترفوا بذنبهم وبما استحقوا من كسبهم وندموا حيث لا منفعة لندمهم.

﴿وَقِيلَ أَذْعُوا شُرَكَاءَكُمُ﴾ [الآية 64] ليخلصكم من بلائكم ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ [الآية 64] من فرط الحيرة ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ [الآية 64] لعجزهم عن الإجابة والنصرة ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ [الآية 64] لازماً بهم البتة ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ [الآية 64] من الصواب لما رأوا العذاب.

وقال الأستاذ: وإنما يكون ذلك من جهة التهويل وإبطال كيد أهل التضليل وإلا فمن أين لهم الجواب فضلاً عن الصواب والذي سألهم هو الذي على ما شاء حصلهم، فما ورد فعله إلا على فعله وما ظهر ما ظهر إلا من أصله فإذا تبرأ بعضهم من بعض تبين أنه لم يكن للأصنام استحقاق العبودية ولا لأحد من النفي والإثبات بالإيجاد والإحداث ذرية أو به/ شظية 357/أ كلا بل هو الله الواحد القهار.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ [الآيتان 65، 66] فخفيت عليهم أنباء الأنبياء ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [الآية 66] أي وقت ذلك النداء ﴿فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ﴾ [الآية 66] لا يسأل بعضهم عن بعض لفرط الدهشة والعناء.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه سألهم سؤال هيبة فلا يبقى لهم تمييز ولا قوة عقل ولا مكنة جواب تستولي عليهم الحيرة ويستمكن منهم الدهشة.

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ [الآية 67] من الكفر والكفران ﴿وَوَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [الآية 67] وجمع بين الإيمان والإحسان ﴿فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [الآية 67] في أمر الدنيا والدين وعسى تحقيق من الله على عادة الملوك الكرام وترج من التائب عن الآثام بمعنى فليتوقع أن يفلح بين الأنام وليكن بين الخوف والرجاء في ذلك المقام وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب لفعله ولا منازع لحكمه ولا مانع له من صنعه ﴿مَا كَانَتْ لَهُمْ آخِزَةٌ﴾ [الآية 68] ليس لهم الاختيار في أمورهم كما أنه ليس لهم الاعتبار في ظهورهم وظاهره نفي الاختيار عنهم من أصله فإنهم

عاجزون تحت قدره فإن اختيار العباد مخلوق باختيار الله أولاً ومنوط ثانياً بدواع الاختيار لهم فيها أصلاً.

وفي تفسير السلمي: كيف يكون للعبد اختيار والله له المختار، ثم إذا نظروا إلى الأحكام الجارية بجميل نظر الله لهم فيها وحسن اختياره فيما أجراه عليهم منها لم يكن عندهم شيء أفضل من الرضا بها والسكون معها.

قال السيد الولي أبو الحسن الشاذلي: لا تختار وإن كنت لا بد أن تختار فاختر أن لا تختار.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية 68] وقال الأستاذ: يخلق ما يشاء ﴿وَيَخْتَارُ﴾ [الآية 68] ما يشاء ومن يشاء من جملة ما يخلق ومن ليس إليه شيء من الخلق فما له وللاختيار والاختيار للحق استحقاق عزة يوجب أن يكون ذلك لأنه لو لم ينفذ مشيئته واختياره لم يكن بوصف العز لأن من بقي عن مراده لا يكون إلا ذليلاً فالاختيار للحق نعت عز وللخلق صفة نقص ونعت بلاء وقصور، فاختيار العبد عليه غير مبارك له لأن صفته هو غير مستحق لها ومن اتصف بما لا 357/ ب يليق به / افتضح بنفسه كما قال قائلهم:

وَمَعَالٍ إِذَا ادْعَاهَا سَوَاهُمْ لَزِمَتْهُ جَنَایَةُ السَّرَاقِ⁽¹⁾

والطينة إذا ادعت ما هو صفة الحق أظهرت رعونتها فما للمختار والاختيار وما للمملوك والملك وما للعبد والتصدر في نعت المملوك وما للتراب ورب الأرباب، قال تعالى: ﴿مَا كَانَتْ لَهُمْ الْخِیرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ﴾ [الآية 68] تنزهاً له أن ينازعه أحد في الأقدار ويزاحم اختياره الاختيار ﴿وَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 68] عن إشراكهم به ما ليس له مقدار في الاعتبار.

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ [الآية 69] من أحوالهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 69] من أعمالهم يستوي في علمه الأسرار والإظهار.

﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ [الآية 70] المستحق للعبادة ﴿لَا إِلَهَ﴾ [الآية 70] لا أحد

(1) نسب للمتنبي. انظر معجز أحمد (1/ 199)، وشرح ديوان المتنبي (1/ 178).

يستحقها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 70] وحده لا شريك له ﴿لَهُ الْخَمْدُ فِي الْأُولَى﴾ [الآية 70] أي الدنيا ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ [الآية 70] أي العقبى لأن المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمدته المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الأولى لقولهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْغُرْنَ﴾ [فاطر: الآية 34]، و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدُكُمْ﴾ [الزمر: الآية 74]، و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: الآية 43] ابتهاجاً بفضلته والتذاذاً بحمده ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ [الآية 70] القضاء النافذ في الأمور ﴿وَالَّذِي تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 70] بالحشر والنشور.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ [الآية 71] دائماً ﴿إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَةِ﴾ [الآية 71] لا نهار فيه أبداً ﴿مَنْ إِلَهُ﴾ [الآية 71] هل أحد ﴿غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَآ تَسْمَعُونَ﴾ [الآية 71] سماع نذير واستبصار في القضاء.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَةِ﴾ [الآية 72] لا ليل فيه مطلقاً ﴿مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [الآية 72] يأتيكم ﴿يَأْتِيكُمْ﴾ [يَأْتِيكُمْ] لِيلٍ تَسْكُنُونَ ﴿[الآية 72] استراحة عن متاعب الانشغال مما ينافيه ﴿فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 72] قدرة الله وآثار مبانيه وختم الآية الأولى بقوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [الآية 71] والثانية بقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 72] لمناسبة قوة السامعة بالليل وقوة الباصرة بالنهار.

وقال الأستاذ: فمن إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه إلى الله وتستريحون من أشغالكم بالخلوة مع الله إلا الله.

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [الآية 73] في ليله بأصناف سكونه ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية 73] في نهاره بأنواع كسبه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 73] بعض نعمه في اختلاف خلقه.

وأفاد الأستاذ: / أن الأوقات ظروف لما يحصل فيها من الأفعال 358/ أ والأحوال والظروف من الزمان متجانسة في الإدبار والإقبال وإنما اختلاف راجع إلى اعتبار ما يحصل فيها من الأعمال فليالي أهل الوصال سادات الليالي وليالي أهل الفراق أسوأ الليالي ثم ما أصحاب القرب ليايلهم قصار وكذلك

أيامهم وأرباب الفراق لياليهم طوال وكذلك جميع أوقاتهم من ليلهم ونهارهم كما يقول القائل:

والليالي إذا نأيت طوال وأراها إذا دنوت قصار⁽¹⁾

وقال الآخر:

والليل أطول وقت حين أفقدها والليل أقصر وقت حين ألقاها⁽²⁾

وقال الآخر:

يطول الليل لا ألقاك فيه وحول نلتقي فيه قصير⁽³⁾

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الآية 74] تقرير بعد تقرير لفعلهم للإشعار بأن الإشراك به أشنع عملهم، أو الأول لتقدير فساد رأيهم في مبانيهم والثاني لتحرير ضياع أمرهم بانفرادهم.

﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [الآية 75] وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه من أعمالهم وأحوالهم ﴿فَقُلْنَا﴾ [الآية 75] للأمم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [الآية 75] حجتكم على صحة ما كنتم تدعونه من طريقتكم ﴿فَعَلِمُوا﴾ [الآية 75] حينئذ ﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ [الآية 75] في الإلهية لا يشاركه فيها سواه ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الآية 75] وغاب عنهم ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الآية 75] من دينهم وصحة يقينهم.

قال بعضهم: أخرجنا من كل قوم ولياً فأطلعناه على أسرار قربنا ثم أذنا له فأظهر البرهان بناء لآية فعلم الخلق أن لا قيام لأحد بنفسه دون الحق وأمره.

وقال الأستاذ: كلا لا حجة لهم ولا جواب يفيدهم ولا شفيع يرحمهم

(1) نسب إلى عمر بن أبي ربيعة. انظر مختصر تاريخ دمشق (6/ 70)، وذكره القشيري في تفسيره (6/ 69).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (6/ 69).

(3) نسب إلى جميل بثينة. انظر الزهرة (1/ 22)، وزهر الأكم (1/ 216)، وأيضاً نسب إلى سليمان بن أبي دباكل. انظر سمط اللآلي (1/ 88)، وشرح ديوان الحماسة (1/ 144).

ولا ناصر يعينهم اشتهرت ضلالتهم واتضح للكافة جهالتهم فدام بهم عذاب الأبد وحاق بهم حجاب السرمد.

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ [الآية 76] كان ابن عمه وكان ممن آمن به ثم نافق في دينه ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 76] تكبر وتجبّر وظلمهم حيث جعله فرعون رئيسهم ﴿وَأَيَّنَّا مِنْ آلِ الْكُوفِ﴾ [الآية 76] من الأموال المدفونة أو المدخرة ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ [الآية 76] مفاتيح صناديقه ﴿لَسَنُؤْتِي بِالصُّبْحَةِ﴾ [الآية 76] لتنتقل بالجماعة الكثيرة ﴿أَوَّلَى الْفُؤَةِ﴾ [الآية 76] أصحاب الطاقة في تحمّل المشقة ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ﴾ [الآية 76] بالدنيا وزخرفها فإن نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها والعامل لا يلقي باله بمالها وجمالها ولا يلتفت إلى إقبالها وانتقالها بل ينظر في عاقبة أمرها ومآلها/ فإنها كما قال: من اطلع على حالها أشد الغم عندي في سرور تيقن عند صاحبه انتقالاً، ولذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: الآية 23] من أمور دنياكم إلا ما يعينكم على زاد عقباكم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [الآية 76] بزيينة الدنيا وبهجتها فإن الفرح بها مدة قصيرة وهو يوجب حسرة كبيرة وعقوبة كثيرة.

قال سهل: من فرح بغير مفروح به استجلب حزناً لا انقضاء له.

وأفاد الأستاذ: إنه جاء في القصص أن قارون كان من أعبد بني إسرائيل وكان قد اعتزل الناس وانفرد في صومعته يتعبد بالاستثناس فتصور له إبليس في صورة بشر وهيئته وأخذ في الظاهر يتعبد معه في صومعته حتى يعجب قارون من كثرة عبادته، فقال له يوماً: لسنا في شيء مستحسن لطريقتنا حيث عيوننا على أيدي الناس حتى يدفعوا إلينا شيئاً من ضرورتنا ولا بد لنا من أخذه في حاجتنا، فقال له قارون: كيف تحب أن تفعله، فقال: أن ندخل السوق يوماً في الأسبوع ونكتسب وننفق تلك القدر في جميع الأسبوع، فأجابه إليه ووافقه عليه مدة من الأيام ثم قال له: لست أنا وأنت في شيء من النظام، فقال: ما الذي تحب أن نعمل من الأحكام، فقال: نكتسب في الأسبوع يوماً للنفقة ويوماً آخر للمصدة، فأجابه إليه وتبعه فيما حكم عليه ثم

قال له: لسنا في شيء من هناك، فقال: وما ذاك، قال: إن مرضنا أو وقع شقاء لنا لا نملك قوت يوم عندنا، فقال: وما نفعل، فقال: نكتسب يوماً للنفقة ويوماً للصدقة ويوماً للذخيرة، فأجابه إليه واستمر عليه فلما علم عدوه أن حب الدنيا دخل قلبه ودّعه وقال: أنا مفارقتك قدم على ما أنت عليه، فصار من أمره وماله ما صار سبباً لقبح حاله حيث حمله حب الدنيا على جمعها وجمعها على حبها وحبها على البغي على أهلها وصار كثرة ماله شدة وباله وكم وعظ بترك الفرح بوجود الدنيا وترك المرح بالاستمتاع بها وكان عليه ألا يتعلق بما فيها، انتهى.

وقد قال بعض العارفين: من ترك حب الدنيا لا يقدر على ضلّاته
جميع الشياطين ومن أحبها لا يقدر على هدايته جميع المرسلين / ولذا قيل:
حب الدنيا رأس كل خطيئة وترك الدنيا أساس كل عبادة ثم الدنيا والآخرة
ضرتان لا تجتمعان، فقد قال ﷺ: «من أحب دنياه أضّرّ بآخريته ومن أحب
آخريته أضّرّ بدنياه»⁽¹⁾ فأثروا ما يبقى على ما يفنى.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ [الآية 77] أطلب لسبب ما أعطاك الله من الغنى
في الدنيا ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [الآية 77] بصرفه فيما يوجب حسن العقبى بأن تنفق في
مرضاة المولى فإن المقصود من الدنيا أن تكون وصلة إلى الأخرى ﴿وَلَا تَسْرُكْ
نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [الآية 77] أي ما ينفعك في العقبى أو تأخذ منها ما يكفيك
فيها أو الكفن الذي حظك منها حال انتقالك عنها.

وأفاد الأستاذ: أنه ليس النصيب من الدنيا جمعها ولا منعها وإنما
نصيبه فيها أن يكون له فائدة منها وذلك ما لا يعقب ندامة ولا يوجب في
الآخرة سلامة. ويقال: النصيب من الدنيا ما يحمل على طاعته بالنفس وعلى
معرفته بالقلب وعلى ذكره باللسان وعلى مشاهدته بالسر ﴿وَأَحْسِنَ﴾ [الآية 77]
إلى الفقراء لديك ﴿كَمَّا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [الآية 77] فيما أنعم عليك. وقيل:

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (4/ 343)، والبيهقي في السنن الكبرى (3/ 370) رقم (6308)، وابن حبان في الصحيح (2/ 486) رقم (709).

أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن الله إليك باليسر في النعمة ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 77] بارتكاب الظلم واكتساب المعصية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 77] لأمر فيها صلاح الدين.

قال القاسم قوله تعالى: أحسن، أي أعرض وجهك عن الكل بالإقبال عليه كما أحسن الله إليك حيث جعلك من أهل معرفته وأحسن مجاورة معرفته بطاعته فإنه أحسن إليك حيث أنعم عليك بالإيمان وهو من أعظم نعمته وأحسن إليك أن وفقك للخدمة فأحسن القيام بواجب العبودية وإخلاص النية. وأفاد الأستاذ: أن في الآية دلالة على أن الله على الكافر نعم دنيوية والإحسان الذي أمر به إنفاق النعمة في وجه الطاعة والخدمة حتى يتم له المعرفة. وقيل: يقابله بالشكران دون الكفران. ويقال: الإحسان رؤية الفضل والمنة دون توهم الاستحقاق للنعمة.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [الآية 78] أي فضلت الناس بذلك العلم والحال واستوجب لأجله التفوق عليهم بالجاء والمال، وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها. وقيل: علم الكيمياء، ورده بعض العلماء بأن قال: الأعيان/ لا يقدر 359/ب أحد عليها إلا الله سبحانه وتعالى. وقيل: علم التجارة والدهقنة⁽¹⁾ والعمارة.

قال سهل: ما نظر أحد إلى نفسه فأفلح في مقام أنسه ولا أعى له حالاً فتم له مالا والسعيد من الخلق من أعى بصره من أفعاله وأقواله وفتح له سبيل الفضل ورؤية منة الله تعالى عليه في جميع أحواله.

وأفاد الأستاذ: ما لاحظ أحد نفسه في بابه إلا هلك بإعجابه. ويقال: السم القاتل والذي يطفىء السراج المنير هو النظر إلى النفس وما لها من التدبير.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ فَدَّ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ [الآية 78] في العلم والحال ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ [الآية 78] لأصناف المال فلا يدل

(1) التجارة وهي معربة. انظر لسان العرب (13/ 163).

زيادة الدنيا على أن صاحبها يستحق رضا المولى ﴿وَلَا يَسْتَلْ عَنْ دُئِبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 78] سؤال استعلام فإن الله تعالى مطلع عليها بك يسألون سؤال توبيخ وتقريع فيما ركنوا إليها.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ [الآية 79] من مراكب وملابس وخدم وحشم في خدمته. قيل: خرج على بغلته سرجها من ذهب أصفر أشهباً وعليه حلة حمراء ومعه أربعة آلاف مشارك له في السماء ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الآية 79] أي الراغبون فيها والمائلون إليها ﴿يَلْبَسْنَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُتْرُونَ﴾ [الآية 79] من الجاه والمال ﴿إِنَّهُمْ لَدُونَ حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [الآية 79] في المنال.

قال ابن عطاء: أزين ما تزين به العبد المعرفة ومن نزلت درجاته عن درجات العارفين فأزين ما تزين به طاعة ربه ومن تزين بالدنيا فهو مغرور في زينته.

وسئل أبو عثمان: أي الزينة أجمل، قال: الأخلاق الجميلة ولو كان فوقه شيء لزين به حبيبه ﷺ ولقد قال له: ﴿وَأِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: الآية 4].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [الآية 80] بأحوال العقبي للمتممّنين من أحوال الدنيا ﴿وَيَلْعَنُكُمْ﴾ [الآية 80] زجر عما لا يرتضي ﴿ثَوَابُ اللَّهِ﴾ [الآية 80] أجره في الدنيا والعقبى ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [الآية 80] مما أوتي قارون بل من جميع ما في الدنيا ﴿وَلَا يُفْقَهَا﴾ [الآية 80] أي الكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب فإنه بمعنى الحسنى المثوبة أو الجنة العليا فعلى هذا من تنمة النصيحة للسفهاء ﴿إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الآية 80] الثابتون على الطاعة والكافرون عن المعصية والقانونون بالقسمة والمحنة. قال بعضهم: العالم بربه من يرى دوام نعماء عليه واتباع/ الآية لديه وقصود شكره عن وصول أنعمه سبحانه إليه. 360/أ

وقال الأستاذ: تمنى من رآه ممن كان في حب الدنيا ساواه أن يعطيه الله مثل ما كان أعطاه ومن كان صاحباً عن خمار غفلته متيقظاً بنور بصيرته قالوا: لولا أن من الله علينا بأن لم ننجرّ في حبله ولم ننخرط في سلوكه لوقع الهلاك بنا فالتمنّون مكانه ندموا والراضون بقسمته سبحانه سلموا، وهذا في العاجل إلى أن تظهر سعادتهم في الآجل.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [الآية 81] روي أنه كان يؤذي موسى عليه السلام في كل وقته وهو يداريه لقربته حتى نزلت الزكاة على أن يعطي واحداً من كل ألف فحسبه فاستكثره فقصد أن يفضح موسى بين بني إسرائيل فيرفضوه وينقادوا لقارون ويطيعوه، فبرطل بغية لترمي موسى بنفسها فلما كان يوم عيد قام موسى خطيباً فقال: من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى بمحصن رجمناه، فقال قارون: ولو كنت أنت، فقال: ولو كنت أنا، قال: إن بني إسرائيل مزعمون أنك فجرت بفلاة، فأحضرت فناشدها موسى بالله لأن تصدق، فقالت: جعل لي قارون جعلاً على أن أرميك بنفسي، فخرّ موسى شاكياً عنه إلى ربه فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت فقال: يا أرض خذيه، فأخذته إلى ركبته ثم قال: خذيه فأخذته إلى وسطه، ثم قال: خذيه فأخذته إلى عنقه، ثم قال: خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع لديه في هذه الأحوال ولم يرحم موسى عليه فأوحى الله إليه: ما أفظك استرحمك مراراً فلم ترحمه وعزتي وجلالي لو دعاني مرة لأجبت. ثم قال بنو إسرائيل: إنما فعله ليرثه من ماله، فدعى الله حتى خسف بداره وأمواله. هذا وفي الحديث إنه ليتجلجل إلى يوم القيامة⁽¹⁾.

قال الأستاذ: وفي القصة أنه كان يخسف به كل يوم زيادة معلومة فلما حبس يونس في بطن الحوت أمر الحوت أن يطوف في البحر لثلا يضيق قلب يونس فانتهى إلى قارون فسأله قارون عن موسى وكيف حاله فأوحى الله إلى الملك أن لا يزد في خسفه لحرمة أنه سأل عن ابن عمه ووصل به رحمه.

﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ﴾ [الآية 81] جماعة أعوان يميلون ﴿يَصُورُونَ مِنْ دُونِ﴾ [الآية 81] / يدفعون عذابه لديه ﴿اللَّهُ وَمَا كَانِ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [الآية 81] 360/ ب المتمنعين من عذابه أو المنتصرين بنفسه. والمعنى لا أحد يمنعه من عذاب ربه ولا هو يمنعه عن نفسه.

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ﴾ [الآية 82] منزلته ﴿بِالْأَمْسِ﴾ [الآية 82] منذ

(1) أخرجه أحمد في المسند (497/2) رقم (10459).

زمان قريب من قضيته وهو يتناول معنى الأمس مجازة وحقيقة ﴿يَقُولُونَ وَيَكَاكَ اللَّهُ﴾ [الآية 82] وي كلمة تنذم وتعجب والكاف للتعليل والمعنى تنذمنا على ما قلنا وتعجبنا مما غفلنا لأن الله ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 82] يوسع ويضيق بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لمهانة يوجب القبض ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الآية 82] فلم يعطنا ما تمنينا ﴿لَخَسَفَ بَنَّا﴾ [الآية 82] لأننا وددنا أن نكون مثله في الدنيا. وقرأ حفص بفتح الخاء والسين أي لخسف بنا الأرض ﴿وَيَكَاكَ لَا يَقْلُحُ الْكَافِرُونَ﴾ [الآية 82] لنعمه أو المكذبون برسله.

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ [الآية 83] أي نصيبها ﴿تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 83] تكبراً على الخلق واستكباراً عن الحق ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ [الآية 83] ظلماً يشوشون عبداً كما أراده فرعون حيث علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً وقارون فإنه بغى عليهم ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ [الآية 83] المحمودة عند الله ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 83] مآلاً يرضاه.

قال ابن عطاء: العلو النظر إلى النفس والهوى والفساد النظر إلى الدنيا.

قال حمدون: لا أحد أدون ممن تزين بدار فانية ويحمد إلى من لا يملك ضره ونفعه.

وأفاد الأستاذ: إن الزهاد لا يريدون في الأرض علواً والعارفون لا يريدون في الآخرة الجنة. ويقال: تلك الدار الآخرة للعباد والزهاد وهذه الرحمة الحاضرة لأرباب الافتقار والانكسار. وقيل: العلو في الدنيا أن يتوهم أن على البسيطة أحد هو شر منه والفساد أن يتحرك لحظ نفسه ونصيبه ولو بنفس وخطوة ولحظة وهذا للأكابر، وأما العوام والأصاغر ف ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾ [الآية 83] كعلو فرعون ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ [الآية 83] كفساد قارون.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ [الآية 84] ذاتاً وقدرًا ونفعاً أو فله خير من

جهتها وبسببها/ ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الآية 84] 361/ أ
بالإصرار عليها ﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 84] مثل أعمالهم كمية وكيفية لا
زيادة عليها ولا نقصان عنها. والمثلي وأقيم مقامه الفعل مبالغة في المماثلة.

قال ابن عطاء: لا ثواب خير من الطاعة إلا الرؤية والرؤية فضل لا
مثوبة فإنه يقول من أحسن آداب الخدمة في جميع الأفعال وأظهر سنن
العبودية في كل الأحوال فله خير منها وهو الفضل وهو الرؤية. وقال أيضاً:
معرفة الله بالوحدانية أفضل حسنة إذ لحسنته بها يكون حسنة.

وأفاد الأستاذ: أن ثواب الحسنة في التضعيف وأمر السيئة بناؤه على
التخفيف.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [الآية 85] أوجب عليك تلاوته وتبليغه
ومتابعته ﴿لِرَادِّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [الآية 85] أي مقام محمود وعدك أن يبعثك فيه في
المعاد أو إلى مكة بفتحها وما يتبعها من البلاد ودخول الناس في دين الله أفواجا
من العباد ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾ [الآية 85] وما يستحقه من الثواب في
المعاد والنصر والظفر على البلاد ﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الآية 85] عن تهية
الزاد.

وأفاد الأستاذ: أن المعاد في الظاهر مكة وكان يقول كثيراً: الوطن
فحقق الله سؤله بالإجابة وأما في السر والإشارة الذي فرض عليك قراءة
القرآن والذي يسألك قراءة القرآن والذي أنزل عليك القرآن لرادك إلى معاد
الوصف الذي كان عليه روحك قبل حلول سجلك من ملاذعات القرب
ومطالعات الحق. وقيل: الذي نصبك بأنصاب التفرقة بالتبليغ وأنصاب
الشريعة لرادك على عين الجمع بالحق بالفناء عن الخلق. ويقال: إن الذي
أقامك بشواهد العبودية فيما أثبتك به لرادك إلى الفناء عنك بمحقق في وجود
الحقيقة.

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية 86]
لكن ألقاه إليك رحمة من رب الأرباب ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ [الآية 86]

بمداراتهم والتحمل عنهم والإجابة إلى طلبتهم في سد هذا الباب.

وقال الأستاذ: ما كنت تؤمل محل النبوة ومقام الرسالة وشرف
361/ب المخاطبة/ وما أظهرنا عليك من أحوال الوجد وحقائق التوحيد ودقائق
المعرفة.

﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية 87] عن تلاوتها ومتابعتها ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ
إِلَيْكَ﴾ [الآية 87] قراءتها ﴿وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 87] إلى معرفته وطاعته على
وفق آياته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 87] حقيقة الخطاب لأهل دينه وملته.

وقال الأستاذ: ما وجدته لحكم الذوق والشهود والإدراك والوجود لا
يتداخلك تهمة التجويز وسؤالات العلماء بما يدعون من أحكام العقول إذ ما
يدرك في شعاع الشمس لا يحكم ببطلانه وخفائه في نور السراج.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ﴾ [الآية 88] فضلاً عن أن تترك الله وتعبد ما
سواه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 88] يستحق أن يُطلب رضاه ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا
وَجْهَهُ﴾ [الآية 88] إلا ذاته المقدس عن الفناء، فإن ما عداه ممكن هالك في حد
ذاته معدوم في نعته يساعده حديث: «أشعر كلمة قالها قوم ليبيد: ألا كل شيء ما
خلا الله باطل»⁽¹⁾، ويؤيده قول بعض أرباب الشهود: سوى الله والله ما في
الوجود.

وكان أبا يزيد هذا المعنى يريد بقوله: ليس في جنبي سوى الله. وكما
أشار إليه بعض أصحاب الأسرار: ليس في الدار غير ديار.

والحاصل أنه ليس في نظر أرباب الشهود في جميع مراتب الوجود غير
الله وصفاته ومصنوعاته، وهذا معنى قول بعضهم: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت
الله فيه أو قبله أو بعده باختلاف مقاماته وحالاته أو إلا ما أريد به وجهه فإن
كل عمل لم يرد به وجه الله فهو باطل في حقه فإن في نفعه قاله مجاهد
والثوري وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرر له ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ [الآية 88] القضاء

(1) سبق تخريجه.

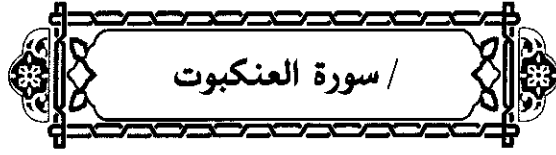
النافذ في الخلق ﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 88] للجزاء بالحق.

وأفاد الأستاذ: إن وجهه صفة من صفاته لا يستقل إلا به ففي بقاء وجهه بقاء ذاته لأن الصفة لا تقوم إلا بوجود ولا يكن هو باقياً إلا بوجود أوصافه الذاتية الواجبة له، ففي بقاء الوجه بقاء الحق بصفاته تم.

وقد ختم هذا الجزء الثاني الذي من تفسير القرآن/ بحمد الله وعونه 362/أ وحسن توفيقه والله المستعان وإليه المرجع والمآب.

وكان الفراغ من كتابته يوم الإثنين المبارك ثالث يوم من شهر رجب المكرم شهر الله من شهور سنة ألفاً ومائة وتسعة وثلاثون من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

وحسبنا الله ونعم الوكيل



/ سورة العنكبوت

[مكية]

وهي تسع وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن بسم الله اسم ذكره يوجب خطوة العابدين وعداً وسماعه يوجب سلوة الواجدین نقداً اسم من ذكره وصل إلى مثوبته في آجله ومن سمعه حظي بتقريبه في عاجله.

﴿الْم ۝﴾ [الآية 1] أي أن الله أعلم بمن يستحق العلم وإلا لم مما جرى به القلم.

﴿أَحْسِبَ النَّاسَ ۝﴾ [الآية 2] أظنوا ﴿أَن يُتْرَكُوا ۝﴾ [الآية 2] على عافية بلا محنة ﴿أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا ۝﴾ [الآية 2] أي بقولهم آمنا ولقولهم أطعنا ﴿وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ ۝﴾ [الآية 2] لا يمتحنون بالتكاليف الشاقة كالمحاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وأنواع المصيبات لتمييز المخلص من المنافق والمخالف في الدين من الموافق والكاذب في الدعوى من الصادق وروي أنها موهمة في ناس من المسلمين جزعوا من أذى المشركين.

فالآية نظير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ ۝﴾ [آل عمران: الآية 142] وهذا معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۝﴾ [الآية 3] أي ذلك سنة قديمة جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافها وفيه نوع تسلية لمن ابتلي ببليّة فإن البليّة إذا عمت طابت ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ ۝﴾ [الآية 3] أي فليتعلق علمه بسبب الامتحان تعلقاً حالياً يتميز به الذين صدقوا في الإيمان والذين كذبوا في دعوى العرفان

وينوط به ثواب الأولين في الجنان وعقاب الآخرين في النيران.

قال ابن عطاء: ظن أنهم يتركون مع دعاوى المحبة فلا يطالبون بحقائقها وحقائق المحبة هو ضرب البلوى على المحب وتلذذه بالبلاء، فبلاء يلحق جسده، وبلاء يلحق قلبه، وبلاء يلحق سره، وبلاء يلحق روحه، فبلاء في الظاهر وهو الأمراض والأسقام وفي الحقيقة ضعفها عن القيام بخدمة القوي بعد مخاطبته إياه بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: الآية 56] وبلاء القلب تراكم الشوق ومراعاة ما يرد عليه في الوقت بعد الوقت من ربه والمحافظة على أحواله مع الحرمة والهيبة، وبلاء السر هو المقام مع من لا مقام للخلق معه والرجوع إلى / من لا وصول للخلق إلا إليه، وبلاء الروح 2/ب حصول الروح في القبضة والابتلاء بالمشاهدة وهذا مما لا طاقة لأحد فيه.

وقال عبدالعزيز المكي: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا﴾ [الآية 2] بالدعاوى وهم لا يجربون أي بالأوامر والنواهي والنعم ما قيل فما أيسر الدعوى وما أعسر المعنى.

وقال ابن عطاء: يتبين صدق العبد من كذبه في أوقات الرخاء والبلاء فمن شكر في أيام الرخاء وصبر في أيام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في أيام الرخاء وجزع في أيام البلاء فهو من الكاذبين.

وقال الواسطي: هب إنك تنجو من النفس والهوى كيف تنجو من الحكم والقضاء؟

وقال الأستاذ: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا﴾ [الآية 2] بمجرد الدعوى في إيمان دون المطالبة عليها بإخراجها عن أوطان الكسل وتصرفها في حسن العمل وعلى القلوب بلاء وهو مطالبته بالطلب الواثق والفكر الصادق بتطلع البرهان على التوحيد والتحقق له بالعلم وعلى الأرواح بلاء وهو التجرد عن صحبة كل أحد وعن كل سبب والتباعد عن المساكنة بشيء من المخلوقات وعلى الأسرار بلاء وهو الاعتكاف بمشاهد الكشف بالصبر على آثار التجلي إلى أن يصيره مستهلكاً فيه ويقال فتنة العوام في أيام النظر والاستدلال وفتنة الخواص

في حفظ آداب الوصول في أوان المشاهدات وأشد الفتن حفظ وجود التوحيد لئلا يجري عليه مكر في أوقات غلبات شواهد الحق فيظن أنه هو الحق فلا يدري أنه من الحق ولا يقال أنه من الحق وعزيز من يهتدي إلى ذلك ثم لم يخلهم من البلاء والمحن ليظهر صبرهم في البلاء أو ضده من الضجر وشكرهم في الرخاء أو ضده من الكفران والبطر وأنهم في البلاء على ضروب فمنهم من يصبر في حال البلاء ولا يشكر في حال البلاء، ويشكر في حال النعماء وهذه صفة الصادقين ومنهم من يضجر ولا يصبر في البلاء ولا يشكر في النعماء فهو من الكاذبين ومنهم من يؤثر في حال الرخاء ولا يستمتع بالعطاء ويستروح إلى البلاء ويستعذب مقاساة العناء وهذا أجلهم في مقام اليقين.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [الآية 4] من الأعمال الظواهر والأحوال السرائر 3/أ ﴿أَنْ يَسْفُتُوا﴾ [الآية 4] / أن يفوقونا ويعجزونا فلا نقدر أن نجازيهم على مساوئهم ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الآية 4] ويش ما يعملون.

قال القاسم: أن يسبقونا ما كتبنا عليهم من محتوم القضاء وما قدرنا عليهم من ماضي الحكم فيهم.

وقال الأستاذ: أي يرتكبون المخالفات ثم يحكمون لأنفسهم بالنجاة ساء حكمهم متى ينجو من العذاب من ألقى جلاباب التقى ويقال توهموا أنه لا نشر ولا حشر ولا محاسبة ولا مطالبة ويقال اغتروا بإمهالنا اليوم إياهم وتوهموا أنهم منا انفلتوا وظنوا أنهم قد آمنوا ويقال ظنوا أنهم باجتراحهم السيئات جرى التقدير لهم بالسعادة أن يؤخروا حكمنا، كلا لا يشقى من جرت قسمتنا له بالسعادة وهيئات أن ينجو من سبق الحكم بالشقاوة.

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ [الآية 5] في دار البقاء أو الوصول إلى الجزاء ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ [الآية 5] أي الوقت المضروب للقاء ﴿لَآتٍ﴾ [الآية 5] لجاء على وفق الرجاء فليبادر ما يحقق الأمل ويصدق الرجاء أو ما يستوجب القرية والرضا ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية 5] لأقوال العباد ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 5] بأحوال البلاد.

وفي «تفسير السلمي» قيل: من يرجو لقاء الله فليسأل ربه السؤال الملح

المحتاج وليطلب منه طلب الراغب المشتاق.

وأفاد الأستاذ: أن المعني من خاف العذاب يوم الحساب فيحشر ويلقى المحشر ويجد الأمان الموعود منا لأهل الخوف اليوم ومن أمل الثواب يوم البعث فسوف أن يرى ثواب ما أسلفه من العمل ومن زجّ عمره في رجاء لقائنا فسوف يباح له النظر إلينا وسوف يتخلص من الغيبة والفرقة لدينا وهو السميع لأنين المشتاقين العليم بحنين المحبين الوالهيّن.

﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ [الآية 6] نفسه بالصبر على مشقة الطاعة وعن الشهوة ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [الآية 6] لأن منفعتة لها لا يتعدها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 6] فلا حاجة به إلى طاعتهم وإنما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لمنفعتهم.

وأفاد الأستاذ: أن من أحسن فنجاة نفسه طلبها وسعادة حاله حصلها ومن أساء فعقوبة نفسه جلبها وشقاوة حدّه اكتسبها ويقال ثواب المطيعين إليهم مصروف وعذاب العاصين عليهم موقوف/ والحق عزيز لا يلحقه بالوفاق 3/ب زين ولا يمسه من الشقاق شين.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 7] بالمغيبات ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 7] بارتكاب المأمورات واجتناب المنهيات ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [الآية 7] السابقة بالطاعات اللاحقة بالكفر بالإيمان والمعاصي بما يتبعها من العبادات ﴿وَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 7] أحسن جزاء أعمالهم على وفق ما جرى في أحوالهم.

وقال الأستاذ: إن من رفع إلينا خطوة نال منا كلّ خطوة ومن ترك فينا شهوة وجد منا ألف صفوة فنصيبهم من الخيرات موفور وما يصيبهم من الزلات مغفور بذلك أجرينا سنتنا وهو متناول حكما وقضيتنا.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا﴾ [الآية 8] أمرناه بإتيانه إليهما فعلا ذا حسن وقرئ حسناً وإحساناً ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ﴾ [الآية 8] دليل ميدان البرهان أيها الإنسان ﴿لَتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الآية 8] وعبر عن نفيها بنفي العلم بها إشعاراً بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فضلاً عما علم بطلانه

وانتفى برهانه ﴿فَلَا تُطْعَمُهُمْ﴾ [الآية 8] في ذلك فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿إِلَّا مَرْحُومُكُمْ﴾ [الآية 8] مرجع من آمن ومن أشرك ومن برّ بوالديه ومن عاق منكم ﴿فَأَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 8] بالجزاء عليه من الثواب أو العقاب والآية نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه فإنها لما سمعت بإسلامه حلفت أن لا تنتقل من الشمس ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتدّ ولبتت ثلاثة أيام كذلك فلم يطعها سعد بل قال: والله لو كان مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم نفساً.

وأفاد الأستاذ: إن الله تعالى أمر العباد برعاية حق الوالدين تنبيهاً على عظم حق التربية وإن كان تربية المخلوق وهي وإن خست فإلى حدّ توجب رعايتها بحكم الكريم فما الظن برعاية حق الله تعالى من الإحسان العميم بالعبد والامتنان القديم الذي خصه به قبل وبعد ثم قال: ﴿وإن جَهْدَكَ لِتُشْرِكَ﴾ [الآية 8] بالله فإياك أن تطعهما ولكن رد بلطف وخلاف برفق، ويقال: من لم يصلح لحفظ حق من هو من جنسه أتى يصلح / لبساط صحبة سيده. 4/أ

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [الآية 9] في جملة الأنبياء والأصفياء فالكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى أنبياء الله والمرسلين حيث دعوا بقولهم الحقنا بالصالحين.

وقال الأستاذ: أي لنلحقنهم الذين أصلحوا من قبلهم فإن المعهود من سنتنا إلحاق الشكل بشكله وإخراجكم المثل على مثله.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ [الآية 10] وتركنا ما سواه ﴿فَإِذَا أُذِيَ فِي اللَّهِ﴾ [الآية 10] بأن عذبه الكفرة لأجل الإيمان بالله ومتابعة رضاه ﴿جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الآية 10] ما يصيبه من أذيتهم بسبب صرفه عن الإيمان إلى طريقتهم ﴿كَمَذَابِ اللَّهِ﴾ [الآية 10] أي في الصرف عن الكفر وموافقة هواه ﴿وَلَمَّا جَاءَ نَصْرٌ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 10] فتح وغنيمة ﴿لَقَوْلُنَا إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ [الآية 10] في الدين فأشركونا فيه فإننا من المؤمنين المجاهدين كما هو دأب المنافقين ﴿أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 10] من الإخلاص في الإيمان والنفاق في الدين.

﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 11] بقلوبهم مخلصين ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [الآية 11] فيجازي الفريقين بأعمالهم على حسب أحوالهم والعبرة بسرائرهم لا بظواهرهم قال بعض العارفين ليس الإيمان ما يتزين به العبد من الأقوال والأفعال ولكن الإيمان ما جرى به السعادة في سوابق الأزل وإنما ظهورها على الهياكل ربما يكون عواري وربما يكون حقائق.

وأفاد الأستاذ: أن المحن تظهر جواهر الرجال وهي تدل على قيمهم وأقدارهم في الأحوال فقدره وقيمه يظهر في محنته فمن كانت محنته من فوات الدنيا ونقصان نصيبه منها أو كانت محنته بموت قريب من الناس أو بفوت حبيب من الخلق فحقير قدره وكثير في الناس مثله ومن كانت محنته في الله والله فعزیز قدره وقليل من كان مثله فهم في العدد قليل ولكن في القدر والخطر جليل وبقدر الوقوف في البلاء يظهر جواهر الرجال وفطرتهم ويصفوا عن الحنث نفرتهم والمؤمن من يكن الأذى / والولي من يتحمل عن الخلق 4/ ب الأذى ويتشرب ولا يترشح بشكوى ولا إظهار دعوى كالأرض يلقي عليها كل خبث وقدره فتنت كل نزهة وكل خضرة قال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ ﴿١١﴾ [الآية 11].

إذا اشتبكت دموع في حدود تبين من بكى ممن تباكى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ [الآية 12] الذي نسلكه في ديننا ﴿وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ [الآية 12] إن كان ذاك خطبه أو إن كان بعث ومؤاخذه ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ﴾ [الآية 12] أي خطايا غيرهم ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 12] أي شيء بناءً على زعمهم ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الآية 12] في دعواهم.

﴿وَلْيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ﴾ [الآية 13] أوزار ما اقترفته أنفسهم ﴿وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [الآية 13] وأوزار آخر مع أوزارهم لما تسببوا إليها بالإضلال والحمل على المعاصي من غير أن ينقص من أوزار من تبعهم شيء من الوبال ﴿وَلَيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْفَيْكَةِ﴾ [الآية 13] سؤال تقريع ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 13] من الأباطيل التي أضلوا بها أتباعهم فيها.

قال أبو عثمان: ما أرى هذه الآية إلا في المدعين من غير حقيقة في حالهم يحملون أثقالهم وأثقال من يقتدي بهم في دعاويهم.

وقال أبو بكر الوراق: هم أعوان الظلمة.

وأفاد الأستاذ: أنهم ضمنوا بما لم يفوا وأخلفوا فيما وعدوا فما حملوا عنهم من خطاياهم شيئاً كما زعموا بل زاد وابل على نفوسهم احتقنوا وزر ما عملوا وطولبوا بوزر ما أمروا فيضاعف عليهم العقوبة ولم يصل من جهتهم إلى أخذ شيء من الراحة وما مواعيدهم إلا مواعيد عرقوب أخاه بيثرب⁽¹⁾ وسيلحق بهؤلاء وأصحاب الدعاوى والمتشبهين بأصحاب الحقائق وأرباب الدقائق:

من تحلى بغير ما هو فيه فضح الامتحان ما يدعيه

﴿قُلْ هَآئِذَا بَرَأْنَاهُ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: الآية 64] هيهات هيهات.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الآية 14] يدعوهم إلى توحيد ربه ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [الآية 14] بعد مبعثه إذ روي أنه بعث على رأس أربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطرفان ستين وفي الفضة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنبيه على ما يكابد من الكفرة والمشركين ﴿فَاخْذَهُمُ الْأُطُوفَاتُ/ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [الآية 14] أنفسهم بمخالفة الدين. 5/أ

﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ [الآية 15] أي نوحاً ﴿وَأَصْحَبَ السَّفِينَةِ﴾ [الآية 15] من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ [الآية 15] أي السفينة أو القضية ﴿آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الآية 15] يتعظون بها ويستدلون بها.

(1) عرقوب: هو رجل من العماليق أتاه أخ له يسأله شيئاً فقال: إذا طلع النخل فلك طلعه. فلما أطلعت أتاه للعدة فقال: دعها حتى تصير زهراً ثم رطباً ثم تمرأ. فلما أثمرت عمد إليها في الليل ولم يعط أخاه شيئاً منها فصار مثلاً في الخلق، وفيه يقول الأشجعي الشاعر:

وعدت وكان الخلف منك سجية
مواعيد عرقوب أخاه بيثرب
انظر: المجالسة وجواهر العلم للدينوري (١/١٨٦) رقم (٨٥٩).

وقال الأستاذ: ما زادهم طول مقامه إلا شكاً في أمره وجهلاً بقدره ومرية في صدقه وريبة في حكمه ولم يزد نوح عليه السلام لهم إلا نصحاً وذكرأً ولا في الله إلا صبراً وشكراً ولقد عرفه الله إنه لن تؤمن منهم إلا الشرذمة⁽¹⁾ اليسيرة الذين كانوا قد آمنوا وأمره باتخاذ السفينة وغرق الكفار وما غادر منهم أحد وصدق وعده ونصر عبده ولا يبدل بنصرة دينه قط ستة أي ولو بعد ألف سنة.

﴿وَإِذْ هَبْنَا﴾ [الآية 16] أي أرسلناه أو اذكره ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وخذوه ﴿وَاتَّقُوا﴾ [الآية 16] أي مخالفته أو عقوبته ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية 16] مما أنتم عليه من أمركم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 16] خيركم من شركم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كرر ذكر إبراهيم عليه السلام في هذه القصة وكيف أقام على قومه الحجة وأرشدهم إلى سواء الحجة ولكنهم أصروا على ما جحدوا وتعصبوا لما من الأصنام عبدوا وكادوا لإبراهيم كيداً ولكن انقلب ذلك عليهم من الله مكرأً بهم واستدراجاً لهم ولم ينجع فيهم نصحه ولا وجد منهم مساعاً وعظة.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ [الآية 17] أصناماً ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [الآية 17] تكذبون كذباً في تسميتها آلهة وادعاء أن لها عند الله شفاعة ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 17] زوراً وإفكاً ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [الآية 17] كله فإنه المالك له ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ [الآية 17] بالإيمان ﴿وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾ [الآية 17] بالإحسان ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 17] ومنه ترجون.

قال سهل: اطلبوا الرزق بالتوكل على الرب قال سبيل العوام طلب من الكسب.

وقال الأستاذ: لا يدري أعمالكم في عبادتكم إياها أقيح أو سخ أم أقوالكم فيما تزعمون من الكذب أوبخ إنما تعبدون من هذه الجمادات لا نفع تملك ولا ضرر

(1) الشرذمة: القليل من الناس. انظر لسان العرب (322 / 12) مادة شرذم.

ولا خير تقدر عليه ولا شر ولا تملك أن ترزقكم فإنه فعل من يخلقكم وفيه تنبيه على أنهم لم يكونوا خالين عن ملاحظ الحظوظ / وطلب الرزق فقال: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ [الآية 17] ثم قال: ﴿وَاعْبُدُوهُ﴾ [الآية 17] لأن ابتغاء الرزق من الله بأدائه الصلاة في رضاه فإن الصلاة، استفتاح باب الرزق لأصناف الخلق قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: الآية 132] لكل إنسان رزقه نحن نرزقك ويقال: ابتغاء الرزق بشهود موضع الفاقة فعند ذلك يتوجه بالرغبة إلى الله تعالى في استجلاب النفقة وقدم ابتغاء الرزق على العبادة لأنه لا يمكن القيام بالعبادة إلا بعد الكفاية فبالقوة يمكنه أداء العبادة وبالرزق يجد القوة ولقد قالوا:

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه فمكروه ما يلقي يكون جزاؤه

﴿وَأَشْكُرُوا لَهُ﴾ حيث كفاكم أمر الرزق حتى تفرغتم إلى عبادة الحق.

﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا﴾ [الآية 18] أي وأن تكذبوني فيما أقول لكم ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية 18] من قبلي من الرسل إليهم فلم يضرهم تكذيبهم وإنما ضر أنفسهم حيث سبب لنزول العذاب بهم فكذا لا يضرني تكذيبكم ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمَيْتِ﴾ [الآية 18] الذي زال معه الشك في الدين وما عليه أن يصدق ولا يكذب بعد وضوح طريق اليقين.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [الآية 19] وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالخطاب أي أو لم ينظروا أولم يعلموا ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ [الآية 19] ينشئهم من مادة وغيرها ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الآية 19] أي يعيد الخلق إلى مبدئه من الفناء بموته وقيل إخبار بالإعادة بعد الموت معطوف على أولم يروا لا على يُبدئ فإن الرؤية عن واقعة عليه ولو علميه ولا يبعد أن يكون رؤية الإبداء حقيقة بصرية ورؤية الإعادة حكمية نظرية فإن من قدر على النشأة الأولى قدر على النشأة الأخرى وجوز أن يكون الإعادة والإنشاء في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة عن الأزهار والأثمار ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ [الآية 19] ما ذكر من أمر الإنشاء والإعادة ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الآية 19] لأنه على كل شيء قدير.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 20] أي سافروا آفاقاً أو سيرا نفسياً ﴿فَانظُرُوا

كَفَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴿[الآية 20] على اختلاف أجناسهم وأصنافهم وألوانهم وأحوالهم ﴿ثُمَّ اللَّهُ/ يُشِئُ النِّشَاءَ الْآخِرَةَ﴾ [الآية 20] بعد النشأة الأولى التي هي 6/ أ الإبداء فإنه والإعادة نشأتان من حيث أن كلاً اختراع وابتداع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو النشأة بفتح الشين ممدودة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 20] فمن عرف بالقدرة على الإبداء يحكم له بالقدرة على إعادة الإنشاء والإيجاد بعد الإفناء لأنه قدرته لذاته ونسبة ذاته إلى كل الممكنات على السواء.

وأفاد الأستاذ: أن الذي داخلهم فيه الشك كان بعث الخلق في القيامة فاحتج عليهم بما أراهم من إعادة فصول السنة فكما أن ذلك شائع في عاداته سائغ في قدرته عن مستنكر في مشيئته فكذلك بعث الخلق وإعادته فكما تكرر فصول السنة تكرر أحوال العامة المشتركة بين الكافة والخاصة من استيلاء شهوات النفوس واللهوات ثم زوالها إلى موالات الطاعات ثم حصول الفترة والعود إلى مثل تلك الحالة ثم بعد ذلك الانتباه بالتوبة ثم كذلك يكرر عليهم الأحوال باختلاف الأعمال وكذلك أرباب القلوب بتعاقب أحوالهم في الفيض والبسط ثم في الهيئة والأنس ثم في التجلي والسر ثم في البقاء والفناء وكذلك في المحو والصحو ونحوهما وفي معنى تكرير الأحوال أنشدوا هذا المثل:

كل نهر فيه ماء قد جرى فإليه الماء يوماً سيعود⁽¹⁾
﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 21] عقوبته ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 21] رحمته
﴿وَالَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ [الآية 21] وإلى حكمه وفق مشيئته ترجعون قيل يعذب من يشاء
بالمعصية ويرحم من يشاء بالطاعة وقيل يعذب من يشاء بالحرص ويرحم من
يشاء بالقناعة وقيل يعذب من يشاء بسوء الخلق ويرحم من يشاء بحسن الخلق
وقيل يعذب من يشاء بالإعراض عنه ويرحم من يشاء بالإقبال عليه وقيل يعذب
من يشاء بأن ييغضه إلى الخلق ويرحم من يشاء بأن يحببه إلى الخلق وقيل يعذب
من يشاء باختلاط الخلق ويرحم من يشاء بالأنس بالحق.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 192) و(6/ 98).

6/ب

وأفاد الأستاذ: أن أجناس ما يعذب به عباده/ وأنواع ما يرحم به عباده لا نهاية لها ولا حصر بها فمن ذلك أنه يعذب من يشاء بالخذلان ويرحم من يشاء بتوفيق الإحسان ويعذب من يشاء بالكفران ويرحم من يشاء بالإيمان ويعذب من يشاء بالجحود والعنود ويرحم من يشاء بالتوحيد والوجود ويعذب من بتفرقة الهم ويرحم من يشاء بجمعية الحلم ويعذب من يشاء بإلقائه في ظلمة التدبير ويرحم من يشاء بإشهاده جريان التقدير ويعذب من يشاء بالاختيار من نفسه ويرحم من يشاء برضاء بحكم ربه ويعذب من يشاء بحب الدنيا ويمنعها عنه ويرحم من يشاء بزهده فيها وبسطها عليه ويعذب من يشاء بأن يثبته في أوطان العادة ويرحم من يشاء بأن يقيمه لأداء العبادة.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الآية 22] بفائتين لربكم عن إدراككم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 22] إن فررتم من قضائه بالتواري فيها أو الهبوط في مهاوئها ﴿وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [الآية 22] أي التحصن بها أو القلاع الذاهبة إليها ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية 22] يحرسكم عن بلاء يظهر من الأرض فيرفعه منكم أو ينزل من السماء فيدفعه عنكم.

وقال الأستاذ: بل يقلب الجملة في القبضه ويجري عليهم أحكام التقدير وفق القسمة وطبق المشيئة جحدوا أم وحدوا أقبلوا أم أعرضوا.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِدُوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 23] بكتبه أو دلائل وحدانيته ﴿وَلِقَائِهِ﴾ [الآية 23] بالبعث وإعادته ﴿أُولَئِكَ يَبْشِرُونَ مِنْ رَّحْمَتِي﴾ [الآية 23] في الدنيا ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 23] في العقبي وفي الحقيقة وقعوا في عقوبته حيث أيسوا من رحمته.

﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [الآية 24] أي بعضهم لبعض في أمر إبراهيم وحكمه ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ [الآية 24] كان كل منهما قول بعضهم إلا أنه لما قيل بينهم ورضي به الباكون منهم أسند كل إلى كلهم ﴿فَأَنجَيْنَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ [الآية 24] فاتفق رأيهم على إلقائه فيها فأنجاه الله منها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً عنها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ [الآية 24] في إنجائه ﴿لَّآيَةً﴾ [الآية 24] دلالات

هي حفظه من أذاها وإخمادها مع عظمها في يسير من زمانها وإنشاء روض في مكانها ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 24] لأنهم المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها والاتعاظ بها.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ [الآية 25] لتتواددوا / 7/ أ فيما بينكم في طاعتها وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وقرأها نافع وابن عامر وأبو بكر منونة ناصبة بينكم وابن كثير وأبو عمرو والكسائي مرفوعة مضافة على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي مودودة أو سبب مودة والجملة صفة أوثاناً وما كافة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الآية 25] يقوم التناكر والتلاعن بينكم ﴿وَمَاؤُونُكُمُ النَّارُ﴾ [الآية 25] مقيمين ﴿وَمَا لَكُمْ مِّن تَنْصِيرٍ﴾ [الآية 25] يخلصونكم منها ولا يخففونها.

قال الأستاذ: لما عجزوا عن جوابه بالحجة ولم يساعدهم التوفيق بالإجابة أخذوا في معارضته بالتهديد والوعيد والسفاهة والله تعالى صرف عنه مكرهم وكفاه شرهم وأظهر للكافة عجزهم وأخبر عما يلحقهم في ما لهم من استحقاق اللعن والطرود وفنون الهوان والخزي في أحوالهم.

﴿فَقَامَ لَمْ يُؤُوتَ﴾ [الآية 26] وهو ابن أخيه هارون أول من آمن به ﴿وَقَالَ﴾ [الآية 26] إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ [الآية 26] من قومي ﴿إِلَى رَبِّي﴾ [الآية 26] إلى حيث أمرني ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 26] الذي يمنعني من أعدائي ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 26] الذي لا يأمرني إلا بما فيه صلاح شأني روي أنه هاجر مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه من كوثا من سواد الكوفة إلى حران ثم منها إلى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم.

قال ابن عطاء: أي راجع من جميع مالي فالرجوع إليه بالانفصال عما دونه الإقبال عليه.

وأفاد الأستاذ: أن الهجرة إلى الله لا تصح إلا بالتبري بالكمال بالقلب عن غير الله والهجرة بالنفس يسير بالإضافة إلى الهجرة بالقلب وهي هجرة الخواص وهو الخروج عن أوطان التفرقة إلى ساحات الجمعية والجمع بين

التفرع في أوطان التفرقة والكون في مشاهد الجمع متناف في طريقة الحقيقة .

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الآية 27] ولداً أو نافلة حين أيس من الولادة ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ [الآية 27] فكثرت فهم الأنبياء ﴿وَالْكِتَابَ﴾ [الآية 27] يريد به الجنس لتناول الكتب الأربعة ﴿وَوَاتَيْنَاهُ الْجَبْرُوتَ﴾ [الآية 27] على هجرته إلينا ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ [الآية 27] بإعطاء الولد في غير أوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة وأهل الملك إليه وجزيل الثناء إلي آخر الدهر عليه / ﴿وَأَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّلَاحِينَ﴾ [الآية 27] لفي عداد الكاملين في صلاح الدين.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام لما لم يجب قومه وبذل لهم النصح ولم يدخر عنهم شيئاً من الشفقة حقق الله مراده في نسله ووهب له أولاده وبارك فيهم واستصلحهم للخيرات والمبرات حتى صلحت أعمالهم للقبول وأحوالهم للإقبال ونفوسهم للقيام بعبادته وأسرارهم لمشاهدته وقلوبهم لمعرفة وإنه في الآخرة لمن الصالحين للدنو والزلفة والتخصيص بالقرية .

﴿وَلَوْطًا﴾ [الآية 28] وأرسلناه أو اذكره ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ﴾ [الآية 28] وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص أنكم ﴿لَتَأْتُونَ الْفُجُشَةَ﴾ [الآية 28] للغفلة البالغة في القيامة ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: الآية 80] على هذه الوقاحة .

﴿أَيْنَكُمْ﴾ [الآية 29] اتفق فيها على الاستفهام ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ [الآية 29] في أدبارهم ﴿وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ﴾ [الآية 29] بأخذ أموال المارة في أسفارهم ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَكَاحِكُمْ﴾ [الآية 29] أي مجالسكم المملوءة من أجناسكم المنكر أي أصناف ﴿الْمُنْكَرِ﴾ [الآية 29] شرعاً وطبعاً كالجماع والضراط وحل الإزار أو رمي الحصا بالأصابع وخذف البنادق وتطريف الأصابع بالحناء واللعب بالحمام والسواك في المجالس وغيرها من القبائح مع عدم مبالاة بها .

قال القاسم: المنكر فترك حرمة الأكابر وسئل جنيد عن هذه الآية فقال: كل شيء يجتمع عليه الناس إلا الذكر فإنه منكر .

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لا مهم على خصلتهم الشنعاء وما كانوا

يتعاطونه على الله من الاجتراء وما يضيعونه من المعروف ويأتونه من المنكر الذي من جملته تخلية الفساق مع فسقهم وترك القبض على أيديهم وقلة الاحتشام من اطلاع الناس على قبائح أعمالهم من ذلك ترك احترام الشيوخ والأكابر ومنها التسويف في التوبة ومنها التفاخر بالزلة ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الآية 29] في دعوى النبوة وفي استقباح هذه الغفلة.

قال الأستاذ: فما كان من جوابهم إلا استعجال العقوبة فحل بهم من ذلك ما أهلكهم وأهلك من شاركهم في القضية.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ [الآية 30] بإنزال العقوبة ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 30] 8/أ بابتداع الفاحشة.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ [الآية 31] بالبشارة بالولد والنافلة ﴿قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [الآية 31] أي سدوم ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الآية 31] بإصرارهم وتماديهم في إنكارهم.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [الآية 32] وهو ممن لم يظلم فيها ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾ [الآية 32] ممن ظالمها وسالمها ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ﴾ [الآية 32] وقرأ حمزة والكسائي بتخفيفه ﴿وَأَهْلَهُ﴾ [الآية 32] بإخراجهم عنها ﴿إِلَّا أَنْزَلْنَاهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ﴾ [الآية 32] الباقيين في العقوبة أو القرية.

وقال الأستاذ: التبس على إبراهيم عليه السلام أمرهم فظنهم أضياف فتكلف لهم تقديم العجل الحنيد عندهم جرياً على سنته في إكرام الضيف فلما أخبروه مقصودهم من إهلاك قوم لوط تكلم في باب لوط إلا أن قالوا إنا منجوه وكان ذلك دليلاً على أن الله تعالى لو أراد إهلاك لوط وإن كان بريئاً لم يكن ظلماً أو لو كان ذلك قبيحاً لما كان إبراهيم عليه السلام مع وفارة علمه يشكل عليه حتى كان يجادل عنه بل الله أن يعذب من يعذب ويعافي من يعافي.

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ﴾ [الآية 33] جاءته المساءة بسببهم مخافة أن يقصدهم قومه بسوء فيهم وأن صلة على عادة العرب في كلامهم

﴿وَصَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [الآية 33] ضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أي طاقته
 ﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 33] عطف على مقدر أي فقالوا إنا رسل ربك وقالوا ﴿لَا تَخَفْ﴾
 [الآية 33] علينا ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ [الآية 33] على تمكينهم منا ﴿إِنَّا مُتَجَوِّدُونَ﴾ [الآية 33]
 وقرأ ابن كثير وأبو بكر وحمزة والكسائي بالتخفيف ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا نَّكَ كَانَتْ
 مِنْكَ الْغَيْرُوتُ﴾ [الآية 33] أي الباقيين عن خدمتك الغائبين عن حضرتك.

﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ [الآية 34] وقرأ ابن عامر بالتشديد ﴿عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
 رِجْرًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الآية 34] بسبب فسقهم من الكفر
 والمعصية وخروجهم عن الطاعة.

وأفاد الأستاذ: أنه لما رآهم لوط ضاق بهم قلبه لأنه لم يعلم أن ملائكة
 فخاف عليهم من فساد قومه فكان ضيق قلبه لأجل ربه فأخبروه بأنهم ملائكة
 وأنهم لا يصلون إليهم فعند ذلك سكن قلبه واتسع صدره ويقال أقرب ما
 ب/8 يكون العبد في البلاء من الفرج إذا اشتد عليه البلاء فعند ذلك يكون وقت
 زوال البلاء لأنه يصير مضطراً والله وعد المضطرين [وشيك]⁽¹⁾ الإجابة كذلك
 لوط في هذه الليلة لما سيء بهم لم يلبث أن وجد الخلاص منهم.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ [الآية 35] أي حكايتها الشائعة أي آثار
 الديار الخربة ﴿لَقَوْمٍ يَتَفَلَّتُونَ﴾ [الآية 35] يستعملون عقولهم في الموعظة والعبرة.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الآية 36] وأرسلنا إليهم ﴿فَقَالَ يَنْقُومِ الْعَبْدُ
 اللَّهُ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الآية 36] أي توقعوا لقاءه أو خافوا عقابه ﴿وَلَا تَعْتَوُوا
 فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الآية 36] لا تفسدوا فيها على قصد فسادها.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الآية 37] الزلة الشديدة أو الصيحة القوية لأن القلوب
 ترجف لهولها وتضطرب لأجلها ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ [الآية 37] في بلدتهم
 ﴿جَنِينَ﴾ [الآية 37] باركين على ركبهم ميتين جامدين.

﴿وَعَادًا وَثَمُودًا﴾ [الآية 38] اذكرهما وقرأ حمزة وحفص وشمود غير

(1) كلمة غير واضحة وربما ملغاة.

منصرف على تأويل القبيلة ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ﴾ [الآية 38] وقد ظهر لكم إهلاكهم من جهة مساكنهم إذا نظرتם إليها عند مروركم عليها ﴿وَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَغْمَانَهُمْ﴾ [الآية 38] وسول آمالهم وحسن أحوالهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الآية 38] فمنعهم عن السبيل الذي بينه الرسل لهم ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [الآية 38] متمكنين من النظر والاستبصار في أمرهم ولكنهم لم يفعلوا حيث لم يوفقوا لكونهم متعجبين برأيهم.

﴿وَقَرُّوْا وَفِرْعَوْنُ وَهَمَّكَ﴾ [الآية 39] أي أذكرهم وقدم قارون بشرف نسبه أو لقبح كسبه ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ ثُومَىٰ يَلِيْنَتٌ﴾ [الآية 39] بالمعجزات الواضحات ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 39] فتكبروا وتجبروا على أهلها ﴿وَمَا كَانُوا سَاقِيْنَ﴾ [الآية 39] فاثنتين أمرنا بل أدركم هلاكنا وقهرنا.

﴿فَكُلًّا﴾ [الآية 40] من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾ [الآية 40] عاقبناه بكسبه ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ [الآية 40] ريحاً صرصراً تحمل الحصبا فتلقيها عليهم وتقلعهم من محلهم وتنكسهم على رؤوسهم فتشرحهم كأنهم إعجاز نخل خاوية وهم قوم عاد وقيل ريحاً عاصفاً فيها حصباً تنزل كالمطر عليهم وهم قوم لوط ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّبْحَةُ﴾ [الآية 40] كمدین وثمود ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ [الآية 40] كقارون ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [الآية 40] / كقوم نوح 9/أ وفرعون وقوم ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ [العنكبوت: الآية 40] فيما فعله بهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية 40] فاستحقوا عقاب ربهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكر قصة أهل مدين وعاد وثمود وفرعون وكلهم نسج بعضهم على منوال بعضهم وسلك مسلکهم ولم يقبلوا النصيح ولم يبالوا بمخالفة رسلهم، فأهلكهم الله بأجمعهم لستته في نصرة الضعفاء وقهر الظالمين عليهم.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية 41] يتكلمون إليهم ويعتمدون عليهم ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [الآية 41] لديه يستند إليه بل ذاك أضعف فإن لهذا هيئة حقيقة وانتفاعاً صورة ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ

﴿الْعَنْكَبُوتُ﴾ [الآية 41] لا بيت أضعف من بيتها مما يتخذها الهوام لا يدفع حرّاً ولا برداً ولا يحجب عن أعين الأنام ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 41] لعلموا أن هذا مثلهم.

وفي «تفسير السلمي» من اعتمد على شيء سوى الله فهو هباءً لا حاصل له في دنياه ولا في عقباه.

وأفاد الأستاذ: أن العنكبوت تتخذ بيتاً لنفسه ولكن كلما زاد على نسجه ازداد بعداً من الخروج من بيته فهو يبني ولكن على نفسه يبني كذلك الكافر يسعى ولكن على نفسه يجني.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 42] وقرأ أبو عمرو وعاصم بالغيبة أي يعلم أي شيء تعبدونه وفي الالتجاء تعتمدونه فيجازيكم به ويعاقبكم بسببه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 42] القادر القاهر ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 42] البالغ في العلم الغاية وإتقان الفعل النهاية.

﴿وَلِلَّهِ الْأَمْثَلُ أَنْ تَضُرَّيْهَا لِلنَّاسِ﴾ [الآية 43] نبينها لما بعد من أفهامهم من الأحوال ﴿وَمَا يَقُولُهَا﴾ [الآية 43] ولا يفهمها ولا يدرك حسننها ونفعها ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [الآية 43] وقد روي محي السنة إنه عليه السلام تلا هذه الآية فقال: العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه.

وأفاد الأستاذ: أن الكل يشتركون في سماع الأمثال ولكن لا يصغي إليها نفور القلب من المعاني لا كنود الحال مقعود الكسل معرج في أوطان الفشل.

﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 44] محققاً غير قاصد به باطل فإن 9/ ب المقصود بالذات من خلقهما هو الدلالة/ على ذاته وصفاته لأهلها كما أشار إليه بقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [الآية 44] أي الخلق بالحق ﴿لَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 44] أي المتفيعين.

وقال الأستاذ: خلق الله السموات والأرض بالحق أي بالقول الحق والحكم الحق والأمر الحق.

﴿أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية 45] اقرأه واتبعه تقرباً إلى الله فيه وتحفظاً لمبانيه واستكشافاً لمعانيه واستمر على ذلك ليظهر لك ظهره وبطنه هنالك ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ [الآية 45] في الأوقات مع مراعاة سائر الحالات ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ﴾ [الآية 45] الكاملة أو المقبولة ﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [الآية 45] بأن يكون مسبباً لالتهاء عن المعاصي كبيرها وصغيرها حال الاشتغال بها وغيرها من حيث إنها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه لصاحبها أو المعني أن مواظبتها تحمل على الانتهاء عن حظ النفس ومتابعتها وفي الحديث: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بُعداً»⁽¹⁾ رواه الإمام أحمد أو مراعاتها تجر إلى الانتهاء في غاياتها ففي الحديث قيل له عليه السلام إن فلاناً يصلي بالليل فإذا صح سرق قال: سينهاه ما يقول رواه ابن أبي حاتم والطبراني وابن جرير⁽²⁾. وروي أن فتى من الأنصار وكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال: أن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وصلاح حاله فقال صلى الله عليه وسلم: «ألم أقل لكم»⁽³⁾.

وهذا قول أكثر السلف فينبغي أن يكون عليه الخلف.

وفي «تفسير السلمي» أي تمام الصلاة ترك الفحشاء والمنكر.

وقال ابن عطاء: بركات الصلاة تذهب بعقاب الفحشاء.

وأفاد الأستاذ: إن الصلاة الحقيقية ما تنهى صاحبها عن الفحشاء فإن كانت وإلا فصورة الصلاة لا حقيقتها والفحشاء الدنيا والمنكر النفس ويقال الفحشاء المعاصي والمنكر الحظوظ ويقال: الفحشاء رؤية الأعمال والمنكر

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (54 / 11) رقم (11025)، والقضاعي في مسند الشهاب (305 / 1) رقم (345)، والسيوطي في جامع الأحاديث (398 / 21) رقم (23826).

(2) أخرجه أحمد في المسند (447 / 2) رقم (9777).

(3) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (46، 45 / 3) رقم (954).

حسبان النجاة بها وقيل: ملاحظة الأعراض عليها والسرور والفرح بمدح الناس بها ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [الآية 45] أي أعظم وأفضل من كل شيء / 10 أ فالصلاة لما كانت مشتملة على أنواع من الأذكار يكون أكبر من غيرها من الطاعات ولهذا تسمى أم العبادات وأساس الخيرات ونهاية عن السيئات أو لذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته وهذا منقول عن كثير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

وقال ابن عطاء: ذكّر الله لكم أكبر من ذكركم له لأن ذكره بلا علة وذكركم مشوب بالعلل من الأغراض والأعراض وقال أيضاً: ذكر الله أكبر من أن يبقی على ذاكره شيء سوى مذكوره.

وأفاد الأستاذ: إن ذكر الله أكبر من ذكر المخلوقين لأن ذكر الله قديم وذكر الخلق حادث ويقال: ذكر العبد أكبر من ذكره الأشياء آخر لأن ذكره طاعة وذكر غيره ليس بطاعة ويقال: لذكر الله أكبر إذا تجرد عن عوض من ذكر لعوض من خوف عقوبة أو نيل مثوبة ويقال: لذكر الله لك أكبر من ذكرك لك ويقال: ذكره لك بالعادة أكبر من ذكرك له بالسعادة ويقال: ولذكر الله أكبر من أن يعرف قدره أو أكبر من أن يعرضه غيره ويقال: ذكر الله أكبر من أن يبقی للذاكر معه أن يذكر غيره أو يبقی للعبد معلوماً أو مرسوماً له ويقال: لذكر الله أكبر من أن يبقی معه الفحشاء والمنكر سلطان وشركه بل لحرمة ذكره زلات الذاكر مغفورة وعيوبه مستورة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [الآية 45] منه ومن الصلاة وسائر الطاعات فيجازيكم بها أحسن المجازاة ويعفو عن السيئات.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي﴾ [الآية 46] بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الآية 46] كمعارضة الخشونة بالملاينة والغضب بالكظم والملائمة والمشغبة بالنصيحة وهو لا ينافي المقاتلة فإنها آخر الدواء في معاملة المقابلة كما يشير إليه قوله ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [الآية 46] بالإفراط في اعتدائهم وعنادهم ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ﴾ [الآية 46] وعنه صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله

فإن قالوا باطلاً لم تصدقوهم وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم/ أو لا تصدقوهم ولا 10/ ب
تكذبوهم فيما لم تعرفوا صدقهم وكذبهم لاحتمال كونهم صادقين أو كاذبين
﴿وَاللَّهُمَّ وَاللَّهُمَّ وَحْدٌ وَحْدٌ وَلَمْ يُسَلِّمْ﴾ [الآية 46] خاصة له مطيعون بخلافكم
وحيث ما تؤمنون.

وأفاد الأستاذ: أن مجادلتهم بالتي هي أحسن أن يكون منك للخصم
تمكين وفي خطابك تبين وفي قبول الحق إنصاف وتحسين واعتقاد النصره
لمن رآه صحيحاً بالحجة وترك الميل إلى شيء بالنسق والهوادة.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [الآية 47] أي القرآن وحياً مصداقاً لسائر ما
أنزل من هذا الباب ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية 47] أي التوراة والإنجيل
﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الآية 47] كعبدالله بن سلام وأضرابه ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾ [الآية 47] من
العرب وأهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ [الآية 47].

قال الأستاذ: يعني أنهم على أنواع في القسمة فمرحوم نظرنا إليه
بالعناية كما سبقت له السعادة ومحروم وسمناه بكى الشقاوة ﴿وَمَا يَحْكُمُ
بَيْنَنَا﴾ [الآية 47] مع ظهورها ونظام نورها ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [الآية 47] المتوغلون
في الكفر والمشغولون عن التأمل والفكر كما يشير إليه قوله:

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّ بِيَمِينِكَ﴾ [الآية 48] في باب
فإن ظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع المعرفة على أي لم يعرف بالقراءة والكتابة
خارق للعادة ﴿إِذَا لَازَنَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الآية 48] أي لو كنت ممن تقرأ أو تكتب
فقالوا تعلمه أو التقطه مما كتبه الأقدمون وسماهم مبطلين لظهوره بطلانهم حينئذ
أيضاً فإن جميع الكتب والقراء الخطباء والشعراء والفصحاء والبلغاء عن عجزوا
عن المعارضة بأقصر سورة من سور القرآن المبين.

وقال الأستاذ: تجرد قلبك عن المعلومات وتقصدس شرك عن
المرسومات فصادفك من الآيات من غير ممازجة طبع ومشاركة كسب وتكلف
بشرية فلما خلا شرك وقلبك عن كل معلوم ومرسوم ورد عليك خطابنا
وتفهمنا غير مقرون به ما ليس منا.

﴿بَلْ هُوَ﴾ [الآية 49] أي القرآن ﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الآية 49] واضحة الدلالات لكونها من المعجزات ﴿فِي صُورِ الذِّكْرِ أَوْثُورًا أَلَمَّ﴾ [الآية 49] بحفظه/ لمبانيه ومعانيه بحيث لا يقدر أحد على تحريفه بما ينافيه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [الآية 49] المعاندون حين لم يعتدوا بها بعد وضوح دلائل إعجازها.

وأفاد الأستاذ: أن قلوب الخواص من العلماء بالله خزائن الغيب فيها أودع براهين حقه وبينات سره ودلائل وحدانيته وشواهد ربوبيته فقانون الحقائق قلوبهم وخزائن الأسرار صدرهم وكل شيء يطلب من موطنه ومحلّه فالدر يطلب من الصدق لأن ذلك مسكنه والشمس تطلب من البروج لأنها مطلعته والشهد من النحل لأنه عشه كذلك المعرفة وصف الحق تطلب من قلوب خاصته لأنها قانون معرفته .

ومنها ترفع توحيده وفردانيته وقالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الآية 50] كناية صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص آيات ﴿قُلْ إِنَّمَا أَلَايْتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 50] ينزلها كما يشاء لست أملكها فأتاكم بما تقترحونه منها ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 50] لوجه الإنذار بالعقوبة للكفار والفجار.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ [الآية 51] آية مغنية عن آياتهم المقترحة ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 51] تدوم تلاوته وتستمر معجزته فلا يزال معهم آية ثابتة وحجة ثابتة بخلاف سائر الآيات وبقية المعجزات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [الآية 51] الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبنية ﴿لَرَحْمَةً﴾ [الآية 51] لنعمة عظيمة ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ [الآية 51] وموعظة جسيمة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 51] لها وينتفعون بما فيها.

وروي أن ناساً من المسلمين أتوا رسول الله بكتف فيها بعض من التوراة فقال: كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم

فنزلت⁽¹⁾. وفي رواية قال: لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي⁽²⁾.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَشِيرًا﴾ [الآية 52] بصدقي بالمعجزات أو تبليغي بالرسالة ومقابلتكم إياي بالكذب والمعادنات ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 52] في العلويات والسفليات فلا يخفى عليه ما جرى بيننا من الحالات/ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾ [الآية 52] وهو ما بعيد من دون الله وما 11/ب يدعى مما سواه مما ليس تحته الطائل ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ [الآية 52] بذاته وصفته ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الآية 52] فمن خسر في صفقته حيث اختار طريق ضلّالته.

وقال الأستاذ: خفي عليهم علو حاجتك فطالبوك بإقامة الشواهد على رسالتك أو لم يكفهم ما أوضحنا عليك من السبيل وألحق لك من الدليل يتلى عليهم ذلك ولم يمكنهم معارضته هنالك هذا هو غاية الجحود ونهاية الكنود.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [الآية 53] قبل يوم الحساب ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الآية 53] لكل عذاب في كل باب ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الآية 53] عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ﴾ [الآية 53] آجلاً ﴿بَغْتَةً﴾ [الآية 53] فجأة في الدنيا كوقعة بدر ونحوها أو في الأخرى عند سكرات الموت وأحوالها أو في مواقف القيامة وأهوالها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 53] بإتيانها في أي مجالها.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [الآية 54] أي كالمحيطه بهم الآن لإحاطة الكفر والعصيان التي توجب لهم النيران.

﴿يَوْمَ يَفْشَلُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [الآية 55] أي من قرنها إلى قدمهم والمواد من جميع جوانبهم ﴿وَيَقُولُ﴾ [الآية 55] أي الله أو ملائكته وقرأ

(1) أورده ابن عطية في المحرر الوجيز (234/5)، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (44/7)، والبيضاوي في تفسيره (320/1).

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (199/1) رقم (176)، وأبو يعلى في المسند (4/102) رقم (2135)، وأحمد في المسند (338/3) رقم (14672)، وأبو شيبة في المصنف (312/5) رقم (26421).

ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالنون ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 55] أي جزاء أعمالكم وفق أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا أحاط بهم سرادقات⁽¹⁾ العذاب في جهنم فلا صريح لهم كذلك اليوم من أحاط به العذاب من فوقه اللعن ومن تحته الخسف ومن جهاله الخزي ويلبس لباس الخذلان ويوسم بكى الحرمان ويسقى شراب القنوط ومتوج بتاج الخيبة ويقيد بقيد السخط ويغل بغل العداوة وهم يسحبون في جهنم العراق حكماً إلى أن يلقوا في جهنم الاحتراق عيناً.

﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾ [الآية 56] أي إن لم يخلصوا العبادة لي في مكان منها فأخلصوها في غيره.

قال سهل: إذا عمل المعاصي والبدع في أرض فأخرجوا منها إلى أرض المطيعين بها وسئل ابن مالك عن العبودية/ فقال: إذا صحت العبودية لله 12/أ صحت الحرية عما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن الدنيا أوسع في الشأن من أن يضيق لمريد مع مزيد المكان فإذا نبا به منزل لوجه من الوجوه الصاد له عن سبيله إما لمعلوم حصل أو القبول بين الناس وجاه أو العلاقة أو قريب أو لبلاء ضد فطريقه أن يرحل عن موضعه وينتقل إلى غيره كما قالوا:

وإذا ما جفيت كنت حرياً أن أرى غير مُصبحٍ حيث أُمسي
وكذلك العارف إذا لم يوافق وقته مكاناً انتقل إلى غيره من الأماكن
لإصلاح ما به من الشأن.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [الآية 57] تناله لا محالة ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 57] للخبر بالمشوبة أو العقوبة ومن كان هذا عاقبته فينبغي أن يجتهد في استحسان حالته وقرأ أبو بكر بالغيبة.

(1) كل ما أحاط بشيء، وهو صفة النار. انظر لسان العرب (10/157).

وقال الأستاذ: إذا كان الأمر كذلك فالراحة معطوفة على تهوين الأمور هنالك فسبيل المؤمن أن يوطن نفسه على مفارقة روحه مستعداً له في كل نفسه إبقاء لروحه ثم إذا لم يحضر الأجل فلا يستعجل وإذا حضر فلا يستثقل وليكن بحكم الوقت كما قالوا:

ولو قال لي: مت مت طوعاً وحسبة وقلت لداعي الموت أهلاً ومرحباً قلت: وفي الحديث: لا يتمنين أحدكم الموت فإن كان لا بد فاعلاً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر⁽¹⁾.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ [الآية 58] لننزلنهم وقرأ حمزة والكسائي لنبوئهم أي لنقيمهم ﴿مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [الآية 58] علا لي في القدر والمقدار ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ [الآية 58].

وأفاد الأستاذ: أن اليوم في غرف معارفهم على أسرة وصلهم متوجين بتيجان سيادتهم يسقون كاسات الوجد ويلقون في جنات القرب وعداً كما قال الرب .

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [الآية 59] على أذية المشركين والهجرة للدين إلى غير ذلك من محن المهاجرين والمجاهدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الآية 59] وإلى مرضاته يتوسلون قبل الصبر المقام مع البلاء والمحنة كالمقام مع الرخاء والعافية وسئل الخراز عن / التوكل فقال: هو اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب.

12/ب

وأفاد الأستاذ: أن الصبر حبس النفس على فطامها، الصبر تجرع كاسات التقدير من غير نقتبس الضمير وأول الصبر تصبر بتكلف المشقة ثم صبر بسهولة ثم اضطبار وهو ممزوج بالراحة ثم تحقق بوصف الرضا بالقضاء فيصير العبد فيه محمولاً بعد أن كان متحملاً والتوكل انتظار مع استبشار التوكل أن تبرم في

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (262 / 6) رقم (10901)، والطبراني في المعجم الأوسط (87 / 8) رقم (8019)، وفي المعجم الصغير (138 / 1) رقم (208)، وابن ماجه في السنن (1425 / 2) رقم (4265)، والترمذي في الجامع الصحيح (301 / 3) رقم (970).

الخلوة بانقطاع الأغيار عنك التوكل أعراض القلب عن غير الرب .

﴿وَكَايْنٍ مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ [الآية 60] لا تدخره لغدها وإنما تصبح ولا معيشة عندها ففي الحديث لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماساً⁽¹⁾ وتروح بطاناً⁽²⁾ ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ [الآية 60] مع ضعفها وتوكلها ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ [الآية 60] مع قوتكم واجتهادكم ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية 60] لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 60] بأعمالكم وأحوالكم.

قال ابن عطاء الله: يرزقها بحسن اليقين ويرزقكم مع قلة اليقين .

وقال النهرجوري: أرزاق المتوكلين على الله يجري بعلم الله لهم بلا شغل وتعب منهم وغيرهم فيه مشغول ومتعوب به .

وأفاد الأستاذ: أن معنى ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ [الآية 60] لا تدخره لا في ملكه ولا في كسبه ولا في خزانة ملكه ولا بيد مملوكه ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا﴾ [الآية 60] من غير مقاساة تعب منه ويقال: إرادة الله في أن يستبقيك ولا يقبض روحك أقوى وأتم من تمنيك لبقائك فلا ينبغي أن يكون اهتمامك بسبب غيبتك وفنائك أتم وأكثر من تدبير نفسك لبقائك.

﴿وَلَكِن سَأَلْتَهُمْ﴾ [الآية 61] أي أهل مكة وغيرهم ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِقَوْلِ اللَّهِ﴾ [الآية 61] إذ لا جواب سواه ﴿فَأَن يُّؤْفَكُوا﴾ [الآية 61] يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بتفريده.

قال الأستاذ: إذا سألوا عن الخالق أقروا بالله وإذا سئل عن الرازق لم يستقروا مع الله هذه مناقضة ظاهرة يعني مع أنه سبحانه قال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيذُكُمْ ثُمَّ يُخَيِّبُكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: الآية 40].

(1) جياح. انظر لسان العرب (7/ 29).

(2) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1394) رقم (4164)، والترمذي في الجامع الصحيح (573/ 4) رقم (2344).

﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [الآية 62] أي لمن يشاء من عباده على أن البسط لبعضهم/ والقبض لآخرين أو على أن التوسعة له تارة والتضييق أخرى، بعده أو قبله ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 62] يعلم مصالح العباد ومفاسدهم في المراد فهو في التغيير بحسب التقدير حكيم.

وأفاد الأستاذ: أن الرزق على أقسام رزق الظواهر ومنه الطعام والشراب ورزق السرائر ومنه الاستقلال بالمعاني في فهم الكتاب والناس فيها مرزوق مرقه إليه ومرزوق مضيق عليه.

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [الآية 63] يسسها وفوت ما فيها ﴿لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الآية 61] معترفين بأن الموجد للمكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم إنهم ليتبركون به بعض خلقه الذي لا يقدر على شيء من جميعها ﴿قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 63] على ما أعطاك من نعمة النبوة والرسالة وحفظك من أمثال هذه الضلالة والجهالة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 63] هذه المقالة ولا يتأملون هذه الحالة.

قال الأستاذ: وكما علموا أن حياة الأرض بعد موتها بالمطر من قبل الله فليعلمن أن حياة النفوس بعد موتها عند الحشر والنشر بقدرة الله وكما علموا ذلك فليعلموا أن حياة الأوقات بعد فترتها أي بماء الرحمة من عند الله.

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الآية 64] إشارة تحقير ومهانة وكيف لا وقد ورد أنها لا تزن عند الله جناح بعوضة ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [الآية 64] ما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون إليه ويميلون إليه يتعبون لديه ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [الآية 64] لهي دار الحياة الحقيقية لامتناع ضربات الموت عليها أو جعلت في ذاتها حياة للمبالغة في الميل إليها.

وفي الحديث: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»⁽¹⁾ ﴿لَوْ كَانُوا

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3797)، ومسلم في الصحيح (126/1804).

يَعْلَمُونَ ﴿[الآية 64] أنها خير وأبقى لما آثروا عليها الدنيا التي مبنها على العناء والشقاء وسرعة الفناء وخسة الشركاء.

وأفاد الأستاذ: أن الدنيا كالاكتلام وعند الخروج منها انتباه من المنام والآخرة هنالك العيش بنظامه والتخلص من الوحشة بتمامه.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الآية 65] كائنين في 13/ ب صورة من أخلص/ دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون إلا الله ولا يدعون سواه بل يدعون ما عداه لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 65] وفي معصيتهم وغفلتهم يعودون وشركهم لا يتركون.

قال جنيد: والإخلاص إلحاد القلب عن الكل وخلو السر عن الجميع والعلم بأن الحق هو الذي يقبلك بجميع عيوبك وينجيك من جميع قومك فهو دليل مقام الإخلاص وعلامة حالة الاختصاص.

وأفاد الأستاذ: إن الإخلاص تفرغ القلب عن الكل والثقة بأن لا خلاص إلا به والتحقق بأنه لا يستكثر حالاً في المحمودات ولا في المذمومات فالعامة إذا توالى عليهم الضرورات يدعونه مخلصين له الدين وإذا انقطع عنهم الرجاء أذعنوا لله متفرغين فإذا كشف الضر عنهم عادوا إلى الغفلة ونسوا ما كانوا فيه من الشدة كما قيل:

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذا الضنا عاد إلى نكسه

﴿يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ﴾ [الآية 66] اللام يحتمل أن تكون لام كي أي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة من المهالك العظام ﴿وَلِيَتَمَنَّوْا﴾ [الآية 66] باجتماعهم على عبادة الأصنام أو ليأكلوا كما تأكل الأنعام ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 66] عاقبة هذه الآثام حين يعاقبون بأنواع الآلام وأن يكون الأمر للتهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون فليتمتعوا بالسكون ويساعده فسوف يعلمون.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [الآية 67] أي أهل مكة ﴿أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [الآية 67] أي

جعلنا بلدهم مصوناً عن النهب والتعدّي آمناً أهله عن القتل والسي بالأيدي ﴿وَيَحْطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [الآية 67] يختلسون قتلاً وسيئاً بحسب اختلاف حولهم ﴿أَفِالْبَاطِلِ﴾ [الآية 67] كالصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الآية 67].

وقال الأستاذ: من عليهم بدفع المحن عنهم وكون الحرم أمثالهم وذكرهم عظيم الإحسان إليهم ثم بين أعراضهم عن شكر ذلك لديهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 68] بأن زعم أن له شريكاً أو غيره ربا ﴿أَوْ كَذَبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾ [الآية 68] رسولاً أو كتاباً ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الآية 68] / تقدير لسوء النواء للأعداء كقوله:

أ/14

(ألستم خير من ركب المطايا)⁽¹⁾

أو للاجترأ المترتب عليه هذا الجزاء.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ [الآية 69] في حقنا بالجهاد الأصغر أو الأكبر في طريق صدقنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [الآية 69] سبل السير إلى بابنا وطرق الوصول إلى جنابنا أو لنزيدهم هداية إلى سبل العبادة وتوفيقاً لسلوك سير أهل الإرادة كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: الآية 17].

وفي الحديث: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»⁽²⁾، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 69] بالنصرة والإعانة في طريق اليقين.

قال عبدالعزيز المكي: اجتهدوا في سبيل الظاهر فهداهم إلى سبيل الباطن وأنا أتعجب ممن يعجز عن ظاهره ويطمع في باطنه.

وقال أبو سعيد القرشي: خرجت هداية المراد من المشيئة قال عزوجل: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 69].

وقال الأستاذ: أي الذين زينوا ظواهرهم بالمجاهدات حبسنا سرائرهم

(1) هذا بيت شعر لجبرير وعجزه: «وأندى العالمين بطون راح». انظر الأغاني (8/ 316).

(2) أورده السيوطي في الدر المنتشرة في الأحاديث المنتشرة (20/ 1)، وانظر تذكرة الموضوعات (20/ 1)، وتخريج أحاديث الإحياء (168/ 1) رقم (168).

بالمشاهدات. ويقال الذين شغلوا ظواهرهم بالوظائف أوصلنا سرائرهم إلى اللطائف ويقال الذين قاسوا فينا التعب من حيث الصلوات جازيناهم بالطرب من حيث الموصلات ويقال: الجهاد فيه أولاً يترك المحرمات ثم يترك الشبهات ثم يترك الفضلات ثم يقطع العلاقات والتنقي عن الشواغل على جميع الأوقات ويقال: يعدّ الأنفاس مع الله ويحفظ الحواس عما سواه.



[مَكِّيَّة]

وهي ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن بسم الله اسم عزيز شفاء المذنبين جوده، بلاء المهيمين مقصوده، ضياء الموحدين عهوده، وسلوة المحزونين ذكره، حرفة المسبحين الواجدين شكره، والعابدون حبهم عطاؤه والواجدون حبهم بقاؤه.

﴿الْعَمَّ﴾ [الآية 1] الإشارة في الألف أي ألف صحبتنا من عرف عظمتنا وألف بلاءنا من عرف كبريائنا والإشارة في اللام أي لزم من ببابنا من ذاق محابنا ولزم بسلطاننا من شهد انبساطنا والإشارة في الميم أي مكن من قربتنا من أقام على خدمتنا ومات على وفائنا من تحقق بولاءنا.

﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ [٢] فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴿[الآيتان 2، 3] أي أرض العرب لأنها الأرض 14/ ب المعهودة عندهم/ أو في أدنى أرضهم من العرب أو مقامهم فاللام بدل من الإضافة على مذهب أهل الكوفة والمراد أن أهل الفرس وهم المشركون غلبوا أهل الروم وهم أهل الكتاب والموحدون ففرح المشركون من أهل مكة وقالوا للمسلمين: أنتم والنصارى أهل الكتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم فلنظهر عليكم في شأنكم فنزلت ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ [الآية 3] من إضافة المصدر إلى المفعول أي بعد مغلوبيتهم ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ [الآية 3] على عدوهم.

﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ [الآية 4] وهو ما بين ثلاث إلى تسع سنين فظهرت الروم

على فارس يوم الحديبية والآية من دلائل النبوة لأنها أخبار عن غيب الواقعة.

وأفاد الأستاذ: أن المسلمين سرّوا بظفر الروم على العجم وإن كان الكفر بجمعهم لاختصاص الروم بالإيمان ببعض الأنبياء فشكر الله ذلك لهم وأنزل هذه الآية فيهم بمن يكون سروره لدين الله وحزنه واهتمامه لأمر مولاه ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الآية 4] من قبل كونهم غاليين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غاليين والمعنى له الأمر حين غلبوا وكذا إذا غلبوا ليس شيء منها إلا بقضائه وقدره فيما فعلوا.

قال سهل: من قبل كلّ شيء ومن بعد كلّ شيء لأنه المبدىء المعيد وقال: سبق تدبير الحق في الخلق لأنه يهيم لم يزل عالماً في الأصل وفي الفرع.

وأفاد الأستاذ: أن قبل إذا أطلق انتظم الأزل وبعد إذا أطلق دل على الأبد فالمعنى أمر الأزلي لله والأمر الأبدي لله لأن الرب الأزلي والسيد الأبدي هو الله ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾ يوم العرفان و﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾ يوم الغفران ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾ حين القسمة ولا حين و﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾ عند النعمة وليس معين. وقبل ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 4] بتحقيق ودكم ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ﴾ [الآية 4] ﴿وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الآية 4] بحفظ عهدكم:

إني على جفواتها برّ بها وبكلّ متصل بها متوسّل
﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ [الآية 4] يوم يغلب الروم ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 4].

﴿يَنْصُرِ اللَّهُ﴾ [الآية 5] من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من ازدياد يقينهم وثباتهم في أمر دينهم ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 5] فينصر هؤلاء تارة وأخرى هؤلاء ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية 5] ينتقم من عباده بالنصر عليهم مرة و15 أ/ ويتفضل عليهم / بنصرهم كرة.

وأفاد الأستاذ: أن اليوم ترح وغداً فرح اليوم عبره وغداً صبره اليوم أسف وغداً لطف اليوم بكاء وغداً لقاء.

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ [الآية 6] مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله في معنى وعده ﴿لَا

يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴿[الآية 6] لا امتناع الخلف في خبره ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 6] صحة وعده بجعلهم به وعدم تفكرهم في وصفه.

وأفاد الأستاذ: أن الكريم لا يخلف وعده لا سيما والصدق لغته ويقال: منا يوم الميثاق وعد بالطاعة ومنه ذلك اليوم وعد بالجنة فإن وقع في وعدنا تقصير فلا نفع في وعده قصور وتغيير.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 7] ما يشاهدونه بها والتمتع بزخارفها ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ﴾ [الآية 7] التي هي غايتها والمقصودة منها ﴿هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الآية 7] لا تخطر ببالهم وتكريرهم للمبالغة في غرورهم قال القاسم: من كان غافلاً عن الآخرة كان عن الله أغفل ومن كان غافلاً عن الله سقط عن درجة المتعبدين.

وأفاد الأستاذ: أن استغراقهم في الاشتغال في الدنيا وإنهاكهم في تعلق الطلب منهم عن العلم بالآخرة وقيمة كل امرئ علمه كما الأثر فيه عن علي رضي الله عنه فأهل الدنيا على غفلة عن العقبي والمشتغلون بعلم الآخرة كذلك بوجودها في غفلة عن المولى.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 8] أي في أمرها فإنها أقرب إليهم من غيرها ومراة يجتلي للمتبصر بها ما يجتلي له في الممكنات بأسرها فإنها العالم الأكبر في مظاهرها وأسرارها فيتحقق لهم قدرة مبدعها على إعادتها من قدرته على ابدائها ليعلموا أو يقولوا ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الآية 8] بالأمر الثابت في الصدق ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الآية 8] ينتهي عنده ولا تبقى بعده ﴿وَلَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 8] بملاقاة جزائه عند فراغ الأجل وانقضاءه ﴿لَكَافِرُونَ﴾ [الآية 8] جاحدون وحاسبون أن الدنيا أبدية وإن الآخرة عدمية سرمدية.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 9] بظواهرهم أو بواطنهم ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ [الآية 9] فيصبروا أو فيعتبروا ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 9] بنظرهم إلى ديارهم وآثار مسارهم ﴿كَانُوا﴾ [الآية 9] أي من قبلهم ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ [الآية 9] من / الموجودين بعدهم ﴿قُوَّة﴾ [الآية 9] كعاد وثمود ونحوهم ﴿وَأَنَارُوا﴾ 15/ب

الْأَرْضَ ﴿[الآية 9] قَلْبُوا أَدِيمَ وَجْهَهَا لاسْتِنْبَاطِ مِيَاهِهَا وَاسْتَخْرَاجِ مَعَادِنِهَا وَزَرَعَ
الْبُذُورَ وَغَيْرَهَا ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ [الآية 9] أَي أَرْضَهُمْ ﴿أَكْثَرَ مِنَّا عَمْرُوهَا﴾ [الآية 9]
مِنْ عِمَارَةِ أَهْلِ مَكَّةَ إِيَّاهَا فَكَانَ لَهُمُ التَّبَسُّطُ فِي الْبِلَادِ وَالتَّسْلُطُ عَلَى الْعِبَادِ أَعْظَمُ
مِنْ أَهْلِهَا ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية 9] بِالْمَعْجَزَاتِ الْوَاضِحَاتِ فَكَذَّبُوا
فَعَذَّبُوا ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ [الآية 9] فَيَدْمِرَهُمْ فَمِنْ جَرَمِ مِنْهُمْ وَلَا تَذْكِرَ
لَهُمْ ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية 9] حَيْثُ عَمَلُوا فِي أَعْمَارِهِمْ مَا أَدَّى إِلَى
دِمَارِهِمْ وَهَلَكَ آثَارُهُمْ قَالَ بَعْضُهُمْ: السَّيْرُ فِي الْأَرْضِ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ لِمَنْ يَسْتَدِلُّ
بِالْآثَارِ عَلَى الْمُؤَثِّرِ فَأَمَّا مَنْ تَحَقَّقَ فِي عَيْنِ الْمَعْرِفَةِ فَهُوَ سَائِرٌ بِرُوحِهِ فِي الْمَلَكُوتِ.

وأفاد الأستاذ: أن سير النفوس في أقطار الأرض ومناكبها لأداء
العبادات وسير القلوب بجولان الفكر في جميع المخلوقات وغاياته الظفر
بحقائق العلوم التي توجب ثلج الصدر ثم تلك العلوم على الدرجات وسير
الأرواح في ميادين الغيب بنعت خرق سرادقات الملكوت وقصاراه الوصول
إلى مجال الشهود واستيلاء سلطان الحقيقة وسر الأسرار بالترقي عن الحدثان
بأسره والتحقق أولاً بالصفات ثم بالخمود بالكلية عما سوى الحق.

﴿ثُمَّ كَانَ عَنِيبَةَ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوءَ﴾ [الآية 10] أَي الْعُقُوبَةَ أَوْ الْخِصْلَةَ
السُّوَاءَ أَي تَأْنِيثُ أَسْوَأَ كَالْحَسَنِ أَوْ مَصْدَرُ نَعْتٍ بِهَا كَالْبَشْرِ ﴿أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ
اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية 10] عَطَفَ بَيَانَ لِلْسُّوَى وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ وَالْكُوفِيُّونَ
عَاقِبَةً بِالنَّصْبِ عَلَى أَنَّ الْاسْمَ السُّوَى وَفِي الْآيَةِ أَشَارُوا إِلَى أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ
الْآخِرَةُ.

قال الأستاذ: من زرع الشوك لم يحصد الورد ومن استنبت الحشيش لم
يقطف البهار ومن سلك طريق الغي لم يحلل بساحة الرشد.

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ [الآية 11] يَنْشِئُهُمْ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾ [الآية 11] يَبْعَثُهُمْ ﴿ثُمَّ
إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 11] فَيَجْزِيهِمْ وَقَرَأَ غَيْرُ أَبُو عَمْرٍو وَأَبُو بَكْرٍ بِالْخَطَابِ وَفِي
كُلِّ تَغْلِيْبٍ أَي يَرُدُّونَ إِلَى حُكْمِهِ فِي جِزَاءِ أَعْمَالِهِمْ عَلَى حَسَبِ أَحْوَالِهِمْ.

وقال الأستاذ: الله يبدئ الخلق على ما يشاء ثم يعيده إذا ما يشاء على

أ/16

ما يشاء ثم إليه ترجعون / للجزاء.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 12] يسكتون أو يياسون أو يتحيرون.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ﴾ [الآية 13] أي في أصنافهم يجيرونهم من عذابهم ومجيئه بلفظ الماضي لتحقق وقوعه ﴿وَكَانُوا يُشْرِكُ بِهِمْ كُفْرِينَ﴾ [الآية 13] حين يسوا منهم أو كانوا في الدنيا كافرين بسببهم.

وأفاد الأستاذ: أن شهودهم ما جحدوه في الدنيا عياناً ثم ما ينضاف إلى ذلك من اليأس الذي يعرفون قطعاً هو الذي يفتت كبدهم وبه تتم محنتهم.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ﴾ [الآية 14] أي المؤمنون والكافرون كما فصله بقوله.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ [الآية 15] أرض ذات أزهار وأنهار وأنوار ﴿يُحْبَرُونَ﴾ [الآية 15] يسرون مجاهد يكرمون قتادة ينعمون ابن كيسان يحلون ابن عباس يتوجون وكيع يستمعون وعن أبي الدرداء أن غناءهم تسييحهم وثناءهم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الآية 16] يدخلون وعنه لا يغيبون فالأمر بهم لا ينفعه التدبير فإنه على وفق التقدير من غير التغيير فريق في الجنة وفريق في السعير.

قال أبو بكر بن طاهر: يتفرقون إلى ما قدر لكل من محل السعادة ومنزل الشقاوة.

وقال الأستاذ: فريق هم أصل الوصلة وفريق هم أهل الفرقة وفريق الجنة والمنة وفريق للعقوبة والمحنة وفريق في السعير وفريق في السرور وفريق في الثواب وفريق في العقاب وفريق وفريق للتلاق وفريق في البوار والخسار وفريق في الرياض والأنهار.

﴿فَسَبِّحْ لِلَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (٨) [الآيتان 17، 18] خبر في معنى الأمر بتنزيه الله
تعالى والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته
وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لأن آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر حيث
يتبدل أحد الضدين بالآخر فقد ورد في الخبر: سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار
وتخصيص الحمد بالعشي والظهيرة لأن تجدد النعم فيهما أكثر وجوز أن يكون
ب/ 16 عشيّاً معطوفاً على حين تمسون، /وجملة ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
[الروم: الآية 18] اعتراضاً ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية
جامعة الصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر
وعشيّاً صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر.

ولذا زعم الحسن البصري رحمه الله أن الآية مدنية لأنه كان يقول كان
الواجب بمكة ركعتين في أي وقت اتفقت وإنما فرضت الخمس بالمدينة
والأكثر أن الخمس فرضت بمكة كما يدل عليه حديث الإسراء.

قال جعفر الصادق: بالله فابدأ في صباحك وبه فاختم في مساءك فمن
كان به ابتداءه وإليه انتهاءه لا يشقى فيما بينهما.

وأفاد الأستاذ: أن من كان صباحه بالله بورك له في يومه ومن كان
مساؤه بالله بورك له في ليله:

وإن صباحاً نلتقي في مسائه صباحٌ على قلب القريب حبيبٌ
فستان بين عبد صباحه مفتتح بعبادته ومساؤه مختتم بطاعته وبين عبد
صباحه مفتتح بشهادته ورواحه مفتتح بعزیز قربه. ويقال: أراد الحق من
أوليائه أن يجددوا العهد به في اليوم واللييلة خمس مرات فتقف على بساط
المناجاة ويستدرك فيما بين الصلاتين من طوارق الغفلات ولواحق الزلات.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الآية 19] كالإنبات من النطفة والطائر من البيضة
﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الآية 19] أي النطفة والبيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ﴾ [الآية 19]
ينبتها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 19] يبسها ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الآية 19] من قبوركم فيها

وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وضم الراء قال بعضهم: يخرج أوليائه من بين أعدائه ويخرج أعداءه من بين أوليائه لثلا يعتمد ولي على ولايته ولا يقنط عدو في عداوته.

وقال الأستاذ: يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ويظهر أوقات البسط من أوقات القبض وأوقات القبض من بين أوقات البسط ويحيي الأرض بالمطر بعد موتها وقت الربيع وحشة الشتاء كذلك النشور والإحياء بعد الموت والفناء.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الآية 20] أي في أصل الإنشاء لأنه خلق أصلهم منه في الابتداء ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ نَنْشُرُوكُمْ﴾ [الآية 20] في الانتهاء وفيه أي إلى/ ما قاله أولي الألباب ما للتراب ورب الأرباب.

أ/17

قال القاسم: بين أنه متولي خلقه وإن خلقه إياهم من جماد لا حركة له وإنما حركة خالقه لأنه ليس من طبعه أن ينشر بنفسه ذكر ذلك لثلا يعتمد العبد بشيء من أعماله ولا ينظر إلى شيء سوى ربه وأفعاله.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكرهم نسبتهم لثلا يعجبوا بحالتهم ويقال: الأصل التربة ولكن العبرة بالتربية القيمة لما منه اصطفي الأعيان المخلوقة واختار الكعبة فهي أفضل من الجنة والجنة يا قوت وجوهر والبيت حجر والبيت مختاره والمؤمن مختارة وهذا المختار حجر وهذا المختار مدر وهو الغني لذاته منزّه عن كل غير وغير ورسم وأثر.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الآية 21] من جنسكم نساء ﴿لِتَسْكُنُوا﴾ [الآية 21] لتميلوا ﴿إِلَيْهَا﴾ [الآية 21] وتآلفوا بها فإن الجنسية علته الضم ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ [الآية 21] أي بين الرجال والنساء أو بين أفراد الجنس من الجن والإنس ﴿مَوَدَّةً﴾ [الآية 21] محبة ﴿وَرَحْمَةً﴾ [الآية 21] بخلاف سائر الحيوانات نظماً لأمر المعيشة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 21] فيعلمون ما في ذلك من أنواع الحكمة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه رد المثل إلى المثل وربط الشكل بالشكل وجعل سكون البعض إلى الآخر ولكن ذلك للأشباح والصور وأما الأرواح

فصحبتهما للأشباح كره لا طوع وأما الأسرار فمعتقة لا تساكُن الأطلال ولا تقديس بالإعلال.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ السِّنِينَ﴾ [الآية 22] لغاتكم بأن علم كل طائفة لغتها وأمالهم إليها أو ألهمهم وضعها وأقدرهم عليها أو أجناس أصواتكم بتفاوت نعماتكم ﴿وَالْوَيْكَ﴾ [الآية 22] من بياض الجلود وسوادها أو تخطيطات الأعضاء وهيأتها وأشكالها حتى أن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما يختلفان في شيء من ذلك لا محالة في بابهما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الآية 22] وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ [العنكبوت: الآية 43].

وأفاد الأستاذ: أن السموات في علوها والأرض في دنوها هذه بنجومها وكواكبها وهذه بأطوارها ومناكبها وهذه بشمسها وقمرها وهذه بمائها ومدرها 17/ ب واختلاف / لغات أهلها في الأرض واختلاف تسيحات الملائكة الذين هم سكان السماء فاختصاص كل شيء من هذه ببعض جائزات حكمها شاهد عدل ودليل صدق ينادي أفكار المستنطقين وينادي على أنفسها إنها بأجمعها من تقدير العزيز الحكيم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية 23] منامكم في الزمانين لاستراحة القوى الظاهرة النفسية وقوة القوى الباطنة الطبيعية وطلب معاشكم فيها من الأمور الضرورية أو منامكم بالليل وابتغائكم بالنهار على جري العادة الغالبية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 23] سماع تفهم وتفكر وتأمل وتدبر.

وأفاد الأستاذ: أن غلبة القوم بغير اختيار صاحبه ثم انتباهه من غير اكتسابه له في وسعه يدل على موته ثم بعثه بعد ذلك وقت نشوره ثم في حال منامه يرى ما يسره ويضره وعلى أوصاف كثيرة أمره كذلك الميت في قبره الله أعلم كيف حاله في أمره مما يلقاه من خيره وشره ونفعه وضره.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ [الآية 24] أراكم البرق ﴿خَوْفًا﴾ [الآية 24]

للمسافر ﴿وَطَمَعًا﴾ [الآية 24] للمجاور ﴿وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الآية 24] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف ﴿فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ﴾ [الآية 24] بإنباتها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 24] يبسها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 24] يتدبرون في استنباط، أسبابها وكيفية تكونها في أبوابها ليظهر لهم جمال قدرته وكمال حكمته.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يلقي في القلوب من الرجاء والتوقع في الأحوال ثم يختلف بهم الحال في المال فمن عبد يحصل مقصوده ومن آخر لا يتفق مراده والأحوال الشريفة كالبروق اللطيفة وقالوا: إنها أولاً لوائح ثم لوامع ثم طوالع ثم شوارق ثم متوع النهار فاللوائح في أوائل العلوم واللوامع من حيث العهود والطوالع من حيث المعارف والشوارق من حيث التوحيد.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الآية 25] أي قيامهما بإقامته لهما وإرادته لقيامهما في حيّزها والتعبير بالأمر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الإله ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ نَخْرُجُونَ﴾ [الآية 25] أي ثم خروجكم 18/أ من قبوركم إذا دعاكم دعوة واحدة فيقول أيها الموتى اخرجوا إلى معرض المولى.

وقال الأستاذ: يغير هذه الأدوار ويغير هذه الأطوار يبدل هذه الأحوال إماتة ثم إحياء وإعادة وقبلها ابداء وقبر ثم نشر معاتبة في القبر ثم محاسبة بعد النشر.

﴿وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْءٌ لَّمْ يَكُنْ قَبْلَهُ﴾ [الآية 26] منقادون لديه لا يمتنعون عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما مطيعون طاعة الإرادة وإن عصوا أمره في العبادة⁽¹⁾.

وقال الأستاذ: له ذلك ملكاً ومن تلك الأشياء بدأوا به إيجاداً وإليه رجوعاً.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ [الآية 27] في إنشائهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾ [الآية 27] بعد إفنائهم ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 27] أي والإعادة أسهل على الله من الأصل

(1) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لأبي بكر البقاعي (6/ 304).

بزعمكم وظنكم وتقديركم بالإضافة إلى قدركم وإلا فهما عليه سواء وكذلك قيل: والهاء من عليه عائد للخلق والمعنى أن العود وهو الخلق الآتي سهل من الخلق التدريجي وقيل أهون بمعنى هين وتذكير هو لأهون ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ﴾ [الآية 27] الوصف العجيب الشأن الغريب البرهان كالقدرة العامة والحكمة التامة ﴿الْأَعْلَى﴾ [الآية 27] أي الذي ليس لغيره ما يساويه أو يدانيه تعالى ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 27] في عالم العلويات والسفليات من الممكنات ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 27] القادر الذي لا يعجز عن إبداء ممكن وإعادته ﴿الْمُحْكِمُ﴾ [الآية 27] الذي يجري الأفعال على مقتضى حكمته.

وقال الأستاذ: له الصفة العليا في الوجود بحق العدم وفي الجود بنعت الكرم وفي القدرة بوصف الشمول وفي النصره بوصف الكمال وفي العلم بعموم التعلق وفي الحكم بوجوب التحقق وفي المشيئة بوصف البلوغ وفي القضية بحكم النفوذ وفي الجبروت بنعت العز والجلال وفي الملكوت بوصف المجد والجمال.

﴿ضَرَبَ لَكُمْ﴾ [الآية 28] بين لكم ربكم ﴿مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الآية 28] مأخوذاً من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم ﴿هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [الآية 28] مع أنهم بشر مثلكم ﴿مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَّا رَزَقْنَكُمْ﴾ [الآية 28] من المال والمنال ﴿فَأَنزَلْنَا فِيهِ سَوَاءً﴾ [الآية 28] في الأحوال ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ [الآية 28] من تصرفهم ﴿كَخِيفَتَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ [الآية 28] / أي من شركائكم ﴿كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ﴾ [الآية 28] نبينها فإن التمثيل يكشف المعاني ويوضحها ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 28] يستعملون عقولهم في تدبر الأمثال المضروبة لهم.

وقال الأستاذ: أي إذا كان لكم ممالك لا ترضون بالمساواة بينكم وبينهم وأنتم بكل وجه مشابهون لهم إلا أنكم بحكم الشرع مالكيهم فما تقولون في الذي لم يزل ولا يزال كما لم يزل هل يجوز أن يقدر في وصفه أن يساويه عبيده أو يكون شريكاً له مملوكة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 29] أنفسهم بإشراكهم ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

[الآية 29] من دليل عقل وبرهان ونقل ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَصَلَ اللَّهُ﴾ [الآية 29] فمن يقدر على هدايته سواء ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ تَصْرِيكَ﴾ [الآية 29] يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن الجهالة.

قال ابن عطاء: الظالم من اتبع نفسه هواها ومن فعل ذلك أعرض عن الحق ومن أعرض عن الحق حرم عليه الرجوع إلى الحق فإن الحق عزيز والطريق إليه عزيز.

وأفاد الأستاذ: أن أشد الظلم متابعة الهوى لأنه قريب من شرك المولى قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: الآية 23] فمن اتبع هواه خالف رضا مولاه فهو بوضعه الشيء غير موضعه صار ظالماً لنفسه كما أن العاصي ظالم بوضعه المعصية موضع الطاعة كذا هو بمتابعة هواه بدلاً عن موافقته لرضا مولاه حصل في الظلم متمادياً في دنياه وعقباه.

﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ [الآية 30] أقبل بكليتك إليه واستقامتك عليه حنيفاً مائلاً عن سائر الأديان معتكفاً لديه.

وفي «تفسير السلمي» مقبلاً على الله معرضاً عما سواه ﴿فَطَرَتْ﴾ [الآية 30] أعني خلقه الله أو الزموا فطرة الله ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الآية 30] وهي ملة الإسلام فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها ﴿لَا بَدِيلَ لِمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ [الآية 30] أي لا تبدلوا خلقته، ولا تغيروا فطرته ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَرِئَمُ﴾ [الآية 30] المستقيم الذي لا عوج فيه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 30] ما يوافقه وما لا ينافيه.

وقال الأستاذ في قوله: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ﴾ [الآية 30] أخلص قصدك إلى الله واحفظ عهدك مع الله وافرد عملك في سكناتك وحركاتك وجميع تصرفاتك لله حنيفاً مستقيماً في دينه/ مائلاً إليه ومعرضاً عن غيره فالزم فطرة أثبتهم قبل أن^{19/أ} يوجد منهم فعل ولا كسب ولا شرك ولا كفر كما ليس منهم إيمان ولا إحسان ولا كفران ولا عصيان فاعرف هذه الجملة من حاله ثم أفعَل ما أمر به واحذر ما نهى عنه تجردهم عن أفعالهم ثم أنصفهم بما يكتسبون من أحوالهم وإن كان ذلك

أيضاً بتقدير الله لهم ويقال إنه فطر كل أحد على ما علم أنه يكون عليه من السعادة والشقاوة لديه لا تبديل لحكمة ولا تحويل لما فطرهم عليه فمن علم أنه يكون سعيداً أراد سعادته وأخبر عن سعادته وخلق في حكمه سعيداً ومن علم شقاوته أراد أن يكون شقياً وأخبر عن شقاوته وخلق في حكمه شقياً ولا تبديل لحكمه ولا تحويل لأمره وهذا هو الدين المستقيم والطريق القويم.

﴿مُيِّنِينَ إِلَيْهِ﴾ [الآية 31] حال كونكم راجعين إلى أمره منقطعين إلى ذكره مشغولين بشكره ﴿وَأَتَّقُوهُ﴾ [الآية 31] أي عاقبه وخافوا حسابه ﴿وَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ﴾ [الآية 31] التي على أم العباد أن وناحية للسيئات ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 31] في الطاعات.

وقال الأستاذ: راجعين إلى الله بالكلية من غير أن يبقى البقية متصفين بصفاته منحرفين بكل وجه عن خلافه وشقاؤه متقين صغير الإنم وكبيره قليله وكثيره مقيمين للصلاة بأركانها وسننها وآدابها جهراً متحققين بمراعاة فضائلها سراً.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ [الآية 32] بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه من شركائهم على اختلاف أهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي أمروا أن يبنوا عليه يقينهم ﴿وَكَانُوا شِيعَةً﴾ [الآية 32] فرقاً شائع كل فرقة إمامها الذي أصل دينها وتقدم أمامها ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الآية 32] كل فرقة بما عندهم من العلم مسرورون ظناً منهم بأنهم على الحق فيما بينهم وفرح المؤمنون بربهم ودينهم الذي ارتضى لهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم أقاموا في دنياهم في خمار الغفلة وعناد الجهل الفترة فركنوا إلى ظنونهم وأفهامهم واستوطنوا مراكب أوهامهم وعلوا من لبس 19/ ب غيرهم وظنوا أنهم / على شيء في أمرهم فإذا انكشف ضباب وقتهم وانقشع سحب جحدهم انقلب فرحهم ترحاً واستيقنوا أنهم كانوا في الضلالة ولم يعرجوا إلا في أوطان الجهالة.

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ [الآية 33] شدة ومحنة ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾

[الآية 33] مقبلين عليه وراجعين من دعاء غيرهم إليه ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾ [الآية 33] كشف شدة وضعف نعمة ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 33] شركاء جلياً أو خفياً بحسب مراتبهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم إذا أظلمت لهم المحنة ونالتهم الفتنة ومستهم البلية رجعوا إلى الله بالكلية من فضله مستغيثين بلطفه مستجيرين عن محنتهم مستكشفين فإذا جاد عليهم بكشف ما نالهم ونظر إليهم بلطف ما أصابهم إذا فريق منهم لا كلهم بربهم يشركون يعودون إلى عادتهم المذمومة في الكفران وقابلوا إحسانه بالنسيان فهؤلاء ليس لهم عهد ولا وفاء ولا لِمودتهم صفاء.

﴿يَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ [الآية 34] اللام فيه للعاقبة أو للتهديد بالمعاقبة ويؤيده قوله ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ [الآية 34] على أنه التعتت فيه للمبالغة ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 34] عاقبة تمنعكم ووخامة توسعكم.

وقال الأستاذ: أي عن قريب سيحدث بهم مثل ما أصابهم ثم أنهم يعودون إلى رأس التضرع ويأخذون فيما كانوا عليه بدءاً من التخشع فإذا شفاهم وعافاهم رجعوا إلى رأس خطاياهم.

﴿أَمْ أَرْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ [الآية 35] حجة وبرهاناً ﴿فَهُوَ يَنْكَلِمُ﴾ [الآية 35] تكلم دلالة من غير آلة ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 35] بإشراكهم وصحته.

وقال الأستاذ: تبين أنهم بنوا على غير أصل طرقهم واتبعوا فيما ابتدعوا أهواءهم وعلى غير شرع وبيان وحجة وبرهان أسسوا مذاهبهم.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ [الآية 36] صحة وسعة ونعمة ﴿فَرَحُوا بِهَا﴾ [الآية 36] بطروا بسببها ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [الآية 36] شدة ومشقة ومحنة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 36] بشؤم معاصيهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الآية 36] فأجاز القنوط من رحمته واليأس من نعمته.

وقال الأستاذ: تستميلهم طوارق حالاتهم إلى طرق زلاتهم إن كان نعمة فالإلى فرح وإن كان شدة فالإلى قنوط وترح وليس وصف الأكابر كذلك قال

20/ أ تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ/ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: الآية 23].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 37] فما لهم لم يشكروا في السراء ولم يصبروا في الضراء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 37] ما ذكر من الضيق والسعة ﴿لَا يَنفِي لِقَومٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 37] فيستدلون به على كمال القدرة والحكمة قال الشاعر:

نكد الأريب وطيب عيش الجاهل قد أرشداك إلى الحكيم الكامل⁽¹⁾

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في الآية أن لا يعلق العبد قلبه إلا بالله لأن ما يسوؤهم ليس زواله إلا من الله وما يسرهم ليس كماله إلا من الله فالبسط الذي يسرهم ويؤنسهم منه وجوده والقبض الذي يسوؤهم ويوحشهم منه حصوله فالواجب لزوم عقوبة بالأسرار وقطع الأفكار عن الأغيار.

﴿فَإِنَّ ذَا الْأُفْرى حَقُّهُ﴾ [الآية 38] كصلة الرحم ونفقة المحارم ﴿وَالْمُسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الآية 38] بالإحسان إليهما والشفقة عليهما والخطاب للنبي عليه السلام أو لمن يسط له في الإنعام ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [الآية 38] ذاته أو جهته أو رضاه أي يقصدون بمعرفتهم إياه ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية 38] حيث حصلوا بما بسط لهم في الدنيا وتوسلوا إلى النعيم المقيم في العقبى واختاروا الباقية وبذلوا الفانية.

وأفاد الأستاذ: أن القرابة على قسمين قرابة النسب والطين وقرابة الحسب والدين وقرابة الدين أمس وبالمؤاساة أخف وأحسن فإذا كان الرجل مشغلاً بالعبادة غير متفرغ لطلب المعيشة فالذي له إيقان بحاله وإسراف على وقته وكماله يجب عليه أن يقوم بشأنه بقدر إمكانه مما يكون له عون على طاعته وفراغ قلب عن حديث عيلته فإن كان اشتغال الرجل بشيء من مراعاة القلب فحقه أكد وتصرفه أوجب ثم المريد هو الذي يؤثر حق الله على حظ نفسه فهمته بالإحسان إلى ذوي القربى والمساكين يتقدم على نظره لنفسه

(1) انظر روح المعاني (21/ 43).

وعيلته وما يهمه من خصوصيته .

﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَاٍ﴾ [الآية 39] أعطيتكم من زيادة محرمة في المعاملة أو عطية يتوقع بها مزيد مكافأة في المقابلة بالمعاملة وقرأ ابن كثير بالقصر أي ما فعلنتم به من إعطاء/ رباً ﴿لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ [الآية 39] ليزيد ويزكوا وقرأ نافع ب/ بضم التاء والياء أي لتزيدوا في أموالهم وتكثروا في أموالهم ﴿فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 39] فلا يزكوا عنده ولا يبارك له إما لحرمة وإما لخلوه عن مثوبته ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ﴾ [الآية 39] صدقة ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [الآية 39] تقصدون رضاه ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْطَرُّونَ﴾ [الآية 39] الذين ضعفوا ببركة الصدقة ثواب أعمالهم وزيادة أموالهم .

وأفاد الأستاذ: أن مريد وجه الله ورضاه لا يستخدم الفقير لما يبره به من رفعه وعطاه بل أفضل الصدقة هو الصدقة على ذي رحم كاشح حتى يكون بإعطائه مجرداً عن كل نصيب له فيه فهو لاء الذين هم يتضاعف أجرهم فقهرهم لأنفسهم وفوزهم بالعوض من فضل ربهم ثم الزكاة هي تطهر في اللغة لمال معلوم ببيان الشريعة كيفيته وكميته بإخراج الزكاة في أصناف المال وأوصاف الحال وزكاة البدن وزكاة القلب وزكاة السر كل ذلك يجب القيام به لأرباب الكمال .

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية 40] فيه إيماء إلى أن العباد يفتقرون إلى الله سبحانه بالإيجاد والإمداد في المعاش والمعاد ﴿هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِن دَلِكُمْ مِّن شَيْءٍ﴾ [الآية 40] أي من الخلق والرزق ابتداء ومن الأمانة والإعادة انتهاء ﴿سُبْحَنُكُمْ وَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 40] أي عما يعدونه شركاء .

قال الحسين: خلقكم بقدرته ورزقكم معرفته وأماتكم عن الأسباب وأحياكم به .

وقال سهل: أفضل رزق العبد سكونه إلى رازقه أي واعتماده على خالقه .

وأفاد الأستاذ: إن حرف ﴿ثُمَّ﴾ [الآية 40] يقتضي التراخي فيه إشارة إلى أنه ليس من ضرورة خلقه إياك أن يرزقك إذ أضعف أحوالك ابتداءً من خلقك فأثبتك وأحياك من غير حاجة لك إلى رزق فإلى أن خرجت من بطن أمك إما أن كان يغنيك عن الرزق وأنت جنين في بطن الأم ولم يكن لك لا أكل ولا شرب وإما أن كان يعطيك ما يكفيك من الرزق إن حق ما قالوا من أنه يغذي الجنين بدم الطمث وإذا أخرجك من بطن أمك ورزقك على الوجه المعهود / في 21/ أ
المعلوم للأنام ميسراً لك أسباب الأكل والشرب من لبن الأم ثم فنون الطعام ثم أرزاق القلوب والسرائر من الإيمان والعرفان وأرزاق التوفيق من الطاعات والعبادات ﴿ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ﴾ [الآية 40] بسقوط شهواتكم ويميتكم عن مشاهداتكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية 40] بحياة قلوبكم ثم بأن يحييكم بربكم ويقال: من الأرزاق ما هو وجود الإرفاق ومنها ما هو شهود الرزاق ويقال: لأمكنه لك في تبديل خلقك فكذا لا قدرة لك على تغيير رزقك فالموسع عليه رزقه بفضل لا لمناقب نفسه والمقتّر عليه رزقه بحكمه لا لمعايب نفسه ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ [الآية 40] الذي اتبعتموه إما من الأصنام أو مما توهتم من جملة الأنام من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون تنزيهاً له وتقديساً عما يشركون.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الآية 41] كالغلاء والربا وكثر الحرق والغرق ومحق البركات وظهور الظلمات من الظلم والضلالات ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الآية 41] بشؤم معاصيهم الناشئة عن الغفلات ﴿لِيَذِقَ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الآية 41] بعض جزاء السيئات فإن تمامه في الآخرة واللام لليلة أو العاقبة وقد قرأ قبل لنذيقهم بالنون ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 41] عن الغفلة إلى التوبة قيل: المواد بالبر والبحر الظاهر والباطن ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من البر إلى النفس ومن البحر إلى القلب وفساد البر بأكل الحرام وارتكاب المحظورات وفساد البحر من الغفلة والأوصاف الذميمة مثل سوء العزم والحسد والحقد وإرادة السرقة وسائر المعصية والخواطر الرديئة وعقد الإصرار على المخالفات من أعظم الفسادات كما أن العزم على الخيرات قبل فعلها من أعظم الخيرات ومن جملة الفساد التأويلات بغير حق والانحطاط إلى

الرخص وغير قيام بجد وجهه والإغراق في الدعاوى من غير استحياء من الله المتعالي. وقوله: ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الآية 41] من سقوط تعظيم الشرع من القلب والتأسف على ما فاته من الحق للرب.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 42] بقوالكم أو بقلوبكم ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 42] لتشهدوا مصداق ذلك وتحققوا صدق ما هنالك ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الآية 42].

قال الأستاذ: سيروا بالاعتبار واطلبوا الحق بنعت الافتكار وانظروا كيف كان حال من تقدمكم من الأشكال والأمثال وقيسوا عليها حكمكم في جميع الأحوال كانوا أكثرهم عدداً وأقلهم وزناً وقدرًا.

﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَنِيمِ﴾ [الآية 43] البليغ الاستقامة ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِي يَوْمٌ﴾ [الآية 43] هو يوم القيامة ﴿لَا مَرَدٍّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ [الآية 43] لا يقدر أن يردّه أحد سواء فالجار متعلق بيأتي وجوز أن يتعلق بمرد لأنه مصدر يعمل عمله والمعنى لا يردّه الله لتعلق إرادته القديمة بمجيئه ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ [الآية 43] أصله يتصدعون أي ينفرون فريق في الجنة والنعمة وفريق في السعير والنقمة كما أشار إليه بقوله.

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ [الآية 44] أي وباله من النار الموقدة المؤبدة ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الآية 44] يسوون منازل عليه في الجنة الميسرة.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية 45] أي أثر محبته ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية 45] فيعاملهم بعدله الذين حكم عليهم بعقوبته.

قال سهل: قوام الدين بشيء واحد هو إتباع الأوامر ولزوم السنة وافتقار الأكابر.

وقال الفضيل بن عياض: قوام الدين بشيئين الاتباع وترك الابتداع.

وقال الأستاذ: إخلاص قصدك وصدق عزمك للدين القيم بالموافقة والاتباع دون الاستبداع بالأمر على وجه الابتداع ومن لم يتأدب بمن هو إمام وقته ولم يتلقف الأذكار ممن هو لسان وقته كان خسارانه أتم من ربحه

ونقصانه أعم من نفعه.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ﴾ [الآية 46] الشمال والصبا والجنوب فإنها رياح الرحمة وأما الدبر فريح العقوبة ومنه قوله عليه السلام: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً»⁽¹⁾ رواه الشافعي والطبراني وغيرهما ﴿مُبَشِّرَةً﴾ [الآية 46] بالمطر لرزقكم/ من نعمته ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ [الآية 46] من المنافع المتتابعة ﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية 46] يعني تجارة البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 46] نعمة البحر والبر قيل رياح القدس تبشر بمنازل الإنس.

وقال الأستاذ: يرسل الرياح رياح الرجاء على قلوب العباد فتسكن قلوبهم عن عناء الجبن وغشاء اليأس ثم يرسل عليهما أمطار التوفيق فيحملهم إلى بساط الجهد ويلزمهم بقوى النشاط ويرسل رياح البسط على أرواح الأولياء فيظهرها من وحشة القبض وينشر فيها لذات الوصال ويرسل رياح التوحيد فتذهب على أسرار الأصفياء وتطهرها عن آثار الأغيار وتنشرها بدوام الإقبال فذلك ارتياح به ولكن بعد احتياج عنك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَآمَهُمْ بِالْبَيْتَةِ﴾ [الآية 47] فآمن به بعضهم ﴿فَأَنقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمْ﴾ [الآية 47] كفروا منهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ [الآية 47] بمقتضى الوعد لدينا ﴿نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 47] المخلصين إلينا في الدنيا والآخرة والجملة اعتراضية تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتأنيساً له في مقام الوصول الأكرم ووعداً بالنصر له واتباعه ووعيد لأهل الكفر وأشياعه.

وقال الأستاذ: أي أرسلنا رسلاً إلى عبادنا فمن قابلهم بالتصديق وصل إلى خلاصة التحقيق ومن عارضهم بالجحود أذقناهم عذاب الخلود فانتقمنا من الذين أجروا أخذناهم من حيث لم يحتسبوا وشوشنا عليهم ما أملوا

(1) أخرجه البيهقي في معرفة السنن (6/ 19) رقم (2096)، والطحاوي في مشكل الآثار (2/ 410) رقم (771)، والطبراني في المعجم الكبير (11/ 213) رقم (11533)، وأبو يعلى في المسند (4/ 341) رقم (2456)، والشافعي في المسند (1/ 81) رقم (361).

ونَعَصْنَا عَلَيْهِمْ مَا اسْتَطَابُوا وَتَنَعَمُوا وَأَخَذْنَا بِخَنَاقِهِمْ فَحَاقَ بِهِمْ مَا مَكُرُوا ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 47] وطَّوَّهُمْ أَعْدَاءَهُمْ بِأَعْقَابِهِمْ فَلَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سِيرًا حَتَّى وَرَقَيْنَاهُمْ فَوْقَ رِقَابِهِمْ خَبَرْنَا أَوْطَانَهُمْ وَهَمَدْنَا شَأْنَهُمْ وَأَخْمَدْنَا نِيرَانَهُمْ وَعَطَلْنَا عَلَيْهِمْ دِيَارَهُمْ وَمَحَوْنَا بِقَهْرِ التَّدْمِيرِ آثَارَهُمْ فَظَلَّتْ شُمُوسُهُمْ كَاسِفَةً وَمَكِيدَةٌ قَهْرُنَا لَهُمْ بِأَجْمَعِهِمْ خَاسِفَةٌ.

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [الآية 48] وقرأ ابن كثير وحزمة والكسائي الريح على/ إرادة الجنس ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ﴾ [الآية 48] أي متصلاً تارة ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ [الآية 48] في سمتها وجهتها ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الآية 48] سائراً أو موافقاً مطبقاً أو غير مطبق في أفق دون أفق ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾ [الآية 48] قطعاً تارة أخرى كيف يشاء ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ [الآية 48] المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [الآية 48] إذا شاء ومتى شاء ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الآية 48] يعني أراضي بلاده ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الآية 48] يفرحون منبسطين.

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُزَلَّ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 49] الودق من أقطاره ﴿مِن قَبْلِهِ﴾ [الآية 49] أي قبل استبشارهم بأقطاره ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ [الآية 49] متحيرين آيسين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه وتعالى يرسل رياح عطفه وجوده مبشرات بوصوله ووجوده ثم يمطر جود غيئه على أسرارهم بلطفه ويطوي بساط الحشمة عن ساحات قربه ويضرب قباب الهيبة بمشاهد كشفه وينشر عليهم أزهار أنسه ثم يتجلى لهم بحقائق قدسه ويسقهم بيده شراب حبه وبعد ما محاهم عن أوصافهم أصحابهم لا بهم ولكن بنفسه فالعبارات عن ذلك خرس والإشارات فيها طمس.

﴿فَانْظُرْ إِلَى ءَآثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ [الآية 50] أثر الغيب من النبات والأشجار وأنواع الأزهار والأثمار وكذلك جمعه ابن عامر وحزمة والكسائي وحفص ﴿كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 50] بإنباتها بعد جفاف نباتها ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ [الآية 50] الذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها بالإفناء ﴿لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾ [الآية 50] لقادر على إحيائهم كما قدر على أبدانهم ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 50] من

أمور الابتداء والانتهاء.

وفي «تفسير السلمي» أن ذلك لمحيي الأنفس الميتة بالشهوات والقلوب المبينة بالغفلات بأنوار معرفته وآثار هدايته.

وقال الأستاذ: فانظر إلى أثر رحمة الله كيف يحيي الأرض بأزهارها وأنوارها عند مجيء أطوارها ليخرج زرعها وأثمارها ويحيي النفوس بعد نفرتها فيوقفها للخيرات بعد فترتها فيعمر أوطان الوفاق بصادق إقدامهم وتندفع البلايا عن الأنام ببركات ألوانهم ويحيي القلوب بعد غفلتها بأنوار المحاضرات فتعود إلى استدامة الذكر بحسن المراعاة ويهتدي بأنوار أهلها أهل العصر من أصحاب الإرادات ويحيي الأرواح بعد حجتها بأنوار المشاهدات فتطلع شمسها/ عن بروج السعادات ويتصل شمام أسرار الكافة نسيم ما يفيض عليهم من الزيادات فلا يبقى صاحب نفس إلا حظي منه بنصيب من الواردات ويحيي الأسرار وما كان لها إلا وفقد في بعض الحالات فتنتفي بالكلية آثار الغيرية ولا يبقى في الدار ديار ولا من سكانها آثار وسطوات الحقائق لا تثبت لها ذرة من صفات الخلائق ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقُّ﴾ [الكهف: الآية 44] سقط الماء والقطرة وطاح الرسوم والجملة.

﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ [الآية 51] الضمير للزرع والأثر لما دل عليه ما سبق من الخير أو للسحاب فإنه إذا اصفر دل على عدم المطر ﴿أَطْلُؤْا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الآية 51] بخالق القوى والقدر والآية ناعية على الكفار بقلة تفكرهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم وسوء تقلقلهم فإن النظر السوي يقتضي أن يتوكلوا على ربهم ويلتجئوا إليه بالاستغفار والاعتذار إذا احتبس القطر عنهم ولا ييأسوا من رحمته وأن يبادروا إلى شكره والاستدامة بطاعته إذا أصابهم بنعمته وأن يصبروا على بلائه وإصابة محنته وشدته.

﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [الآية 52] فمنهم مثلهم لما سدّ عن الحق مشاعرهم ﴿وَلَا تَسْمِعُ الضَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [الآية 52] برفع الصوت في النداء أو بالإشارة والإيماء.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالِهِمْ﴾ [الآية 53] الناشئة عن جهالتهم وسماهم عمياً لفقدهم المقصود الحقيقي من الإبصار أو لعمى قلوبهم من الإبصار فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور التي هي منابع الأسرار ومعادن الأنوار ﴿إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 53] فإن إيمانهم بها يدعوهم إلى تلقي المبنى تدبر المعنى ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الآية 53] مستسلمون بكل ما حوى.

قال ابن عطاء: لن يسمع دعاءك إلا من أسمعناه في الأزل خطابنا ووفقناه بجواب الخطاب على وجه الصواب.

وأفاد الأستاذ: أن من فقد الحياة الأصلية لم يعيش بالرقية والتميمة وإذا كان في السريرة طرش عن سماع الحقيقة فسمع الظاهر / لا يفيد إلا تأكيد الحجة 23/ ب وكما لم يسمع الصم الدعاء فلم يمكنه أن يهدي العمي عن ضلالتهم بالنداء.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ [الآية 54] أي ابتدأكم ضعفاء في أصل خلقكم وجعل الضعف أساس أمركم أو خلقكم من مادة ضعيفة هي النطفة اللطيفة على خلاف إنها النجسة أو النطفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الآية 54] ذلك إذا بلغت الحلم وقت قوة الأشباح أو حين تعلق بأبدانكم الأرواح ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الآية 54] ليس بعدها قوة وفتح عاصم بخلاف عنه من رواية حفص وحمزة الضاد في جميعها ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية 54] من ضعف وقوة وشيبة ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الآية 54] كامل العلم تام القدرة.

قال الواسطي: خلق خلقه بحيث لا يمكن أن يجزّ نفعاً أو يدفع ضرراً فهو أسير جوعه وصريح شبعه ورهين شهوته لا ينفك منها إلا المعصومين بفضل الله ورحمته.

أفاد الأستاذ: إنه سبحانه أظهر الإنسان على وصف ضعف الصغر ثم بعده قوة الشباب والكبر ثم ضعف الشيب والعبر ثم: آخر الأمر ما ترى من القبر واللحد والثرى

كذلك في ابتداء أمرهم يظهرهم على وصف ضعف البداية في نعت التردد والتحير في طلب الهداية ثم بعده قوة الوصل والعناية ثم ضعف التوحيد في النهاية ويقال: خلقكم من ضعف أي على حال ضعف من حيث الحاجة ثم بعده قوة الوجود وقدره الممكنة ثم بعد ضعف المسكنة.

﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ﴾ [الآية 55] القيامة لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا وهي في يوم الجمعة أو لأنها تقع بغتة في مبدأ العاقبة وصارت علماً لها بالغلبة كالكوكب للزهرة ﴿يُقْسَرُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 55] يحلفون ﴿مَا لَيْتُوا﴾ [الآية 55] في الدنيا أو في البرزخ ما بين الأولى والأخرى ﴿عَبْرَ سَاعَةٍ﴾ [الآية 55] استقلوا مدة لبثهم في الدنيا إضافة إلى مدة عذابهم المتوقع ومكثهم في العقبي ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية 55] مثل هذا الصرف عن التحقيق ﴿كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الآية 55] يصرفون عن طريق التوفيق.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الآية 56] من الإنس والجان وملائكة الرحمن ﴿لَقَدْ لَيْتُوا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الآية 56] أي معلومه ومقضيه فيكم أو ما كتبه وأوجهه/ لكم ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الآية 56] ردوا بذلك سبق مقالهم وظنهم بحالهم 24/ أ ﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ [الآية 56] الذي أنتم به منكرون ﴿وَلَكِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 56] حيث كنتم به تكفرون.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ﴾ [الآية 57] لو يعتذرون وقرأ الكوفيون بالتذكير ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الآية 57] لا ليدعون إلى طلبهم إزالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا إليه قبل قيام الساعة.

﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الآية 58] يحصل لديه الاستئناس والمعنى بينا لهم من كل مثل نبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسل فيما آتاهم ﴿وَلَكِنْ حَسَبَهُمْ ثَنَائِي﴾ [الآية 58] من آيات القرآن ﴿يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 58] من فرط عنادهم وقساوة فؤادهم وفساد اعتقادهم ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا الْمَائِدَةُ﴾ [الآية 106] أيها الرسول والمؤمنون ﴿إِلَّا مَبْطُلُونَ﴾ [الآية 58] مترددون.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 59] الحق ولا يتبعون الصدق.

﴿فَاصْبِرْ﴾ [الآية 60] على جهلهم وعماهم وسوء عملهم وتحمل آذاهم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 60] بنصرتك وإظهار دعوتك وغلبة ملتك ﴿حَقٌّ﴾ [الآية 60] وإنجازه صدق ﴿وَلَا يَسْتَخَفُّنَكَ﴾ [الآية 60] لا يحملنك على القلق والخفة ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ﴾ [الآية 60] بيوم القيامة وقت الندامة وحالة الملامة.

وأفاد الأستاذ: أن قولهم ما لبثوا غير ساعة إنما يكون ذلك لأحد أمرين إما لأنهم كانوا أمواتاً والميت لا إحساس له بما يدرك أوقاتاً أو وعدوا ما لقوا من عذاب القبر ولو كان كثيراً بالإضافة إلى ما يرون ذلك اليوم يسيراً وإن أهل التحقيق يخبرونهم عن طول لبثهم تحت أرضهم وإن ذلك الذي يقولون من جملة ما كانوا يظهرون من جحدهم على موجب جهلهم ثم لا يسمع عذرهم ولا يرفع ضرهم وأخبر بعد هذا في آخر السورة عن إصرارهم وانهماكهم في غيهم وإن ذلك نصيبهم من القسمة إلى آخر أعمارهم ثم ختم السورة بأمره ﷺ من اضطباره على معاناة مسارهم ومضارهم.

سورة لقمان

[مكية]

وهي أربع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

24/ب قال الأستاذ: بسم الله كلمة من سمعها أقر أنه لم يسمع / مثلها ومن عرفها أنف أن يسمع أو يعرف غيرها كلمة من سمعها طابت قصته وزالت بكل وجه غصته وتمت في الدنيا والعقبى حصته زهد في دنياه من غير رغبة في عقباه إلا بها وإن جلت عن مولاه، كلمة من سمعها لم يرغب في عمارة بنائه ولم يحتشم من سرعة قضائه وفنائه.

﴿الْعَمَّ﴾ [الآية 1] الألف، تشير إلى الآية واللام تشير إلى لطفه وعطائه والميم أمانة إلى مجده وسنائه فبالآية رفع الحجب عن قلوب أوليائه وبلطف عطائه أثبت الحب في أسرار أصفياه وبمجده وسنائه مستغفر عن جميع خلقه بوصف كبريائه.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [الآية 2] الجامع للأحكام والحكم والحاكم على سائر الكتب المنزلة المحكمة في بيان الوقائع المفصلة.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 3] حالان عن الآيات ورفعها حمزة على الخبر بعد الخبر أو الخبر للمبتدأ المقدر وأراد بالمحسنين المؤمنين المنتفعين علماً وعملاً وقالاً أو حالاً.

وأفاد الأستاذ: هو هدي وبيان ورحمة وبرهان للمحسنين العارفين بالله والمقيمين لعبادة الله كأنهم ينظرون إلى الله يعني كما ورد الإحسان أن تعبد

الله كأنك تراه قال: وشرط المحسن أن تكون محسناً إلى عباد الله دانيهم وقاصيهم ومطيعهم وعاصيهم.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [الآية 4] في أوقات الصلاة ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ﴾ [الآية 4] في سبيل الخيرات وطلب المرضاة ﴿بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [الآية 4] يستيقنون بما فيها من المجازاة على الطاعات والسيئات بالمشوات والعقوبات.

وقال الأستاذ: يأتون بشرائطها في الظاهر من ستر العورة وتقديم الطهارة واستقبال القبلة والعلم بدخول الوقت والوقوف في مكان طاهر وفي الباطن يأتون بشرائطها من طهارة السر عن العلانق وستر عورة الباطن بتنقيته عن العيوب لأن ما كان فالله يراه، فإذا أردت أن لا يرى الله عيوبك فاحذرهما حتى لا تكون، والوقوف على مكان طاهر وهو وقوف القلب على حد الذي أذن في الوقوف فيه مما لا يكون دعوى بلا تحقيق بل رحم الله من وقف عند حده والمعرفة / بالوقت 25/أ فيعلم وقت التذلل والاستكانة ويتميز بينه وبين وقت السرور والبسط ويستقبل القبلة بنفسه ويعلق قلبه بالله من غير تخصيصه بقطر أو مكان دون غيره.

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية 5] باهتداء قلبهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية 5] بإصلاح قوالبهم.

وقال الأستاذ: الذين يقومون بشرائط صلواتهم وحق آداب عباداتهم ثم الذين اهتدوا في الدنيا وسلموا أو نجوا في العقبى.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي﴾ [الآية 6] يختار ﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾ [الآية 6] ما يلهي عما يعني كالأحاديث التي لا أصل لها والأساطير التي لا اعتبار بها عن ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين كل كلام سوى كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الصالحين فهو لهو ﴿لِيُضِلَّ﴾ [الآية 6] عباد الله ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 6] متابعة دينه وقرأه وقراءة كتابه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء أي ليثبت على ضلاله ويزيد في وباله فاللام للعاقبة في ماله ﴿يَغْيِرُ عَلِيمٌ﴾ [الآية 6] بحاله لا في ماضيه ولا في استقباله ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [الآية 6] ويتخذ السبيل سخرية عطف على يشتري ونصبه حمزة والكسائي وحفص عطفاً على يضل ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

مُهِينٌ ﴿[الآية 6] لإهانتهم طريق الحق اليقين بإتيان الباطل عليه في أمر الدين.

وأفاد الأستاذ: أن لهو الحديث ما يشغل عن الله ذكره وتحجب عن الله سماعه وفكره.

﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِ أَيْنُنَا﴾ [الآية 7] ويبين له مصنوعاتنا ﴿وَلَنْ﴾ [الآية 7] أدبر معرضاً عنها ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ [الآية 7] متكبراً لا يعبأ بها ولا يلتفت إليها ﴿كَانَ أَمْرٌ نَسْمَعُهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [الآية 7] ثقلاً يمنعه عن سماعها ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 7] أخبره بعذاب مؤلم وأعلمه بحجاب محكم.

وأفاد الأستاذ: أن المعترف بتهمته والمتشبث بعلته لا يزيد بعلته لا يزيده كثرة الوعظ إلا نفوراً عن ربه وتباعداً عن قربهِ فسماعه كلا سماع ووعظه هباءً وضياع.

إذا أنا عاتبت الملول فإنما أخط بأقلامي على الماء أحرفاً
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [الآية 8] في دار المقيم.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ [الآية 9] وإخباره صدقاً ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 9] الغالب على مراده ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 9] فيما أراد بعباده.

25/ ب وقال الأستاذ: آمنوا صدقوا / وعملوا الصالحات حققوا فاتصاف تحقيقهم إلى تصديقهم فنجوا وسلموا فهم في راحتهم مقيمون دائمون لا يبرحون.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الآية 10] سبق في الرعد بيانها ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا﴾ [الآية 10] جبلاً ثوابت لكم ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [الآية 10] كراهة أن تميدكم ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الآية 10] مطر الرحمة ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 10] من كل صنف كثير المنفعة وفيه دلالة كمال القدرة وتمام الحكم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمسكها بقدرته من غير عماد وحفظها لا إلى إسناد ولا مستند إلى أوتاد بل بحكم الله وتقديره ومشيته وتديره والرواسي في

الظاهر الجبال وفي الحقيقة الأبدال الذين هم الأوتاد من الرجال بهم يرزقهم ويستقيهم ويصرف البلاء عن دانيهم وقاصيهم وأنزل من السماء الظاهر في رياض الخضرة ومن سماء الباطن في رياض أهل الدنو والحضرة.

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ العزيز في كبريائه ﴿فَارُونِ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الآية 11] أي مما تعبدونه من غيره ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية 11] المشركون في الدين ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الآية 11].

وقال الأستاذ: هذا خلق الله العزيز في كبريائه فأروني ماذا خلق الذين عبدتم من دونه في أرضه وسمائه.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ﴾ [الآية 12] أي ابن باعورا من أولاد آزر ابن أخت أيوب أو خالته وعاش حتى أدرك داوود عليه السلام في زمن نبوته وأخذ منه العلم في شريعته وكان يفتي قيل بعثته فلما بعث ترك الفتوى فقبل له في ذلك فقال: ألا أكتفي إذا كُفيت هنالك والجمهور على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً و﴿الْحِكْمَةَ﴾ [الآية 12] في عرف العلماء استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية على قدر طاقة البشرية ومجمل القضية أن الحكمة هي اتقان العلوم والأعمال الشرعية ومن حكمته أنه صحب داوود شهوراً وكان يسمر الدرع فلم يسأل عنها فلما أتمها لبسها قال: نعم لبوس الحرب أنت، فقال الصامت: حكم الله، أي حكمه، وقيل: فاعله أي مستعمله ومنها أن داوود قال له: يوماً كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت في يد غيري فتفكر داوود عليه السلام / فصعق صعقة 26/أ ومنها أنه أمر بأن يذبح شاة ويأتي بأطيب مضغتين منها فأتي باللسان والقلب ثم أمر بأن يأتي بأخبث مضغتين فأتى بهما أيضاً فسئل عن ذلك فقال: هي أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ﴾ [الآية 12] أن مصدرية أو تفسيرية ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [الآية 12] لأن نفعه عائد إليها من استحقاق مزيد النعمة واستدامتها عليها ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ﴾ [الآية 12] عن شكر، غير مبالي بكفره ﴿حَمِيدٌ﴾ [الآية 12] محمود نطق بحمده جميع خلقه إما ببيان القول أو بلسان الحال.

قال أبو عثمان: لا يكون الحكيم حتى يكون حكيماً في قوله حكيماً في فعله حكيماً في معاشرته بأهله.

وقال السري: الشكر أن لا يعصى في نعمه وقال جنيد: الشكر أن لا يرى معه شريكاً في نعمه.

وقال الحريري: الشكر أن لا تحرس لسانك عن النطق بالشكر علماً بأن أخرسه العجز.

وقال الأستاذ: أن الحكمة هي الإصابة في العقل والفعل والنطق ويقال ﴿الْحِكْمَةُ﴾ [الآية 12] أن لا يكون تحت سلطان الهوى والشهوة ويقال ﴿الْحِكْمَةُ﴾: الكون يكون لمن له الحكم ويقال: ﴿الْحِكْمَةُ﴾ معرفة قدر نفسك حتى لا تمتد رجلك خارجاً عن كسائك ويقال: ﴿الْحِكْمَةُ﴾ أن لا تستعصي على من تعلم إنك لا تقاومه ثم حقيقة الشكر انفتاح عين القلب لشهود ملاطفات الرب فإنه في اللغة مقلوب قولهم كشرت عن أسنان الدابة ويقال: الشكر تحققك بعجزك عن شكره ويقال: الشكر حال يحصل به كمال استلذاذ النعمة ويقال: الشكر لفضله يظهر على اللسان من ابتلاء القلب من السرور فينتطق بمدح المشكور.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ﴾ [الآية 13] اختلف في اسمه ﴿يَبْنَى﴾ [الآية 13] لا تصغير إشفاق ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ [الآية 13] ما عداه ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 13] فيمن عصاه لأنه تسوية بين من لا نعمة منه وبين من لا يتصور أن يصدر نعمة عنه.

وأفاد الأستاذ: أن الشرك الجلي عبادة الأصنام والخفي حسابان شيء من الحدثان في الأنام ويقال: الشرك ظلم على القلب والمعاصي ظلم على النفس فظلم النفوس بعرض الغفران وظلم القلوب لا سبيل إليه للغفران.

26/ ب ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا﴾ [الآية 14] / أي ذات وهن ﴿وَعَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [الآية 14] يعني بضعف ضعفها فوق ضعف فإنها لا تزال يتضاعف ضعفها ﴿وَفَضَّلْهُ فِي عَافَيْنِ﴾ [الآية 14] وفضله من انقضاء عامين وكانت مرضعة في تلك المدة ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ﴾ [الآية 14] نعمة التربية عليك تفسير لوصيتنا

والجملة المعترضة مؤكدة للتوصية في حقها ولذا ورد «بر أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبك»، ولعل وجه زيادة الكلام بالمرات لاختصاصها بمشقة الحمل والوضع والرضاع ولا يبعد أن عدم ذكر الوضع من باب الطهور والاكتفاء ﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [الآية 14] فأحاسبك على شركك وكفرك على اليسير والكثير.

وعن ابن عيينة من صلى صلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات الخمس فقد شكر والديه⁽¹⁾.

﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الآية 15] أي باستحقاقه والمراد بنفي العلم به نفي وجوده ﴿فَلَا تُطْعَمُهُمَا﴾ [الآية 15] في ذلك إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [الآية 15] وصحاباً يرتضيه حكم الشرع ويقتضيه كرم الطبع ﴿وَأَتَّبِعْ﴾ [الآية 15] في أمر الدين ﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [الآية 15] في باب اليقين من التوحيد والإخلاص المبين ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية 15] مرجعك ومرجعهما مع سائر الخلق أجمعين ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 15] فأجازيكم بأعمالكم على حسب أحوالكم وفي الآية أي إلى منع تجويز اقتداء الأبناء بالآباء في غير طريق الأنبياء.

قال عبدالله بن المبارك: لا تقطع أيديهما عن مالك ولا تدع لنفسك معهما ملكاً كذلك. وقال بعضهم: اجعل لهما ظاهرهما من الشفقة والخدمة واجعل باطنك له سبحانه في الطاعة والحرمة.

وقال الأستاذ: أوجب الله شكر نفسه وشكر الوالدين على عبده ولما حصل الإجمال على أن شكر الوالدين بدوام طاعتها أو لا يكفي فيه مجرد القول ما لم يكن فيه موافقة الفعل وذلك بالتزام الطاعة واستعمال وجه الطاعة دون صرفها في الزلة فشكر الحق بالتعظيم والتكبير وشكر الوالدين بالإشفاق والتوقير قال: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي﴾ [الآية 15] أي بالله وتسعى بما هو زلة في أمر الله فلا تطعهما ولكن عاشرهما بالجميل تحسين في تلوين فاجعل

(1) انظر تفسير حقي (10/411).

27/ أ لهما ظاهره فيما ليس فيه حرج وانفرد / بسرّك الله حتى يأتيك فرج.

﴿يَبْقَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ﴾ [الآية 16] أي الخصلة من الإحسان أو الإساءة
﴿وَمُنْقَالَ حَبَكٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ [الآية 16] أي كحبة الخردل مثلاً في صغر الحبة وقرأ
نافع برفع مثقال على أن الهاء ضمير القصة وكان تامة وثانيها لإضافة المثقال إلى
الحبة أو لأن المراد به الحسنة أو السيئة ﴿فَتَكُنْ فِي صَحْرٍ﴾ [الآية 16] مجوفة ﴿أَوْ
فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الآية 16] العلوية ﴿أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 16] السفلية ﴿يَأْتِيهَا اللَّهُ﴾
[الآية 16] يحضرها فيحاسب عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الآية 16] يصل علمه
إلى كل ما خفي عن غيره خبير عالم بكنهه.

وقال الأستاذ: عالم بدقائق الأمور وخفياتها من ذوات الصدور.

﴿يَبْقَىٰ أَفْرِ الصَّلَاةِ﴾ [الآية 17] تكميلاً لنفسك ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ
الْمُنْكَرِ﴾ [الآية 17] تكميلاً لغيرك ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [الآية 17] من المهلك
لا سيما في ذلك، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ [الآية 17] أي الصبر أو جميع ما سبق من الأمر
﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الآية 17] مما عزمه وأوجه الله من الأمور التي قدرها وقضاها.

وأفاد الأستاذ: أن الأمر بالمعروف يكون بالقول وأبلغه أن يكون
بامتناعك بنفسك عما تنهى عنه واشتغالك واتصافك بنفسك بما تأمر به غيرك
ومن لا حكم له على نفسه لا ينفذ حكمه على غيره والمعروف الذي يكون به
الأمر ما يوصل العبد إلى الله والمنكر الذي يجب النهي عنه ما يشغل العبد
عن مولاه وفي قوله: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [الآية 17] تنبيه نبيه على أن من قام
الله بحق امتحن في الله فسبيله أن يصير الله فإن من صبر لله لم يخسر على الله.

﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 18] لا تمل صفحة وجهك عنهم كما يفعل
المتكبرون بينهم وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر ﴿وَلَا تَمْشِ فِي
الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الآية 18] أي فَرَحًا أو فَرِحًا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ [الآية 18]
ماش بالخيلاء ﴿فَخُورٌ﴾ [الآية 18] مفتخر بماله وجاهر على الضعفاء.

وقال الأستاذ: يعني لا تتكبر على الناس وطالعهم من حيث النسبة
هناك وتحقق بأنك بمشهد مولاك ومن علم أن مولاه ينظر إليه لا يتكبر ولا

يتناول بل يتخاضع ويتضاءل.

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [الآية 19] توسط فيه فإن الاقتصاد في جميع المواد هو المراد ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ [الآية 19] واخفض منه وانقص عنه ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ [الآية 19] أوحشها ﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [الآية 19] / من بين الحيوانات فإن 27/ ب يبالغ في رفعه صوته في جميع الحالات.

قال سفيان الثوري: صوت كل شيء تسييح الرحمن إلا صوت الحمير فإنها تصبح برؤية الشيطان ولذا يكون منكراً بل أنكر.

وقال الأستاذ: كن فانياً عن شواهدك مصطلماً عن صولتك مأخوذاً من حولك وقوتك متنشفاً بها استولى عليك من كشوفات شرك وانظر من الذي يسمع صوتك حين تستفيق من خمار غفلتك وفي قوله: أن أنكر الأصوات من الإشارة أنه الذي يتكلم في لسان المعرفة قبل أوانه من غير إذن من الحق في شأنه.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 20] بأن جعلهما أسباباً محصلة لمعاشكم وفق مرادكم وميسرة لأخذ زادكم إلى معادكم.

وقال الأستاذ: إذا أثبت في كل شيء منها نفعاً لكم في السماء لتكون لكم سقفاً والأرض لتكون لكم فراشاً والشمس لتكون لكم سراجاً والقمر لتعلموا بها عدد السنين والحساب والنجوم لتتهدوا بها يعني وأمثالها مما لا يمكن إحصاؤها ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنُهُ﴾ [الآية 20] محسوسة ومعقولة معروفة ومجهولة وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص نعمه بالجمع والإضافة قيل النعم الظاهرة العافية والأمان والنعم الباطنة الرضوان والغفران.

وقال ابن عطاء: النعم الظاهرة الإسلام والنعم الباطنة الإيمان.

وقال أبو بكر الوراق: النعم الظاهرة استواء الخلق والنعم الباطنة اعتدال الخلق وقال: النعم الظاهرة صحبة أولياء الله والنعم الباطنة هي الرجوع إلى الله.

وأفاد الأستاذ: أن الإسباغ ما يفضل عن قدر الحاجة ولا يحتاج معه

إلى الزيادة وتكلموا في النعم وأكثروا فالظاهر وجود النعمة والباطنة شهود المنعم الظاهرة الدنيوية والباطنة الدينية الظاهرة حسن الخلق والباطنة حسن الخلق الظاهرة نفس بلا زلة والباطنة قلب بلا غفلة الظاهرة العطاء والباطنة الرضا الظاهرة في الأموال ونمائها والباطنة في الأحوال وصفائها ويقال الظاهرة تسوية الخلق والباطنة تصفية الخلق الظاهرة الزهد في الدنيا الباطنة الاكتفاء / بالمولى من الدنيا والعقبى الظاهرة الزهد والباطنة الوجد والظاهرة توفيق المجاهدة الباطنة تحقيق المشاهدة الظاهرة اشتغالك بنفسك عن الخلق الباطنة اشتغالك عن نفسك بالحق الظاهرة طلبه الباطنة وجوده الظاهرة أن تصل إليه الباطنة أن تبقى معه ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ [الآية 20] في توحيد ذاته أو تحقيق صفاته ﴿يَغْيِرْ عِلْمٌ﴾ [الآية 20] مستفاد من دليل معقول ﴿وَلَا هُدًى﴾ [الآية 20] مستدل منقول راجع إلى رسول ﴿وَلَا كِتَابٌ مُّثِيرٌ﴾ [الآية 20] أنزل الحق إلى الخلق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الآية 21] وتبين فيه هداية ﴿قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [الآية 21] أي سلفنا ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾ [الآية 21] الضمير لهم أو لأبائهم ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ أَلَسَّيرِ﴾ [الآية 21] إلى ما يؤول إليه من تقليد الإباء وترك متابعة الأنبياء وما أنزل الله من السماء.

﴿وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 22] بأن فوض أمره إلى الله وأقبل بكلية عليه فالإسلام بمعنى التسليم ويؤيد قراءة الأعمش بتشديد اللام ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [الآية 22] في علمه وعمله ﴿فَقَدَرْنَا أَسْمَكَ بِالْعَرَّةِ الْوُثْقَى﴾ [الآية 22] تعلق بأوثق ما يتعلق ﴿وَالِلَّهِ عَقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الآية 22] إذا لكل صائر إليه وحاضر لديه.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾ [الآية 23] فإنه لا يضرك بل ضرره على نفسه ﴿إِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ﴾ [الآية 23] في دنياهم وأخراهم ﴿فَنُفِثُهم بِمَا عَمِلُوا﴾ [الآية 23] فنخبرهم بأعمالهم ونجازيهم بحسب أحوالهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الآية 23] فضلاً عن ظواهر الأمور.

﴿نُعَمِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ [الآية 24] تمتيعاً أو زماناً قليلاً فإن ما يزال بالنسبة إلى ما

يدوم قليل ولو قدر كثير وطويل.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الآية 25] إذ لا جواب لهم سواه ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 25] على إلزامهم إلى الاعتراف بمناقض كلامهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 25] إن ذلك خلاف مرادهم.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 26] لا يستحق العبادة فيهما سواه ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ [الآية 26] عن عباده العالمين ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 26] المحمود على لسان الخلق أجمعين.

وقال الأستاذ: لم ينحظر أمنهم ولا من أمثالهم ولم يهتدوا إلى محول أحوالهم فأما من أسلم نفسه وأخلص في الله قصده فقد استمسك بالعروة الوثقى وسلك الحجة المثلى ومن كفر فلا يحزنك / كفره إلينا إياهم ومنا 28/ ب عذابهم وعلينا حسابهم ولئن سألتهم عن خالقهم لأقروا ولكن إذا عادوا إلى غيهم نقضوا وأصروا ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 26] ملكاً ويجري فيهم حكمه حقاً وإليه مرجعهم حكماً حتماً.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ [الآية 27] ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [الآية 27] والبحر المحيط لسبعة مداد وممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام والمداد أبد الآباد ﴿مَا نَفَذَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ [الآية 27] أي أحكامه وقضاياه لتنامي مخلوقاته وعدم تناهي معلوماته ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية 27] لا يعجزه شيء في قدرته ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 27] لا يخرج أمر عن علمه وحكمته وقرأ أبو عمرو والبحر بالنصب عطفاً على اسم أن وغيره بالرفع للعطف على محل أن ومعمولها ويمده حال أو للابتداء على أنه مستأنف أو الواو للحال.

وقال الأستاذ: ما نفدت معاني كلمات الله لأن هذه الأشياء وإن كثرت فهي متناهية ومعاني كلامه لا تتناهى لأنها قديمة أي أبدية وأزلية هذا بيان العلم من حيث تحقيق العبارة وأما الإشارة فيه ما نفدت معاني ما لنا معك من الكلام والذي نسمعك فيما نخاطبك به من المرام لأنك معنا أبد الأبد

بوصف الدوام ونعت المدام.

﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَّيْسٍ وَحِدَةً﴾ [الآية 28] إلا كخلقها وبعثها من غير تفرقة ولا احتياج إلى معالجة على كل حدة إذ لا يشغله شأن عن شأن فيستوي عنده الكثرة والوحدة حيث يكفي لوجود الكل تعلق إرادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما أشار إلى هذا المعنى المكنون لقوله: أي أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية 28] يسمع كل مسموع في آن ﴿بَصِيرٌ﴾ [الآية 28] يبصر كل مبصر في كل زمان ومكان لا يشغله شأن عن شأن.

وأفاد الأستاذ: أن إيجاد القليل والكثير عنده سيان لا من الكثير مشقة وعسر ولا من الصغير راحة ويسر إنما قوله: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: الآية 82] يقول بكلمته ولكنه يكونه بقدرته لا بمزاولة جهد ولا باستفراغ وسع ولا بدعاء خاطر ولا بطريان غرض.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الآية 29] سبق معناه ومر ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 29] من النيرين ﴿يَجْرِي﴾ [الآية 29] في فلكه ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الآية 29] إلى منتهى معلوم لسيره ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية 29] عالم بكنه أعمالكم من كبير وصغير من تغير وقطير.

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 30] ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنعة وغرائب الحكم ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الآية 30] الكائن الموجود المحقق ومحقق وجود الخلق المطلق ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ﴾ [الآية 30] المعدوم في حد ذاته والمضمحل في آثار صفاته وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير أبي بكر بالغيبة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ شأنه ﴿الْكَبِيرُ﴾ [الآية 30] سلطانه.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ﴾ [الآية 31] أي أثر رحمته ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾ [الآية 31] الدالة على جمال قدرته وكمال حكمته وشمول نعمته.

قال الأستاذ: في الظاهر سلامتهم في السفينة وفي الباطل سلامتهم في حدثان الكون ونجاتهم في سفائن العصمة في بحار القدرة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَأَيُّنَ لِكُلِّ صَبَّارٍ ﴿[الآية 31] في المحن ﴿شَكُورٍ﴾﴾ [الآية 31] على المنن كما هو نعت المؤمن فقد ورد أن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر.

قال الأستاذ: صبار وقوف لا ينهزم من البلايا شكور على ما يصيبه من تصارييف القضايا من جنس البلايا والعطايا.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ [الآية 32] غطاهم وعلاهم ﴿مَوْجٌ﴾ [الآية 32] أي بعد موج ﴿كَالظَّلِيلِ﴾ [الآية 32] كما يظل من السحاب أو الجبل ﴿دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الآية 32] لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما أصابهم من الخوف الشديد ﴿فَلَمَّا بَجَحْتَهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمَنْتَهُمْ مُّقْنَصِدٌ﴾ [الآية 32] مقيم على طريق القصد الذي هو التوحيد والوجد أو متوسط في الكفر لانزجاره بعض الزجر ﴿وَمَا يَحْكُدُ بِعَايِدِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [الآية 32] غدار فإنه نقض للعهد الفطري أو للوعد البحري ﴿كَفُورٍ﴾ [الآية 32] صاحب الكفر والكفران فهو في مقابلة شكور كما أن ختار في مقابلة صبار لأن القدر لا يكون إلا من عدم الصبر.

وقال الأستاذ: إذا تلاطمت عليهم أمواج بحار التقدير وإظهار القدرة تمنوا أن تلفظهم تلك البحار إلى سواحل السلامة فإذا جاء الحق يتحقق منا هم عادوا إلى رؤوس خطاياهم.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُولُ رَبِّكُمْ﴾ [الآية 33] أي مخالفته والزموا طاعته / ﴿وَآخِشُوا يَوْمًا﴾ 29/ ب لَا يَجْزَى ﴿[الآية 33] لا يقضي فيه ﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ [الآية 33] والمعنى لا يقدر على جلب نفعه ولا سلب ضره ﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾ [الآية 3] عطف على والد أو مبتدأ خبره ﴿هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [الآية 33] من نفع الغنى أو دفع العناء ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 34] بالشواب والعقاب ﴿حَقٌّ﴾ [الآية 33] ثابت يوم الحساب ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الآية 33] عن القيام باهتمام أمر العقبى فإن بهجة الدنيا مخيلة لأهلها مع سرعة زوالها ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الآية 33] أي الشيطان يؤملكم المغفرة ويسوفكم التوبة فيجزيكم على المعصية.

قال السلمي في تفسيره: قيل من اعتمد على غير الله فهو في غرور لأن الغرور ما لا دوام له في الحضور.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يخوفهم مرة بأفعاله فيقول اتقوا يوماً ومرة بصفاته يقول: ﴿الَّذِي يَعْلَمُ إِنَّ اللَّهَ بَرَأَ﴾ [العلق: الآية 14] ومرة بذاته بقوله: ﴿وَيُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: الآية 28] إن وعد الله بالحشر والنشر حق وصدق فلا يغرنكم سلامتكم في الحال فعن قريب ستندمون في المال.

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الآية 34] عند وقت قيامها ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [الآية 34] في وقته المقدر لنزوله والمحل المعين له في علمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [الآية 34] من ذكر أو أنثى أو تام أو ناقص أو خشي.

قال قاسم: من مؤمن وكافر ومطيع وفاجر ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [الآية 34] من خير وشر وربما تعزم على شيء أن تفعله وتفعل خلافه والغد عند أرباب التحقيق وأصحاب التوفيق عبارة عن النفس الثانية الآتية فليحذر النفس العاصية الآتية ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [الآية 34] كما لا تدري في أي وقت تفوت وقيل: بأي أرض بأي قدم أو مقام في يقظة أو منام وقيل: بأي محل تدفن وإنما جعل العلم لله والدراية للعبد لأن فيها معنى الحيلة ولذا لا يوصف الله بها ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ خَيْرٌ﴾ [الآية 34] يعلم سرائرها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام مفاتيح الغيب الخمس لا يعلمهن إلا الله وتلا هذه الآية: ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: الآية 59].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تفرد بعلم القيمة وتفصيل ما فيها ويعلم ما في الأرحام ذكورها وإناثها وشقيها وسعيدها وحسنها وقبيحها / متى ينزل الغيث وكم قطرة ينزلها وبأي بقعة يمطرها وما تدري نفس ماذا تكسب غداً من وفاق وشقاق وما تدري نفس بأي أرض تموت ولا أن يدرك مراده أو يفوت.

سورة السجدة

[مكية]

وهي ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سماعها ربيع الجميع، من العاصي والمطيع والشریف والوضیع، من أصغى إليه بسمع الخضوع ترك أطيب الهجوع ومن أصغى إليه بسمع المحاب ترك لذیذ الطعام والشراب.

﴿الْعَمَّ﴾ [الآية 1] الإشارة في الألف أي ألف المحييين تقريبي فلا يصبرون عني وألف العارفين تمجيدي فلا يستأنسون بغيري والإشارة في اللام أي لأحبائي مدخر لقائي فلا أبالي أقاموا على ولائي أم قصرُوا في وفائي والإشارة في الميم أي ترك أوليائي مرادهم لمرادي فكذلك أثرتهم على جميع عبادي.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ [الآية 2] مبتدأ خبره ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية 2] لأن نافي الريب معه وهو كون معجزاً بمبانيه ومعانيه ﴿مَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 2] أي هو من عنده لتربيتهم وإصلاح طوبيتهم.

وأفاد الأستاذ: إذا اعتر لقاء الأحباب فأعز الأشياء على الأحباب كتاب الأحباب فالمعنى أنزلت على أحبائي كتابي وجلت إليهم بالرسالة خطابي ولا عليهم إن قرع أسماعهم عتابي فإنهم في أمان من عذابي.

﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَاهُ﴾ [الآية 3] أتقولون اختلقه واخترعه من هواه ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية 3] الثابت النازل من عند ربك ﴿لَشَنَذَرَقَوْمًا﴾ [الآية 3] أي عقاباً ﴿مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [الآية 3] من جهته نذير كائن ﴿مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ

يَهْتَدُونَ ﴿[الآية 3] بإنذارك فما موصولة على ما اختاره صاحب البحر ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: الآية 24] والجمهور على أن ما نافية فإنه ما أتاهم رسول منهم مبعوث إليهم ينذرهم وإن كانوا ملزمين بشرائع الرسل قبلهم وكانوا مقصرين في البحث عنها لا سيما دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

وقال الأستاذ: بل هو الحق من ربك الذي لكم من حقيقته الأنبياء وإن التبس على الأعداء فليس يضركم ولا عليكم فإن صحبة الحبيب مع الحبيب ألد ما يكون مقروناً بفقد الرقيب.

30/ ب ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الآية 4] مرّ بيانه وسبق برهانه.

وأفاد الأستاذ: أن تلك الأيام خلقها من خلق سائر الأنام وليس من شرط المخلوق ولا من ضرورته أن يخلقه في وقت إذ الوقت مخلوق في غير الوقت ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الآية 4] ولكن القديم ليس له حد ولا يجوز عليه قرب بالذات ولا بُعد استوى على العرش لكنه صمد بلا ند وأحد بلا حد ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الآية 4] من عند غيره أو ﴿مَنْ﴾ [الآية 4] دون أمره ﴿وَلَيْ وَلاَ شَفِيعٌ﴾ [الآية 4] يتولى نصركم ويدفع ضرركم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 4] بمواعظ الله فتعتبرون.

وقال الأستاذ: وإذا لم يرد بكم خيراً فلا سماء عنه تظلكم ولا أرض بغير رضاه تقلكم ولا بالجواهر أحد يتاجركم وإذا لم يعين بشأنكم في الدنيا والآخرة أحد ينظر إليكم.

﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [الآية 5] يدبر أمر الدنيا إلى يوم القيامة منزلاً من السماء إلى الأرض فإن السماء محل حكمه والأرض منزل أمره ﴿ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ﴾ [الآية 5] يصعد الأمر إليه ويثبت ما وقع لديه ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الآية 5] وهو من يوم القيامة الذي كله خمسون ألف سنة يوم يعرض فيه الأعمال وهو يوم يطول على بعض ويقصر على بعض

بحسب اختلاف الأحوال وتفاوت الأحوال فقولته في يوم ظرف ليعرج لا ليدبر أو معناه نزول الملك بتدبير الدنيا وعروجه في يوم واحد أيام الدنيا ولو قطعه أحد من بني آدم لما قطعه إلا في ألف سنة لأن المسافة بين السماء والأرض خمسمائة فالنزول والعروج لا يمكن إلا بألف سنة والملائكة يقطعونها في يوم واحد قاله مجاهد والضحاك وقتادة: وعلى هذا يوم ظرف ليدبر وضمير إليه للسماء فتدبروا.

وأفاد الأستاذ: أن الحق خاطب الخلق على مقدار أفهامهم وتجاوز لهم عن الحقائق التي اعتادوا في مخاطبتهم لمرامهم.

﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الآية 6] السر والعلانية ﴿الْعَزِيزُ﴾ [الآية 6] الغالب على أمره وفق تقديره ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الآية 6] على عباده بحسب تدبيره.

قال سهل: طوبى لمن رزق الرضا بتدبير الله وأسقط عنه سوء تدبيره وتعلقه بمن عداه.

وقال الأستاذ: ﴿الْعَزِيزُ﴾ [الآية 6] مع المطيعين ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الآية 6] مع العاصين ﴿الْعَزِيزُ﴾ للمطيعين ليكسر صولتهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ للعاصين ليجبر زلتهم.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [الآية 7] / بدل من كل بدل الاشتمال أي 31/ أ اتقن خلق كل شيء ذا حكمة على وفق ما يستعده وبحسب ما يليق به بمقتضى الحكم والمصلحة في وجوده وقرأ نافع والكوفيون خلقه بفتح اللام وعلى أنه جملة فعلية صفة لكل أو شيء ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ [الآية 7].

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ [الآية 8] وذريته ﴿مِّن سُلَالَةٍ﴾ [الآية 8] خلاصة ﴿مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [الآية 8] ممتن حقير.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ [الآية 9] وقومه بتصوير أعضائه ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ [الآية 9] إضافة إلى نفسه تشريفاً له وإنما إلى اصطفاؤه وإشعاراً بأن له في الخلقة البشرية مناسبة ما إلى الحضرة الربوبية ولأجل ذلك قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [الآية 9] خصوصاً من بين الخليقة لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا وتشكروا ﴿فَلْيَلَا مَا﴾ [الآية 9] ما زائدة أي شكراً

﴿تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 9] ولذا لا تؤمنون ولا تعتبرون وفي الكلام الثقات من مفرد مغايب إلى جمع مخاطب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أحسن صورة كل شيء فالعرش ياقوتة حمراء والملائكة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع وجبريل طاووس الملائكة والحوار العين كما في الخبر من جمالها وشكلها والختان كما في الأخبار ونص القرآن فإذا انتهى إلى الإنسان قال: ﴿وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ﴾ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿[الإنسان: الآيتان 7، 8] كل هذا ولكن قيل:

وكم أبصرت من حسن ولكن عليك من الورى وقع اختياري
خلق الإنسان من طين ولكن يحبهم ويحبونه و﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ﴾ [الآية 7] ولكن رضي الله عنهم ورضوا عنه وخلق الإنسان من طين ولكن قال لهم: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: الآية 152].

﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 10] أي كفار مكة ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 10] صرنا تراباً مخلوطاً بترابها أو غبنا فيها ﴿أَءَنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الآية 10] أي أنبعث أو يجدد خلقنا منها بل هم بلقاء ربهم بالبعث وما بعده كافرون جاحدون.

وقال الأستاذ: لو كان لهم ذرة من العرفان وشمة من الاشتياق إلى الرحمن لما تعصوا في إنكار جواز الرجوع إلى ربهم ولكن كما قال ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ﴾ [الآية 10].

﴿قُلْ يَتُوبُ إِلَهُكُمْ﴾ [الآية 11] يستوفي نفوسكم ويقبض روحكم لا يترك منها شيئاً أو يبقي منكم أحداً ﴿مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [الآية 11] بقبض / أرواحكم وإحصاء أجالكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 11] لجزاء أعمالكم وحساب أحوالكم وفي حديث رواه ابن حاتم وغيره إن ملك الموت قال: «يا محمد ما في الأرض من بيت مدر ولا شعر إلا أنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى إنني لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم»⁽¹⁾.

(1) واللفظ: «قال: نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال =

وعن بعض المحققين إن قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتُوفَنَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ﴾ [الآية 11] مجاز والله يتوفى الأنفس حقيقة.

وأفاد الأستاذ: إنه لولا غفلة قلوبهم لما أحال قبض أرواحهم على ملك الموت أن ملك الموت لا أثر منه في أحد ولا تصرف له في نفسه فما يحصل في المتوفى من الخلق فمن خصائص قدرة الحق ولكن غفلوا عن شهود حقائق ربهم فخطبهم على مقدار فهمهم وعلق بالاعتبار قلوبهم فكل يخاطب بما احتمل على قدر قوته وضعفه في مقامه وحاله.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ [الآية 12] مطأطئوها ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 12] من حياتهم وندمهم قائلين ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ [الآية 12] ما وعدتنا وكذبنا ﴿وَسَمِعْنَا﴾ [الآية 12] منك تصديق ما أخبر رسلك عنك ﴿فَارْجِعْنَا﴾ [الآية 12] فردنا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [الآية 12] ينفع في العقبى ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 12] وجواب لو محذوف أي لرأيت أمراً فظيماً وشاهدت حالاً شنيعاً ولو رُدَّ كلامهما للماضي فإن الثابت في علم الله بمنزلة الواقع في منتهاه.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [الآية 13] أي هدايته الموصلة إلينا بتوفيق الإيمان بنا وتحقيق الإحسان لدينا ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [الآية 13] ثبت قضائي وسبق وعيدي على جمع بالبعد يعني ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 13] أي الذين هم أشقياء في الكتاب المبين.

﴿فَذُوقُوا﴾ [الآية 14] أي فيقال لهم على سبيل التقرير فذوقوا ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 14] بما تركتم اعتقاده وأهملتكم زاده ﴿إِنَّا نَسِينَكُمُ﴾ [الآية 14] تركناكم من الرحمة أو العقوبة ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ [الآية 14] الذي كنتم تنكرون ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 14] من الكفر والمعصية والآية جواب من قولهم ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [الآية 12] يعني لو أردنا لهديناكم في الدنيا لكن ما

= له النبي ﷺ: ارفق بصاحبي فإنه مؤمن، فقال ملك الموت: يا محمد طب نفساً وقر عيناً فأني بكل مؤمن رفيق واعلم أن ما من أهل بيت... «انظر تفسير القرطبي (14/93) والفتاوى الحديثية لابن حجر (1/60) وتذكرة الموتى (1/83).

32/ أ أردنا فذوقوا العذاب المقدر في العقبي/ بسبب كسبكم العقائد الفاسدة والأعمال الكاسدة ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: الآية 28] قبل لو شئنا لهديناهم أجمعين إلى طريق الجنة ولم ينقص ذلك من ملكنا ولكن عذبنا ليظهر العدل كما أنعمنا ليظهر الفضل.

وقال الأستاذ: يعني لو شئنا لسهلنا لكل أحد سبيل التحقيق وأدمننا طريق التوفيق ولكن تعلقت المشيئة بإغواء قوم كما تعلقت بأدنى فريق وأردنا أن يكون للنار فكان كما أردنا أن يكون للجنة سكان ويقال: من لم يتسلط عليه من يحبه لم يُجر في ملكه ما يكرهه ويقال: يا مسكن أفنيت عمرك في الكد والعناء وأمضيت أيامك في الجهد والرجى غيرت صنعتك وأكثرت مجاهدتك فما تفعل في قضائي كيف تبدل له وما تصنع في مشيئتي بأي وسع ترددها وفي معناه أنشدوا:

شكا إليك ما وجد من خافه فيك الجلد
حيران لو شئت اهتدى ظمآن لو شئت ورد
فتقاس من الهوى ما استوجبه بعصيانك واخلد في دار الخزي بما استلفتة
من كفرانك.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 15] أي بموجب علاماتنا ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾ [الآية 15] وعظوا بما فيها ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ [الآية 15] سقطوا على وجوههم ساجدين تواضعا لله وانقيادا لما قضاه أو خوفاً من نزول عذابه أو حلول حجابهِ ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 15] نزهوه حامدين له على ما من عليهم ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية 15] عن الإيمان به وعن القيام بطاعته وعن متابعة كتابه ورسله وعن السجود في أوقاته.

وأفاد الأستاذ: اعلم أنهم خرُّوا بظواهرهم في محراب السجود والركوع وفي سرائرهم على تراب الخضوع وبساط الخشوع بنعت الذبول وحكم الخمول ويقال: كيف يستكبر من لا يجد كمال راحته لا حقيقة أنسه ولذته إلا في تذلل بين يدي معبوده في طاعته لا يؤثر عاقل جحيمة على نعيمه ولا شقاء على تقاته.

﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ﴾ [الآية 16] تتباعد وتنتحي ﴿عَنِ الْمَصَاجِعِ﴾ [الآية 16] مواضع النوم ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الآية 16] داعين إياه ﴿خَوْفًا﴾ [الآية 16] من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ [الآية 16] في ثوابه / ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية 16] في وجوه 32/ ب مرضاته.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها: قيام العبد في الليل والمراد به التهجد لما في الأحاديث المعتمدة عن الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم⁽¹⁾. وقيل: هم الذين يصلُّون صلاة العشاء لا ينامون عنها فقد رواه ابن جرير بإسناد جيد⁽²⁾ عن أنس هو انتظار صلاة العتمة، وعن يعض هو صلاة العشاء والصبح بجماعة، وعن بعض هو صلاة الأوابين بين العشاءين، وهذا قول أنس أيضاً وعكرمة وقتادة ومحمد بن المنكدر وابن حازم.

قال ابن عطاء: شيء يخافت أن تسكن على بساط الغفلة وطلب بساط المناجاة القربة قيل خوفاً من القطيعة وطمعاً في الوصلة.
وقال جعفر: خوفاً منه وطمعاً فيه.

وقال الأستاذ: تتجافى جنوبهم في الظاهر عن الفراش قياماً نحو العبادة والجهد والتهجد وفي الباطن تتباعد قلوبهم عن مضاجعة الأحوال ورؤية قدر النفس وتوهم المقام في الأعمال أن ذلك بجملته حجاب عن الحقيقة والكمال فلا يساكنون أعمالهم ولا يلاحظون أحوالهم ويفارقون مالهم ويهجرون في الله معارفهم والليل زمان الأحباب قال تعالى: ﴿لَسَنَكُنُّ فِيهِ﴾ [يونس: الآية 67] يعني عن كل شغل سوى حديث محبوبهم والنهار زمان أهل الدنيا قال تعالى: ﴿أَلْتَهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبا: الآية 11] أولئك قال لهم: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: الآية 10] إذا ناجيتمونا

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (346/5) رقم (3196)، وأحمد في المسند (232/5) رقم (22075).

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (109/3) رقم (4527).

بركعتين في الجمعة فعودوا إلى متجركم واشتغلوا بحرفتكم في الجملة وأما الأحباب فالليل لهم إما في طرب التلاق أو في جوب الفراق فإن كانوا في أنس قربه فليلهم أقصر من لحظة وإن كان الوقت وقت مقاساة فرقة وانفراد فليلهم طويل وويلهم جزيل ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ [الآية 16] من الفراق ﴿وَوَطْمَعًا﴾ [الآية 16] في التلاق ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الآية 16] يأتون بالشواهد التي خصصناهم بها في المقامات أظهرنا أحوالهم عن الذين حضروا بأحوال مقدسة وإن دنسنا أوقاتهم بالآفات / شهدوا بحالات مدنسة فالعبد إنما يتجر في البضاعة التي يودعه سيده يفديك بالروح حسب لو يكون له أعز من روحه شيء فذاك به.

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ [الآية 17] لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [الآية 17] ما تقر به أعينهم ففي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً يقول الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»⁽¹⁾.

وقرأ حمزة أخفي بسكون الياء على صيغة المتكلم ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 17] أي جزوا جزى وفاقاً حيث أخفوا أعمالهم فأخفى الله أحوالهم.

وقال الأستاذ: إنما تقر عينك برؤية من تحبه طاب قلبك وراعى حالك ثم يحصل اليوم سرورك كذلك يكون غداً حضورك وعلى ذلك تحشر كما في الخبر من كان بحالة لقي الله بها.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ [الآية 18] بالله وملائكته وبكتبه ورسوله ﴿كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ [الآية 18] خارجاً عن طاعة ربه وسبله في المنزل والمرتبة ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ [الآية 18] تأكيد وتصريح للمبنى والجمع للحمل على المعنى قيل نزلت في علي رضي الله عنه والوليد أخي عثمان من أمه أسلم في آخر عمره وكان بينهما تنازع فقال لعلي: إنك صبي وأنا والله أبسط لساناً وأحد سناناً وأشجع منك جناناً فقال له علي: اسكت فإنك فاسق كذا قاله عطاء بن سيار والسدي وغيرهما.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3244)، ومسلم في الصحيح (4/2824).

قال الأستاذ: أفمن كان في حلة الوصال يجر أذياله كمن هو في مذلة الفراق يقاسي وباله أفمن كان في روح القربة ونسيم الزلقة كمن هو في هوى العقوبة يعاني مشقة الكلفة أفمن هو في روح إقبالنا عليه كمن هو في محنة إعراضنا عنه أفمن بقي معنا كمن بقي عنا أفمن هو في نهار العرفان وضياء الإحسان كمن هو في ليالي الكفران ووحشة العصيان أفمن أيد بنور البرهان وطلعت عليه شمس العرفان كمن ربط بالخذلان ووسم بالحرمان لا يستويان ولا يلتقيان.

﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 19] على وفق رضى المولى ﴿فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾ [الآية 19] فإنها المأوى/ الحقيقي لا الدنيا فإنها منزل مرتحل عنها 33/ ب إلى الأخرى ﴿تُزَلَّاتُ﴾ [الآية 19] لا يبتغون عنه حولا ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 19] بسبب أعمالهم على حسب أحوالهم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ [الآية 20] أي الكفار ﴿فَمَا وَهُمْ نَارُ﴾ [الآية 20] في دار البوار من غير القرار والفرار ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ [الآية 20] وصعدوا إلى بابها ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الآية 20] ردوا إلى أسفل دركاتها وهو عبارة عن خلودهم بها وعدم تحولهم عنها ﴿وَقِيلَ لَهُمْ دُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [الآية 20] إهانة لهم وزيادة في همهم.

وقال الأستاذ: الذين آمنوا صدقوا وعملوا الصالحات بما حققوا فلهم حسن الحال وحميد المآل وأما الذين جحدوا وكندوا في معاملاتهم أساءوا وأفسدوا فقصاراهم الخزي والهوان وفنون من المحن وألوان كلما راموا من محتتهم خلاصاً ازدادوا فيها انتكاساً وكلما أملوا نجاة جرعوا قنوطاً وزيدوا إياساً.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ [الآية 21] عذاب الدنيا وهو مصائبها ومحنتها من القحط والقتل والأسرار فيها ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [الآية 21] أي قبل العذاب الأعظم في البرزخ أو العقبي ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ [الآية 21] لعل من بقي منهم ﴿يُرْجَعُونَ﴾ [الآية 21] يتوبون عن كفرهم قال أبو سليمان الداراني العذاب الأدنى

الخذلان والعذاب الأكبر الخلود في النيران.

وقال الأستاذ: قوم عذابهم الأدنى محن الدنيا والعذاب الأكبر لهم عقوبة العقبى وقوم عذابهم الأدنى لهم فترة تتداخلهم في عبادتهم والعذاب الأكبر قسوة في قلوبهم تصيبهم في حالتهم وقوم عذابهم الأدنى لهم وفقه في سلوكهم تمسهم والعذاب الأكبر حجة عن شاهدتهم تنالهم ويقال العذاب الأدنى الخذلان في الزلة والأكبر الهجران في الوصلة.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ [الآية 22] مدة يمر عليها ثم أعرض عنها فلم يتفكر فيها ولم يؤمن بها ﴿فَرُغَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 22] أي المشركين الكاملين في الإجرام ﴿مُنْفِقُونَ﴾ [الآية 22] غاية الانتقام.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الآية 23] كما آتيناك الكتاب فصل الخطاب ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾ [الآية 23] نوع من الارتياب ﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾ [الآية 23] من لقاءك الكتاب فإذا لقيناك/ في هذا الباب أو من لقاء موسى الكتاب من وراء الحجاب أ/34 أو من لقاءك موسى ليلة المعراج كما روي عن قتادة وغيره أو من لقاء موسى ربه أي بعد موته فاطمع أنت في صمته هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم على ما رواه الطبراني⁽¹⁾ ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ [الآية 23] أي موسى أو الكتاب المنزل عليه ﴿هَذَى بَيْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الآية 23].

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُوكَ﴾ [الآية 24] الأمة إلى ما فيه من الحكم والحكمة ﴿بِأَمْرِنَا﴾ [الآية 24] إياهم به أو بتوفيقنا له ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ [الآية 24] حين حبسوا أنفسهم على أوامر الله وصبروا على مصائبه التي قدرها عليهم وقضاؤه وقرأ حمزة والكسائي بكسر اللام وتحقيق الميم أي لصبرهم على طاعة المولى أو على محنة الدنيا ﴿وَكَاثُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [الآية 24] ففي الآية تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم في حالته وإرشاد لأصحابه وأمته.

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (1/ 448) رقم (1399)، والنسائي في السنن الكبرى (1/ 140) رقم (314).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية 25] يقضي بين المحق والمبطل ويميز الحق من الباطل ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 25] من أمر دينهم.

قال الأستاذ: يحكم بينهم وعند ذلك يتبين المردود من المقبول والمهجور من الموصول والرضي من الغوي والعدو من الولي فكم من بهجة دامت هنالك ولكم من مهجة ذابت هنالك.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 26] أي ألم ينههم ولم يبين لهم كثرة إهلاك من أهلكناهم ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ [الآية 26] الماضية فيهم ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ﴾ [الآية 26] يمرون في أسفارهم على ديارهم ويشاهدون آثار دمارهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ [الآية 26] لمن نظر واعتبر ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 26] الخبر إن لم يبصروا الأثر.

وقال الأستاذ: أو لم يعتبروا بمنازل أقوام كانوا في خبره فصاروا عبرة كانوا في سرور فالأول: إلى ثبور فجميع ديارهم ومزارهم صارت لأغيارهم وصنوف أموالهم عادت إلى أشكالهم سكنوا في ظلالهم ولم يعتبروا بمن مضى من أمثالهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ [الآية 27] الذي جرز نباتها أي قطع وأزيل نبتها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ﴾ [الآية 27] بالماء ﴿زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ﴾ [الآية 27] من الزرع ﴿أَنفُسُهُمْ﴾ [الآية 27] كالتبن والورق ﴿وَأَنفُسُهُمْ﴾ [الآية 27] كالحب والتمر/ ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 27] فيستدلون به على كمال قدرته وجمال فضله 34/ب ومثته.

وأفاد الأستاذ: الإشارة منه تسقي حدائق وصلهم بعد جفاف عودها وزوال المأنوس من عهودها فيعود عودها مورقاً بعد ذبوله خالياً بحاله حال حصوله.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ [الآية 28] النصر أو الفصل بالحكومة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 28] في الوعدية وقرب إتيانه.

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ﴾ [الآية 29] لحلول بأسهم وحصول يأسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [الآية 29] لا يمهلون للإيمان ولا للإحسان لفوات الأوان وذهاب الأمان.

وأفاد الأستاذ: إنهم استبعدوا يوم التلاقي وحججوا فأخبرهم أنه ليس لهم إلا الحسرة والمحنة إذا شهدوا.

﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الآية 30] ولا تبال بما ظهر منهم ﴿وَأَنْتَظِرُ﴾ [الآية 30] النصره عليهم ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ [الآية 30] ما حل بهم.

وقال الأستاذ: فاعرض عنهم باشتغالك بنا وإقبالك علينا وانقطاعك إلينا وانتظر زوائد وصلنا وعوائد لطفنا أنهم منتظرون هواجم مقتنا وخفايا مكرنا وعن قريب يجد كل منتظره محتضره.

سورة الأحزاب

[مدنية]

وهي ثلاث وستون آية^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله شهود وجوده يوجب لك تلفاً في تلف ووجوده يوجب لك شرفاً على شرف، ففي تلفك يكون عنك الخلف وفي شرفك تصل إلى كل لطف.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الآية 1] دم على تقوى وطاعة المولى ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُشْفِقِينَ﴾ [الآية 1] فيما يعود برهن في الدين ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ [الآية 1] بالمصلحة والمفسدة ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 1] لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة. قال ابن عطاء: يأتيها المخبر عن خبير صدق وقول حق: اتق الله في أن يكون لك التفات إلى شيء سواه.

وقال أبو عبدالله الروذباري: التقوى مجانية كل ما يبعدك عن الله. وقال الواسطي: التقوى على الحقيقة هو تقوى القلب لربه لقوله عليه السلام: «ألا إن التقوى ها هنا»⁽²⁾ وأشار إلى قلبه.

وقال الأستاذ: يا أيها المشرف حالاً بنا المفخم قدراتنا المعلي رتبة من قبلنا يا أيها المرقى إلى أعلى الرتب الملقى بأسنى القرب يا أيها المخبر عنا المأمون / على أسرارنا المبلغ خطابنا إلى أحبائنا اتق الله أن لا تلاحظ غيرنا 35/أ

(١) كذا في الأصل المخطوط.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (32/2564)، والبيهقي في السنن الكبرى (92/6) رقم (11276)، وأبو يعلى في المسند (301/5) رقم (2923).

معنا أو تساكناً شيئاً من دوننا أو تثبت أحداً سوانا أو تتوهم شظية من الحدثان عما عدانا ولا تطع الكافرين إشفافاً منك عليهم وطمعاً في إيمانهم والتقوى رقيب على قلوب أوليائه يمتعهم في أنفاسهم وسكناتهم وحركاتهم أن ينظروا إلى ما عداه أو يشتوا معه سواء إلا مصوناً لقدرته متصرفاً بمشيئته نافذاً فيه حكم قضيته.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية 2] كالنهي عن طاعتهم وعدم المبالاة بمخالفتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الآية 2] من ملاءمتهم ومنافرتهم، وقرأ أبو عمر بالغيبة.

قال الأستاذ: اتبع ولا تتبدع واقتد بما نأمرك ولا تتبدع باختيارك غير ما نختاره لأجلك وكن لنا لا لك وقصر بنا لا بك.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 3] ولا تلتفت إلى ما سواه ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية 3] موكولاً إليه أمور من عداه.

وقال ذا النون: التوكل ترك تدبير النفس وقيل: التوكل قطع القلب عن كل علاقة سوى الرب.

وقال الأستاذ: أي انسلخ عن إهابك لنا واصدق في إيابك إلينا وتشاغل عن حسابك معنا واحذر ذهابك عنا ولا تقصر في خطابك منا ويقال: التوكل تحقق ثم تخلق ثم توثق ثم تملق تحقق في العقدة وتخلق بإقامة الشريعة وتوثق بالمقسوم من القضية وتملق بين يديه بحسن العبودية. ويقال: التوكل استواء القلب في العدم والوجود مع الرب.

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الآية 4] أي لم ير في حكمته أن يجعل لأحد قلبين في طويته لأن القلب سلطان والأعضاء كالرعايا ولا يليق بملك سلطانين في القضايا.

وأفاد الأستاذ: أن القلب إذا اشتغل بشيء اشتغل عما سواه فالمشتغل بها من العدم منفصل عما له القدم والمتصل بقلبه عن نعته القدم مشتغل عما

من العدم والليل والنهار لا يجتمعان والنصب والجرا يلتقيان ﴿وَمَا جَعَلَ
 أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظَاهَرُونَ مِنْهِنَّ﴾ [الآية 4] بأن قال أحد: مثلاً لزوجته أنت علي كظهر
 أمي ﴿أَمْهَنَكُمُ﴾ [الآية 4] / لاختلاف الحقيقة الظاهرة فيما بينهما ﴿وَمَا جَعَلَ
 أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الآية 4] فإن البنوة أمر ذاتي والتبني حكم عارض فلا يكون
 الشيء الحقيقي عين المجازي ﴿ذَلِكَمُ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ [الآية 4] حيث كانت
 العرب تزعم أن اللبيب الأريب له قلبان للمودة والكراهة والزوجة المظاهر عنها
 كالأم في الحرمة المؤبدة ودعي الرجل ابنه بنحو التوارث في القرابة وحاصله أنه
 تعالى كما لم ير في حكمته أن يجعل لأحد قلبين في طويته فيفعل بأحدهما غير
 ما يفعل بالآخر من الصنعة فيؤدي اتصاف شخص واحد بالعلم والظن والمحبة
 والكراهة وغيرهما في حالة واحدة ولم ير أيضاً أن يكون امرأة لرجل مخدومة
 وخادمة وأن يكون رجلاً دعيّاً غير أصيل وابناً أصلياً لتناقض القضية ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ
 الْحَقَّ﴾ [الآية 4] المطابق للصدق ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الآية 4] طريق الحق
 المطلق.

وقال الأستاذ: أي الذي تظاهرت منهن لسن أمهاتكم والذين تبنيتم
 ليسوا بأبناءكم إن الذي صرتم إليه من اجترائكم ونسبتم إلينا من آراءكم ذلك
 مردود عليكم غير مقبول منكم إن أمسكتكم عنها بعد البيان نجوتهم وإن تماديتهم
 عليها بعد ما أعلمتم أظللتم المحنة عليكم.

﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 5] أي انسبواهم إليهم لا إلى
 غيرهم وهو أفراد للمقصود من قوله: الحق وحكم الصدق ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا
 آبَاءَهُمْ فَلِإِخْوَانِكُمْ﴾ [الآية 5] فهم إخوانكم ﴿فِي الدِّينِ وَمَوَالِكُمْ﴾ [الآية 5] أي
 أولياؤكم فيه فقولوا هذا أخي ومولاي بهذا التأويل لأنه أهدى السبيل ﴿وَلَيْسَ
 عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ [الآية 5] إثم ﴿فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ [الآية 5] قبل النهي والبيان أو
 بعده على وجه النسيان أو سبق اللسان ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الآية 5] فيه
 والجناح والعصيان ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للمخطئين ﴿رَحِيمًا﴾ [الآية 5] للمحسنين وفي
 الحديث أي في القرآن المنسوخ ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا

عن آباءكم وقد ورد: من دعي⁽¹⁾ إلى غير أبيه وهو يعلمه فقد كفر⁽²⁾.

﴿الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية 6] أي في أمور الدين وما يتعلق بها أو في الأمور كلها فإنه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم في الدنيا ونجاحهم في العقبى بخلاف النفس فإنها أماراة بالسوء مع أن لها حقاً أيضاً فيجب أن يكون أحب إليهم من أنفسهم في أحوالها وأمره / أنفذ عليهم من أمرها وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها وقرئ وهو أب لهم أي في الدين فإن كل نبي أب لأمته من حيث أنه أصل فيما به الحياة الأبدية بحسن الرية في آداب العبودية ولذا صار المؤمنون أخوة ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الآية 6] منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ [الآية 6] أي ذو القربات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الآية 6] في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والمناصرة في الملة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الآية 6] في حكمه كما قضاه ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ [الآية 6] بيان لأولي أوصله الأولى وهو الأولى ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَّائِكُمْ مَّقْرُوفًا﴾ [الآية 6] أي لكن فعلكم إلى أحبائكم معروفاً جائز في الشريعة والمعنى ذهب الميراث بالهجرة وبقي البر والإحسان والوصية ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ [الآية 6] الحكم ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الآية 6] ثابتاً في اللوح على وجه الكمال أو في علم الله على هذا المنوال.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذا تقديم سنته على هواك والوقوف عند إشارته دون ما يتعلق به منك وإيثار من يتوسل به سبباً ونسباً على أعزتك ومن والاك، ليكن الأجانب منك على جانب، وليكن وصلتك للأقارب وصلة الرحم ليس بمقاربة الديار وملاصقة المزار ولكن بموافقة القلوب في حالتي المكروه والمحبوب.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ [الآية 7] عهودهم بتبليغ الرسالة وإقامة

(1) أخرجه أحمد في المسند (47 / 1) رقم (331)، وعبد الرزاق في المصنف (5 / 439) رقم (9758).

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (7 / 403) رقم (15112)، وقد ورد بعدة صيغ.

الدين على طريق الاستقامة ﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الآية 7] خَصَّ أولي العزم الخمسة من بينهم لكمال شرفهم وقدم نبينا تعظيماً لرفعة شأنه وتكريماً لمقدمة بيانه وإشعاراً بسبق وجود نوره وإن تأخر شهود ظهوره ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: الآية 154] عظيمًا في النيين أو مؤكداً باليمين على الوفاء بها حملوا والصفاء بما عملوا وهو ميثاق للخاصة بعد ميثاق العامة في ذلك اليوم أو بعد بعثتهم إلى القوم.

﴿لَيْسَ لَكَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ [الآية 8] أي أخذ الله ميثاقهم أولاً ليسأل الله آخر الأنبياء الذين صدقوا في الإنباء عهدهم عن كلام صدقهم لقومهم أو تصديق أمتهم إياهم تبكيتاً لمن كذبهم وتفريحاً لمن صدقهم ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 8] عطف على ما دل عليه ليسأل كافة قال: فثأب/ المؤمنين نعيماً ب/ مقيماً ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 8] قيل لا يشم رائحة الصدق من يداهن نفسه أو يداهن غيره.

وقال الأستاذ: أراد سؤال تشريف لا سؤال تعنيف وسؤال إيجاب لا سؤال عتاب والصدق أن لا يكون في أحوالك شوب ولا في اعتقادك ريب ولا في أعمالك عيب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ [الآية 9] يعني الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا قدر اثني عشر ألفاً فأمر صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق لإشارة سلمان فنزلوا وحاصروا المدينة شهراً وخرج إليهم صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في ثلاثة آلاف ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِيحًا﴾ [الآية 9] شديداً وهو الصبا في ليلة باردة مظلمة في فصل الشتاء ﴿وَجُنُودًا﴾ [الآية 9] من الملائكة ﴿لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الآية 9] نزلوا من السماء فالريح سَفَّت التراب في وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت خيولهم وقذف الله الرعب في قلوبهم وكبرت الملائكة في جوانب جنودهم فانهزموا خائفين خائبين إلى أعقابهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 9] من حفر الخندق وغيره وقرأ أبو عمرو بالغيبة أي بما يعمل المشركون من التخريب والمحاربة ﴿بَصِيرًا﴾ [الآية 9].

وأفاد الأستاذ: أن ذكر نعمته مقابلها بالشكر ويذكر ما سلف من الذي دفع عنك يهون عليك مقاساة البلاء في الحال وبذكرك لما أولاك في الماضي بقرب من قلبك الثقة بإيصال ما قوله في الاستقبال فمن جملة ما ذكرهم قوله إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكم بلاء صرفه عن العبد وهم لم يشعروكم شغل كان بصدده قصده عنه ولم يعلم وكم أمر عوّقه والعبد يصح وهو يعلم أن في تيسيره هلاكه فيمنعه منه رحمة عليه والعبد يتهتمه ويضيق به صدره.

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الآية 10] من أعلى الوادي من قبل الشرق بنو غطفان ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الآية 10] من أسفل الوادي من قبل الغرب قريش ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ [الآية 10] مالت أبصار المؤمنين من مستوى نظرها، قال الفراء: أزاغت عن كل شيء فلم يلتفت إلا إلى عدوها ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ [الآية 10] رعباً والمعنى اضطربت/ وإلا فلا انتقال للقلوب عن مقرها 37/أ ﴿وَتَطَنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الآية 10] الأنواع من الظن باختلاف مراتب الظانين من المؤمنين الكاملين الناقصين والمنافقين حتى قال بعض أهل النفاق: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز قيصر وكسرى والآن لا نقدر أن نذهب للغائط إلى الصحراء.

﴿هَٰذَاكَ أَبْتَلَى الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 11] امتحنوا فظهر المخلص من المنافق وتميز المخالف من الموافق ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الآية 11] أزعجوا من شدة الفزع وحركوا من شدة الجزع ثم أزال عنهم جملتها وهون عليهم شدتها وانجاب عنهم أصحابها وتفرقت عن قلوبهم همومها وحجابها.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية 12] ضعف اعتقاد وعدم توكل واعتماد ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الآية 12] من الظفر في الدين وإعلائه ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: الآية 64] وعداً باطلاً لا وفاء به.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية 13] من المنافقين وأتباعهم من ضعفاء اليقين ﴿يَتَأَهَّلَ يَثْرَبَ﴾ [الآية 13] وهو كان اسماً للمدينة ﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾ [الآية 13] لا موضع قيام لكم ها هنا ﴿فَارْجِعُوا﴾ [الآية 13] إلى منازلكم على طريق الهناء. وقرأ

حفص بضم الميم على أنه مكان أو مصدر من الإقامة ﴿وَيَسْتَعِذُّنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ﴾ [الآية 13] للرجال إلى المدينة ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [الآية 13] غير حصينة نخاف عليها من السرقة ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ [الآية 13] بل حصينة مستورة ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الآية 13] من قتال لو وقع هنالك.

وقال الضحاك: رجع ثمانون رجلاً من غير إذن النبي صلى الله عليه وسلم لضعف دينهم وقلة يقينهم.

﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 14] أي المدينة أو بيوتهم ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ [الآية 14] من جوانبها ﴿ثُمَّ سِيلُوا الْقَيْسَنَةَ﴾ [الآية 14] الردة ومقاتلة الطائفة المسلمة ﴿لَا تَوْهَا﴾ [الآية 14] لأعطوها وقرأ الحجازيان: فإن بالقصر لجأوها وفعلوها ﴿وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا﴾ [الآية 14] بالفتنة أي بإعطائها أو بإتيانها ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ [الآية 14] تلبساً يسيراً أو زمناً قليلاً وهو كناية عن سرعة الإجابة.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 15] قبل تلك المحاربة ﴿لَا يُولُونِ الْأَذَى﴾ [الآية 15] لا يفرّون من المقاتلة ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ [الآية 15] عن الوفاء به والجزاء على وفقه.

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ [الآية 16] فإنه لا بدّ لكل / شخص من موت حتف أنفه أو قتل في وقت معين سبق بالقضاء وجرى 37/ ب عليه القلم بأمر الله وإنه لا يتصور تغييره ولا تقديمه ولا تأخيره ﴿وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 16] وإن نفعكم الفرار على الفرض والتقدير فمتعمم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع إلا تمتيعاً أو زماناً قليلاً إذ لا يشك عاقل أن آخر أمر كل مخلوق هو الموت وإن كان عظيماً وجليلاً.

وقال الأستاذ: لأن الآجال لا تأخير لها ولا تقديم عليها وكما قالوا إن الهارب مما هو كائن في كف الطالب ينقلب وإذا لا تمتعون إلا قليلاً فإن ما يدخره العبد عن الله من مال أو جاء أو نفس أو قريب فلا يبارك له فيه ولا يجد به متعة ولا يرزق منه غبطة.

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ [الآية 17] من يمنعكم من حكمه وقضائه

وقدرة ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ [الآية 17] مساءة ومضرة ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الآية 17] نعمة ومصرة ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ [الآية 17] ينفعهم بزيادة النعمة لهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [الآية 17] يدفع المحنة عنهم.

وقال الأستاذ: من ذي الذي تحقق لكم من دونه مرجواً ومن ذا الذي يصرف عنكم من دونه عدواً.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُؤَفِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ [الآية 18] المانعين من نصرة رسول الله والمؤمنين وهم جماعة من المنافقين ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ [الآية 18] من سكان المدينة وهم جماعة الأنصار من أصحاب السكينة ﴿هَلُمَّ﴾ [الآية 18] إلينا قربوا أنفسكم ﴿إِلَيْنَا﴾ [الآية 18] أقبلوا بكليتكم علينا فنحن في ظلال وأثمار وراحة وأنهار ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾ [الآية 18] لا يحضرون الحرب مع المؤمنين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 18] إلا إتياناً أو زماناً أو بأساً قليلاً فإنهم يعتذرون ويشبطنون ويرجعون فيمتنعون من نصرته بأنفسهم ويمنعون أيضاً معاونة غيرهم.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 19] حال كونهم بخلاء عليكم بالمعاونة أو المنفعة أو الظفر والغنيمة ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾ [الآية 19] وقت الحرب ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ [الآية 19] خوفاً ولوإذا بك ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ [الآية 19] في أحداقهم ﴿كَأَلَى يَغْشَى﴾ [الآية 19] نظر المغشي ﴿عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الآية 19] من معالجة سكراته ومزاولة منكراته ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ [الآية 19] وجمعت الغنائم ﴿سَلَفَوْكُمْ﴾ [الآية 19] ضربوكم ﴿بِالسِّنَةِ جَدًّا﴾ [الآية 19] لأجل الغنيمة وغيرها ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ [الآية 19] على تحصيل المال وتحسين/ الحال وتزيين الكمال والحاصل أنهم جمعوا بين الجبن والبخل والطمع والفشل وقلة الحياء عدم الوفاء ﴿أَوَّلِيكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ [الآية 19] إخلاصاً ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ﴾ [الآية 19] فأظهر بطلان أعمالهم وضياع أحوالهم وسوء مآلهم ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ [الآية 19] الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الآية 19] هيناً لتعلق الإرادة به وعدم مانع من نفاذه وهذا كما ورد من تشعبت به هموم الدنيا لم يبال الله في أي واد أهلكه.

وقال الأستاذ: إذا جاء الخوف طاشت من الرعب عقولهم وطاحت

بصائرهم وتعطلت عن النصرة جميع أعضائهم وإذا ذهب الخوف زينوا كلامهم وقدموا أخطاءهم واحتالوا في إخفاء خستهم أولئك الذين هذه صفتهم لم يباشر الإيمان قلوبهم ولا صدقوا فيما أظهروا من إذعانهم وإسلاحهم.

﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ [الآية 20] أي هؤلاء المنافقين لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا إلى داخل المدينة واهتموا ﴿وَلِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ [الآية 20] كرة ثانية إلى ديارهم مع ما رأوا من كيفية فرارهم وعدم ظهورهم وقرارهم ﴿يُودُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُّوْكَ﴾ [الآية 20] تمنوا أنهم خارجون إلى البادية ﴿فِي الْأَعْرَابِ﴾ [الآية 20] جاہلون فيما بينهم كالتراب ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ [البقرة: الآية 273] كل قادم من جانبكم ﴿عَنْ أَنْبِيَائِكُمْ﴾ [الآية 20] عما جرى عليكم من أعدائكم ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ [الآية 20] هذه الكرة ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال ومحاربة ﴿مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 20] رياء وسمعة وخوفاً عن ميسرة.

قال الأستاذ: يخافون من عدوهم وعودهم ويفزعون من ظل أنفسهم إذا وقع على أثرهم ولو اتفق هجوم الأعداء ما كانوا إلا جوز سيوفهم وذرية رماحهم.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الآية 21] وقرأ عاصم بضم الهمزة أي في متابعته خصلة مستحسنة وقدوة مرنة حسنة كثبات القلب في باب الحرب ومقاساة المتاعب ومعاناة المصائب ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ ثوابه أو لقاءه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الآية 21] نعيمه جزاءه أو يخاف عذابهما في دنياه وعقباه ﴿وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾ [الآية 21] فإن كثرة الذكر توديه إلى ملازمة الطاعة في الدنيا وتقتضي له حساباً يسيراً في العقبى.

قال أبو عثمان: من أمر السنة على نفسه نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة.

ب/38

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا﴾ [الآية 22] أي ما رأينا أو البلاء ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ﴾ [الآية 22] بقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: الآية 214] ﴿وَرَسُولُهُ﴾ [الآية 22] بقوله عليه

السلام: «إِنَّ الْأَحْزَابَ سَائِرُونَ إِلَيْكُمْ تِسْعاً أَوْ عَشْراً أَوْ فِي آخِرِ تِسْعِ لَيَالٍ أَوْ عَشْرٍ»⁽¹⁾، وقوله: «سَيَشْتَدُّ الْأَمْرُ بِاجْتِمَاعِ الْأَحْزَابِ عَلَيْكُمْ وَالْعَاقِبَةُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ» ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الآية 22] صدقا في النصرة والمثوبة كما صدقا في البلية والمحنة ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ [الآية 22] أي ما زادوا من البلاء وضيق أمره ﴿إِلَّا إِيْمَانًا﴾ [الآية 22] بالله ومواعيده ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ [الآية 22] انقياداً لأحكامه وتقديره.

وقال الأستاذ: كما أن المنافقين اضطربت عقائدهم عند رؤية الأعداء ومشاهدة البلاء فالْمُؤْمِنُونَ وأهل اليقين ازدادوا ثقة وعلى أعداء الدين جرأة ولحكم الله استسلاماً ومن الله قوة.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 23] أي فيما وعدوا ونذروا من الثبات مع الرسول في ميدان اليقين والقتال مع أعداء الدين ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ [الآية 23] نذره بأن قاتل أحد حتى استشهد كحمزة ومعصب بن عمير وأنس بن النضر فاتهم نذروا أنهم إذا لقوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حرباً ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ [الآية 23] الشهادة كعثمان وطلحة أو معناه ومنهم من ينتظر يوماً يقضي فيه نذره فإن أنس ابن النضر لما غاب عن غزوة بدر نذر وقال: لئن أراني الله مشهداً فيما بعد لأري الله ما أصنع فقاتل يوم أحد حتى قتل ووجد فيه بضع وثمانين ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم كما رواه البخاري والترمذي والنسائي⁽²⁾.

﴿وَمَا بَدَلُوا﴾ [الآية 23] العهد ما غيروا ﴿بَدِيلًا﴾ [الآية 23] شيئاً من التبديل والتغيير وفيه تعريض لأهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وعدم الوفاق.

وفي «تفسير السلمي»: الرجال الصادقون مع الله عز وجل بوفاء العهد

(1) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث (100/3) رقم (1009)، وانظر الكشف (5/319).

(2) أخرجه البخاري (4048) والترمذي في الجامع الصحيح (5/348) رقم (3200)، والنسائي في السنن الكبرى (5/79) رقم (8291)، وأحمد في المسند (3/194) رقم (13038).

فمنهم من بذل وسعه وجهه في الطاعة ومنهم من ينتظر التوفيق من ربه وما
غيروا عن محبته تغييراً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شكر صنيعهم في المراس / ومدح يقينهم عند 39/ أ
شهود البأس وسماهم رجالاً إثباتاً لهم بالخصوصية في الرتبة وتميزاً لهم من
بين أشكالهم بعلو الحالة والمنزلة فمنهم من خرج من دنياه على صدقه ومنهم
من ينتظر في الحياة والممات حكم الله وأمره ولم يزيفوا عن عهدهم ولم
يروغوا في مراعاة حدهم وحقيقة الصدق حفظ العهد وترك مجاوزة الحد.
ويقال: الصدق استواء الجهر والسر، ويقال: هو الثبات عند عزم الأمر.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الآية 24] في الدنيا بالتمكين والنصرة
وإعلاء الراية وفي الآخرة بجزيل الثواب وجميل المآب والخلود في النعيم المقيم
والتقدير على الأمثال بالتكريم والتعظيم ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ﴾ [الآية 24] يردهم عن
أمرهم على الوجه الذي سبق به العلم وتعلق به الحكم ﴿إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الآية 24] إن شاء بأن يميتهم على كونهم أو يتوب
عليهم بستر الحوبة وقبول التوبة.

وقال الأستاذ: إذا لم يجزم بعقوبة المنافق وعلق القول فيه على الرجاء
فبالحري أن لا يخيب المؤمن في رحابه بالتسليم تحت القضاء والقدر.

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 25] يعني الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ [الآية 25]
مصحوبين في هذا الباب ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ [الآية 25] لم يصيبوا ظفراً ونصراً
﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الآية 25] أغناهم عن المحاربة بسبب إرسال الرياح
وإنزال الملائكة أو كفى الله مداومة القتال فلم يغز قريش المسلمين بعد هذا
الحال كما ورد الآن نغزوهم ولا يغزونا ﴿وَكَاثُ اللَّهُ قُوًيًا عَزِيزًا﴾ [الآية 25] غالباً
على مراده فيما يجري على عباد.

وقال الأستاذ: لم يشمت بالمسلمين عدواً ولم يوصل إليهم من كيدهم سوءاً
ووضع كيدهم في نحرهم وأجتثهم من أصلهم وبين ذلك جواهر صدقهم وشكر من
استوجب شكره من جملتهم وفضح من استحق الذم من المدلسين فيهم.

﴿وَأَنْزَلَ﴾ [الآية 26] أي الله ﴿الَّذِينَ ظَلَهُرُّهُمْ﴾ [الآية 26] عاونوا الأحزاب ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [الآية 26] يعني بني قريظة نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم مع أن آباهم نزلوا المدينة قديماً طمعاً في اتباع النبي الأُمي المكتوب في التوراة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فكفرهم عناد وعهدهم فساد ب/39 ﴿مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ [الآية 26] من حصونهم ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الآية 26] / الخوف والرهب ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [الآية 26] أي رجالهم ﴿وَأَسْرُوتَ فَرِيقًا﴾ [الآية 26] أي نساءهم وذرائعهم روي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع إلى المدينة وكان على ثنياه يقع الغبار فقال جبريل: أنتزع لأمتك - أي درعك - والملائكة لم يضعوا السلاح إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عائد إليهم فأذن في الناس أن لا يصلُّوا العصر إلا ببني قريظة فحاصرهم إحدى وعشرون أو خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم: تنزلوا على حكمي فأبوا فقال: على حكم سعد بن معاذ، فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وهم بين ثمانمائة إلى التسعمائة وسبي ذرائعهم ونسائهم وبقسم أموالهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال: حكمت بحكم الله فوق سبعة أرفعة أو سموات فقتل منهم ستمائة أو أكثر وأسر سبعمائة⁽¹⁾.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ [الآية 27] مزارعهم ﴿وَوَيْلَهُمْ﴾ [الآية 27] حصونهم ﴿وَأَمْوَالَهُمْ﴾ [الآية 27] نقودهم وأثاثهم ومواشيهم. روي أنه عليه السلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الأنصار فقال: «إنكم في منازلكم، فقال عمر رضي الله عنه: أما تخمس كما خست يوم بدر؟ فقال: لا إني جعلت هذه لي طعمة»⁽²⁾ ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطْطُوهَا﴾ [الآية 27] كفارس والروم أو خيبر أو مكة وكل أرض تفتح إلى يوم القيامة على أن الخطاب لجميع الأمة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الآية 27].

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3043)، والطبراني في المعجم الكبير (6/6) رقم (5323)، والبيهقي في السنن الكبرى (9/63) رقم (17796)، وأبو يعلى في المسند (2/405) رقم (1188).

(2) أورده الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (3/104) رقم (1013).

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه إذا أجمل أكمل وإذا كفن شفى وإذا وعد وفى فأظهر المسلمين عليهم وأورثهم معاقلهم وأذل متعززهم وكفاهم بكل وجه أمرهم ومكنهم من قتلهم وأسرهم ونهب أموالهم وسبى ذراريهم.

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌّ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الآية 28] متعتها وسعتها ﴿وَزِينَهَا﴾ [الآية 28] زخرفها وبهجتها ﴿فَتَعَالَى كَأَمْتَعْتُمْ﴾ [الآية 28] أعطكن المتعة ﴿وَأَسْرَحْتُمْ سَرَكَامًا جَمِيلًا﴾ [الآية 28] طلاقاً من غير مضرة ولا بدعة.

﴿وَلِئِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 29] أي المخلصات في النيات ﴿مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية 29] تستحقرونه الدنيا وزينتها روي أنهن سأله ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فاخترت الله ورسوله / ثم اختارت الباقيات اختارها كما في الصحيحين وغيرهما 40/أ وروي أنه لما نصر الله نبيه وفرق عنه الأحزاب وفتح عليه قريظة والنضير ظن أزواجه أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم فقعدن حوله وقلن: يا رسول الله نساء كسرى وقيصر في الحلي والحلل والإماء ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق والعناء فأمره الله أن يتلوا عليهن ما نزل في شأنهن.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ما أراد أن يكون قلب أحد من المؤمنين والمؤمنات في شغل عنه أو يعود إلى أحد أذى وتعب منه فخير النبي صلى الله عليه وسلم بأمره نساءه ووفق عائشة رضي الله عنها حين أخبرت عن صدق دينها وكمال قلبها ويقينها وبما هو المنتظر في ظنيتها وطويتها من أصلها ونيتها والباقيات جرين على منهاجها ونسجن على منوالها ومشين في ضوء سراجها.

﴿يَنْسَاءُ النَّبِيَّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾ [الآية 30] كبيرة ظاهر قبحها، وعن ابن عباس: هي النشوز وسوء الخلق في عشرتها ﴿يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الآية 30] ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه وقدره مرتين لأن النشوز معه ليس كالنشوز مع سائر الأزواج ولأن الذنب منهن أقبح من غيرهن فإن زيادة قبحه تتبع زيادة فضله ولذا جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الأنبياء بما لا

يعاتب به غيرهم ثم الشرط لا يقتضي الوقوع كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالِدِينَ﴾ [الزخرف: الآية 81]، وقرأ أبو عمرو يضعف بتشديد العين المفتوحة وابن كثير وابن عامر يضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الآية 30] هيناً.

﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا﴾ [الآية 31] في بقية عمرها على سائر أمرها ﴿نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الآية 31] مثلي ثواب غيرها أو مرة على الطاعة ومرة على القناعة وقرأ حمزة والكسائي يعمل بالياء أيضاً حملاً على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله ﴿وَأَعَدَدْنَا لَهَا﴾ [الآية 31] في أعلى عليين من الجنة زيادة على أجرها تكريماً لأمرها ولا يبعد أن يكون ذلك وعداً دنيوياً / بأن يرزقها ﴿رِزْقًا﴾ [الآية 31] لدينا ﴿كَرِيمًا﴾ [الآية 31] من جهة أنه حلال بلا تعب ونصب ومن غير إعواز إلى من يكون .

﴿يَسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [الآية 32] أي ليس كل واحدة منكن كواحدة من نساء زمانكن لعظمة نسائكن ﴿إِنْ أَتَيْتُنَّ﴾ [الآية 32] مخالفة أمر الله وحكمه ومعارضة ورضا رسوله وحيبيه ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ [الآية 32] أي لا تكلمن كلاماً ليناً ومقالاً هيناً ﴿فَيُطَمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الآية 32] فجور ونفاق ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [الآية 32] عند أرباب وفاق.

﴿وَقَرْنَ﴾ [الآية 33] أمر من وقر تقر وقاراً إذا سكن وقرأ نافع وعاصم بالفتح من قررت بالكسر أقر بالفتح لغة في عكسها المشهور والمعنى اسكنن واثبتن ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الآية 33] عند عدم الحاجة إلى بروزكن ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ [الآية 33] أي وعند خروجكن عن سكنكن لضرورتكن لا تتبخترن في مشيكن ﴿تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الآية 33] مثل تبرج النساء اللئيمة في أيام الجاهلية القديمة ﴿وَأَمَّا الْأَوَّلَى﴾ [الآية 33] أي فرضت عليكن ﴿وَأُطِغَنَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الآية 33] في سائر ما أمركن ونهاكن ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ [الآية 33] الذنب المندس لعرضكن أو خبائث القلب التي ليست من غرضكن والجملة استئناف متضمن للتقليل في الأمر والنهي ولذا عم الحكم للرجال

والنساء جميعاً من ﴿أَهْلُ الْبَيْتِ﴾ [الآية 33] على سبيل التغليب فقليل عنكم أهل البيت بالنصب على النداء أو المدح ﴿وَيُطَهِّرُكُمْ﴾ [الآية 33] عن سائر المعاصي ﴿تَطْهِيراً﴾ [الآية 33] والأظهر أن المراد بإذهاب الرجس إزالة الأعمال الدنية وبالتطهير تطهير القلب عن الأحوال الرديئة.

ثم اعلم أن في صحيح مسلم أن علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً جاؤوا إليه فأدخلهم النبي صلى الله عليه وسلم في كساء من شعر أسود كان عليه فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ [الآية 33] الآية⁽¹⁾.

وفي مسند الإمام أحمد وغيره روايات متنوعة عن أم سلمة: إنه عليه السلام كان في بيتها فجاء علي وفاطمة وابناهما وجلسوا عنده على كساء خيبري فأنزل الله هذه الآية فأخذ فضل الكساء وغطاهم به ثم أخرج / يده 41/ وألوى إلى السماء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم وطهرهم تطهيراً»، قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله! فقال: «إنك إلى خير إنك إلى خير»⁽²⁾.

والصواب أن أزواجه الطاهرات من أهل بيته كما صرحت به الآية وكذا هؤلاء ومن في معناهم كما أشارت إليه السنة.

﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا بُنِيَ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الآية 34] من الكتاب الجامع بين المواعظ والأحكام والحكم المحكمة وهو تذكير بما أنعم الله عليهن حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما يتعلق به من الرسالة ومشاهدة أنواع المعجزة مما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الآية 34] يعلم ما يصلح لنبوته ومن يصح أن يكون أهل بيته.

وأفاد الأستاذ: أن الرجس الأفعال الخبيثة كالفواحش ما ظهر منها وما

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (61/2424).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک (2/451) رقم (3558)، والطبراني في المعجم الكبير (3/52) رقم (2662)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/351) رقم (3205)، وأبو يعلى في المسند (12/451) رقم (7021).

قلّ وما جلّ والأخلاق الدنية الأهواء والبذع وكالبخل والشح وقطع الرحم ويريد بهم الأخلاق الكريمة كالإيثار والجود والسخاء والرحمة وصلة الرحم ويديم لهم العصمة والتوفيق والتشديد والتحقيق ويظهرهم من الذنوب والعيوب ثم قال: واذكرن عظيم المنّة وجلال الحالة التي تجري في بيوتكن من نزول وحي الرسالة ومجيء الملائكة وحرمة الرسول صلى الله عليه وسلم والنور الذي تقتبس من الآفاق ونور الشمس الذي ييسط على العالم بالاتفاق فاعرفن هذه النعمة وارعين هذه الحرمة.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الآية 35] الداخلين في السلم المنقادين للحكم
 ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الآية 35] المصدقين بما يجب التصديق ﴿وَالْقَنِينَ
 وَالْقَنِينَ﴾ [الآية 35] المطيعين على وجه التحقيق ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [الآية 35]
 في الأقوال والأفعال والأحوال ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ [الآية 35] على العبادات
 وعن المعاصي والسيئات وفي البليات والمصيبات ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ [الآية 35]
 المتواضعين لله بقلوبهم وقولهم ﴿وَالْمُصْطَفِينَ وَالْمُصْطَفَاتِ﴾ [الآية 35] المحسنين إلى
 41/ ب إخوانهم بما وجب في أموالهم ﴿وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ﴾ [الآية 35] / بمنع أنفسهم
 عن الشهوات واللّهوات ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ [الآية 35] عن المحرمات
 ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الآية 35] لقلوبهم وألسنتهم في أكثر الحالات
 والأوقات ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً﴾ [الآية 35] لما صدر عنهم من الزلات ﴿وَأَجْرًا
 عَظِيمًا﴾ [الآية 35] لما ظهر منهم من الطاعات والآية وعدلهم ولأمثالهن على
 الطاعة الشاملة والتذرع بهذه الخصال العشرة الكاملة.

وأفاد الأستاذ: أن الإسلام هو الاستسلام والمبالغة في المجاهدة والمكابدة والإيمان هو التصديق والتحقيق والتوفيق والقنوت طول العبادة والاجتهاد في الزيادة والصدق يكون في عقودهم وعهودهم ورعاية حدودهم والصبر على الخصال الحميدة وعن الصفات الذميمة وعند جريان مناجاة القصة وخشوع أطراف السريرة عند بواده الحقيقة والتصديق بأموالهم وأنفسهم حتى لا يكون لهم مع أحد خصمية لأجلهم فيما نالوا فيهم أو قالوا أنهم والصيام هو الإمساك عما لا يجوز في الشريعة والطريقة والحفظ في الظاهر

عن الحرام وفي الإشارة عن جميع الأنام والذكر بالسنتهم وقلوبهم وفي عموم أوقاتهم فهؤلاء لهم جميل الحسنی وجزيل العقبی .

﴿وَمَا كَانَ﴾ ما صحَّ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا الْمُؤْمِنَاتِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ [الآية 36] أي حكماً وعيناً قدرأ ﴿أَنْ يَكُونُ﴾ [الآية 36] وقرأ الكوفيون وهشام بالتذكير ﴿لَهُمُ الْخِزْيَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الآية 36] أن تختاروا رأياً آخر من تلقاء أنفسهم بل يجب على كل أحد أن يجعل في جميع أمره اختياره فيها تبعاً لاختيار الله ورسوله ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الآية 36] فيما بيننا ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الآية 36] والآية نزلت في زينب بنت جحش بنت عمه رسول الله وهي أميمة ابنة عبدالمطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فأتت هي وأخوها عبدالله فسمعا وأطاعا وأجابا إلى ما دعا.

وأفاد الأستاذ: أن الافتئات عليه بأمره والاعتراض عليه في حكمه وترك الانقياد إلى إشارته قرع باب الشرك فمن لم يمسك عنه سريعاً وقع في وهدة .

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [الآية 37] بتوفيقه للإسلام وتوفيقك لعنته 42/أ واختصاصها بالإنعام ﴿وَأَنْصَحْتَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 37] بما وفقك الله فيه من المحبة والتبينة وسائر الإحسان إليه وهو زيد بن حارثة وكان قد اشتراه في الجاهلية وزوجه في الإسلام زينب الهاشمية ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الآية 37] زينب حين قال: أريد طلاقها وشاورك في فراقها وذلك أنه عليه السلام أبصرها بعدها أنكحها إياه فقال: سبحان مقلب القلوب، وسمعت زينب بالتسييحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها هنالك، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أريد أن أفارق صاحبتي فقال: «ما لك رأيت منها شيء؟» قال: لا والله ما رأيت منها إلا خيراً ولكنها يتعظم علي شرفها فقال له: ﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الآية 37]، إقامة للشرعية مع علمه بأن الأمر إلى ماذا يؤول في العاقبة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ [الآية 37] في أمرك وقصدك للفراق فإن أبغض الحلال إلى الله الطلاق ﴿وَنُفِىَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الآية 37] أي شيئاً الله مظهره وهو نكاحه إن طلقها أو ميل إلى

طلاقها أو علمه بأن زيدا سيطلقها وهو ينكحها فإن الله قد أعلمه بذلك على ما نقله ابن أبي حاتم والسدي عن علي بن الحسين.

﴿وَتَخَشَى النَّاسَ﴾ [الآية 37] وتكره تعبيرهم بأن محمداً مال إلى زوجة مولاه وتزوج زوجة من تبناه ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ [الآية 37] فلا تظهر بلسانك خلاف ما تحت بجانبك فإن الأنبياء مأمورون بتسوية الظاهر والباطن في الخلاء والملاء أو فلا تأمر بما تعلم يقيناً أنه جرى بخلافه القضاء.

قال ابن عطاء: تخشى الناس أن يهلكوا في شأن زيد وذلك من كمال شفقتة على الأمة والله أحق أن تخشاه أن تبتهل إليه ليزيل عنهم ما تخشى فيهم ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ [الآية 37] حاجة بحيث ملها ولم يبق له حاجة فيها وطلقها وانقضت عدتها ﴿زَوَّجْنَاهَا﴾ [الآية 37] من غير حضور ولي ولا شاهد وتعيين مهر لها ولهذا كانت تقول افتخاراً زوجني الله من فوق سبع سموات والسفير جبريل وقيل: كان السفير زيد في خطبتها/ وذلك ابتلاء عظيم في شأنه وشاهد بين على قوة إيمانه ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾ [الآية 37] بالبنوة ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الآية 37] أي دخلوا عليهن لثلا يُظن أن حكم الأدعياء حكم الأبناء ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [الآية 37] قضاؤه الذي أراده ﴿مَفْعُولًا﴾ [الآية 37] كائناً محصلاً على وفق ما قضاه وظاهر الآية أنه لمسها لكن روي عنها إنها قالت: ما كنت امتنع عليه غير أن الله متعني عنه لحكمة أرادها قيل قرئ بهذه الآية عند ذي النون المصري فتأوه تأوهاً ثم قال: ذهب والله زيد بخير الدارين لو فارق الكونين بعد أن ذكره الله من بين أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم باسمه يقول: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ [الآية 37].

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ [الآية 38] قسم له وقدر ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 38] من الأنبياء وهي نفي الحرج عنهم فيما أباح لهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الآية 38] قضاء مقضياً وحكماً مرضياً.

قال سهل: أي معلوماً له قبل وقوعه عندكم، عندكم وهل يقدر أحد أن يجاوز المقدور منكم.

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية 39] مدح لهم منصوب أو مرفوع
 ﴿وَيَحْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا يَحْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الآية 39] لعلمهم بأنه لا يصيب أحد ضرر ولا
 محذور إلا بتقدير مقدور فيفردونه بالخشية عند كل أمور وفيه تلويح بعد تصريح
 ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الآية 39] كافياً للمخاوف أو ومحاسباً للذنوب فينبغي ألا
 يخشى إلا من علام الغيوب.

قال ابن عطاء: هذه خشية السادة وأكابر الأصفياء وأما خشية عوام الخلق
 فمن جهنم ونحوها من أنواع البلاء.

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الآية 40] على حقيقة أمره فلم يثبت
 بينه وبين من تنبأه من حرمة المصاهرة والنكاح ونحوه ما ثبت بين الأب وولده
 ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الآية 40] إن كان رسول الله وهو أبو الأمة في الشفقة والحرمة
 ﴿وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الآية 40] آخرهم الذي ختمهم أو ختمهم به على قراءة عاصم
 بفتح تائه ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الآية 40] فيعلم حيث يجعل الرسالة وكيف
 يليق بأن يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه في الجلالة.

وقال الأستاذ: أي نسبه ظاهر فيكم لكن إنما/ يعرف بي بنسبه منكم إذ 43/أ
 قل ما يقال له محمد بن عبدالله ولكن أبدأ يقول محمد رسول الله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الآية 41] يعم أنواع ما هو
 أهله من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد وسائر الصفات ويشمل جميع
 الأوقات والحالات.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الآية 42] أي أول النهار وآخره خصوصاً تنزيهاً
 له من الحدوث تغييراً أو تبديلاً فسبحان من غير ولا يتغير وقال بعضهم: المراد
 بالتسبيح الصلاة وبالوقتین الصباح والعصر والعشاءين وفي الحديث: «أكثرُوا ذكر
 الله حتى يقولوا مجنون» رواه الإمام أحمد والطبراني⁽¹⁾.

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 677) رقم (1839)، وابن حبان في الصحيح (3/ 99) رقم (817)، وأبو يعلى في المسند (2/ 521) رقم (1376)، وأحمد في المسند (3/ 68) رقم (11671).

وورد: «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت ولم يذكروا الله فيها» رواه الطبراني والبيهقي⁽¹⁾.

وفي الخبر: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت» رواه الشيخان⁽²⁾.

وفي «تفسير السلمي» وقت الله العبادات كلها بالأوقات إلا الذكر فإنه أمر أن يذكر ذكراً كثيراً والذكر الكثير للقلب وهو أن لا يغيب القلب عن المشاهدة ولا يغفل عن الحضرة.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه أحبوا الله لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أحب شيئاً أكثر من ذكره فيجب أن يقول الله ولا ينسى الله بعد ذكره الله ويقال: اذكروا الله بقلوبكم فإن الذكر الذي يمكن استدامته ذكر القلب فأما ذكر اللسان فإدامته سرمداً كالمتعذر ثم التسبيح من قبيل الذكر ولكنه ذكره بلفظين لثلا يعتريك سامة من ذكر واحد.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 43] بالرحمة ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾ [الآية 43] بالدعوة للمغفرة والمعني يصلحون أموركم ويظهرون شرفكم ونوركهم ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الآية 43] من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الآية 43] حين اعتنى بصلاح أمرهم وفلاح قدرهم.

وأفاد الأستاذ: أن الصلاة في الأصل الدعاء فصلاته سبحانه دعاه لنا بالتقريب للقاصي وصلاة الملائكة دعائهم لنا بالإحسان للمطيع وبالعفوان للعاصي ويقال: الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة بمعنى الشفاعة ليعصمكم من الضلال إلى روح الوصال ويقال: ليخرجكم من ظلمات التدبير

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 93) رقم (182)، وفي مسند الشاميين (1/ 258) رقم (446)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 392) رقم (512).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (6407)، ومسلم في الصحيح (779/ 211).

إلى فضاء شهود التقدير ويقال: ليخرجكم من/ ظلمات نفوسكم إلى أنوار 43/ب
البصائر في قلوبكم ويقال: ليخرجكم من أسباب التفرقة إلى شهود عين الحقيقة
والتحقق بأوصاف الجمعة.

﴿يَحْيِيهِمْ﴾ [الآية 44] من إضافة المصدر إلى المفعول أي يحيون ﴿يَوْمَ
يَلْقَوْنَهُ﴾ [الآية 44] يوم لقائه عند الموت أو الخروج عن القبر أو دخول الجنة
﴿سَلِّمٌ﴾ [الآية 44] والمعني يسلم الله عليهم وهو متضمن للإخبار عنهم بالسلامة
عن كل مكروه وآفة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الآية 44] هو الجنة ونعيمها مقيماً.

قال ابن عطاء: أعظم عطية للمؤمن في الجنة سلام الله من غير
الواسطة.

وأفاد الأستاذ: أن اللقاء إذا قرن بالتحية لا يكون إلا بمعنى رؤية
البصرية ثم التحية خطاب يفتح بها الملوك العادية فهذا السلام يدل على علو
رتبتهم التي جعلها لهم في منزلتهم فاللقاء حاصل بعينهم والخطاب واصل
بسمعهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الآية 44] أي حسناً فإن الكرم نفي الدناءة
والخسة، وفي الإشارة أجر كثير على عمل يسير فإن الكريم لا يستقضي في البيع
والشراء وفي الإعداد تعريف بالإحسان السابق في وقت غيبة العباد.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ [الآية 45] الله بالوحدانية ﴿وَمُبَشِّرًا﴾
[الآية 45] للمؤمنين بالجنة والقربة ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الآية 45] للعاصين بالحرقة والفرقة.

﴿وَدَاعِيًا﴾ [الآية 46] للخلق ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 46] إلى ما يجب الإيمان به
من صفاته ومن القيام بوظائف طاعاته ﴿بِإِذْنِهِ﴾ [الآية 46] بتوقيفه وتسهيله
﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الآية 46] يستضاء به من ظلمات الجهالة ويستنقذ به من يبدأ
الضلالة ويقتبس من نوره أنوار البصائر في كل وقت وحالة.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الآية 47] على سائر
الأمم ولو كانوا جمعاً كثيراً.

﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الآية 48] دم على ما أنت عليه من إقامة الدين

واستقامة اليقين ﴿وَدَعَّ أَدْبَهُمْ﴾ [الآية 48] أي اصبر عليه ولا تغتم لديه ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 48] اعتمد عليه فوض كفاية أمرهم إليه ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الآية 48] موكولاً إليه الأمور في الأحوال كلها فإن من توكل على القوي القدير تيسر عليه كل العسير.

وقال الأستاذ: يا أيها المشرف من قبلنا إنا أرسلناك شاهداً بوحدانيتنا 44/أ ومشاهداً لنا بصمدانيتنا تبشر عبادنا عنا وتحذرهم /مخالفة أمرنا وتعلم مواضع الخوف منا وداعياً للخلق إلينا بنا وسراجاً يستضيئون بك وشمساً ينسبط شعاعك على جميع من صدقك وآمن بك ولا يصل إلينا إلا من تبعك وخدمك وصدقك وقدمك وبشر المؤمنين بفضلنا معهم ونيلهم منا طولنا عليهم وإحساننا إليهم ولا توافق من أعرضنا عنه وأضللناه من أهل الكفر والنفاق وأهل البدع والشقاق وتوكل على الله بدوام الانقطاع إليه وكفى بالله وكيلاً في الاعتماد عليه.

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الآية 49] وفي حكمهن الكتابيات ﴿ثُمَّ طَلَقْتُهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ [الآية 49] تجامعوهن وفي قراءة حمزة والكسائي تماسوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ﴾ [الآية 49] مدة أيام يتربصن فيها بأنفسهن ﴿تَمْتَدُّوْنَهَا﴾ [الآية 49] تستوفون عددها وظاهر الآية يقتضي عدم وجوب العدة لمجرد الخلوة كما هو مذهب الشافعية وهو كذلك عند المشايخ الحنفية بناء على الديانة لا في حكم القضاء عن الخصومة ﴿فَمَتَّعُوْهُنَّ﴾ [الآية 49] إن لم يكن المهر مفروضاً لها فإن الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة لأن المتعة سنة للمفروض لها عند الشافعية وأما عند الحنفية فيستحب المتعة كل مطلقة إلا التي طلقها الزوج قبل الدخول بها ولم يسم مهراً لها ﴿وَسَرَّحُوْهُنَّ﴾ [الآية 49] اخرجوهن من منازلكنم ليس لكم عليهن عدة ﴿سَرَاحًا جَمِيلاً﴾ [الآية 49] من غير ضرر بهن ولا منع حق عنهن.

وقال الأستاذ: إذا آثرتم فراقهن فمتعوهن ليكون لهن عنكم تذكرة في أيام الحرقة إلى أن تتوطن نفوسهن على الفرقة وسرحوهن سراحاً جميلاً لا

تذكروهن بعد الفراق إلا بخير ظهر منهن ولا تستردوا منهن شيئاً تخلفتم به معهن فلا تجمعوا عليهن الفراق بالحال والإضرار من جهة المال.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ؕ إِنِّي أَتَيْتُ أَجُورَهُنَّ﴾ [الآية 50] مهورهن وفيه إثارة إلى أن تعجيل المهر سنة ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ [الآية 50] مما غنمك الله من دار عدوك فقد ملك صلى الله عليه وسلم صفية وجويرية فأعتقهما وتزوجهما/، وأما ريحانة ومارية فمن السراري، وتقييد 44/ ب إحلال المملوكة بكونها مسببة بيان للأفضلية فإن المشتراة لا يتحقق به أمرها وما جرى عليها إلا في أسرها ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ﴾ [الآية 50] أي لا كالنصارى فإنهم لا يتزوجون امرأة نبيهم وبينها سبعة أجداد ولا كاليهود يتزوج أحدهم ابنة أخيه وأخته ﴿الَّتِي هَاجَرَ مَعَكَ﴾ [الآية 50] إلى المدينة والمعني مشتركان في الهجرة لا في الصحبة فلا تحل له غير المهاجرات كما دل عليه ما في الترمذي⁽¹⁾.

وعن بعض معناه: اللاتي أسلمن، وقيل: قيد الهجرة بيان للأفضلية كما في تقييدها ما قبلها من القريتين السابقتين كان إشارة إلى الأكملية ﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً﴾ [الآية 50] أي أحللناها دون غيرها ﴿إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الآية 50] من غير مهر لها ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ [الآية 50] يتزوجها ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 50] قيل: ينعقد في حقه عليه السلام بلفظ الهبة من غير ولي شهود ومهر وقيل: اختصاصه في ترك المهر فقط وهو الأظهر فتدبر في الجملة خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاق كرامته ورفعته عن مراتب أمته ثم القضية فرضية، فعن ابن عباس ومجاهد ما كانت تحته امرأة وهبت نفسها⁽²⁾، وخالفها

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (355/5) رقم (3215)، وأحمد في المسند (318/1) رقم (2925).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (295/11) رقم (11787)، والبيهقي في مجمع الزوائد (407/9) رقم (15383)، والمقدسي في أطراف الغرائب والأفراد (3/236) رقم (2526).

كثير من السلف في نقلهما والمشهور أنها زينب بنت خزيمة الأنصاري وماتت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 50] على عموم المؤمنين ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ [الآية 50] من شرائط العقد ووجوب القسم وتعيين العدد ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [الآية 50] من توسيع الأمر في المملوكات ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ [الآية 50] لأرباب الزلات ﴿رَحِيمًا﴾ [الآية 50] بأصحاب الطاعات.

﴿تُرْجَى مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ [الآية 51] تؤخر من تريد من نسائك وتترك مضاجعتهن بأن لا تقسم بينهن ﴿وَتُؤْتَى إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾ [الآية 51] وتضم إليك من تشاء وتضاجعها لديك أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ نافع وحزمة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمهموز والمعتل في هذا المبنى متحد في المعنى 45/أ ﴿وَمَن أُنْفَيْتَ﴾ [الآية 51] أي طلبت وأردت منها الإصابة/ ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ [الآية 51] من النساء التي عزلتهن عن القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ [الآية 51] في شيء من ذلك إذ الأمر إليك ﴿ذَلِكَ أَذَى﴾ [الآية 51] وأولى ﴿أَن تَقْرَأَ عَيْنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ [الآية 51] تأكيد نون يرضين أي ذلك التفويض إليك من غير وجوب قسم عليك أقرب إلى قرّة عيونهن انتفاء حزنهن وبقاءهن لاستواء الحكم في حقهن كلهن ثم أن سويت بينهن وجدن ذلك تفضلاً منك عليهن وإن رجحت بعضهن علمن أنه يحكم الله فيهن فتطمئن نفوسهن ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية 51] فاجتهدوا في إحسانهن ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الآية 51] بذات الصدور حلماً لا يعجل بالعقوبة في الأمور واتفقت الروايات على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعدل بينهن في القسمة ويقول: اللهم هذا

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (55/7) رقم (13131)، وهناك روايات تشير إلى ميمونة بنت الحارث. انظر ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (421/23) رقم (1019)، وابن أبي شيبه في المصنف (562/3) رقم (17176).

قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك⁽¹⁾ بعين من المحبة.

وقال الأستاذ: أي وسعنا الأمر عليك في باب نكاحهن بكم شئت منهن فإنك مأمون العيب في التسوية بينهن ومراعاة حقوقهن وترك الحيف عليهن والتوسعة في النكاح تدل على زيادة الفضيلة كالحر والعبد.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ﴾ [الآية 52] وقرأ أبو عمر بالتأنيث ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ [الآية 52] بعد هؤلاء التسع فلا يجوز لك العشر فما فوقها وهو في حقه كالأربع في حق أمته أو من بعد هذا اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى ويؤيده قوله ﴿وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ [الآية 52] فتطلق واحدة تنكح بدلها ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ [الآية 52] حسن الأزواج المستبدلة، واختلف أن الآية محكمة أو منسوخة بقوله: ﴿تُرْجَى مِنْ نَشَأٍ﴾ [الآية 51] فإنه وإن يقدمها قراءة فهو مسبوق بها منزلة فقد روى الإمام أحمد في مسنده والترمذي والنسائي في سنتهما عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم ما مات حتى أحل له الله النساء⁽²⁾، انتهى.

إلا أنه عليه السلام لم يقع منه بعد ذلك تزوج فوقهن ليكون المنة له عليهن ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ [الآية 52] استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ [الآية 52] فتحفظوا أمركم وخذوا / حذرکم. 45/ ب

وقال الأستاذ: لما اخترنه على الدنيا أثبت الله لهن حرمة في ألمهن أي كما اخترتك فلا تخترن عليهن غيرهن تطيباً لقلوبهن ونوعاً للمعادلة بينه وبينهن وهذا يدل على سعة كرمه سبحانه على عباده.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الآية 53]

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (204/2) رقم (2761)، والبيهقي في السنن الكبرى (298/7) رقم (14521)، والدارمي في السنن (193/2) رقم (2207)، وأبو داود في السنن (208/2) رقم (2136).

(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (356/5) رقم (3216)، والنسائي في السنن الكبرى (260/3) رقم (5311)، وأحمد في المسند (41/6) رقم (24183).

أي وقت أن يؤذن أو بأن يؤذن لكم ويدعى بكم ﴿إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ﴾ [الآية 53] حال كونهم غير منتظرين وقت إدراكه ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْشَرُّوا﴾ [الآية 53] تفرقوا منه ولا تمكثوا فيه والآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه فالحكم مخصوص بهم وبأمثالهم وإلا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته عليه السلام بالإذن لغير الطعام ولا اللبث بعده لبعض المهام ﴿وَلَا مُسْتَنْسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الآية 53] أي ولا تمكثوا مستأنسين لحديث بعضكم بعضاً ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ [الآية 53] اللبث ﴿كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ﴾ [الآية 53] لتضييق المنزل عليه وعلى أهله ولا اشتغاله فيما يعينه من حاله ﴿فَيَسْتَعْجِلْ مِنْكُمْ﴾ [الآية 53] من إخراجكم أو من إظهار كراهة مكثكم ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَعْجِلُ مِنْ الْحَقِّ﴾ [الآية 53] فيبين لكم طريق الصدق نزلت حين تزوج زينب وأولم فلما طعموا جلس ثلاثة منهم متحدثين فخرج عليه السلام من منزله ثم رجع على قصد دخوله وهم جلوس فرجع وكان عليه السلام شديد الحياء كذا روي في الصحيحين⁽¹⁾.

ولعله راعى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الأنعام: الآية 52] لا سيما وهو صلى الله عليه وسلم كان من أهل الكرم.

وأفاد الأستاذ: أن حسن خلقه عليه السلام جسرهم على المباشطة حتى أنزل الله هذه الآية ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ [الآية 53] إذا طلبتم من أزواجه ﴿مَتَعًا﴾ [الآية 53] شيئاً يتنفع به ﴿فَسْأَلُوهُنَّ﴾ [الآية 53] المتاع ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الآية 53] روي أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب⁽²⁾ فنزلت. والصحيح أنها كانت في ذي القعدة من السنة الخامسة ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 53] السؤال من وراء حجاب ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ﴾

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4791)، وأبو عوانة في المستخرج (72/5) رقم (3370)، وأبو يعلى في المسند (21/7) رقم (3918).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (4790) وابن حبان في الصحيح (319/5) رقم (6896)، وأحمد في المسند (24/1) رقم (160).

وَقُلُوبِهِمْ ﴿[الآية 53] من الوسواس الشيطانية والهواجس النفسانية فإن الرؤية سبب التعلق والفتنة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نقلهم عن مألوف العادة إلى معروف الشريعة / ومفروض العبادة وبين أن البشر بشر وإن كانوا من الصحابة فلا ينبغي لأحد / أن يأمن نفسه في أمر الديانة ولذا تشدد الأمر في الشريعة بأن لا يخلو رجل بامرأة ليس بينهما محرمة ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ [الآية 53] وما صح لكم ولا يليق بكم ﴿أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الآية 53] أن تفعلوا ما يكرهه بوجه ما ﴿وَلَا أَنْ تَنَكِّحُوا أزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ [الآية 53] من بعد وفاته بالإجماع أو بعد فراقه إلا أنه اختلف في المطلقة بعد دخوله وأما مطلقة قبل الدخول فلا نزاع في حلها ﴿إِنَّ ذَلِكَكُمْ﴾ [الآية 53] قصد إيدائه ونكاح نسائه ﴿كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الآية 53] ذنباً جسيماً.

﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا﴾ [الآية 54] كنكاحهن على ألسنتكم وسائر أموركم ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ﴾ [الآية 54] في صدوركم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الآية 54] فيعلم جميع أعمالكم ويجازيكم بحسب أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن حفظ القلب مع الله ومراعاة الأمر بينه وبين الله على الصحة في دوام الأوقات المرور لا يقوى عليه إلا الخواص من أهل الحضور.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ﴾ [الآية 55] في أن لا يحتجن عن هؤلاء في حالاتهن ولم يذكر أعمامهن وأخوالهن لأنها بمنزلة الوالدين لهن ﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ [الآية 55] لأنهن من جنسهن ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ [الآية 55] من إمائهن ﴿وَأَقْرَبِينَ اللَّهِ﴾ [الآية 55] في السر والعلانية ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الآية 55] لا يخفى عليه خافية.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الآية 56] يعظمونه ويعتنون بإظهار شرفه وإعلاء شأنه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ [الآية 56] اعتنوا أنتم أيضاً فإنكم أولى به وقولوا اللهم صل على محمد ونحوه ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الآية 56]

وقولوا: السلام عليك أيها النبي وشبهه وقيل: وانقادوا لأوامره الآية تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه في الجملة وقيل: يجب كما جرى ذكره ويكتفي في مجلس بالمرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد أن يكون للأمة عنده صلى الله عليه وسلم يد خدمة كماله عليهم بالشفاعة يد نعمة فأمرهم بالصلاة عليه ثم كافأهم بما لديه كما أخبر صلى الله عليه وسلم مشيراً إليه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشر مرات وفي هذا إشارة إلى أن العبد لا يستغني في وقت من الأوقات/ ب 46 عن الزيادة إذ لا رتبة فوق رتبة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد احتاج إلى زيادة صلوات الأمة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ [الآية 57] فينسبون إليه ما لا يليق بكبريائه كالولد والشريك وسب الدهر وأمثاله ﴿وَرَسُولَهُ﴾ [الآية 57] بالطعن في حقه وفيما يتعلق به أو المراد بإيذائهما مخالفة أمرهما ونهيهما ﴿لَتَمُنَّهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية 57] أبعدهم من رحمته الفاخرة ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الآية 57] يهين أشباحهم وأرواحهم.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الآية 58] بغير جناية استحقوا الأذى بها، وقيل: معناه ينسبون إليهم أشياء مما هم برؤاء منها ويؤيده قوله ﴿فَقَدْ أَحْصَيْنَاهُ فِي قُلُوبِنَا إِنَّهَا مُّهِينَةٌ﴾ [الآية 58] ظاهراً ففي الترمذي وأبي داود قيل: يا رسول الله ما الغيبة؟ فقال: ذكرك أخاك بما يكره قيل: أفرأيت إن كان فيه ما أقول قال: إن كان فيه فقد اغتبت به وإن لم يكن فيه فقد بهته⁽¹⁾.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّارُ قُلُوبًا لَّازِلَةً وَأَنفَاقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ يَكُفِّرُ بَهَا آلُهَا وَأَهْلُهَا وَخَلْقُهَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهَا لُغَاتُهُمْ وَخَلْقُهَا يُخَلِّفُهَا يَوْمَئِذٍ﴾ [الآية 59] يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفن إذا برزن لحاجة لهن ﴿ذَلِكَ أَتَى أَن

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (247/10) رقم (20952)، والترمذي في الجامع الصحيح (329/4) رقم (1934)، والدارمي في السنن (387/2) رقم (2714)، وابن حبان في الصحيح (72/13) رقم (5759)، وأبو يعلى في المسند (378/11) رقم (6493).

يُصْرَفْنَ ﴿[الآية 59] أقرب أن يميزن من الإمام فيعرفن أنهن حرائر من النساء﴾ ﴿فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾ [الآية 59] فلا يؤذيهن أهل الريبة بالتعرض لهن ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ [الآية 96] لما عسى يصدر عنهن من الإخلال في تسترهن ﴿رَحِيمًا﴾ [الآية 59] بهن من حيث بين لهن ما يصلح من أمرهن.

قال الأستاذ: وفيه تنبيه على حفظ الحرمه وإثبات الرتبة.

﴿لَنْ لَمْ يَنْهَ الْمُتَفَقُّونَ﴾ [الآية 60] عن نفاقهم وشقاقهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [الآية 60] ضعف دين وقلة يقين عن فجورهم في أمورهم ﴿وَالْمُرْجُفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الآية 60] أخبارهم السوء عن سرايا المسلمين ونحوها في أمور الدين عن إرجافهم وإظهار خلافهم ﴿لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ﴾ [الآية 60] لنأمرك بقتالهم وإجلالهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا﴾ [الآية 60] في المدينة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 60] زماناً أو عدداً أو جوراً قليلاً وثم للتراخي في الإخبار أو للرتبة من جهة الدلالة على أن مفارقة المجاورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أعظم المصائب وأتم المعاييب.

﴿مَلْعُونِينَ﴾ [الآية 61] نصب على الذم أي مبعوثين عن وصول رحمته مطرودين عن دخول جنته ﴿أَيَّنَ مَا تُفْقَوْنَ﴾ [الآية 61] وجدوا/ ﴿أُخْذُوا﴾ [الآية 61] 47/ أأسروا ﴿وَقُتِلُوا قَتِيلًا﴾ [الآية 61] قتلاً شنيعاً أو سريعاً.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 62] أي سن الله سنته في الأمم الخالية وهي أن يقتل الذين ينافقون الأنبياء الماضية ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الآية 62] لأنه سبحانه لا يغير سنته ولا يقدر أحد أن يبدل عاداته.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [الآية 63] عن وقت قيامها استهزاءً أو امتحاناً بها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 63] لم يطلع عليها أحد سواه ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ [الآية 63] أي شيء يعلمك وقتها ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الآية 63] زمن وقوعها وفيه تهديد للمستهزئين وتشديد للممتحنين.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية 64] أبعدهم عن رحمته ﴿وَعَدَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الآية 64] ناراً شديدة الإيقاد في حرقة وفرقة.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الآية 65] لا نهاية لها ﴿لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ [الآية 65] يتولى نفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [الآية 56] يدفع ضرهم.

﴿يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [الآية 66] نصرف من جهة إلى جهة كلحمة تقلى في برمة أو يطرح في النار مقلوبة منكوسة أو تغير من حاله مساءة إلى نحوها وأعظم منها ﴿يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [الآية 66] فلن يبتلي هذا العذاب وما يترتب عليه من الحجاب.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ [الآية 67] وقرأ ابن عامر ساداتنا ﴿وَكِبَرَاءَنَا فَأَصْلُونَا السَّبِيلَ﴾ [الآية 67] بما زينوا لنا من الدليل وأخطؤونا السبيل فوقعنا في العذاب الويليل.

﴿رَبَّنَا عَذَابُهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [الآية 68] من عذابنا لأنهم ضلوا أو أضلوا بنا أو من العذاب الذي عذبتهم فإنهم أحقاء للزيادة ﴿وَالْعَنَهُمُ لَمَنَّا كِبِيرًا﴾ [الآية 68] في الكمية وقرأ عاصم بالموحدة أي عظيمًا في الكيفية.

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذُوا مُوسَى﴾ [الآية 69] حين نسبوه إلى البرص كما رواه البخاري مرفوعاً⁽¹⁾، أو أذره على ما رواه ابن أبي حاتم عن علي موقوفاً ﴿فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ [الآية 69] فأظهر الله براءة ساحته بأن أطلعهم على حسن حالته⁽²⁾ ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الآية 69] ذا وجاهة بينها، وقرىء: وكان عبد الله وجيهاً.

وأفاد الأستاذ: أن الجاه النافع ما كان عند الله إذ يقول الناس لا عبرة ولا خطرة له لا سيما العوام فإنهم يقبلون بلا شيء سالب ويردون بلا شيء موجب.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4799) ومسلم في الصحيح (4/ 1841) (156/ 339)، والحاكم في المستدرک (2/ 457) رقم (3579)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 359) رقم (3221)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 427) رقم (11424).
(2) انظر تفسير ابن أبي حاتم (6/ 12) وما أخرجه الحاكم في المستدرک (2/ 457) رقم (3579)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 359) رقم (3221).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 70] في ارتكاب ما يكرهه/ فضلاً 47/ ب
عن ما يؤذي الله ورسوله ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الآية 70] صالحاً لقبوله وصواباً في
مأموله.

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الآية 71] يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها،
للقبول والإثابة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الآية 71] ويجعلها مكفرة لما سبق من
أحوالكم ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الآية 71] في أوامرهما وزواجرهما ﴿فَقَدْ
فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الآية 71] يعيش في الدنيا حميداً وفي العقبى حميداً.

قال سهل: من وفقه الله لصالح الأعمال فذلك دليل على أنه مغفور له
ذنوبه في آخر الأحوال.

وقال الأستاذ: ويقال سداد أقوالكم سداد أعمالكم ولقد هون عليك
الأمر من رضي منك بحاله وقال حاله ترك الشرك وقال كلمة الشهادة بالصدق
يصلح لكم أعمالكم الدنيوية من الخلل ويغفر لكم في الآخرة الزلل هذا
حصول سعادة الدارين وذكر الأعمال بالجمع وقدمها على الغفران لأنه ما
يصلح لك في حالك ولم يكفك ما أهمك من أشغالك لم تتفرغ إلى حديث
آخرتك ومالك.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ [الآية 72] تكاليف الشقال ﴿عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ﴾ [الآية 72] بأن قلن لهن هل تحملن الأمانة؟ وما يتعلق بها قلن: وأي
شيء فيها، قلنا: إن أحسنتن أثبتاكن وإن أسأتن عاقباكن قلن: لا طاقة لنا بالعقاب
ولا حاجة لنا إلى الثواب ﴿فَأَيُّكُمْ أَن يَحْمِلَهَا﴾ [الآية 72] فامتنعن عن قبولها
﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الآية 72] خفن من ثقل حملها ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الآية 72] أي آدم
لما عرضنا عليه وفوضنا الأمر إليه ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ [الآية 72] لنفسه يتحمل ما
يشق عليها من الأمانة ﴿جَهُولًا﴾ [الآية 72] بوخامة عاقبة الخيانة كذا فسر جماعة
وعن كثير من السلف ما كان بين قبوله الأمانة وبين ما صدر منه الخطيئة والجناية
إلا قدر ما بين العصر إلى الليل.

وقال قوم هذا من باب المجاز أي إذا قايسنا ثقل الأمانة بقوة السموات

ونحوها رأيناها إنها لا تطيق ثقلها ولو تكلمت لأبت حملها ولذا قيل: معنى ﴿عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ [الآية 72] عارضناها وقابلناها بها ﴿فَأَبَيْتُ أَنْ يَحْمِلَهَا﴾ [الآية 72] فقصرن ونفضن عنها ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الآية 72] أي قبلها لكمال قابليته واستعداد جامعيته، وتظير هذا ما في لسان العرب وكلامها قولهم قال الجدار للوتد: لم تشقني/ قال: سل من يدقني وقيل: أراد بالأمانة الطاعة وسماها أمانة من حيث إنها واجبة الأداء ولازمة الوفاء والمعنى إنها لعظمة شأنها ورفعته برهانها لو عرضناها على هذه الأجرام العظام وكانت ذات شعور وإدراك وإفهام لأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان مع ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فإذا الداعي لها القائم بحقوقها لخير الدارين من فضل ربها في توفيق أمرها أنه أي الإنسان باعتبار أغلب أفراده المتصفة بخيانة العصيان ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ [الآية 72] حيث لم يف بها ولم يراع حقها ﴿جَهُولًا﴾ [الآية 72] بكنه عاقبتها وشدة وخامتها وقال بعضهم: أداء أمانة الخلق من أداء أمانة الحق.

وأفاد الأستاذ: أن خيانة الأمانة على مراتب فالكفار خانوا في أصل الأمانة وهي المعرفة ومن دونهم خانوا في المعصية على مقادير مختلفة وكل احتقب من وزره بقدره ويقال: أبين أن يحملنها إباء إشفاق لا إباء استكبار وشقاق، واستعفين فعفا عنهن وأعفاهن وحملها الإنسان قبلها ثم ما راعوها حق رعايتها كلٌ بقدر حالتها في خيانتها ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الآية 72] بصعوبة حمل الأمانة في الحال والعقوبة التي عليها في المآل وقوم قالوا عرض الأمانة على السموات والأرض وعرض على الإنسان فهم كانوا أهل العرض فاستعفوا وهؤلاء كانوا أهل الفرض فيقول راعوا واستقصوا ويقال: هذه الأمانات هي الواجبات أصولها وفروعها ويقال: التوحيد عقد أو حفظ العهود جهداً ويقال: أي السموات والأرض الأمانة فأبوا حملها ورأى الإنسان من يعرض فحملها ويقال: حملها الإنسان بربه لا بنفسه ويقال: لما حمل الأمانة وأولاده قال تعالى: وحملناها لما حملوا ما حملوا ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: الآية 60]. ويقال: كاشف الله السموات والأرض بوصف الربوبية والعظمة واشفقوا وكاشف آدم وذريته بوصف اللطف فقبلوا وحملوا وفي حال بقاء: العبد بالله

بحمل السماوات والأرضين على شجرة من جفنه.

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الآية 73] تعليل للحمل من حيث أنه كان تنجيه واللام للعاقبة وذكر التوبة في الوعد مشيراً بكونه ظلوماً جهولاً من جبلتهم لا خيانتهم عن تقصير أن تصدر عن زلتهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الآية 73] حيث تاب على فرطاتهم وأثاب على طاعاتهم بالفوز في جناتهم على حسب درجاتهم.



[مَكِّيَّة]

وهي أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سلاية قلابة نهابة وهابة تسلب القلوب ولكن لا كل قلب وتقلب الألباب لكن لا كل لب وتنهب الأرواح ولكن من الأحباب وتهب الارتياح ولكن لقوم مخصوصين من الطلاب.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 1] خلقة ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [الآية 1] لما فيها من مراتب جنته ومشاهد رؤيته ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ [الآية 1] في الأمور ﴿الْخَيْرُ﴾ [الآية 1] بما في سطور الصدور.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه افتتح السورة بذكر الثناء على نفسه بإخباره عن جلاله واستحقاقه لتفوق عزه وجماله فهو في الأزل حامد لنفسه محمود واجد موجود لا يزال معبوداً وبالطلبات مقصود الذي له ملك السموات والأرض والملك لا يكون بالشركة فلا ملك إلا لله وحده وإن أجري هذا الاسم على مخلوق لا يضره فالزنجي لا يتغير عن لونه وإن سمي كافراً في وصفه وله الحمد في الآخرة من الذين اعتقهم وفي النعمة غرقهم ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ [الآية 1] بتخليد قوم إلى الجنة وتأبيد قوم في النار الخبير بأحوال الأبرار والفجار.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 2] يدخل فيها كالكنوز والبذور والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ [الآية 2] كالحيوانات والنباتات ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الآية 2]

كالملائكة والأمطار ﴿وَمَا يَرْجُ فِيهَا﴾ [الآية 2] كأعمال الأولياء وأرواح الأصفياء ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ﴾ [الآية 2] للمحسنين من المطيعين ﴿الْغَفُورُ﴾ [الآية 2] للمذنبين من المؤمنين الرحيم لمن آب إليه الغفور لمن تاب عليه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ [الآية 3] إنكار لمجيء القيامة ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ [الآية 3] يأتاكم على وجه البغته ﴿وَرَبِّي﴾ [الآية 3] وأقسم به ﴿لَتَأْتِيََنَّكُمْ﴾ [الآية 3] الساعة التي لا تنفع فيها / إلا الطاعة ﴿عَلَيْمُ الْغَيْبِ﴾ [الآية 3] صفة ربي 49/ أ أو بدل وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة لأن الساعة من أدخل المغيبات في الحقيقة وقرأ نافع وابن عامر: عالم الغيب بالرفع على أنه خبر محذوف أو مبتدأ خبره ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [الآية 3] لا يغيب مقدار أصغر نملة ﴿فِي السَّمَكَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 3] وقرأ الكسائي لا يعزب بكسر الزاي ﴿وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الآية 3] أي مسطور في اللوح المحفوظ المظهر بعض ما في علمه سبحانه ورفعهما بالابتداء.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 4] متعلق بقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي إتيانها بوصف عظيم ﴿أُولَئِكَ هُمْ مَغْفِرُونَ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 4] هو الجنة من غير التعب والمنة.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا﴾ [الآية 5] بإبطال مبانيها وإفساد معانيها وتزهيد الناس فيها ﴿مُعْجِزِينَ﴾ [الآية 5] حال كونهم معوقين على زعمهم يحسبون أنهم يسبقوننا ويفوقوننا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين بالتشديد وهو بمعنى معاجزين أو مثبطين عن الإيمان ومعوقين ﴿أُولَئِكَ هُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ﴾ [الآية 5] من سيء العذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ [الآية 5] مؤلم في مقام الحجاب ورفع ابن كثير وحفص على أنه نعت العذاب.

وقال الأستاذ: المحسنون يجازيهم بالخيرات متصلة والكافرون يكافئهم بالعقوبات غير منفصلة.

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [الآية 6] ويعلم أولو العلم من الأصحاب ومن تبعهم من الأمة في هذا الباب أو من مسلمي أهل الكتاب ﴿الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِن

رَبِّكَ ﴿[الآية 6] أي القرآن المنعوت بالفرقان ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ [الآية 6] ثاني مفعول يرى وهو ضمير فصل ﴿وَيَهْدِي﴾ [الآية 6] أي القرآن أو الله به ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [الآية 6] الذي هو التوحيد الشامل للأعمال الحميدة والأحوال السعيدة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 7] بالبعث وأنكروا ﴿هَلْ نَدْكُمُ عَلَى رَجُلٍ﴾ [الآية 7] يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم يحدثكم بحال عجيب وأمر غريب ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمْرِقٍ﴾ [الآية 7] إذا متم وفرقتم كل تفريق حتى صرتم كالتراب ﴿إِنَّكُمْ لَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الآية 7] للحساب والعذاب.

﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 8] من أعجب العجائب ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ [الآية 8] جنون فلا يفرق بين الصواب والخطأ ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ﴾ [الآية 8] أي الشديد ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [الآية 8] عن الرجوع إلى طريق الحميد.

49/ ب ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ [الآية 9] ألم يتفكروا أفلم ينظروا ﴿إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 9] محيطة بهم من جميع جوانبهم ﴿إِنْ نَشَأْ﴾ [الآية 9] عذابهم في الدنيا قبل وصولهم للعقبى ﴿نَخْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنْ السَّمَاءِ﴾ [الآية 9] لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي يشاء ويخسف ويسقط بالياء وحفص كسفاً بالتحريك ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ [الآية 9] لدلالة ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [الآية 9] راجع إلى ربه متأمل في أمره.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ [الآية 10] على سائر الناس بالنبوة والكتاب والمعجزة والملك الواسع والصوت البديع أو على سائر الأنبياء بما خصه من الأنبياء بقوله ﴿يَجِبَالُ أَوتِي مَعَهُ﴾ [الآية 10] رجعي مع التسبيح والمعنى سبحي معه إذا سبح ﴿وَالطِّيرُ﴾ [الآية 10] عطف على محل الجبال ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [الآية 10] جعلناه كالشمع له يصرفه كيف شاء بيده من غير إحماء نار وضرب مطرقة في صنعه أن يعمل أمرناه.

﴿إِنْ أَعْمَلَ سَفِهْتِ﴾ [الآية 11] دروعاً واسعات ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّيِّئِ﴾ [الآية 11] في نسجها بحيث تناسب حلقها أو قدر سائرها فلا تجعلها دقاً فتعلق ولا غلاظاً فتحرق ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [الآية 11] الخطاب لداوود وآله الكريم أوله على وجه

التعظيم ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية 11] فأجازيكم على النكير⁽¹⁾ والقطمير⁽²⁾.

وقال الأستاذ: في القصة أنه قال في مناجاته: إلهي إني رأيت في التوراة ما أعطيت أنبياءك وأصفياءك من الرتب الجليلة فأعطينيها فقال: إني بليتهم فصبروا فقال: فإني اصبر على بلائك فأعطني ما أعطيتهم من عطائك فأبلاه فوفق بالصبر على ما قضاه فأعطاه ما أعطاهم قال: وتكلموا في الفضل فقال: هو رجوعه إلى الله في حال ما وقع من الاعتذار أو الانتباه ويقال: هو شهوده موضع ضره وإنه لا يصلح أمره غيره ويقال: طيب صوته للزبور عند قراءته كان يرغب من يستمع إليه في متابعتة ويقال: هو حلاوة قراءته حتى في حال مناجاته ويقال: حسن خلقه مع أمته وقد أمر الله الجبال والطير بمجاوبته حين خرج إلى الصحراء ينوح على نفسه وحالته وقيل: أوحى الله إليه يا داوود كانت تلك الزلة عليك/ مباركة فقال: يا رب وكيف الزلة تكون مباركة فقال: كنت تجيء قبله كما يجيء المطيعون فالآن تجيء كما يجيء المذنبون وفيما أوحى إليه يا داوود أنين المذنبين أحب إلي من صراخ العابدين وقد خيل له إلا لأنه معجزة ولأمره وتوسعة لرزقه ليعمل ذلك صنعته ويقطع طبعه عن أمته في ارتفاقه بهم وانتفاعه ليبارك لهم في اتباعه.

﴿وَلَسْلَيْمَنَ الرِّيحَ﴾ [الآية 12] أي وسخرنا له الريح وقرأ أبو بكر بالرفع أي ولسليمان الريح مسخرة ﴿عُدُّوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾ [الآية 12] مسيرها بالغدوة إلى انتصاف الشهر مسافة الشهر وبالعشي كذلك هذا القدر.

وقال الأستاذ: وفي القصة أنه لاحظ يوماً ملكه في حال انبساطه فمال الريح ببساطه فقال سليمان: للريح استوي فقالت الريح: استويت ما دمت مستوياً بقلبك كنت مستوية بحملك فملت فملت ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ [الآية 12] النحاس المذاب اسأل له من معدنه فنبع فيه نبوع الماء من منبعه وكان ذلك باليمن ﴿وَمَنْ أَلْجَأَ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية 12] جملة من مبتدأ وخبره

(1) النكته التي في ظهر النواة. انظر لسان العرب (5/ 227).

(2) القشرة الدقيقة التي على النواة بين النواة والتمر. انظر لسان العرب (5/ 108).

﴿يَا ذِينَ رَبِّهِ﴾ [الآية 12] بأمره ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ﴾ [الآية 12] بعدك ﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾ [الآية 12] عن ما أمرناه من طاعة سليمان ﴿نُذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الآية 12] في الآخرة أو في الدنيا بأن يدركه صاعقة فتحرقه.

﴿يَعْمَلُونَ لَكُمْ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ﴾ [الآية 13] قصور لطيفة ومساكن شريفة سميت بها لأنها يذب عنها ويحارب عليها وقيل: أريد بها المساجد والمعابد ﴿وَتَمَثَّلَ﴾ [الآية 13] وصور الملائكة والأنبياء على دأب الناس وعاداتهم ليروها فيعبدوا بحق عبادتهم وحرمة التصاوير شرع محدد وقع في زمن التأخير ولا يبعد أن يراد بها تماثيل غير الحيوانات فإنها من جملة المباحات ﴿وَحِفَانٍ﴾ [الآية 13] جمع جفنة وهي القصعة والصحفة ﴿كَلْجَوَابٍ﴾ [الآية 13] جمع جابية من الجبابة وهي الجمع أي كالحياض الكبار ففي بعض الأخبار كان يأكل من جفنة واحدة ألف رجل ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ [الآية 13] كجبال ثابتات لا تنزل عنها لعظمها أو لدوام الاحتياج إليها أو لأن أثافيها منها ﴿أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [الآية 13] أي ويقال لهم: ببيان القول أو بلسان الحال / اعملوا صالح الأعمال لشكر نعم الملك المتعال ولما كان الشكر بالجنان واللسان والأركان قال: ﴿أَعْمَلُوا﴾ تنبيهاً على التزام الأنواع في جميع الأحيان ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [الآية 13] البالغ البازل وسعه بالشكر في أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي حق نعمه من حالاته لأن توفيقه للشكر نعمة أخرى تستدعي الشكر بالأحرى وهلم جرى ولذا قيل حقيقة الشكر هو العجز عن أداء الشكر.

وأفاد الأستاذ: أن الشكور هو الذي يشكر على المحنة فوق ما يشكره العامة على النعمة فالناس يشكرونه على الرخاء والشكور يشكره في البلاء ويقال: قليل من عبادي من يأخذ النعمة عني فلم يحملها على الأسباب فيشكر الوسائط ولا يشكرني.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ [الآية 14] أي حكمنا على سليمان عليه السلام بالفناء بعد كماله في البقاء ﴿مَا دَلَّهُمْ﴾ [الآية 14] أي الجن ﴿عَلَىٰ مَوْتِهِ﴾ [الآية 14] وقت موته ﴿إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ [الآية 14] أي الأرضة أضيفت إلى فعلها ﴿تَأْكُلُ

﴿مِنْ سَائِلَةٍ﴾ [الآية 14] عصاته وقرأ نافع وأبو عمرو بألف بدلاً من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ [الآية 14] سقط سليمان حال كونه متكئاً على عصاه ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ [الآية 14] علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم ﴿أَنْ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ [الآية 14] بزعمهم ﴿مَا لِيُثْوَى فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [الآية 14] لم يمشوا في العمل الشاق المهين لهم روي إن كان من عادته أن يعتكف في مسجد بيت المقدس سنة وستين وأقل وأكثر فلما علم قرب أجله قال: اللهم غم موتي على الجن حتى يعلم الأنس أن الجن لا يعلمون الغيب ثم دخل المحراب واتكأ على عصاه وقبضه ملك الموت والجن يرونه قائماً ويحسبونه حياً وهم في أعمالهم الشاقة فلما أكلت الأرضة عصاه خر سليمان فعلمت الجن أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة نحواً من سنة فشكرت الجن الأرضة فهم يأتونها بالماء والطين في أي موضع هي فيه كذا رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وغيره⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن الملك الذي يقوم بغيره ويكون استمساكه بعصا في يده فإذا سقط سقط بسقوطه فإن من قام بغيره زال بزواله سبحانه من لا زوال لكماله / في صفات جلاله ونعوت جماله وكان عمر سليمان ثلاثاً وخمسين سنة 51/أ وملك وهو ابن ثلاث عشر سنة فتكون مدة ملكه أربعين سنة.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ [الآية 15] لأولاد سبأ بن يخشب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه البزي وأبو عمرو لأنه صار اسم القبيلة وسكن حمزة وقنبل وعامله في الوصل معاملته في الفصل ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ [الآية 15] في مواضع سكناتهم وهي باليمن فقال لها: مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالإفراد والفتح أي موضع سكناتهم أو مسكن كل واحد منهم وقرأ الكسائي بكسر الكاف وهو مما شذ في القياس كالمسجد ﴿ءَايَةً﴾ [الآية 15] علامة دالة على وجود الصانع المختار وإنه قادر على ما يشاء من الأمور العجيبة والأحوال الغريبة ومجاز للمحسن على الإحسان وللمسيء على الإساءة

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (2/ 459) رقم (3584)، والطبراني في المعجم الكبير (11/ 451) رقم (12281).

﴿جَنَّاتٍ﴾ [الآية 15] بدل من آية تقديره هي أي تلك الآية جنتان والمراد جماعتان من البساتين ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [الآية 15] جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله وكل واحدة منهما في تقاربهما كأنها جنة واحدة أو بستاناً لكل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [الآية 15] أي يقال لهم: هذا المقال بيان الحال أو بلسان المقال هذه ﴿بَلَدٌ طَيِّبَةٌ﴾ [الآية 15] لمن شكر ﴿وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ [الآية 15] لمن قصر جملة مستأنفة مبنية للدلالة على موجب الشكر في تلك الحالة قيل: كانت أخصب البلاد في الرخاء وأطيبها على العباد في الهواء لم تكن فيها ذبابة ولا هامة.

﴿فَاعْرُضُوا﴾ [الآية 16] عن شكر النعماء وكذبوا الأنبياء فعن وهب أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً وقال السدي أثنى عشر ألف نبي والله سبحانه أعلم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْمَرْمِ﴾ [الآية 16] سبيل الأمر الصعب روي أنه كان قدام قريتهم سد عظيم يجتمع خلفه الماء فيعملون على قدر حاجتهم فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الجرد فنقبه وغرقهم ذلك الماء كما قاله ابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم⁽¹⁾.

﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكُلٍ خَمْطٍ﴾ [الآية 16] ثمر بشع وقيل: كل 51/ ب شجر ذي شوك أو كل نبت مر فهو خمط / وفسره بالأراك جماعة من مشاهير السلف كابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم⁽²⁾. فالتقدير أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في كونه بدلاً أو عطف بيان له وقرأ أبو عمرو وذواتي أكل بغير تنوين وقرأ الحرميان بتخفيف أكل ﴿وَأَثَلٍ﴾ [الآية 16] عطف على أكل له لا على خمط فإن الأثل هو الطرف أو شجر يشبهه ولا ثمر له ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [الآية 16] ووصفه بالقلة فإن جناه وهو النبق⁽³⁾ مما يطيب أكله فهو أجود أشجارها وأحسن أثمارها أو قليل نفعه أو عديم ثمره.

(1) انظر نظم الدرر للبقاعي (486/6) وتفسير البحر المحيط (196/9).

(2) أخرجه البخاري ص: 890، وانظر تفسير الطبري (382/20)، وتفسير ابن كثير (6/508).

(3) انظر لسان العرب (350/10).

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ [الآية 17] بكفرانهم النعمة أو بكفرهم بالتوحيد والنبوة ﴿وَهَلْ تُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾ [الآية 17] لا يعاقب بمثل ما فعلنا بهم إلا المبالغ في الكفران أو الكفر وقرأ حمزة والكسائي وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب.

قال الأستاذ: كانوا في رغد من العيش وسلامة من الحال ورفاهية في لمال فأمروا بالصبر على العافية والشكر على النعمة فأعرضوا عن الوفاق وكفروا النعمة وضيعوا الشكر فبدلوا وبدل بهم الحال كما قال: تبدلت وتبدلنا وأخسرنا من ابتغى عوضاً سلى فلم يجد كذلك من الناس من يكون في رغد من الحال واتصال من التوفيق في الأعمال وطيبة من القلب ومساعدة من الوقت في حضور مع الرب فيرتكب زلة أو يتبع شهوة ولا يعرف قدر ما هو به من النعمة فتتغير عليه الحال فلا وقت ولا حال ولا طرب ولا وصال يظلم عليه النهار وكانت لياليه مضيئة بلا أقمار لكن ما عوملوا بالإيماء استوجبوا، ولا سقوا إلا مما أنيطوا وما وقعوا إلا في الوهدة التي حفروا وما قتلوا إلا بالسيف الذي طيعوا.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الآية 18] بالتوسعة على أهلها وهي قرى الشام ﴿قُرَى ظَاهِرَةٍ﴾ [الآية 18] متواصلة تظهر بعضها لبعض ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ [الآية 18] بحيث يقبل العادي في قرية ويبست الريح في قرية ﴿سَيْرُوا فِيهَا﴾ [الآية 18] يقال: بلسان الحال ﴿لِيَالِي وَأَيَّامًا﴾ [الآية 18] متى شئتم من ليل أو نهار ﴿ءَامِنِينَ﴾ [الآية 18] لا يختلف إلا من فيها باختلاف / الأوقات وتفاوت 52/ أ الحالات.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ﴾ [الآية 19] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بعد ﴿بَيْنَ أَصْفَارِنَا﴾ [الآية 19] بطروا النعمة وملوا العافية كبني إسرائيل في تيه البادية فسألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز من الصحراء ليطاولوا فيها على الفقراء بركوب الدواب وتزود الأزواد في الجراب ولعل كان مرادهم أيضاً أن لا يتمكن غيرهم من تلك السفرة فأجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة ﴿وَوَلَّامُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية 19]

حيث أشروا النعمة التامة وكرهوا المنة العامة ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [الآية 19] لمن بعدهم يتحدث الناس بهم تعجباً وضرب مثل فيقولون تفرقوا أيدي سبأ ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [الآية 19] أي وفرقتهم في الأرض غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان وبعض إلى العراق وهكذا إلى سائر الآفاق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الآية 19] وهو المؤمن فإنه إذا أعطي شكروا إذا ابتلي صبر.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [الآية 20] أي في ظنه وشده الكوفيون بمعنى حقق ظنه فيهم وضمير عليهم لبني آدم عامة وقيل لأهل سبأ خاصة وظنه إنما هو لما ركب فيهم الشهوات أو لانهماكهم في الغفلات واللهوات ﴿فَأَتَّبِعُوهُ﴾ [الآية 20] أجمعين ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 20] الكاملين المخلصين من العلماء العاملين.

وقال الأستاذ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ [الآية 20] وإن كان إبليس لا يملك بنفسه أمره.

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 21] على متبعيه منهم ﴿مِّن سُلْطَانٍ﴾ [الآية 21] تسلط واستيلاء بوسوسة ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ﴾ [الآية 21] تردد وريبة، والمعنى لنعلم علماً وقوعياً يتعلق به الخبر أفإن كان معلوماً غيبياً في عالم القضاء أو لتمييز من يؤمن ممن قدر هدايته ويشك ممن قدر ضلالته ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [الآية 21] محافظ للأعمال ومراقب للأحوال.

وأفاد الأستاذ: أن إبليس مسلط على أتباعه من الإنس والجن وليس به من الإضلال شيء ولو أمكنه أن يضل غيره أمكنه أن يمسك على الهداية نفسه.

قل للمشركين: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ [الآية 22] أي زعمتموها آلهة ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 22] من الملائكة والأصنام فيما يهتمكم من جلب منفعة أو دفع مضرة ليظهر لكم أنوار الألوهية وآثار الربوبية فتقربوا بوظائف العبودية ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ [الآية 22] لأنفسهم باختيارهم ﴿مُتَقَالِ دَرَجَاتٍ﴾ [الآية 22] من خير أو شر لهم

ولغيرهم ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 22] أي في العلويات والسفليات والجملة استئناف بيان حالهم وضعف مالهم ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ﴾ [الآية 22] شركة مالا خلقاً ولا ملكاً ﴿وَمَا لَهُ﴾ [الآية 22] أي الله سبحانه ﴿مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [الآية 22] نصير ولا وزير ومشير فيما يتعلق بهما من تقدير ونذير.

﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [الآية 23] أي يشفع أو أذن أن يشفع له لعلو شأنه وظهور برهانه فليس للآلهة شفاعة كما زعم ممن عبدهم جماعة وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي على البناء للمفعول ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية 23] غاية لما هم من سابق الكلام من أن تم توقف وانتظار الإذن بعض الأنام فيما قدر من المرام فالمعنى يتربصون بأجمعهم فزعين في كربهم حتى إذا كشف الفزع عن قلوبهم بكلمة تكلم بها رب العزة في حقهم ﴿قَالُوا﴾ [الآية 23] أي بعضهم لبعض على وجه السؤال ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 23] في هذا الحال ﴿قَالُوا الْحَقُّ﴾ [الآية 23] أي قالوا: القول الحق وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى من أهل الإيمان والرضى بالقضاء وقرأ ابن عامر فزع على البناء للفاعل ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ [الآية 23] الرفيع شأنه ﴿الْكَبِيرُ﴾ [الآية 23] سلطانه وبرهانه.

قال الأستاذ: أخبر سبحانه أنه بربوبيته متفرد في الإلهية متوحد وإنهم لا يملكون مثقال ذرة ولا مقياس حبة وإن الملائكة بوصف الهيبة فزعون وفي الموقف الذي أثبتهم الحق واقفون لا يفترون عن عبادته ولا يستحسرون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 24] من أهلها أو من جهتها ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ [الآية 24] أن لا جواب سواه ﴿وَأِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 24] أي وإن أحد الفريقين من الموحدين للمتوحد بالخلق والرزق والقدرة الذاتية السبحانية بالعبادة ومن المشركين به للجماد النازل في أو في المراتب الإمكانية لمرتفع في مقام لهداية ومتشرف / على مرتبة العناية أو مطمس في مطمورة الضلالة ومنغمس في مقمورة الجهالة وهذا من باب إرخاء العنان مع الخصم في ميدان البيان والحاصل أنه كما لا خالق إلا الله فلا رازق سواه فلا

تعبدوا إلا إياه ولا تطعموا إلا من نعمائه.

﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 25] فيما علمنا وفيه غاية من الانصاف معهم حيث أسند الإجرام إلى أنفسهم والعمل إلى مخاطبتهم.

قال الأستاذ: يحاسب الله كلاً على أعماله ويطالب كلاً بشأنه في أحواله لا يؤاخذ أحد بأعمال غيره ولا أقواله بل كل يعطى كتابه ويطلب الله من كل حسابه.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ [الآية 26] يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ [الآية 26] يحكم ويفصل بأن يدخل المحق دار المثوبة والمبطل نار العقوبة ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ [الآية 26] الحاكم بالعدل ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 26] بأهل الفضل.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سنته بأنه يجمع بين عباده ثم يعاملهم في حال اجتماعهم بغير ما يعاملهم في حال افتراقهم وللا اجتماع أثر كبير في الشريعة وللصلاة بالجماعة أثر مخصوص في الفضيلة وعاتب الله الذين يتفرقون عن الرسول في ميدان البيان ومدح من لا يتفرق عنه إلا بالاستئذان والشيخ ينظرون في الاجتماع من زوائد النعمة وفوائد المنة ويستوحون عنده الآية قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح.

﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ ادَّعَوْتُمْ بِهِمْ شُرَكَاءَ﴾ [الآية 27] أخبروني هل لهم استحقاق بالشركة في الألوهية والربوبية ليرتب عليه استحقاق العبودية وهو استفسار عن شبهتهم بعد إلزام حجتهم زيادة في تبكيتهم ﴿كَلَّا﴾ [الآية 27] ردع عن المشاركة بعد إبطاله المقايسة ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الآية 27] الموصوف بالغلبة وجلال القدرة وكمال الحكمة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [الآية 28] أي إلا رسالة عامة لهم ﴿نَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [الآية 28] لمطيعهم ومحرمهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 28] حقيقة حقيقتك فيحملهم جهلهم على مخالفتك.

قال الأستاذ: وهو مؤيد بالمعجزات مشرق في جميع الصفات سيد من في الأرضين والسموات ظاهر لأهل الإيمان مستور عن بصائر أهل الكفران وإن كان ظاهراً لهم من حيث العيان قال تعالى: ﴿وَتَرْنَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 198].

﴿وَيَقُولُونَ﴾ [الآية 29] من حدة جهلاتهم وشدة ضلالتهم ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ [الآية 29] المبشر به والمنذر عنه في أمر الدين ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 29] يعنون النبي والمؤمنين الموافقين.

وأفاد الأستاذ: أنهم لكثرة ما صدر هذا القول منهم كرر الله في كتابه هذا خبراً عنهم وجاوبهم.

﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ [الآية 30] وعد يوم فيه تلقون ما تلاقون ﴿لَا تَسْتَعْجِلُوهُ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الآية 30].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية 31] ولا بما تقدمه من الكتب السابقة عليه ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 31] أي في موضع المحاسبة أو في مطرح المعاقبة ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلِ﴾ [الآية 31] أي يردون المكالمة في مقام المخاطبة والمعاينة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا﴾ [الآية 31] من الاتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ [الآية 31] من المتبوعين ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 31] لولا صدكم إيانا عن إيماننا لكننا مصدقين نبينا.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ﴾ [الآية 32] أي منعناكم ﴿عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمُونَ﴾ [الآية 32] في أنفسكم بمتابعة الهوى ومخالفة الهوى.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ [الآية 33] إثباتاً لكونهم أسباباً في الضلالة وأبواباً في سلوك طرق الجهالة ﴿بَلْ مَكْرُ الْإِنِّ وَالنَّهَارِ﴾ [الآية 33] أي بل مكركم لنا دائماً ليلاً ونهاراً حتى غيرتم علينا رأينا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ [الآية 33] أضداداً مما سواه ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾

[الآية 33] أي أضمر الفريقان من أهل الإضلال والضلالة ما ظهر لهم من الندامة في حالة مشاهدة العقوبة مخافة التعبير والملامة ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 33] وفق ما لهم من وبال الأثقال ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 33] أي ما يجزون إلا بأعمالهم على حسب أحوالهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ﴾ [الآية 34] أي نبي مرسل إليها ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ [الآية 34] أي منعموها ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الآية 34] وإنه لا بعث ولا كتاب ولا حساب ولا عقاب وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم مما ابتلي به من قومه وتخصيص المتنعمين بتكذيب المرسلين لأنه الداعي المعظم إلى التكبر على الأصفياء والمفاخرة بزخارف الدنيا وما يتعلق بها والاستهانة بمن أ/54 لم يحظ / منها.

وقال الأستاذ: أي قابلوا رسلهم بالتكذيب فيما قالوا لهم وإن رسلنا صبروا وماذا على هؤلاء الكفار لو آمنوا ففي نجاتهم أرسلوا ولصالحهم ما دعوا وبلغوا ولو وافقهم لسعدوا ولكن أقساماً سبقت لكم وأحكاماً حقت والله غالب على أمره.

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾ [الآية 35] في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [الآية 35] في العقبى إما لأن العذاب لا يكون هنالك أو لأنه أكرمنا فلا يهيننا كذلك.

﴿قُلْ إِن رَّيَّ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 36] لا لكراهة ولا لإهانة بل لمجرد مشيئته ومحض حكمه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 36] فيظنون أن كثرة الأموال والأولاد للكرامة وإن قلتهما بسبب الإهانة وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُحِبِّكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: الآية 55] أي بالعقبى.

وأفاد الأستاذ: إن هذا الأمر ليس بكثرة الأموال والأولاد ولا بسعة الجاه فيما بين أهل الميلاد وإنما هي بصائر مفتوحة لقوم وأخرى معدودة لقوم والله رؤوف بالعباد.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي﴾ [الآية 37] بالخصلة التي ﴿تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾ [الآية 37] قرية ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [الآية 37] أي لكن من آمن مخلصاً وعمل صالحاً ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَضِيعِ بِمَا عَمِلُوا﴾ [الآية 37] من الطاعات ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ [الآية 37] من المكاره والآفات فلا تقرب إلا بتحسين الأحوال وتزوين الأعمال لا بكثرة الأولاد والأموال فإنها لا تريد إلا الأحوال وقرأ حمزة في الغرفة على إرادة الجنس.

وقال الأستاذ: لا تستحق الزلفى عند الله بالأعمال الخالصة والأحوال الصافية والأنفاس الزاكية بل بالعناية السابقة بالهداية اللاحقة والرعاية الصادقة.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَابِنَاتِنَا﴾ [الآية 38] بردها والطعن فيها ﴿مُحْجَرِينَ﴾ [الآية 38] ظانين أنهم يفوتوننا أو يغلبوننا ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ [الآية 38] كما أردنا.

وقال الأستاذ: هم الذين لا يحترمون الأولياء في الجهر ولا يراعون حق الله في السرف فهم في عذاب الاعتراض على أولياء الله وعذاب الوقوع بشؤم ذلك في ارتكاب محارم الله ثم في عذاب السقوط من عين الله.

﴿قُلْ إِنَّ رَحْمَةَ رَبِّي بِسُوءِ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَبِقَدَرٍ لَّهُ﴾ [الآية 39] يوسع 54/ ب عليه تارة ويضيق عليه أخرى لحكمة رآها فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين أو هذا في المؤمنين وذاك في الكافرين فلا تكرير مع احتمال تقرير ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [الآية 39] عوضاً عاجلاً أو بدلاً أجلاً ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الآية 39] فإن غيره وسيط في إيصال رزقه ولا حقيقة لرازيه غيره من خلقه.

وأفاد الأستاذ: أن من الخلق في الدنيا الرضا بالعدم والفقد وهو أتم من السرور بالوجود ومن ذلك الأنس بالله في الخلق ولا يكون ذلك إلا مع التجريد.

﴿وَيَوْمَ يُنْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ﴾ [الآية 40] وقرأ حفص بالياء فيهما ﴿أَهْؤُلَاءَ﴾ [الآية 40] المشركون ﴿إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الآية 40] تقريباً للكفرة

وتبكيئاً لحالتهم إقناطاً عما كانوا يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لأنهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم.

﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ [الآية 41] أي لا موالاة بيننا وبينهم بينوا بذلك براءتهم عن الرضا بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم على الحقيقة فيما هنالك بقولهم ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ [الآية 41] أي الشياطين حيث أطاعوهم في عبادة غير الله ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 41] أكثر الإنس بالجن مصدقون ومطيعون وموافقون.

قال الأستاذ: وفي بعض الأخبار أن غداً من يسأله الحق في مقام العدل يقع عليهم من الخجل بما يقولون عذبتنا بارينا بما شئت من أنواع العقوبة ولا تعذبنا بهذا السؤال والملامة.

﴿قَالِيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الآية 42] إذ الأمر فيه كله لله لأن الدار دار جزاء ولا مجازي سواء. أفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذا أن من علق قلبه في الأغيار وظن صلاح حاله من الاختيال والاستعانة بالأمثال والأشكال والاستعانة بالأمثال والأشكال نزع الله الرحمة من قلوبهم ويتركهم وتشويش أحوالهم فلا لهم من الأشكال والأمثال معونة ولا لهم من عقولهم في أمورهم استبصار ولا إلى الله رجوع واستغفار فإن رجعوا لا يرحمهم ولا يجيبهم في تلك الدار كما أخبر عنه بقوله ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [الآية 42] أي وبال الأعمال التي بها استوجبتم هذه العقوبة في المال.

﴿وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا﴾ [الآية 43] يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا؟ ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الآية 43] / 55 أ / فيتبعكم بما كان يستبدعه لكم ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾ [الآية 43] يعنون القرآن ﴿إِلَّا الْفُكُّ﴾ [الآية 43] كذب ﴿مُفْتَرًى﴾ [الآية 43] مخترق على الله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾ [الآية 43] لأمر النبوة وشواهدا من ظهور المعجزة ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الآية 43] ظاهر السحر به.

وأفاد الأستاذ: أن الأولياء الذين هم الأئمة في ظاهر الطريقة إذا

نصحوا بعض الأمة ودعوههم إلى سبيل الهداية قال إخوانهم: من إخوان السوء وضعفاء اليقين وربما كان من قبل المتنصحين من أهل الغفلة في الدين والأقارب من أرباب الدنيا من ذا الذي يطيق هذا الطريق وإنك لا تتم هذا التحقيق ولا بدّ من الدنيا ما دمت تعيش فيها وأمثال ذلك حتى يميل المسكين عن قبول النصح في الدين وربما كان له هذا من خواطره الدنية فيهلك ويضل بالحالة الرديئة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [الآية 44] ويوجد فيها ما يدل على صحة ما يعبدونها ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّاهُمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [الآية 44] يدعوهم إلى عبادة غير الله ويندرهم على تركها في دنياه أو عقابه فمن أين وقع لهم هذه الشبهة أو حصل هذه الريبة وهذا غاية لتجهيل عقولهم ونهاية لتسفيه رأيهم في نقولهم ثم هددهم.

فقال: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 45] رسلهم كما كذب هؤلاء نبيهم ﴿وَمَا بَلَّغُوا مِصْرَارَ مَا أَرْسَلْنَاهُمْ﴾ [الآية 45] وما بلغ جميع الآخرين عشر ما أعطينا بعض الأولين من القوة وطول المنة وكثرة المال والسعة ﴿فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيفَ كَانَ نَكِيرٍ﴾ [الآية 45] أي إنكارى عليهم بالتدبير.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾ [الآية 46] أرسلكم بخصلة واحدة هي ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ [الآية 46] خالصاً لوجهه معرضاً عما سواه ﴿مَتْنًى وَفَرْدًى﴾ [الآية 46] متفرقين اثنين اثنين أو مجتمعين واحداً واحداً فإن الازدحام يشوش الخاطر في المهام ﴿ثُمَّ تَنْفَكُّرُوا﴾ [الآية 46] في أمر محمد عليه السلام وما جاء به من الأحكام فتعلموا ﴿مَا يَصَاحِبُكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾ [الآية 46] ليس فيه جنون بل به علوم وفنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [الآية 46] قدام القيامة ففي الحديث بعثت في نسمة الساعة.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 47] أي شيء سألتكم من أجر على تبليغ الرسالة ﴿فَهُوَ﴾ [الآية 47] خير ﴿لَكُمْ﴾ [الآية 47] ولا طمع / فيكم ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الآية 47] مطلع يعلم صدق نيتي وخلص طويتي.

﴿قُلْ إِنْ رَّبِّي بِقَدْرِ الْحَقِّ﴾ [الآية 48] يرمي به الباطل فيدفعه ﴿عَلَّمَ الْغُيُوبِ﴾

[الآية 48] أي هو علام الغيوب وستار العيوب ومقلب القلوب.

قال الأستاذ: ويقذف بالحق على باطل أهل الغفلة فتزول حيلهم ويظهر عجزهم ويقذف بالحق على أفعال أهل الغفلة فيضمحل اجتراحهم ويحقيق بهم شؤم معاصيهم ويقذف بالحق إذا حضر أصحاب المعاني على ظلمات أصحاب الدعاوى فيخمد تأثيرهم ويفتضحون في أمرهم ويتضح عوازمهم.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ [الآية 49] أي الإسلام ﴿وَمَا يُدْئِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [الآية 49] أي عبادة الأصنام والمعنى لم يبق للباطل نشأة أبداً ولا إعادة إنشاء فالباطل على ممر الأيام لا يزيد إلا زهوقاً واضمحالاً وانمحاءاً والحق لا يزيد على ممر الأوقات إلا قوة وظهوراً واستيلاء واستعلاء.

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾ [الآية 50] عن الحق في طريق ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ [الآية 50] فإن وبال ضلالي عليها وسبب وبالي راجع إليها ﴿وإِنْ أَهْتَدَيْتُ﴾ [الآية 50] إلى الحق في سبيل قلبي ﴿فَمَا يُوجِئِي إِلَى رَيْتٍ﴾ [الآية 50] فإن الاهتداء بهديته وتوفيقه ورعايته ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية 50] لمن دعاه ﴿قَرِيبٌ﴾ [الآية 50] لمن رجاه.

وقال الأستاذ: إن كنت مهتدياً فبربي لا بجهدي وإن كنت عندكم من أهل الضلال فوبال ضلالي علي لا يضركم فانظروا أنتم لأنفسكم أين وقفتم وأي ضرر عليكم في طاعتكم لي لا في المال تحسرون ولا في أنفسكم تتعبون ولا في جاهكم تنقصون وما أعرفكم من نقص أصنامكم فبالضرورة تعلمون فما لكم لا تبصرون ولأنفسكم لا تنظرون.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ [الآية 51] أي الكفار ﴿إِذْ فَرَعُوا﴾ [الآية 51] يوم بدر أو عند الموت أو البعث لرأيت أمراً فظيعاً وحالاً شنيعاً ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ [الآية 51] فلا يفوتون الله بهرب أو بتحصن وحرب ﴿وَأُخْذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [الآية 51] أي على وجه عجيب وفي زمان غريب والمعنى أنه إذا أخذهم بعد الإمهال فليس هناك إلا الاستئصال.

﴿وَقَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ﴾ [الآية 52] آمنا بالله أو برسوله ﴿وَأَنَّى لَهُمُ اتِّتَابُ﴾

[الآية 52] وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز أي ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولاً سهلاً ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الآية 52] فإن تناول إنما هو في زمان التكليف وقد فات منهم وبعد عنهم.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾ [الآية 53] أي / بالله أو محمد وإنذاره ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ 56/أ [الآية 53] أي قبل ذلك حين كانوا مكلفين بما هنالك ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْأَيْبِ﴾ [الآية 53] ويرجمون بالظن في الرسول من طعنه أو في العذاب من القطع على نفسه ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الآية 53] من جانب بعيد من أمره وهو الشبه التي تمحلوها وفي أنفسهم تخیلوها.

وقال الأستاذ: إذا تابوا وقد أغلقت الأبواب وندموا وقد تقطعت بهم الأسباب فليس إلا الحسرات ثم لات حين الندامات كذلك من استهان بتفاصيل فترته ولا يستفيق من محاليل غفلته يتجاوز عنه مرة ويعفي عنه كرة فإذا استمكن القسوة وتجاوز سوء الأدب حد القلة وزاد على مقدار الكثرة فيحصل من الحق لهم رد جواب ويستقبلهم حجاب فبعد ذلك لا يسمع لهم دعاء ولا يرجى لهم نداء كما قيل:

فخل سبيل العين بعدك للبكاء فليس لأيام الصفاء رجوع
﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [الآية 54] من نفع الإيمان والنجاة من النار أو من اللذات النفسانية والشهوات الدنيوية أو من مياه الجنة ونعيمها الأخروية ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ﴾ [الآية 54] بأشباههم من كفره الأمم الماضية ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَرِّ مُّزِيلٍ﴾ [الآية 54] موقع في الريبة الظلمانية.

وأفاد الأستاذ: إن التوبة يشتهونها في آخر الأمر وقد فات الوقت والخصم يريد إرضاءه فيستحي أن يذكر في ذلك الوقت إنباءه وينسد لسانه ويضيق جناحه فلا يمكنه أن يفصح بما في قلبه ويود أن لو كان بينه وبين ما أسلفه أمد بعيد ويتمنى أن يطيع فلا تساعد القوة ويتمنى أن يكون له قبل خروجه من الدنيا نفس ثم لا تنفق في تلك الحالة، فنسأل الله العافية وحسن العاقبة.



[مكية]

وهي خمس وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سماعها يوجب روحاً لمن كان يشاهد الإيقان وذكرها يوجب لوحاً لمن كان يوصف البيان فالروح من وجود الإحسان واللوح من شهود السلطان⁽¹⁾ وكل مصيب ولكل من الحق سبحانه نصيب.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 1] مبدعهما ومبديهما ومخترعهما ومنشئهما.

56/ ب قال جنيد: الحمد لله الذي جعل/ ما أنعم على عباده من أنواع نعمه في بلاده دليلاً هادياً إلى معرفته على وفق مراده فقال فاطر السماوات والأرض ليستدل بهما على أن من فطرهما هو فاطر من فيهما فيستغني بفطرته الأشياء أجمع عن الرجوع إلى غيره في سبب من الأسباب ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾ [الآية 1] وسائط بين الله وبين أنبيائه والصالحين من عباده وإمائه يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصادقة في المنام ﴿أُولَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الآية 1] متعددة متفاوتة مختلفة بتفاوت ما لهم من المرتبة ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبُعَ﴾ [الآية 1] ينزلون بها ويعرجون بسببها ويسرعون بقوتها التي خلقها الله فيها ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية 1] استئناف للدلالة على أن تفاوتهم في ذلك بمقتضى مشيئة ومؤدي حكمته

(1) في المخطوطة غير واضحة، ولعلها الظان.

الآية متناولة لزيادة الأجنحة لبعض الملائكة فإنه أنه عليه السلام رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وكذا لزيادة الصور والمباني وفضيلة المعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وسماحة النفس وخصافة العقل.

قال ابن عطاء: حسن المعرفة بالله وحسن الإقبال عليه وحسن المشاهدة وحسن المراقبة لديه وكذا الأستاذ الخلق الحسن ويقال: الكياسة في التجارة ويقال: الفصاحة في المحاوراة ويقال: الجود والسخاء ويقال: الرضا بالتقدير والقضاء ويقال: علو الهمة ويقال: التواضع في الأغنياء ويقال: العفة في الفقراء ويقال: سلامة الصدر عن ظهور الشرور ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 1].

أفاد الأستاذ: أنه سبحانه تعرف إلى العباد بأفعاله وندبهم إلى الاعتبار بها فمنها ما يعملون ذلك معاينة كالمسموات والأرضين وغيرهما ومنها ما سبيل إيماننا به الخبر والنقل لا تعلمه بالضرورة ولا بدليل العقل فالملائكة منهم ولا يتحقق كيفية صورتهم وأجنتهم وإنهم كيف يطرون بأجنتهم الثلاث والأربع لكن على الجملة نعلم كمال قدرته وصدق حكمته.

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 2] ما يرسل لهم ﴿مِنْ رَحْمَةٍ﴾ [الآية 2] كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهُ﴾ [الآية 2] لحبسها ﴿وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾ [الآية 2] يطلقه ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الآية 2] بعد إمساكه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 2] الغالب على مراده ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 2] فيما يفعل بعباده.

قال أبو / عثمان: ما يفتح الله لقلوب أوليائه من القرب والأنس لو اجتمع 57/ الخلائق كلهم أن يمسكوه عن ذلك لعجزوا عنه ومن أغلق الله قلبه عن الإنابة إليه والتقرب لديه فلو اجتمع الخلق أن يفتحوا ما هنالك لما قدروا على ذلك.

وقال الأستاذ: ما يبح لقلوب العارفين من أنوار التحقيق وأسرار التدقيق لا سحاب يستره ولا ضباب يقهره.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعَمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 3] احفظوها بمعرفة حقها والقيام بطاعة منعها ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 3] أي من

جهتهما أو بسببهما والمعنى أنه كما لا خالق لهما إلا هو لا رازق لهما إلا هو ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تُؤَفُّوْنَ﴾ [الآية 3] فمن أي وجه يصرفون عن توحيده إلى إشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بأنه وصف وجره حمزة والكسائي حملاً على لفظه.

قال ابن عطاء: من علم أنه لا رازق للعباد غيره ويتعلق قلبه بالأسباب دونه فهو من المبعدين.

وقال القاسم: يرزقكم من السماء الهداية ومن الأرض أسباب الغذاء والحفظ والبقاء.

وأفاد الأستاذ: أن من ذكر نعمته فصاحب عبادة ونائل زيادة ومن ذكر المنعم فصاحب إرادة ونائل زيادة ولكن فرق بين زيادة وزيادة هذا زيادة في الدارين عطاؤه وهذه زيادة في الكونين لقاءه اليوم سرّاً بسر من حيث المشاهدة وغداً جهرّاً لجهر من حيث المعاينة والنعمة على قسمين ما دفع من المحن وما صنع من المنن فذكره لما دفع عنه يوجب دوام العصمة وذكره لما نفعه به يوجب تمام النعمة وفي قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾ [الآية 3] إيماء إلى أنه إذا عرف أنه لا رازق غيره لم يعلق قلبه بأحد في طلب شيء منه وكما لا يرى رزقه من مخلوق لا يراه أيضاً من نفسه فيتخلص من ظلمات تدبيره واحتياله وتوسم شيء من أمثاله وأشكاله ويستريح بشهود تقديره ويخلص في توكله وتفويض أمره.

﴿وَإِنْ يَكْذِبُوا﴾ [الآية 4] أي بعض قومك ﴿فَقَدْ كَذَبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الآية 4] فصبروا على ما كذبوا فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الآية 4] فيجازيك على الصبر كما يجازيهم على الكفر.

57/ ب وأفاد الأستاذ: أن في هذه / الآية إشارة إلى أصحاب الحقيقة مع الأجانب من هذه الطريقة فإن أرباب الحقائق أبداً منهم في مقاساة الأذية لا بستر أحوالهم الجليلة والعوام أقرب إلى قبول الحق من القراء المتقشفين والعلماء الذين هم لهذه الأصول من المنكرين.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 5] وأخبره بالشواب والعقاب صدق
﴿فَلَا تَحْزَنْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الآية 5] فيذهلكم التمتع بزخارفها الفانية عن طلب
الآخرة الباقية والسعي لمراتبها العالية العالية ﴿وَلَا يَفْرَنْكُمْ بِاللَّهِ الْفُرُورُ﴾ [الآية 5]
الشیطان الذي هو منبع الشرور بأن يمنيكم المغفرة مع الإصرار على المعصية أو
بأن يوسوس لكم بأن لا حساب ولا عتاب في الآخرة.

وأفاد الأستاذ: إن وعده سبحانه بالقيامة حق ووعد له لمن أطاعه في
الدنيا بكفاية الأمور وحصول السلامة حق ووعد للمطيعين في الآخرة بوجود
الكرامة حق وللعاصين في الآخرة بالندامة حق فإذا علم العبد بذلك فاستعد
للموت ولم يهتم للرزق فإنه لا فوت ولم يتهم الرب في كفاية الشغل ونشط
في استكثار الطاعة في العمل ثقة بالوعد ولم يلزم بالمخالفات خوفاً من
الوعيد.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ﴾ [الآية 6] عداوة قديمة لأبائكم ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾
[الآية 6] في عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم ﴿إِنَّمَا
يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ [الآية 6] متابعيه ومشايغيه ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الآية 6]
والجملة استئنافية مبينة لعداوته ومقررة لعرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى
والركون إلى الدنيا والإعراض عن العقبي والغفلة عن المولى فإن من نسي ذكر
ربه فهو من حزبه بل قرينه من كمال قربه كما قال تعالى: ﴿أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ
فَأَنسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: الآية
19]، وقال عز وعلا: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾
[الزخرف: الآية 36].

وقال سهل: حزبه أهل البدعة والأهواء الفاسدة والآراء الكاسدة.

وأفاد الأستاذ: أن عداوة الشيطان بدوام مخالفته فإن من الناس من
يعاديه بقلبه وقوله ولكن يوافق به فعله ولا يقوي / على عداوته إلا بالالتجاء إلى 58/أ
الرب وإعادته وتلك الاستعانة صدق الاستغاثة والشیطان لا يفتر في عداواتك
فلا تغفل أنت عن مولاك لحظة في طاعتك فيغلبك عدوك فإنه أبداً متمكن لك

ثم حزنه المعرضون عن الله المشغولون بغير الله الغافلون عن الله ومفهوم هذا الخطاب أن الشيطان عدوكم فأبغضوه واتخذوه عدواً وأنا وليكم وحبيبكم فأحبوني وارضوا بي حبيباً وولياً.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية 7] في جميع الحالات ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ [الآية 7] على ما صدر عنهم من الزلات ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية 7] على ما تحملوا من المشقات في الطاعات ففي الآية وعيد لحزب الشيطان ووعد لحزب الرحمن.

وقال الأستاذ: لهم عذاب معجل وعذاب مؤجل فمعجله تفرقة قلوبهم وانسداد بصائرهم ودناءة همتهم حتى رضوا بأن يكون الأصنام آلهتهم وعذاب الآخرة لا يخفي على مسلم صعوبة عقوبتهم وأما ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ [الآية 7] ستر لذنوبهم اليوم ولولا ذلك لافتضحوا بين القوم وغداً كذلك ولولا ذلك لهلكوا هنالك ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية 7] والأجر الكبير اليوم سهولة العبادة ودوام المعرفة وما يناله في قلبه من زوائد اليقين وخصائص الأحوال وفي الآخرة لتحقيق السؤل ونيل: ما فوق المأمول.

﴿أَفَنَ زَيْنٌ لَّهُمْ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ [الآية 8] بأن غلب وهمه على عقله ﴿فَرَأَاهُ حَسَنًا﴾ [الآية 8] بانتكاس رأيه حيث رأى الباطل حق وعكسه كمن كان أمره على خلافه بأن عرف الحق من الأحوال والحسن من الأعمال بتوفيق الملك المتعال ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 8].

وأفاد الأستاذ: أن الكافر يتوهم أن عمله حسناً كما أخبر سبحانه عنهم بقوله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ثم الراغب في الدنيا بجمع حلالها وحرامها ويحوش حطامها لا يتفكر في زوالها ولا في ارتحاله عنها قبل كمالها فلقد زين له سوء عمله والذي يتبع الشهوات يبيع مؤبد راحته في الجنة بمتابعة شهوة ساعة في النعمة فلقد زين له سوء عمله والذي يؤثر على ربه بـ 58/ب شيئاً من المخلوقات فهو من جملتهم والذي يتوهم أنه إذا وجد نجاته من / العقوبة ودرجاته في الجنة فقد اكتفى فقد زين له سوء عمله حيث تغافل عن

حلاوة مناجاته والذي هو في صحبة حظوظه دون إثثار الله وحقوقه فهو ممن زين له سوء عمله ﴿فَلَا نَذْهَبُ﴾ [الآية 8] فلا تهلك ﴿نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ﴾ [الآية 8] للحسرات على جهالتهم وللندامات على ضلالتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [الآية 8] فيجازيهم على قبائح أعمالهم ومساوئ أحوالهم.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ [الآية 9] قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الآية 9] تهيجه وتفرقه ﴿فَسُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الآية 9] يحتاجه ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ [الآية 9] بالمطر النازل منه ﴿الْأَرْضَ﴾ [الآية 9] بإنباتها ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 9] يبسها وذهاب نبتها ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [الآية 9] أي مثل إحياء الموات في صحة المقذور نشور الأموات من القبور.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سنته بأنه يظهر فضله في إحياء الأرض بتدريج في صنعه أو لا يرسل الرياح ثم يأتي بالسحاب ثم يوجه ذلك السحاب إلى الموضع الذي يريد تخصيصاً له كيف يشاء ويمطر هنالك كيف يشاء كذلك إذا أراد إحياء قلب عبد بماء يسقيه وينزل عليه من أمطار عنايته فيرسل أولاً رياح الرجاء ويزعج به كوا من الإرادة ثم ينشأ فيه سحاب الاهتياج ولوعة الانزعاج ثم يأتي مطر الجود فينبت في القلب أزهار البسط وأنوار الروح يطيب لصاحبه العيش إلى أن تتم لطائف الإنس.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ [الآية 10] الرفعة والمنعة ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [الآية 10] أي فليطلبها من عنده فإن كلها له ويجعلها لمن شاء من عبده.

وقال الأستاذ: أي من كان يريد أن يعرف لمن العزة فليعلم إنها لله جميعاً ويقال: من كان يريد العزة لنفسه فليطلبها من ربه ثم إن عزة الربوبية لله وصفاً وغير الرسول والمؤمنين فضلاً من الله ولطفاً فإن عزته قدرته وغلبته في إرادته ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [الآية 10] بيان لما يطلب به العزة في الدنيا والآخرة وهو التوحيد والأعمال الصالحة وصعودهما مجازاً عن قبولهما أو صعود الكتب بصفحهما والمستكن فيه يرفعه للكلم فإن العمل لا يقبل إلا / التوحيد أو للعمل فإنه يحقق الإيمان ويقويه أو الله تعالى رخص العمل عبده 59/أ

الصفة لما فيه من الكلفة وقيل: الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وأنواع الثناء والكلم من الكلمة بمنزلة الثمر من الثمرة يفرق بين الجنسي وواحدة بالتاء واللفظ مفرد إلا أنه كثيراً يسمى جمعاً نظراً إلى المعنى الجنس ثم الكلم غلب على الكثير بحيث لا يستعمل في الواحد البتة حتى يوهم بعضهم أنها جمع كلمة وليس على حد تمر وتمرّة هذا أو فسر في الحديث بأنه سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحىي بها وجه الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وكان الحديث مقتبس من قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: الآية 27]، ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السُّيُوفَ﴾ [الآية 10] المكرات السيئات ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية 10] جزاء لتلك الحركات والسكنات ﴿وَمَكْرٌ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَوْنَ﴾ [الآية 10] يفسد ولا ينفذ لأن الأمور مقدرة لا تتغير بمكر المكرة.

قال الأستاذ: تقلب عليهم مكرهم فما يتوهمون من خير لهم قلبة محنة عليهم ويقال: تخليته إياهم ومكرهم مع قدرته على عصمتهم وهو لا يعصمهم هو عذابهم الشديد، قبل يوم الوعيد.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الآية 11] بخلق آدم عليه السلام منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [الآية 11] يخلق ذريته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الآية 11] أصنافاً ذكراً وإناثاً أو أنواعاً بيضاً وسوداً وعرباً وعجماً ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [الآية 11] إلا معلومة له ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ﴾ [الآية 11] وما يمد في عمر من مصيره إلى الكبر ﴿وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ﴾ [الآية 11] من عمر المعمر لغيره بأن يعطي له عمراً نقص من عمره وقيل: الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة في اللوح مثبتة مثل أن يكون فيه أن حج فلان فعمره ستون وإلا فأربعون وقيل: المراد بالنقصان بما يمر من عمره وينتقص من الزمان أو يبارك في عمر وما ينقص في قدره ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [الآية 11] هو علم الله الجامع لكل باب واللوح المحفوظ من التغيير ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الآية 11].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكرهم بدء نسبتهم لثلاث يعجبوا بحالتهم ثم

أن المتخذ من الطين / سريع التغيير قليل القوة المكث لكنه يقبل الانحياز 59/ب
بالماء يخمر به طينته فإذا جاد الحق عليه بما الجود أعاده بعد انكساره بالذنوب
في عالم الوجود وإذا كان لا يخفى عليه شيء من أحوالهم في ابتداء خلقه فمن
لا يبالي أن يخلق من يعلم أنه يعصي لا يبالي أن يغفر من رآه يعصي.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الآية 12]
طعمه ضرب مثل للمؤمن والكافر والمطيع والفاجر والفرات الذي يكسر العطش
وحارارته والسائغ الذي يسهل انحذاره وابتلاعه والأجاج الذي يحرق لملوحته
ومرارته ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبِيَّةً تَبْسُوتُهَا﴾ [الآية 12] المعنى
أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد والصفات لا يتساويان من حيث أنهما يختلفان
فيما هو المقصود بالذات كما أن المؤمن والكافر وإن اتفق اشتراكهما في بعض
الصفات كالشجاعة والسخاوة وسائر المكرمات لا يستويان فيها خلق من القصور
بالذات وهو المعرفة وما يتبعها من العبادات والطاعات.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يستوي الحالتان هذه إقبال على الله واستعمال
بطاعته واستقبال في معرفته وهذه إعراض عن الله وانقباض عن عبادته
واعتراض على الله في قسمته وقضيته هذا سبب قربه ووصال وهذا سبب
هجره وفصاله وفي كل واحدة من الحالتين يعيش أهلها ويرجي صاحبها وقتها
لا يستوي الوقتان هذا بسط وصاحبه في روح وهذا قبض وصاحبه في نوح
هذا خوف وصاحبه في احتياج وهذا رجاء وصاحبه في ارتياح هذا فراق
وصاحبه بوصف العبودية وهذا جمع وصاحبه في شهود الربوبية ﴿وَمِنْ كُلِّ
تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَبِيَّةً تَبْسُوتُهَا﴾ [الآية 12] كذلك كل يتقرب في
حالته بربه ويتزين على بابه وهو الحلية التي بها يتحلّى من طرب أو حرب أو
شرف أو تَلَفٍ ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ﴾ [الآية 12] في كل منها ﴿مَوَاحِرَ﴾ [الآية 12]
تشق الماء بجريها ﴿لِتَبْنِغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية 12] من فضل الله بالنقلة فيها
﴿وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 12] على هذه النعم جميعاً.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ 60/أ

كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿[الآية 13]﴾ مر مراراً كل يجري لأجل مسمى هذه مدة دوره أو منتهى سيره أو يوم القيامة وغاية دهره ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 13] مرببكم والمتصرف فيكم ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ [الآية 13] على وجه الملك ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الآية 13] من الصنم وغيره ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [الآية 13] قدر قطمير من ملكه الكبير والقطمير لفافة النواة هو مثل اليسير والحقير ففيه الدلالة على تفرده بالالوهية وتوحيده بالربوبية.

وأفاد الأستاذ: أن النفس تقلب مرة على القلب ومرة تقلب القلب على النفس وكذلك القبض والبسط وقد يستويان ومرة بقلب القبض على البسط ومرة البسط على القبض كذلك في الصحو والسكر والغناء والبقاء وسخر شمس التوحيد وقمر المعرفة على ما يريد من إظهارها على قلوب أهل التفريد والمكاشفة ذلكم الذي وصفته لكم بالقدرة على هذه الأشياء الظاهرة عندهم هو الله ربكم وهو مستبد بالملك فأروني منبسطة في النفي والإثبات مما تدعون من دونه وإذا لم يمكنكم ذلك فهلا أقرتم وفي عبادته أخلصكم وعن الأصنام تبرأتم وعن غيره أعرضتم.

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [الآية 14] لأنهم جماد لا يدركون نداءكم ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾ [الآية 14] على الفرض والتقدير وعلى زعمكم ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [الآية 14] لعدم قدرتهم على نفعكم فإنهم لا يملكون نفع أنفسهم فكيف يملكون نفع غيرهم أو لغيرهم منكم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ﴾ [الآية 14] بإشراكهم لهم لأنهم يبطلانه يقرّون أو يقولون ما كنتم إيانا تعبدون ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [الآية 14] أي ولا يخبرك بهذا الأمر وغيره مخبر مثل خبير أخبرك به وهو الله سبحانه فإنه الخبير به عن الحقيقة دون سائر المخبرين عن شأنه والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من مقالتهن.

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 15] في الإيجاد والإمداد ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ [الآية 15] عن عبادة العباد ﴿الْحَمِيدُ﴾ [الآية 15] في جميع ما أراد.

قال سهل: لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر والغناء

فمن ادعى الغنى حجب عن الله ومن أظهر فقره أوصله فقره بغناه .

وقال الواسطي: من استغنى بالله لا يفتقر ومن تعزز بالله لا يذل .

وقال / الحسين: على مقدار افتقار العبد إلى الله يكون غناه بالله .

60/ب

وقال ذا النون: الخلق محتاجون إليه في كل نفس وخطرة ولحظة ولمحة .

وقال الشبلي: الفقر أن لا يرى في الدارين مع الله سواه . وسئل الخواص ما علامة الفقر الصادق قال: ترك الشكوى وإخفاء أثر البلوى .

وقال أبو سعيد الخراز: حقيقة الفقر أخذ الشيء منه واختيار القليل على الكثير عند الحاجة إليه .

وأفاد الأستاذ: أن الفقر على ضربين فقر خلقة وفقر صفة فققر الخلقة عام لكل حادث حصل من العدم والمخلوق مفتقر إلى خالقه في أول حال وجوده ليبدئه وينشئه وفي الثاني من حال بقائه ليديمه ويبقيه والله سبحانه في أزله وأبده غني فالعبد فقير لعينه والرب غني لعينه وأما فقر الصفة فهو التجرد فققر العوام التجرد من المال وفقر الخواص التجرد من الأعلال، والفقر على أقسام: فقير إلى الله وفقير إلى شيء هو من الله مثل معلوم ومرسوم ومن افتقر إلى شيء استغنى بوجود ذلك الشيء فالفقير إلى الله هو الغني بالله فالافتقار إلى الله لا يخلق من الاستغناء بالله ومن شرف الفقر اقترانه بالتواضع والتخشع ومن آفات الغنى امتزاجه بالتكبر والترفع وشرف العبد في فقره وكذلك عزه وذله في توهم الغنى وكذلك صغره وإذا تذلت الرقاب تقرباً منا إليك فعزها في ذلها ومن الفقر المذموم أن يستر الحق على صاحبه موضع فقره إلى ربه ومن الفقر المحمود أن يشهده الحق موضع فقره إليه ودوام احتياجه لديه ومن آداب الفقير الصادق إظهار التكثر عند كمال التكسر وكمال المعنى وزوال الدعوى ويقال الشكر على البلوى والبعد من الشكوى ويقال: إذا لم تدع ما هو صفته من استحقاق الغنى أولاك ما يغنيك وأعطاك فوق ما يكفيك .

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [الآية 16] بإهلاككم أو بإفنائكم ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الآية 17] بقوم آخرين أطوع منكم في بقائكم.

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [الآية 17] بمتعذر أو متعسر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرفك أنه غني عنك وأشهدك موضع ففرك إليه وإنه لا بد لك منه في القصد من هذا إلا إرادته لإكرامك بشرق إكرامه / 61 أ ولا يوائك في كنف إنعامه.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الآية 18] ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى ﴿وَأِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ﴾ [الآية 18] نفس أثقالها أو أوزارها ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ [الآية 18] إلى تحمل بعض حملها من أوزار ثقلها ﴿لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ [الآية 18] لم يجب بحمل شيء منه ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ [الآية 18] المدعو ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الآية 18] صاحب قرابتها فنفي سبحانه أن يحمل عنها ذنبها كما نفى أن يحمل عليها ذنب غيرها.

وقال الأستاذ: كل مطالب بعلمه وكل محاسب بديوان فعله لكل معه شأن وله مع كل أحد شأن تعالى شأنه وتعظم سلطانه وفي العبادات ما يجري فيها النيابة لكن في المعارف لا يجري البتة فلو كان عبداً عاصياً منهمكاً في الغواية فاتته صلاة مفروضة فلو قضى عنه ألف صفي وألف ولي لتلك الصلاة الواحدة عن كل ركعة ألف ركعة لا يقبل منه اللهم إلا أن يحيي هو بنفسه ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَلَعًا عِنْدَهُ﴾ [يوسف: 79] عقابك لا يجري معه غيرك والخطاب الذي معك لا يسمعك غيرك فسر أو أقم وقف عليك محبتي مكانك من قلبي عليك مصون ﴿إِنَّمَا نُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [الآية 18] غائبين عن عذابه أو غائباً عنهم عذابه أو غائبين عن الناس في خلواتهم وفق حالاتهم في جلواتهم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الآية 18] في جماعاتهم فإنهم المنتفعون بحلاوة طاعاتهم ﴿وَمَنْ تَرَكَّ﴾ [الآية 18] تطهر عن دنس المعصية ووسخ الغفلة ﴿فَإِنَّمَا يَنُزِّلُ لِنَفْسِهِ﴾ [الآية 18] إذ نفعه لها وأجره لا يتعدها ﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [الآية 18] فيجازيهم على تركهم بالقليل والكثير.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [الآية 19] الكافر والمؤمن.

﴿وَلَا الظَّالِمُتُ وَلَا الظُّلُمُتُ وَلَا الظُّلُمُتُ وَلَا الظُّلُمُتُ﴾ [الآية 20] ظلمات الكفران ونور الإيمان.

﴿وَلَا الظُّلُمُتُ وَلَا الظُّلُمُتُ وَلَا الظُّلُمُتُ وَلَا الظُّلُمُتُ﴾ [الآية 21] ولا ثواب الجنة ولا عقاب الحرقة ولا لتأكيد نفي الاستواء أو تكريرها على الشفتين لمزيد المبالغة.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [الآية 22] أي العلماء والجهلاء أو الذاكرون والغافلون، فقد ورد: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت أو الفقراء والأغنياء، فورد: «إياكم ومجالس الموتى، قالوا: وَمَنْ الموتى يا رسول الله؟ قال: هم الأغنياء».

وأفاد الأستاذ: أنه كما لا يستوي هذه الأشياء عندنا كذلك لا يستوي الموصول بنا والمشغول / عنا والمجذوب إلينا والمحجوب لدينا ولا يستوي 61/ب من أشهدناه حقنا ومن أغفلنا قلبه عن ذكرنا.

أحبابنا شتان واف وناقض ولا يستوي قط المحب وباغض
﴿إِنَّ اللَّهَ يُسَمِّعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 22] هدايته فيوفقه لفهم آياته والاعتاظ بعظاته ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الآية 22] مبالغة في إقناطه عن إيمانهم وعن رجوعهم إلى مقام إحسانهم.

﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [الآية 23] فما عليك إلا الإنذار وأما الإسماع فلا إليك.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 24] محقين أو محققاً أو بالدين الحق ﴿بَشِيرًا﴾ [الآية 24] بالوعد الحق ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الآية 24] بالوعيد الصدق ﴿وَأَنَّ مِنْ أُمَّةٍ﴾ [الآية 24] أهل عصر ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [الآية 24] مضى فيها نبي أو ولي ينوب عنه واكتفى بالنذير عن البشير لأنه هو المقصود الأهم من البعثة لا سيما في أول القضية.

﴿وَأَنَّ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية 25] بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم ﴿وَبِالْزُّبُرِ﴾ [الآية 25] كصحف إبراهيم ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [الآية 25] كالتوراة والإنجيل على إرادة التفصيل.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 26] أصروا على المعصية ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الآية 26] إنكاري عليهم بالعقوبة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ [الآية 27] أجناسها وأصنافها من صفرة وخضرة وحمرة وحلوة ومرة ونحوها ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَحْرٌ أَلْوَانُهَا﴾ [الآية 27] ذو خطط ﴿بَيْضٌ وَحُمْرٌ﴾ [الآية 27] وصفر وغيرها ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ [الآية 27] بالشدة والضعف فيها ﴿وَعَرَبِيبٌ سُودٌ﴾ [الآية 27] جمع غرابيب تأكيد للأسود قدم للمبالغة على المؤكد.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ﴾ [الآية 28] أي في الأحوال ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية 28] كاختلاف الثمار والجبال وهو دليل ثبوت منشئها بنعت الجلال وصفة الكمال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [الآية 28] إذ شرط الخشية معرفة المخشي باعتبار ذاته وأفعاله وصفاته فمن كان أعلم به كان أخشى منه ولذا ورد في أخشاكم الله وأتقاكم له وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على التجريد فإن الخشية خوف مع التعظيم فالمعنى إنما يعظم الله العلماء لأنهم عالمون بموقع التكريم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية 28] معاقب للمصرّ على طغيانه ﴿غَفُورٌ﴾ [الآية 28] للتائب عن عصيانه.

62/ أ قال ابن عطاء: الخشية أتم / من الخوف لأنها صفة الخاصة وهو نعت العامة.

وقال جعفر: خشية العلماء من ترك الحرمة في العبادة وترك الحرمة في الإخبار عن الحق بالنقص أو الزيادة وترك الحرمة في متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأولياء الأمة وتحقيق الإرادة.

وأفاد الأستاذ: إن من فقد العلم بالله فلا خشية له من الله، والفرق بين الخشية والرهبنة أن الرهبنة خوف يوجب هروب صاحبه فيجري في نفرته والخشية إذا حصلت فحبب صاحبها فيبقى مع الله في حضرته والخوف قضيته الإيمان قال تعالى: ﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: الآية 175] والخشية

قضية العلم والهيبة موجبة المعرفة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ [الآية 29] يداومون على قراءته ويواظبون على متابعتة ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الآية 29] بأدابها الظاهرة والباطنة ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [الآية 29] أي إخفاء وإظهاراً وليلاً ونهاراً أو كيف اتفق على حسب تصحيح طوية وإيقاعها على نية وقيل: السر في المسنونة والعلانية في المفروضة ﴿يَرْجُونَ نَجْرَةً﴾ [الآية 29] تحصيل ربح أخروي على عمل دنيوي ﴿لَنْ تَكُونَ﴾ [الآية 29] لن تفسد لن تكسد.

﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ [الآية 30] متعلقة بـرجون أي ليعطيهم أجور أعمالهم وافية ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية 30] زيادة كافية ﴿إِنَّهُمْ عَفُورٌ﴾ [الآية 30] لفرطاتهم ﴿شَكُورٌ﴾ [الآية 30] لطاعاتهم.

وأفاد الأستاذ: إن الذين يستغرق جميع أوقاتهم قيامهم بحق الله وإتيانهم بأنواع طاعاتهم وصنوف القرب من عباداتهم فلهم القدر الأجل من التقريب والنصيب الأوفر من الترحيب والذين أحوالهم بضد أولئك فمنالهم على عكس ذلك فهؤلاء الأولياء الأعزة وهؤلاء الأعداء الأذلة.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية 31] أي القرآن الجامع للأبواب التي يحتاج إليها أرباب الأبواب ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية 31] لما تقدمه من الكتب السماوية المنزلة بالوجه الصدق ﴿إِنَّ اللَّهَ بَعَادَهُ لَخَيْرٌ بَصِيرٌ﴾ [الآية 31] عالم بضمائرهم وظواهرهم.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ [الآية 32] أي من الأمم السالفة ﴿الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الآية 32] أي علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم أو الأمة بأسرهم فإن الله اصطفاهم على سائر الأمم / بأجمعهم ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [الآية 32] بالتقصير في العلم به ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ [الآية 32] يعمل به في أغلب دهره ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [الآية 32] مسارع إلى الطاعات في جميع الأوقات من عصره ﴿يَاذُنِ اللَّهِ﴾ [الآية 32] بتوفيقه وتيسيره وأمره وثم عطف على ﴿إِنَّ الَّذِينَ

يَتْلُوكَ كَتَبَ اللَّهُ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴿[الآية 29] وجملة ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الآية 31] معترضة بين كيفية التدريس وكيفية التورث، وقد سئل الثوري ثم أورثنا على ماذا عطف؟ قال: عطف على إرادة الأزل بقوله: ﴿الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ [الأنبياء: الآية 101] وهي الاصطفائية الأزلية.

وقال جنيد: لما ذكر الميراث؟ دل على أن الخلق فيه عام وخاص وإن الميراث لمن هو أصلح قريباً وأصح نسباً فتصحيح النسبة هو الأصل في رتبة القرابة فالظالم الذي يحبه لنفسه والمقتصد الذي يحبه له والسابق الذي أسقط عنه مراده بمراد الحق فيه فلا يرى لنفسه طلباً ولا مراد لغلبة سلطان الحق عليه.

وقال النصرآبادي: صحح النسب وخذ الميراث ولا يأخذ ميراث الحق إلا من نسبه بالحق وإلى الحق دون الأسباب والوسائط وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقول الله تعالى اليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم أين المتقون» وقيل: الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم، وقيل: الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيئ والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث كفرت سيئاته وهو معنى قوله عليه السلام: «أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحجبون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته» كما رواه الإمام أحمد والحاكم⁽¹⁾ وغيرهما.

وورد أيضاً: «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له»⁽²⁾.

وروي عن عائشة رضي الله عنها إنها قالت لصهبان: أما السابق فمن

(1) أخرجه أحمد في المسند (5/ 198) رقم (21775)، وانظر تفسير البيضاوي (1/ 419).
(2) أورده العقيلي في الضعفاء الكبير (7/ 178) رقم (1641)، وسعيد بن منصور في السنن (5/ 305) رقم (2131)، وانظر تفسير القرطبي (14/ 346)، وتفسير الألوسي (16/ 402)، والكشاف (5/ 419).

(3) - أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (6/ 167) رقم (6094)، والطيالسي في المسند (1/ 209) رقم (1489)، والحافظ ابن حجر في المطالب العالية (10/ 392) رقم (3783).

مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له بالجنة وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم [لنفسه] فمثلي ومثلك⁽¹⁾.

وعن علي رضي الله عنه: الظالم أنا والمقتصد أنا والسابق / فضل له 63/أ فكيف ذلك؟ قال: أنا الظالم بمعصيتي ومقتصد بتوبتي وسابق بمحبتتي⁽²⁾. رواها الكواشي في تفسيره.

وفي «تفسير السلمي» قال الحسن البصري: السابق من رجحت حسناته على سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته والظالم الذي زادت سيئاته على حسناته وقيل: الظالم الذي يجزع عند البلاء والمقتصد الذي يصبر على البلاء والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقيل: الظالم من غلب نفسه قلبه والمقتصد من غلبت قلبه نفسه والسابق من كان نفسه وقلبه في حراسة ربه.

وقال أبو علي الترمذي: لكل واحد من هؤلاء الثلاثة نوع من السؤال مناسب لما فيه من الحال أخبر عنها المصطفى بلسان المقال فسؤال الظالم أسألك الإيمان بك والكفاف من رزقك وسؤال المقتصد أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل وسؤال السابق أسألك النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك⁽³⁾.

وقال عبدالعزيز المكي: المغفرة للظالمين والرحمة للمقتصدين والقربة للسابقين.

وقال ابن عطاء: الظالم معذب والمقتصد معاقب والسابق مقرب وقال بعضهم: الظالم يراه في مقدار الجمعة والمقتصد يراه في اليوم مرة والسابق

(1) انظر تفسير النيسابوري (6/305).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک (1/697) رقم (1900)، والطبراني في المعجم الأوسط (6/165) رقم (6091)، وفي المعجم الكبير (5/157) رقم (4932)، والنسائي في السنن الكبرى (1/387) رقم (1228)، وابن حبان في الصحيح (5/304) رقم (1971).

على الأريكة ينظر ولا يغيب عن المشاهدة وقيل: الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب وقيل: الظالم الواعظ بلسانه والمقتصد الواعظ بعمله والسابق الواعظ بسره ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 32] أي التورث أو الاصطفاء أو السبق ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الآية 32].

﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الآية 33] مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة وقرأ أبو عمرو: ويدخلونها على بناء المفعول.

قال جعفر الصادق: فرق الله المؤمنين ثلاث فرق وقال لهم: عبادنا وأضافهم إلى نفسه تفضلاً منه وكرماً وجعلهم كلهم أصفياء مع علمه بتفاوت معاملاتهم ثم جمعهم في آخر الآية بدخول الجنة فقال: جنات عدن يدخلونها ثم بدأ بالظالمين إخباراً بأنه لا يتقرب إليه إلا بمحض كرمه وإن الظالم لا يؤثر ب/63 في الأصفياء ثم بين بالمقتصدين / لأنهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لأنه لا يأمن أحد مكره، وكلهم في الجنة بحرمة كلمة الإخلاص في الشهادة.

وقال الأستاذ: أي أعطيناك الكتاب وهو القرآن وذكره بلفظ الإيراث توسعاً في البيان واصطفينا اخترنا ثم ذكر أقسامهم الثلاثة، وفي الخبر: أنه لما نزل هذه الآية قال عليه السلام: «أمتي ورب الكعبة» ثلاث مرات، وفي الآية وجوه من الإشارات فمنها أنه ذكر بلفظ الميراث وهو يقتضي صحة النسب أو السبب وتمحل النسب هنا المعرفة وتمحل السبب الطاعة وإن قيل: تمحل النسب فضله وتمحل السبب فعلك فهو وجه ويصح أن يقال: تمحل النسب اختياره لك بدءاً وتمحل السبب إحسانه إليك ثانياً ثم بالميراث يبدأ بذوي الفروض ثم ما يبقى للعبصة وإن كان صاحب الفرض أضعف استحقاقاً كذلك قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [الآية 32] فقدمه على أن المقتصد السابق. وتكلموا في الظالم فمنهم من قال: هو الأفضل وأراد به من ظلم نفسه بكثرة ما حملها من الطاعة والأكثر من على أن السابق هو الأفضل وقالوا: التقديم في الذكر لا يقتضي التقديم في الرتبة ولهذا نظائر كثيرة يعني فهو من باب التذلي لأمن طريق الترقى ويقال: قرن باسم الظالم قرينة وهو قوله لنفسه، وقرن باسم

السابق قرينة وهو قوله: بإذن الله فالظالم كان له زلة والسابق كان له صوله فالظالم رفع زلته بقوله لنفسه والسابق كسر صولته بقوله: بإذن الله يا ظالم ارفع نفسك ظلمت ولكن على نفسك ويا سابق اخفض رأسك سبقت ولكن بإذن الله ويقال إن العزيز إذا رأى ظالماً قصمه ولكن الكريم إذ رأى مظلوماً أخذ بيده يا ظالماً إن كان كونك ظالماً يوجب قهرك فكونك مظلوماً يوجب الأخذ بيدك ويقال: الظالم من زهد في دنياه والمقتصد من رغب في عقباه والسابق من أثر على الدارين مولاه ويقال: الظالم من نجم كوكب عقله والمقتصد من طلع بدر علمه والسابق من أشرق شمس معرفته ويقال الظالم من جاد بنفسه والمقتصد من لم ييخل بقلبه والسابق من جاد بروحه ويقال: الظالم من ترك الغفلة والسابق من ترك الملامة الظالم من له علم اليقين والمقتصد من له عين اليقين والسابق من له حق / اليقين. 64/ أ ويقال: الظالم بترك المحرمات والمقتصد بترك الشبهات والسابق بترك الزيادات ويقال: الظالم له المغفرة والمقتصد له الرحمة والسابق له القربة ويقال: الظالم صاحب الدنيا والمقتصد صاحب العقبى والسابق صاحب المولى ويقال: الظالم طالب الدرجات والمقتصد طالب النجاة والسابق طالب المناجاة ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الآية 32] الذي ذكر الظالم مع السابق.

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: الآية 33] لما ذكر أصنافهم رتبها ولما رتب حديث الجنة ذكرهم على الجمع تنبيهاً على أن دخولهم الجنة لا لاستحقاق بل بفضله وليس في الفضل تمييزاً، انتهى. وفيه بحث لا يخفى فإن الجنات فيها درجات ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الآية 33] عطف على ذهب أي من ذهب مرصع باللؤلؤ ومن ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفاً على محل من أساور ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الآية 33].

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [الآية 34] همهم من خوف العقابة أو همهم لأجل المعيشة أو من وسوسة إبليس ونحوها وعن ابن عباس حزن الموت⁽¹⁾،

(1) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (128/1) رقم (105) ونقله عن مجاهد؛ وانظر تفسير البغوي (423/6) ونقله عن قتادة، والكشاف (420/5) ونقله عن ابن عباس.

وقيل: حزن زوال النعمة. وقد أكثروا حتى قال بعضهم: كراء الدار وقيل: التحويل من دار إلى دار وقيل: حزن المحاسبة وقيل: حزن المقاطعة وهو يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا.

وقال النصرآبادي: ما كان حزنهم إلا تدبير أحوالهم وسياسة أنفسهم فلما نجوا منها حمدوا.

وقال أبو سعيد الخراز: أهل المعرفة في الدنيا كأهل الجنة في العقبى قال تعالى: حاكياً عن أهلها ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [الآية 34] وإنما أحزانهم الاشتغال بالأعراض والأغراض فتركوا الدنيا في الدنيا فتنعموا وعاشوا في الدنيا عيش أهل الجنة في العقبى ﴿إِنَّكَ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الآية 34] للمطيعين.

وقال سهل: غفور لذنوب كثيرة شكور لأعمال يسيرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قدّم ما للعاصين رفقاً بهم لضعف حالهم.

﴿الَّذِي أَحْلَنَّا دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ [الآية 35] دار الإقامة لا يبغيون عنها حولاً من كمال الاستقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية 35] حتى أقامه وتفضله إذ لا واجب عليه بشيء من فعله ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الآية 35] تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [الآية 35] كلال وملال.

وأفاد الأستاذ: أنهم إذا أرادوا أن يروا مولاهم لا يحتاجون إلى قطع مسافة أياماً بل هم كل في غرفهم يلقون فيها تحية وسلاماً وإذا رأوه لا يحتاجون إلى تحديق مقلة في جهة بل يرونه كما هم بلا كيفية.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 36] لا يحكم بموت فان عليهم ﴿فَيَمُوتُوا﴾ [الآية 36] ويستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [الآية 36] فيسكنوا بل كلما خبت نارها زيد إسعارها.

وقال الأستاذ: لا حياة يتمتعون بها ولا أمانة يستريحون بسببها بل هم مقيمون في العذاب ومديمون في الحجاب ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [الآية 36] صاحب كفر وكفران وقرأ أبو عمرو وعلي بناء المفعول وإسناده إلى كل.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا﴾ [الآية 37] يستغيثون من أهوالها وشدة أحوالها ويقولون ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ [الآية 37] من الأعمال القلبية والقلبية على القواعد الدينية اليقينية ﴿عَيَّرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الآية 37] من الأمور الدنيوية الوهمية ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ [الآية 37] وهو متناول كل عمر يمكن المكلف فيه من أن يتذكر ويتفكر ولعل كمال عمر فيه يعذر وما ورد عنه عليه السلام العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة رواه البزار⁽¹⁾ ولفظ البخاري من عمره الله ستين سنة⁽²⁾ فقد أعذر إليه في العمر.

﴿وَحَآءَكُمْ أَلْتَذِذُ﴾ [الآية 37] أي النبي أو الكتاب أو العقل أو الشيب أو موت الإخوان والأقران ويقال: سقوط السن وفقد الأرب ونقوس الظهر وسائر علامات الكبر ﴿فَذُوقُوا﴾ [الآية 37] عذاب السعير ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [الآية 37] يدفع العذاب عنهم ويرفع الحجاب منهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 38] لا يخفى عليه الأمور ﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الآية 38].

قال الأستاذ: أي عالم بإخلاص المخلصين وصدق الصادقين وجحد الكافرين ونفاق المنافقين ومن يريد بالناس سوءاً ومن يحسن بالله ظناً.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 39] يلقي إليكم مقاليد تصرفها لينظر كيف يعمل كل أحد فيها ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ [الآية 39] جزاء كفره على نفسه لا يتعدها ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْنًا﴾ [الآية 39] شدة البغض من الرب في الدنيا ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الآية 39] في 65/ أ تجارة العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن أهل كل عصر خليفة عمن تقدمهم فمن قوم هم

(1) أخرجه أبو يعلى في المسند (99/5) رقم (2710)، والبيهقي في السنن الكبرى (10/

146) رقم (20305)، وأحمد في المسند (1/371) رقم (3519).

(2) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (3/370) رقم (6311).

لسلفهم جمال ومن قوم هم لهم أرذال وأندال، الأفاضل زمانهم لهم محنة والأرذال لزمانهم منهم محنة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 40] يعني ألهمتهم التي يعبدونها مما سواه والمعنى أخبروني هؤلاء الشركاء ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الآية 40] أي جزء من الأرض استبدوا بخلقه ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الآية 40] أم لهم شركة مع الله في خلق شيء من السموات وتصرفه فاستحقوا بذلك شركة في الألوهية والربوبية لتقوموا لهم ببعض حقوق العبودية ﴿أَمْ عَائِدَتُهُمْ﴾ [الآية 40] أي الآلهة ﴿كِتَابًا﴾ [الآية 40] أي ينطق على أنا اتخذناهم شركاء ﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَاتٍ مِنْهُ﴾ [الآية 40] فيه على حجة من ذلك الإنباء ويجوز أن يكون ضميرهم للمشركين لقوله: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَنْكُرُ مَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: الآية 35] ولا منع من الجمع بأن يكون الضمير لهم ولأتباعهم وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر والكسائي على بينات وفيه إيماء إلى أن الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد دلالات ﴿بَلْ إِنْ يَدْعُوا الْأَظْلُمُونَ﴾ [الآية 40] أي يعدون ﴿بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [الآية 40] ما يغترون به من الأوهام في تصحيح عبادة الأصنام وهو تغيير الأسلاف الأخلاف بأن هؤلاء شفعاء عند الله تعالى يشفعون بالتقرب إليهم.

وقال الأستاذ: كرّر الله إسهادهم عجز أصنامهم ونقص من ألدوده الآلهة من أوثانهم يسفه بذلك آراهم ونهيههم عن ذميم أحوالهم وقبيح أفعالهم وخسة همهم ونقصان عقولهم ثم أخبر أنهم لا يأتون بشيء مما به يطالبون وليس لهم جواب عما يسألون.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِيطُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [الآية 41] أي يمنعهم عن زوالهما ﴿وَلَكِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكُهُمَا﴾ [الآية 41] ما أمسكهما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ﴾ [الآية 41] ومن بعد زواله أو من بعد الله ﴿إِنَّمَا كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الآية 41] حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بأن تزولا كما قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَفْطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَيَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا﴾ ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم: الآيتان 90، 91].

وقال الأستاذ: أمسكهما بقدرته وأتقنهما بحكمته وزينهما بمشيئته وخلق

أجلهما على موجب قضيته فلا شبهه في إبقائها / وإفنائها يساهمه ولا شريك 65/ ب
في وجودهما وبقاءهما يقاسمه.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ [الآية 42] نبي ينذرهم
ويخبرهم ﴿لَيَكُونَنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ [الآية 42] وذلك أن قریشاً لما بلغهم أن
أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى في صنيعهم لو أتانا
رسول لنكونن أهدي من واحدة من اليهود والنصارى وغيرهم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾
[الآية 42] وهو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ [الآية 42] أي النذير أو
مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ [الآية 42] تباعداً عن الحق وتنفراً عن الصدق.

﴿أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 43] لأجل استكبارهم فيها على أهلها ﴿وَمَكَرُ
السَّيِّئِ﴾ [الآية 43] والعمل القبيح فوقها ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ [الآية 43] لا يحيط ﴿الْمَكْرُ
السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [الآية 43] وقد حاق بهم يوم بدر جزاء مكرهم ولا بدّ لغيرهم
من إجزاء أمرهم ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ [الآية 43] أي ما ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾
[الآية 43] أي سنة الله فيهم بتعذيب تكذيبهم ﴿فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الآية 43]
بأن يرحمهم بدل ما يعذبهم ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [الآية 43] بأن ينقله من
المكذبين إلى غيرهم.

وفي «المدارك»: أي لا يبدلها في ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها.

وقال الأستاذ: ليس لقولهم تحقيق ولا لعهدهم وضمنانهم توثيق وما
يعدون من أنفسهم فصريح زور وما يوهمون من وفائهم فصرف غرور وكذلك
المريد في أوان نشاطه تمنيه نفسه ما يعيد به عليه حالاً له فربما يعاهد الله
ويؤكد فيه عقده مع الله فإذا عضته شهوته وأراد الشيطان أن يكذبه صرعه
بكيدته وأركسه في هوة غيه ومنتته نفسه فيسود وجهه ويذهب عند الله وجاهته.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 44] بظواهرهم أو بسرائرهم ﴿فَيَنْظُرُوا﴾
[الآية 44] فيبصروا أو فيتأملوا ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 44]
فيعتبروا بحالهم وسوء مآلهم ﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الآية 44] سعة وشوكة ﴿وَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ﴾ [الآية 44] ليسبقه ويقبله ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 44] خلقه ﴿فِي

السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا ﴿[الآية 44] بِالْأَشْيَاءِ كُلِّهَا ﴿قَدِيرًا﴾﴾
[الآية 44] على ما شاء منها جميعها.

وأفاد الأستاذ: أن في الجملة ما خاب له ولي ولا ربح له عدو ولا
يبال الحقيقة بمن انعكس قصده وارتد عليه كيده دمر على أعدائه تدميراً ووسع
لأوليائه فضلاً كثيراً.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ [الآية 45] من معاصيهم / ﴿مَا
تَرَكَ عَلَى ظَهْرٍهَا﴾ [الآية 45] على وجه الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ [الآية 45] من نسمة
تدب عليها بشؤم أعمالهم وقبح أحوالهم ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 45]
معين لهم في الدنيا أو العقبي ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾
[الآية 45] فيجازيهم على أعمالهم وفق أحوالهم.

وقال الأستاذ: لو عجل لهم ما يستوجبون من الثواب والعقاب لم تف
أعمارهم القليلة وما اتسع أيامهم القصيرة لها فأخر ذلك ليوم الحشر والنشر
فإنه طويل عسير والله على كل شيء قدير وبأمر عباده خير.

سورة يس عليه السلام

[مكية]

وهي ثلاث وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله آية افتتح بها خطابه فمن علمها أجزل ثوابه ومن عرفها أكثر إيجابه ومن أكبر قدرها أكرم مآبه، يس: قال الصادق: أي يا سيد مخاطباً للنبي صلى الله عليه وسلم ولذا قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»⁽¹⁾، ولم يمدح بذلك نفسه ولكنه أخبر عن مخاطبة الحق إياه بقوله.

﴿يَسَّ﴾ [الآية 1] وهذا شبيهه قراءة على المنبر ونادوا يا مال ونداؤه لأبي هريرة يا أبا هر وأما قوله عليه السلام: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»⁽²⁾ أي لا أفتخر بالسيادة ولأن افتخاري بالعبودية أجل من إخباري عن نفسي بالسيادة وهذا المعنى في يس مروي عن كثير من السلف كابن عباس وعكرمة والحسن وسفيان وسعيد بن جبير وغيرهم وروي عن ابن عباس أيضاً وغيره أن يس اسم من أسمائه سبحانه فيكون مقسماً به كما يشير إليه عطف قوله.

﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ [الآية 2] أي ذي الحكيم والأحكام على وجه الإحكام.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 3] إلى جمع الثقلين عظيم.

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (3/ 2278)، والحاكم في المستدرک (2/ 660) رقم (4189)، وابن حبان في الصحيح (14/ 398) رقم (6478)، وأبو يعلى في المسند (7/ 281) رقم (4305)، وأبو داود في السنن (4/ 351) رقم (4675).

(2) انظر تخريج الحديث السابق.

﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 4] على دين قويم عظيم في التوحيد بل إلى جميع العالمين من التوحيد والنبوة والبعثة والاستقامة.

وأفاد الأستاذ: أنه قد يقال: الياء تشير إلى يوم الميثاق والسين تشير إلى سره مع الأحباب فقال: بحق يوم الميثاق وسري مع الأحباب وبالقرآن الكريم إنك يا محمد لمن المرسلين وإنك لعلی صراط مستقيم.

﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الآية 5] أي هو منزله أو كما أنه منزله وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي وحفص بالنصب بإضمار أعني.

وقال الأستاذ: أي هذا الكتاب تنزيل العزيز المتكبر الغني عن طاعة المطيعين الرحيم المتفضل عباده المؤمنين.

﴿لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ [الآية 6] أي مثل إنذار آبائهم الأقدمين أو ب/66 شيئاً أُنذر / به آبائهم الأبعدون أو لتنذر قوماً لم تنذر آبائهم الأقربون لتطول مدة الفترة عليهم وعدم وصول رسول إليهم.

وقال الأستاذ: أي خصصناك بهذا العنوان وأنزلنا عليك هذا الفرقان لتنذر به قوماً حصلوا في أيام الفترة وانقرض سلفهم على هذه الفطرة ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [الآية 6].

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ [الآية 7] أي كلمة العذاب والفصل ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ [الآية 7] بالعدل دون الفضل ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 7] تحقق علمه سبحانه بأنهم لا يوقنون.

وقال الأستاذ: أي حق القول بالعقوبة على أكثرهم لأنهم أصروا على جحدهم وانهمكوا في جهلهم فالمعلوم منهم والمحكوم عليهم أنهم لا يؤمنون وعن العذاب لا يأمنون.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْلَلاً﴾ [الآية 8] أي وفي أيديهم أيضاً فإن الغل لا يكون إلا فيهما ويؤيده أنه قرأ ابن مسعود: إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَيْمَانِهِمْ، وابن عباس في أيديهم، فالكل من باب الاكتفاء والاستفتاء والآية تمثيل لتصميمهم على الكفر

بحيث لا يغني عنهم الآيات والنذر بالذين غلت أعناقهم ﴿فَهِيَ إِلَىٰ أَذْقَانِ﴾ [الآية 8] فالأغلال واصلة إلى أذقانهم فلا يخليهم يطأطون رؤوسهم من جهة إذعانهم ﴿فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ [الآية 8] رافعون رؤوسهم غاضون أبصارهم في أنهم لا يلتفتون إلى جهة الحق ولا يقبلونه ولا يعطفعون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤوسهم له وقيل: الآية محمولة على الحقيقة إنه سبحانه لما أخبر عن أحوالهم في الدنيا بين بعض شيء من سوء مآلهم في العقبى ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ [غافر: الآية 71]، ﴿وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًى﴾ [الإسراء: الآية 97].

ولقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 9] ويبصره قول الأستاذ: سنجرهم إلى هوائهم وصغرهم ونذيقهم وبال أمرهم، والمعنى على التمثيل أنهم شبهوا بمن أحاط بهم سدان فغطى أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم وورائهم في أنهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الآيات والدلالة. وقرأ حمزة والكسائي وحفص سداً بالفتح.

وفي «تفسير السلمي» من بين أيديهم سداً: طوال الأمد وطمع البقاء ومن خلفهم سداً هو الغفلة كما سبق من القضاء وقلة الندم على الجفاء أعمامهم ترددهم في الغفلات عن اعتذارهم لما سبق لهم من الجنيات/. 67/أ

وأفاد الأستاذ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [الآية 9] اليوم في بحار الضلالة وسرادقات الجهالة وفي الآخرة نقذفهم في النار والأنكال ونضيق عليهم بالسلاسل والأغلال ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ [الآية 9] أعميناهم عن شهود الحجة ولبسنا عليهم في الآخرة سبيل المحجة فيعشرون في وهداث جهنم وآخرين يبقون في دركاتهما صاغرين مهجورين مطرودين ملعونين مبعودين لا مقطوعاً عنهم ما به يعذبون ولا مرحوماً عليهم ما يشكون.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 10] في البقرة.

وأفاد الأستاذ: أن مهجور الحق لا أحد يصله ومردود الحق لا أحد

يقبله والذي قصمته المشيئة وأقامته القضية لا تنجع فيه النصيحة.

﴿إِنَّمَا نُنذِرُ﴾ إنذاراً نافعاً ﴿مَنْ أَتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ [الآية 11] أي القرآن ومواعظه بالتأمل فيه والعمل به ﴿وَحَشَى الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ [الآية 11] أي بقلبه وسريته ولم يغتر بكرم الله ورحمته فإنه كما هو رحمن وغفار منتقم قهار ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ [الآية 11] لفرطاته ﴿وَأَجْرِ كَرِيمٍ﴾ [الآية 11] لطاعاته.

قال الحسين: أشرف منازل الذاكرين من نسي ذكره في مشاهدة مذكورة وحفظ أوقاته عن الرجوع إلى رؤية ذكره.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [الآية 12] يوم القيامة أو الجهال بالهداية ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ [الآية 12] ما أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة ﴿وَأَثَرَهُمْ﴾ [الآية 12] الحسبة كعلم علموه ووقف أوقفوه أو بناء خير بنوه والسيئة كإشاعة باطل وتأسيس ظلم وإبداء بدعة ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 12] يعني اللوح المحفوظ.

وقال الأستاذ: أي نحوي قلوباً ماتت بالقسوة بما مطر عليها من صوب الإقبال والزلفة ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَأَثَرَهُمْ﴾ [الآية 12] خطاهم إلى المساجد لنا ووقوفهم على بساط المناجاة معنا وقد تفرق دموعهم على عرصات خدودهم وتصاعد أنفاسهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 12] ثبت تفصيله في اللوح المحفوظ لا لتناولها كيف وقد قال: أحصي كل شيء عدداً ولكننا أحببنا إثبات آثار أحببنا في المكنون منا من كتابنا.

67/ ب

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا﴾ [الآية 13] بين لهم قصة غريبة وحكاية عجيبة / ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ [الآية 13] على طريقة ليس فيها قرية ولا مرية والقرية أنطاكية ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الآية 13] من عند رسولنا أو من قبلنا كما يدل عليه قوله.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ [الآية 14] أي ادعيا الرسالة عنا ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ [الآية 14] وقاربوا أن يقتلوهما ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ [الآية 14] وقرأ أبو بكر مخففاً أي فقومناهما ﴿بِثَلَاثٍ فَقَالُوا﴾ [الآية 14] أي الرسل الثلاثة ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ [الآية 14] من ربنا أو من رسولنا وذلك أنهم كانوا عبدة الأصنام فأرسل إليهم عيسى عليه السلام اثنين من

أصحابه الكرام فلما قربا من المدينة رأيا حبيب النجار يرعى غنماً له فسلما فأخبراه فقال: أمعكما آية تشفي المريض وتبرء الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض سنين فمسحاه فبرأ فأمن حبيب وفشا الخبر فشفي على أيديهما خلق كثير وبلغ حديثهما إلى الملك فطلبهما وقال لهما: ألنا إله سوى آلهتنا، قالوا: نعم من أوجدك وآلهتك قال: قوما حتى انظر في أمركما. فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكراً وعاشر أصحاب الملك حتى استأنسوا به وأوصلوه إلى الملك فأنس به فقال له يوماً: سمعت أنك حبست رجلين فهل سمعت تفصيل ما يقولان؟ قال: لا قد حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون: من ربكما؟ قال الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال: صفاه وأوجزا قالوا: يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال: وما آتاكم؟ قالوا: ما يتمنى الملك فدعا بسلام مطموس العين فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذوا بندقيتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظرهما فقال له شمعون: أرايت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل ذلك. قال: ليس لي عنك سر إن آلهتنا لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ثم قال شمعون: لهما إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا بسلام مات من سبعة أيام فدعوا فأحياء الله تعالى فقال: إني أدخلت في سبعة أودية من النار وإني أحذركم ما أنتم فيه فأمنوا وقال: فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسناً يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذان، أي لقبول دعوتهم في إحياء الغلام فإن شمعون أيضاً كان يدعو معهما سراً فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فأمن في جمع / ومن لم يؤمن 68/ أ صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا.

قال الأستاذ: انقضى زمانهم ومشى شأنهم وأوانهم ولكننا نذكر أحوالهم بعد فوات أوقاتهم ولا نرضى بأن لا يجري بين أحبائنا على السنة أولياءنا ذكر الغابرين الماضين من عبادنا وهذا مخلوق يقول في صفة مخلوق .

إذا نسي الناس إخوانهم وخان المودة خلانها
فعندي لإخواني الغائبين صحائف ذكرك عنوانها

﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ [الآية 15] لا مزية لكم علينا يقتضي اختصاصكم بما تدعون من الرسالة إلينا وهلا أرسل الله ملكاً ليكون مقبولاً لدينا

﴿وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 15] من الوحي والرسالة ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [الآية 15] في دعوى الرسالة والنبوة.

﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [الآية 16] بتقويم الدين.

﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [الآية 17] التبليغ الظاهر المبين بالدليل المبرهن بالآيات والمعجزات الشاهدة بصحة الرسالة.

﴿قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ بِكُمْ﴾ [الآية 18] تشاءنا بمجيئكم من وقت اختلاق الكلمة بيننا لأجلكم وتوقع الفتنة بسببكم ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا﴾ [الآية 18] عن هذه المقالة ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ [الآية 18] بالحجارة أو لنشتمنكم بالملامة على وجه السفاهة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 18] في هذه الحالة.

﴿قَالُوا طَائِفُكُمْ﴾ [الآية 19] سبب شؤمكم ﴿مَعَكُمْ﴾ [الآية 19] لا يفارقكم وهو سوء عقائدكم وأحوالكم وقبح أعمالكم وأقوالكم ﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ [الآية 19] أي لئن وعظمت تطيرتم أو توعدتم بما ذكرتم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الآية 19] في العصيان فمن ثم نشأتم أو في الطغيان وكذلك توعدتم بمن يجب أن يكرم ويتبرك به ويعظم.

﴿رَجَاءٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ [الآية 20] أي القرية ﴿بِجُلٍّ يَسْقَى﴾ [الآية 20] يسرع مساعدة في الدين أو شفقة على المرسلين وهو حبيب النجار وقيل القصار وكان يتعبد في الغار بقرب بلد الكفار ولما سمع بهمهم بقتل رسلهم جاء ينصحبهم ﴿قَالَ يَنْفِقُونَ أَنْتُمْ أَلْتَبِغُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 20].

﴿أَتَبِغُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ [الآية 21] على تبليغ الرسالة وتبين النصيحة ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الآية 21] إلى خير الدارين وكذا من تبعهم في الكونين فليل له: أو أنت توافق هؤلاء وتخالف ديننا وتعبد غير إلينا.

فقال: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الآية 22] خلقتني وأعبد مخلوقاً مثلي

68/ ب / أو دوني ﴿وَالَّذِي تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 22] بالموث بعد مضي آجالكم فيجازيكم بأعمالكم فاسعوا أنتم أيضاً في تحسين أحوالكم.

﴿ءَاتِيخُذْ مِنْ دُونِهِ ۖ ءَالِهَةً ۚ إِن يُرِدْنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَيْئًا ۖ وَلَا يُنْقِذُون﴾ [الآية 23] لا ينفعني ﴿شَفَعَتْهُمْ شَيْئًا﴾ [الآية 23] من المنفعة ولا تمنع عني شيئاً من المضرة ﴿وَلَا يُنْقِذُون﴾ [الآية 23] لا يخلصوني بالمعاونة والمغالبة.

﴿إِنِّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 24] بين الضلالة ظاهر الجهالة أن أعدل عن عبادة قادر نافع ضار إلى عاجز عن النفع والدفع.

﴿إِنِّي ءَأَمِنْتُ بِرَبِّكَمُ﴾ [الآية 25] الذي خلقكم وكفرتم به ﴿فَأَسْمَعُونَ﴾ [الآية 25] فاسمعوا ما يدل على إيماني ولا يشير إلى إيقاني.

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ [الآية 26] لما قتلوه بشارة بأنه من أهل الجنة وإشارة إلى دخولها لكونه من أرباب الشهادة والكلام بإعلام بحاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في بقر دينه وحزبه ولذا ﴿قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 26].

﴿يَمَّا عَفَرَ لِي رَبِّي﴾ [الآية 27] ما صدر عني من ذنبي ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الآية 27] بتقربي أو نصح قومه في حياته ومماته كما نقله ابن أبي حاتم عن ابن عباس⁽¹⁾.

وقال حمدون القصّار: لا يسقط عن الخلق رؤية الحق بحال ولو سقط عنه في وقت لسقط في مشهد الأعلى في الحفرة ألا تراه في وقت دخول الجنة يقول: يا ليت قومي يعلمون حدث النفس إذ ذاك برؤية الخلق أقول: ما قال إنما هو باعتبار غالب الحال وإلا فقد قال صلى الله عليه وسلم: «لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل»⁽²⁾. والصوفية يعبرون عن ذلك المقام بالسكر والمحو والفناء والاستغراق، والأكثر أنه كبرق خاطف وقل أنه يدوم يوماً بالاتفاق وعنه صلى الله عليه وسلم: «سبّاق الأمة ثلاثة لم

(1) أورده ابن الأثير في جامع الأصول في أحاديث الرسول (779/2) رقم (779)، وانظر روح المعاني (22/229)، واللفظ عندهم: (نصح قومه حياً وميتاً).

(2) انظر المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (1/151) رقم (259)، والمقاصد الحسنة (1/565) رقم (926)، وكشف الخفا (2/173) رقم (2159)، والنخبة البهية في الأحاديث المكذوبة (1/15) رقم (278).

يكفروا بالله بعدي طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب يس، ومؤمن آل فرعون»⁽¹⁾ ذكره صاحب الكشاف.

ثم اعلم أن بعض السلف وأكثر الخلق على أنهم رسل عيسى وأسماءهم يحيى ويونس وشمعون والقرية أنطاكية ذكروا أن ملك القرية وأكثر أهلها آمنوا بعد تقويتهمما بثالث وظهور معجزاتهم ومن بقي على الكفر أهلكوا وكلام بعض دال على أنهم رسل الله وأسماءهم صادق وصدوق وشكوم وهو ظاهر القرآن لا سيما قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: الآية 10].
أ/69 ويخطر بالبال والله / أعلم بحقيقة الحال إمكان الجمع بين الأقوال بأنهم كانوا رسل الله تعالى إلا أنهم كانوا تابعين لعيسى كما كان لوط مع إبراهيم وهارون مع موسى عليهم السلام وبه ينتظم متفرقات الكلام وإن الأسماء المتأخرة أوصاف للمسميات المتقدمة.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه قال: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ [الآية 20] ولم يكن أقصاها وأدناها لتفاوت بكثير في مداها ولكن جرى سنة في استكثار القليل من فعل عبده إذا كان برضاه ثم يستدرّ الكثير من فضله إذ بذله وأعطاه ثم لما صدق في حاله ونصح في مقاله وصبر على ما لقي من قومه ورجع إلى ربه تلقاه بحسن إفضاله وآواه إلى كنف إقباله ووجد ما وعده ربه من لطف إفضاله تمنى أن يطلع قومه على حاله ووصوله إلى مقام كماله وإنما أراد ذلك إشفاقاً عليهم ليعملوا مثل أعماله ليجدوا ما وجد من حسن ماله.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الآية 28] من بعد هلاكه ﴿مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الآية 28] لإهلاكهم ونصرة الأنبياء كما أرسلنا يوم بدر والخندق جمعاً من الملائكة لنصرة سيد الأصفياء بل كفينا أمرهم بصيحة ملك رفعت شرهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ [الآية 28] أي وما كان من عادتنا إنزال جنيد من السماء في إهلاك الأمم المكذبة للأنبياء فأنزل الملائكة لنصرة سيد الأصفياء نبيه المصطفى

(1) انظر الكشاف (5/ 427)، وتفسير القرطبي (15/ 20)، ونسبه إلى ابن أبي ليلى.

ورسوله المرتضى كان من مختصاته تشريفاً لمقاماته.

﴿إِنْ كَانَتْ﴾ [الآية 29] ما كانت الأخذة أو العقوبة ﴿إِلَّا صِيحَةً وَحِدَةً﴾ [الآية 29] من جبريل بعثه الله إلى قريتهم فأخذ بعضادتي باب بلدتهم فصاح على أهل جلدتهم ﴿فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾ [الآية 29] ميتون جامدون شبهوا بالرماد حيث لم يبق في البلاد أرواح تتردد في الأجساد.

﴿يَحْسَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ [الآية 30] تعالي فهذه الحالة التي من حقها أن تحضري فيها وهي ما دل عليها قوله ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية 30] فإن المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خيري الدنيا والدين أحقاً بأن يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهب على حالهم المتلهفون وقد تأسف على حالهم الملائكة والمؤمنون ونصبها لطولها/ بالجار المتعلق بها. 69/ب

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ [الآية 31] ألم يعلموا؟ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ [الآية 31] الماضية وما عاملنا من قبلهم من الأمم لخالية ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 31] والمعنى ألم يروا كثرة إهلاكنا من تقدم عليهم كونهم غير راجعين إليهم.

وقال الأستاذ: كلهم في قبضة القدرة لم يفتنا أحد ولم يكن بواحد منهم علينا عون ولا مدد ولا عن حكمتنا ملتحد.

﴿وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [الآية 32] يوم القيامة يرجعون للجزاء إلينا ويجتمعون للعرض علينا وإن مخففة من المثقلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للمبالغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى ألا فيكون إن نافية أي ما كلهم إلا مجموعون لدينا محضرون محشورون إلينا.

﴿وَوَيْلٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾ [الآية 33] أي اليابسة وقرأ نافع بتشديد التحتية ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ [الآية 33] بإنزال المطر عليها وإنباتها بما يليق إليها ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ [الآية 33] ما يسمى حباً من أنواعه وأصنافه ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [الآية 33] ومنه ما يدخرون.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [الآية 34] من أنواع النخل

والعنب واختير النخل دون ثمرها لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ [الآية 34] شيئاً من منابعها.

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ [الآية 35] ثم ما ذكر وقرأ حمزة والكسائي بضميتين ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 35] ما موصولة عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالدبس والعصير. ويؤيده قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فإن حذفه من الصلة أحسن من غيرها ويعضده قراءة ابن مسعود ومما عملته أيديهم والمعنى أن الثمر في نفسه يخلق الله لا بفعلهم إلا أن فيه آثاراً من كدهم وتعبه في غرسهم وسقيهم أو نافية أي ومن الثمر لم يعلمه أي الناس بل خلقها الله بقدرته وإرادته قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 35] أي ألا يتدبرون صنعه فلا يشكرون نعمه.

قال ابن عطاء: أي القلوب الميتة بالغفلة أحياناً باليقظة والاعتبار والموعظة وأخرجنا منها معارف صافية وأحوالاً زاكية فهي أنوارها على ظواهرها وبواطنها جارية وسارية.

وأفاد الأستاذ: إنه لما كان أعظم شبههم في أمر البعث وإنكاره كان تكراره سبحانه حديث البعث وضرب المثل/ بإحياء الأرض بالنبات أكثر من كثير من الآيات والعجب ممن ينكر علم الأصول ويقول ليس في الكتاب عليه دليل كيف يشكل عليه هذا السبيل وأكثر ما في القرآن من الآيات يدل على صحة الحشر على سبيل الاستدلال ولحكيم أدلة العقول ولو أنهم أنصفوا من أنفسهم واشتغلوا بأهم شيء لهم لما ضيعوا أصول الدين فرضوا فيها بالتقليد وادعوا في الفروع رتبة الإمامة والتصدير في التسديد، ويقال في معناهم:

يا من تصدّر في مقام الإمامة فهي مسائل الفقه إملاءً وتدريساً
عجلت عن حجج التوحيد بحكمها شيدت فرعاً وما مهدت تأسيساً

﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ [الآية 36] الأنواع والأصناف جميعها ﴿مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ﴾ [الآية 36] من النبات والشجر ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية 36] من الذكر والأنثى ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 36] وأزواجاً مما لم يطلعهم الله على حقيقته ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته.

قال عبد العزيز المكي: ﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ [الآية 36]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: الآية 11] فدل ذلك على أن خالق الأزواج منزه عن الزوج مستغن عنه.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الآية أيضاً فيها تنبيه على التفكير في بديع صنعه فقال تنزيهاً لمن خلق الأشياء المتشاكلة له أجزاء وعيناً من النبات ومن أنفسهم ومن الأشياء الأخر التي لا يعلمون تفصيلها كيف جعل أوصافها في المطعوم والأرايج والشكل والهيئة واختلاف أوراق الأشجار وفنون أغصانها وجذوع أشجارها وأصناف ثمرها وأزهارها واختلال أشكال أثمارها في تفرقها واجتماعها ثم ما نيط بها من الانتفاع بها على مجرى العادة مما يسميه قوم الطبائع في اختلافها في الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واختلاف الأحداث التي يخلقها الله عقب شرب هذه الأدوية وتناول هذه الأطعمة على مجرى العادة من التأثيرات التي تحصل في الأبدان ثم اختلاف صور هذه الأعضاء الظاهرة والأجزاء الباطنة فالأوقات متجانسة والأزمان متماثلة والجواهر متشاكلة وهذه الأحكام مختلفة فلولا تخصيص حكيم لكل شيء بما اختص به وإلا لم يكن تخصيصها بغير ذلك أولى من تخصيصها بهذا وإن من كحل الله عين بصيرته بيمين / التعريف وقدر أوبته بالتوفيق أتم نظره ولم يصده 70/ ب مانع يعقب أثره فما أقوى في المسائل حجة وما أوضح في المسالك بهجة ولكن أقسام سبقت وأحكام على من شاء الحق بما شاء منه حقت.

﴿وَأَيُّ لَّهُمْ أَيْلٌ سَلَخَ مِنْهُ النَّهَارُ﴾ [الآية 37] نزيله عن مكانه ونكشفه لظهور شأنه ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [الآية 37] داخلون في ظلام برهانه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يبطل ضوء النهار بهجوم الليل عليه ويزيل ظلام الليل بهجوم النهار عليه كذلك نهار الوجود يدخله على ليالي التوفيق ويقود بيد كرمه عصا من عمي عن شكوك رشده فيهديه إلى سواء طريقه.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [الآية 38] لحد مقرر ينتهي إليه دورها أو لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فإن لها في دورها ثلاثمائة وستين

مشرقاً ومغرباً تطلع كل يوم من مطلع وتغرب في مغرب ثم لا تعود إليها إلى العام القابل أو لمنقطع جريها عند خراب العالم فمستقر اسم زمان والصحيح أنه اسم مكان إذا صح في البخاري وغيره بروايات متعددة عنه صلى الله عليه وسلم أن مستقرها تحت العرش تذهب وتسجد هناك⁽¹⁾ ما علم أنه إذا كان العرش كوة محيطة فتحيتها باعتبار ومكان خاص من العرش الله ورسوله أعلم به.

وظاهر بعض الأحاديث دال على أنه قبة ذات قوائم تحمله الملائكة فوق هذا الجانب من الأرض فحينئذ يكون وقت الظهيرة أقرب مما يكون إلى العرش وفي نصف الليل أبعد فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 38] ذلك الجري الخاص على وجه الاختصاص المتضمن للحكم المتعلقة بها بما يكلّ الفطن عن إحصائها ﴿تَقْدِيرُ الْغَزِيْزِ﴾ [الآية 38] الغالب بقدرته على كل مقدور له ﴿أَلْمَلِيْمِ﴾ [الآية 38] المحيط علمه بكل معلوم عنده.

﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ﴾ [الآية 39] صيرنا مسيره ﴿مَنَازِلَ﴾ [الآية 39] أو جعلنا سيره في منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً فنزل كل ليلة في واحدة منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فإذا كان في آخر منازلها دق في جماله واستقوس في حاله ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ [الآية 39] رجع ﴿كَالْمُرْجُونَ﴾ [الآية 39] وهو العود المعوج الأصفر الذي عليه التمر ﴿الْفَكْدِيرِ﴾ [الآية 39] العتيق اليابس وقرأ ابن عامر والكوفيون والقمر بالنصب على شريطة التفسير/ والباقون بالرفع على الابتداء.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا﴾ [الآية 40] يصح لها ويتسهل عليها ﴿أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ [الآية 40] في آثاره ومنافع أسرارها أو في مكانه بالنزول إلى محله وسلطانه ﴿وَلَا أَيْلُ سَابِقِ النَّهَارِ﴾ [الآية 40] يسبقه فيفوته ولكن يعقبه والمعنى لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انتهائه بل يتعاقبان في أزمنة معلومة إلى يوم القيامة وقيل: المراد في الليل والنهار آيتاهما والسيران فيهما والمعنى لا يطلع القمر بالنهار وله ضوء يطمس نور الشمس ولا بالعكس

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4802)، ومسلم في الصحيح (250/159).

فسلطانها بالنهار وسلطانها بالليل كما لكل من المقدار ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الآية 40] أي وكلهم والضمير لهما ولسائر النجوم فإن ذكرهما مشعر بذكر غيرهما أولهما وجمع لاختلاف مطالعتهما فكأنها شمس وأقمار في محالهما ولإطلاق السباحة التي هي للعقلاء جمع بالواو والنون أي يسبحون فيه سير إسراع إقبالاً وإدباراً ليلاً ونهاراً لا يرى فيهما قراراً ومداراً ووصف الشمس بعدم الإدراك لأنها بطيئة السيران والقمر بعدم السبق لسرعة الجريان.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه العبارة إلى أن العبد في أوان الطلب دقيق الحال ضعيف اليقين مختصر الفهم في الأعمال متفكر حتى تزداد بصيرته وتتكمل حالته إلى أن يصير كاملاً جليلاً ثم يتناقص ويدنو من الشمس قليلاً وكلما ازداد من الشمس دنوا ازداد في نفسه نقصاناً إلى أن يتلاشى ويختفي ولا يرى ثم يبعد عن الشمس فلا يزال يتباعد حتى يعود بداراً فشبّه الشمس عارف أبداً في ضياء معرفته صاحب تمكين غير متلون بشرق من برج سعادته دائماً لا يأخذه كسوف ولا يستره سحب وشبّه عند تلون أحواله في التنقل صاحب تلوين له في البسط ما يرقيه إلى حد الوصال ثم يرد إلى الفترة ويتبع في القبض مما كان به من صفاء الحال فيتناقص ويرجع إلى نقصان أمره إلى أن يرفع قلبه عن وقته ثم وجود عليه الحق سبحانه فيوفقه لرجوعه عن فترته وإفاقته/ عن سكرانه فلا يزال يصفو له الحال إلى أن يقرب من الوصول 71/ب ويرزق صفة الكمال ثم بعد ذلك يأخذ في النقص والزوال كذلك حاله إلى أن يحق له بالمقسوم ارتحاله.

﴿وَأَيُّهُمْ لَمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الآية 41] وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم أي أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [الآية 41] المملوء من أمتعتهم وحيواناتهم.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ﴾ [الآية 42] مثل الفلك وشبهه من مراكب البحر ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ [الآية 42] من الإبل فإنها سفائن البر.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إلى حمل الخلق في سفينة السلامة في

بحار التقدير عند تلاطم أمواجهها بفنون من التغيير والتأثير فكم من عبد غرق في أشغاله في ليله ونهاره لا يستريح لحظه من كد أفعاله ومقاساة التعب في أعماله من جمع ماله بنسيان عاقبته ومآله واستيلاء شغل ولده وعياله على ذكره وباله وما سعيه إلا في وباله ومحاله وكم من عبد غرق في لجة هواه يجره مناه إلى تحمل بلواه وحيس من الأمر مطلوبه ومبتغاه ثم لا يصل قط إلى منتهاه خسر دنياه وعقباه وبقي عن مولاه ومثال هذا ما لا يحصى وعلى عقل من تفكر واعتبر لا يخفي وإذا حفظ أحداً في سفينة العناية أفردته بالتحرز عن دق خسائس الأمور وشغله بظاهره بالقيام بحقه وأفردته في سرائره بفراغ القلب مع ربه ويرقيه إلى ما قال: «أنا جليس من ذكرني» وقل ما شئت من علو شأن من هذا صفته ولا حرج.

﴿وَلِنْ نَّشَأَ نُفِرْفِرُهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ [الآية 43] فلا مغيب لهم يحرسهم عن إغراقهم أو فلا إعانة لهم ولا إغاثة عن استغراقهم ﴿وَلَا هُمْ يُقْدُونَ﴾ [الآية 43] ينجون من عذاب فراقهم.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا﴾ [الآية 44] إلا رحمة من عندنا ونمتع بالحياة من جانبنا ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية 44] زمان عين لآجالهم في تقديرنا.

وقال الأستاذ: لولا وجوده وفضله لحلّ به من البلاء ما حلّ بأمثاله ولكن بحسن إفضاله حفظه في جميع أحواله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ [الآية 45] من الآخرة فاعملوا لها ﴿وَمَا خَلَقَكُمْ﴾ [الآية 45] من الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها أو نوازل السماء وبلياتها ونوائب الأرض / وعاهاتها كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [سبأ: 9] أو عذاب الدنيا وعقاب العقبي أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر من العيوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ [الآية 45] لكي ترحموا وعن الغفلة تعصموا، وجواب إذا محذوف وهو أعرضوا عنه كما دل عليه قوله.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الآية 46] غير ملتفتين إليها أو مقبلين عليها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الآية 47] على من قدر الله عليه رزقه وفق ما قضاه ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 47] من مشركي قريش وغيرهم ﴿لَلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 47] أي في حق فقرائهم ﴿أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ [الآية 47] أي من لم يرزقه الله مع قدرته لا نطعمه لموافقة مشيئته وهذا من فرط ضلالتهم وكثرة جهالتهم فإن الله يطعم بأسباب وأشياء منها حث الأغنياء على إطعام الفقراء وتوفيقهم له في الخلاء والملاء ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الآية 47] حيث أمرتمونا بإنفاق سعة والإرفاق على من ضيق الله عليه في الأرزاق.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 48] في وعد البعث والإعادة.

﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ [الآية 49] ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [الآية 29] وهي النفخة الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [الآية 49] يختصمون في المعاملة فتأتيهم بغتة وفجأة في الحالة وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء وتشديد الصاد وأبو عمرو وقالون باختلاس الفتحة وحمزة بسكون الحاء وتخفيف الصاد.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ [الآية 50] في شيء من أمورهم ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 50] ولا يتمكنون من الرجوع إلى دورهم ليروا أهليتهم ويشاهدوا حالتهم بل يموتون حيث تبغتهم.

وأفاد الأستاذ: إن هذه صفة من يسبتهم في أودية الخذلان ووسمهم بسمه الحرمان وأصمهم عن سماع الرشد وصددهم بالخذلان على سلوك القصد فلا تأتيهم آية في الزجر إلا قابلوها بإعراضهم وتجاؤا عن الاعتبار بها على دوام انقباضهم وإذا أمروا بالإنفاق والإطعام عارضوا بأن الله رازق الأنام وإذا شاء نظر إليهم بالإنعام / ثم يستعجلون هجوم الساعة ويستبطئون قيام القيامة لا عن تصديق يزичهم عن شكهم أو خوف يمنعهم عن غيهم ولكن تكذيب لدعوة النبوة وإنكار لصحة الرسالة واستبعاد لأمر الإعادة فقال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [الآية 49] عند قيام الساعة ثم أنهم في العذاب محضرون لا يكشف عنهم ولا هم ينصرون.

﴿وُفِّخَ فِي الصُّورِ﴾ [الآية 51] أي نفخة ثانية ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ [الآية 51] أي قبورهم ﴿إِلَّا رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَ﴾ [الآية 51] يسرعون.

قال الأستاذ: يموتون قهراً ويحشرون جبراً ويلقون شراً ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً.

﴿قَالُوا يَوَيْلَنَا﴾ [الآية 52] يا هلاكنا تعال إلينا فهذا أوان قربك لنا ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [الآية 52] فيه إشعار بأنهم لاختلاط عقولهم لا يشعرون أنهم صاروا أمواتاً بل يظنون أنهم كانوا نياماً ثم لما أفاقوا من أحلامهم وتيقظوا من منامهم صرحوا في كلامهم رداً على أنفسهم في مرامهم وتحسروا في مقامهم بقولهم ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ [الآية 52] أي ما وعده لنا ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [الآية 52] أي فيما أخبرونا فموعه حق وإخباره صدق.

﴿إِنْ كَانَتْ﴾ [الآية 53] ما كانت النفخة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [الآية 53] وهي النفخة الأخيرة ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [الآية 53] في موقف القيامة بمجرد تلك الصيحة.

وأفاد الأستاذ: أنهم يموتون على جهلهم لا يعرفون ربهم ويعتثون على مثل حالهم لا يعرفون من بعثهم ويعدون ما كانوا فيه في قبورهم من العقوبة الشديدة بالإضافة إلى ما سيلقون من الآلام الجديدة نوماً ورقاداً وسيطأون من الفراق المقرح والاحتراق العظيم المفخم مهاداً ولا يذوقون فيها برداً ولا شرباً إلا حميماً وغساقاً جزاء وفاقاً ولقد عوملوا بذلك استحقاقاً.

قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾ [الآية 54] من الظلم في معرض حساب لا بنقص ثواب ولا بزيادة عقاب ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 54] من الحسنات والسيئات في كل باب ففي الحديث القدسي والكلام إلا لنبي إنما هي أعمالكم أحصاها لكم.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ﴾ [الآية 55] أي يوم القيامة بعد دخول الجنة ﴿فِي

شُغْلٍ﴾ [الآية 55] وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمر بالسكون / ﴿فَنَكْهُونَ﴾ [الآية 55]

متلذذون في النعمة وفي تنكير شغل وما فيه من الإبهام تنبيه نبيه على أنه أعلى

من أن تحيط به الأفهام ويعرب عن كنهه الكلام.

قال طاووس: لو علموا عمن شغلوا منا ما اشتغلوا به عمّالهم من الهناء.

قال ابن عطاء: أشغلهم في الجنة استصلاح أنفسهم لميقات المشاهدة وهذا من أعظم الأشغال في المجاهدة وسئل بعضهم عن قول النبي صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله فقال من رضي من الله بالجنة.

وقال ابن عطاء: مكر بالحق في كل موضع وخدعهم عنه بكل شيء حتى في الجنة.

وقال الأستاذ: إنما يضاف العبد إلى ما كان الغالب عليه ذكره والأخذ بمجامع قلبه أمره فصاحب الدنيا من في أسرها وأصحاب الجنة الذين هم طلابها والساعون لها والعاملون لمنالها قال تعالى مخبراً عن مقالهم ومجمل حالهم: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصفات: الآية 61]، وهذه الأحوال وإن جلّت منهم فهي بالإضافة إلى أحوال الأكابر والسادة تتقاصر عنهم، قال عليه السلام: «أكثر أهل الجنة البله»⁽¹⁾، ومن كان في الدنيا عن الدنيا حراً فلا يبعد أن يكون في الجنة عن الجنة حراً يختص برحمته من يشاء، يعني كما يختص بنعمته من يشاء ويختص بنقمته من يشاء ويختص برؤيته من يشاء. وقيل: هذا الخطاب لأقوام هم فيها فارغون فيقول لهم: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ﴾ [الآية 55] وهم أهل الحضرة والذين لا يشغلهم الجنة عن أنس القربة وراحات الوصلة ولذات الرؤية وقالوا: لو علموا عمن شغلوا لما تهنأوا لما به شغلوا. ويقال: إنما يقال هذا لأقوام في العرصة أصحاب المعصية لم يدخلوا النار ولم يدخلوا الجنة فيقول: الحق لهم عبيدي أهل النار ليس يتفرغون إليكم لأهوالهم وما هم فيه من صعوبة أحوالهم وأصحاب الجنة اليوم في شغل عنكم لأنهم في لذات منالهم وما وجدوا من إفضالهم مع أهلهم وأشكالهم فليس لكم

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 124) رقم (1366)، والقضاعي في مسند الشهاب (2/ 110) رقم (989).

اليوم، إلا نحن وكرمنا بالقوم وقيل شغلهم تأهبهم لرؤية مولاهم وذلك من أهم ب/73 الاشتغال وأولاهم وهي أشغال مؤنسة مريحة لا منيفة موحشة. ويقال: / لا تنافي بين أشغالهم بأبدانهم مع أهلهم وشهود مولاهم كما أنهم اليوم مستديمون لمعرفته بأي حالة هم ولا يقدح اشتغالهم باستبقاء حظوظهم في معارفهم قلت: وهذا أكمل الأحوال في مقامات الرجال والصوفية يسمونه جمع الجمع من أعلى المرتبة وهو أن لا يمنع وجود الكثرة عن شهود الوحدة ويقال: لشغل نفوسهم بشهواتها حتى يخلص الشهود لأسرارهم بكمالاتها على غيبة من إحساس النفس الذي هو أصعب الرقباء في ملاحظاتها ولا شيء أعلى من رؤية الحبيب مع فقد الرقيب أقول: وهذا معنى اللطف من الأول وأشرف فتأمل.

﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ [الآية 56] قيل أشكالهم في منازلهم وأحوالهم كقوله تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصفات: الآية 22]، وقيل حظاياهم من الحور العين وسائر نسائهم ﴿فِي ظِلِّ﴾ [الآية 56] من أشجار الجنة وقصورها وأستار أنوارها وقرأ حمزة والكسائي في ظلل ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ [الكهف: الآية 56] على السرر المزينة ﴿مُتَّكِئُونَ﴾ [الآية 56] على هيئة ما كان أهل الدنيا متنعمون.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَنَكِهَةٌ﴾ [الآية 57] ما يسمى فاكهة من جميع أنواعها وأصنافها ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ [الآية 57] يدعون زيادة على أجناسها وأنفاسها أو ما يتمنون في الدنيا من الجنة ودرجاتها.

﴿سَلَامٌ﴾ [الآية 58] أي ولهم سلام عظيم في مقام كريم يقال لهم قولاً كائناً ﴿قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [الآية 58] والمعنى أن الله يسلم عليهم بواسطة من الملائكة أو بغير واسطة تعظيماً لهم فيما أعطاهم وذلك نهاية مطلوبهم وغاية متمناهم.

وقد روى ابن أبي حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [الآية 58] قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون

إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب منهم ويبقى نوره لديهم وبركته عليهم⁽¹⁾.

وقال ابن عطاء: السلام جليل الخطر وعظيم المحل وأجله ما كان في المشاهدة من المكافحة من الله الكريم حين يقول: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [الآية 58].

وأفاد الأستاذ: أنهم يسمعون كلامه وسلامه بلا واسطة وأكد ذلك بقوله ﴿مِّن رَّبِّ﴾ [الآية 58] ليعلم أنه ليس بسلام على لسان/ سفير والرحمة في تلك الحالة أن يرزقهم الرؤية في حال من يسلم عليهم ليكمل النعمة ويقال: الرحمة في ذلك أن يبقئهم في حال سماع كلامهم وحال لقاء مرامهم لئلا يصحبهم دهشة ولا يلحقهم حيرة، ويقال إنما قال: ﴿مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [الآية 58] ليكون من العصاة من المؤمنين فيه نفس ولرجاءهم فيه مساغ فإن الذي يحتاج إلى كثرة الرحمة هو صاحب المعصية ويقال: قال ذلك ليعلم العبد أنه لم يصل إليه بفعله واستحقاقه وإنما وصل إليه برحمة ربه.

﴿وَأَمْتَرُواْ الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 59] يريد بهم الكافرين أي وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم إلى الجنة وبغيرهم إلى العقوبة كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَرُونَ﴾ [الروم: الآية 14].

وأفاد الأستاذ: أن غيبة الرقباء من أتم النعمة وإبعاد الأعداء من أجل المنة فالأولياء في إيجاب القربة والأعداء في عذاب الكربة.

﴿أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰنَبِيَّ ءَادَمُ﴾ [الآية 60] ألم أوصكم بلسان أنبيائكم ﴿أَن لَّا تَعْبُدُواْ الشَّيْطٰنَ﴾ [الآية 60] أي لا تطيعوه فيما زين لكم من العصيان ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية 60] ظاهر العداوة في جميع الأوقات.

﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي﴾ [الآية 61] أطيعوني في الأوامر والزواجر ﴿هٰذَا صِرَاطٌ

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (1/ 65) رقم (184)، وانظر تفسير ابن كثير (6/ 583)، وتفسير القرطبي (15/ 45).

مُسْتَقِيمٌ ﴿[الآية 61] دين قويم.

قال الواسطي: من عبد الله لنفسه فإنما يعبد نفسه ومن عبده من أجله فإنه لم يعرف ربه ومن عبده بمعنى أن العبودية جوهر يظهرها الربوبية فقد أصاب.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِلاَّ كَثِيْرًا﴾ [الآية 62] خلقاً كثيراً ممن وجبت عليه الضلالة وثبتت له الجهالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بضممتين وتخفيف اللام وأبو عمرو وابن عامر بضم فسكون ﴿أَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 62].

﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ﴾ [الآيات 63، 64] ادخلوها وذوقوا عذابها في العقبي ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية 64] بسبب كفرهم في الدنيا.

وورد في حديث رواه ابن جرير عن أبي هريرة مرفوعاً إذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ثم يقول: ﴿الَّذِي أَعْهَدَ إِلَيْكُمْ يَنْبِئُ عَادَمَ﴾⁽¹⁾ [الآية 60] إلى آخر الآية.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الأقوال لو قالها مخلوق لمخلوق لكان شبه 74/ ب اعتذار في الأحوال، أي لقد نصحتكم / ووعظتكم وعن هذا حذرتكم وكم وصلت لكم القول وذكرتكم ولم تقبلوا وعظي ولم تعملوا بأمرى فأنتم خالفتهم وعلى أنفسكم ظلمتم وبذلك سبقت القضية منا لكم.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [الآية 65] نمنعها عن الكلام ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 65] من الآثام. وفي حديث رواه مسلم إنهم يجحدون ويخاصمون فيختم الله على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم⁽²⁾.

قالوا: وفائدة هذا الكلام أن يعلم الأنام أن كل من كان عوناً على المعصية صار شاهداً على تلك الحالة فلا ينبغي لأحد أن يصحب إلا الله في

(1) أورده ابن كثير في تفسيره (3/ 285)، والطبري في تفسيره (20/ 542)، وابن أبي حاتم في تفسيره (12/ 167).

(2) لم نثر عليه في صحيح مسلم، وانظر تفسير أبي السعود (7/ 176).

جميع حالاته لثلاً يفتضح عنده بسبب أهل صحبته .

وأفاد الأستاذ: أن اليوم سخر الله أعضاء الإنسان بعضها لبعض وغداً ينقض هذه العادة فيخرج بعض الأعضاء على بعض ويجري بينهم الخصومة والمنازعة فأما الكفار فشهادة أعضائهم عليهم لهم مبيدة أي مهلكة وأما العصاة من المؤمنين فقد يشهد عليهم أعضاؤهم بالعصيان ولكن يشهد بعض أعضائهم أيضاً لهم بالإحسان وكما قيل :

بيني وبينك يا ظلوم الموقف والحاكم العادل الجواد المنصف
وفي بعض الأخبار المروية المسندة أن عبداً يشهد عليه أعضاؤه بالزلة فيتطايير شعره من جفن عينه تستأذن بالشهادة له فيقول الحق تكلمي يا شعرة جفن عين عبدي واحتجي عن عبدي فتشهد له بالبكاء من خوفه فيغفر له وينادي مناد هذا عتيق الله بشعرة .

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الآية 66] لمسحنا أعينهم فأعميناهم
﴿فَأَسْبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ [الآية 66] فابتدروها ﴿فَأَنزِلُ يُصْرُوتُ﴾ [الآية 66] فكيف يرونها ومن أين يسلكونها والمعنى لو شاء الله لهم الغواية بالعمى عن الهدى فكيف يبصرون طريق الهداية إلى المولى .

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ [الآية 67] بتغيير صورهم وإبطال قدرهم ﴿عَلَىٰ مَكَاتِهِمْ﴾ [الآية 67] وقرأ أبو بكر مكاناتهم أي على حالاتهم وفي مقاماتهم ﴿فَمَا أَشْطَطُوا مُضِيًّا﴾ [الآية 67] ذهاباً ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 67] أي ولا رجوعاً وإياباً
ولا قدرُوا إقبالاً / ولا إدباراً، والمعنى أنهم بكفرهم ونقض ما عهد إليهم أحقاء 75/أ أن يغفل ذلك بهم لكننا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة أمراً لهم .

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ [الآية 68] نطيل عمره ﴿نُكَسِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [الآية 68] نقله في خلقه فلا يزال يتزايد ضعف بنيته عكس ما كان عليه أمر بدائه فيصير إلى حال طفولته وقرأ عاصم بكسر الكاف وتشديدها للمبالغة ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 68] إن من قدر على ذلك قدر على البعث هنالك وقرأ ابن ذكوان بالخطاب .

قال أبو بكر الوراق من عمره الله بالغفلة فإن الأيام تؤثر فيه حالاً فحالاً من طفوليته وشيبه وكهولته وشيخيته إلى أن يبلغ ما حكاه الله من قوله ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [الآية 68] ومن أحياه الله بذكره فإن تلوين الأحوال لا يؤثر فيه فإن متصل الحياة بحياة الحي قال الله عز وجل: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيَوَهُ طَيِّبَةً﴾ [النحل: الآية 97].

وأفاد الأستاذ: أن هذا التنكيس إنما هو في الجثث والمباني دون الأحوال والمعاني فإن الأحوال في الزيادة إلى أن تبلغ حد الخرافة فيختل رأيه وينتقص عقله وأصحاب الحقائق تشيب ذوائبهم ولكن محابهم ومعانيهم في عنفوان شبابها وطراوة جدتها.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ [الآية 69] تعليم القرآن وتفهم الفرقان فإنه لا يماثله مبنى ولا يشابهه معنى لأنه غير موزون ولا مقفى وليس في معناه ما يقصده الشعراء من التخيلات المرغبة لها والمنفرة ونحوها مما لا أصل لها ولا حقيقة عندها وعن ابن عباس وغيره ما ولد عبدالمطلب ولداً ذكر ولا أنثى إلا يقول الشعر إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [الآية 69] وما يصح له الشعر ولا يتأتى له إن أراد ونظمه على ما اخترتم طبعه نحواً من أربعين سنة فمن أين لكم الشبهة في صحة النبوة أو معناه ما يصح للقرآن أنه شعر ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ [الآية 69] أي ليس الذي أتى به إلا موعظة من الله ونصيحة ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [الآية 69] ظاهر الدلالة على أنه من الله لما فيه من المعجزة.

﴿لِيُنْذِرَ﴾ [الآية 70] أي الله أو القرآن أو الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر بالخطاب ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [الآية 70] عاقلاً كاملاً فإن الغافل والجاهل يكون في مرتبة الميت نازلاً أو مؤمناً في علم الله على ما قدره وقضاه ﴿وَيَحَقِّقُ الْقَوْلُ﴾ [الآية 70] يجب كلمة العذاب ويثبت وقفة الحجاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الآية 70] ب/ المصيرين / على كفرهم لما سبق لهم في قضائهم وقدرهم أموات في الحقيقة في حياة عمرهم.

قال جنيد: الحي من تكون حياته ببقاء مليكه ومن كان بقاؤه ببقاء نفسه

فإنه ميت في وقت حياته وعند وفاته .

وقال ابن عطاء: من كان في علم الله حياً أحياء الله بالنظر إليه والفهم عنه والسماع منه والاستسلام لديه .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [الآية 71] مما عملنا بلا شريك لنا وتوليننا أحداث ما أردنا مما لم يقدر على إحداثه غيرنا ﴿أَنفَكُمَا﴾ [الآية 71] متمكنون من ضبطها والتصرف فيها من بدائع الفطرة ومنافع بالكثره ﴿فَهُمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ [الآية 71] متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا إياها ﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ [الآية 72] فصيرناها منقادة لهم ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ [الآية 72] .

﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [الآية 72] مأكولهم .

﴿وَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ [الآية 73] أاث ومتاع من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبٌ﴾ [الآية 73] من ألبانها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 35] من خلقها وذلكها .

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً﴾ [الآية 74] اشركوها به في العبادة بعدما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعمة الظاهرة ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْصَرُونَ﴾ [الآية 74] رجاء أن ينصروهم في حق بهم من أمورهم والأمر بالعكس في حقهم كما أخبر سبحانه عنهم بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ [الآية 75] أي نصر أنفسهم فضلاً عن نصر غيرهم ﴿وَهُمْ لَهُمْ﴾ [الآية 75] لأصنامهم ﴿جُنُودٌ مُّحْضَرُونَ﴾ [الآية 75] معدون لحفظهم والذب عنهم في الدنيا أو محضرون معهم في عذاب العقبي .

﴿فَلَا يَخْزُنَكَ قَوْلُهُمْ﴾ [الآية 76] فيك أو في كتابنا أو فينا ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 76] فنجازيهم بجميع أقوالهم وأعمالهم وفق أحوالهم وفيه تسلية للنبي والمؤمنين والإشارة إلى حسن مآلهم .

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه ذكر جزيل منته عليهم وجميل نعمته لديهم بما سخر لهم من الأنعام التي فيها وجوه من انتفاع الأنام وذلك بما ينتفعون بركوبها وبأكل لحومها وشحومها وشرب ألبانها وبما يحمل عليها وبقطع

المسافات الشديدة بها فطالبهم بالشكر عليها ثم وصفهم بالتقصير في شكرها حكاية لو كانت في صفة المخلوقين كانت شكاية فقال مع كل هذه الوجوه من إحسان النعمة اتخذوا من دون الله آلهة ثم سلى نبيه عليه السلام بقوله: ﴿فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنََّّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 76] فإن العبد إذا علم أنه بمرأى من مولاه هان عليه ما يقاسيه لا سيما إذا كان في الله.

76/أ

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [الآية 77] بين الخصومة لا يتأمل في بدء أمره ولا يستحي من آخر عمره. روي أن أبي بن خلف أو عاص بن وائل أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال: يا محمد أنزع من أن الله يبعث هذا؟ فقال عليه السلام: «نعم يميئك الله ويبعثك ويدخلك النار»⁽¹⁾ فنزلت.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ [الآية 78] أمراً عجيباً وهو نفي القدرة على الإعادة ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ [الآية 78] في البداية ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [الآية 78] أي بالية اسم لما بلي من العظام لا صفة.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الآية 79] فإن قدرته كما كانت شاملة كاملة والمادة على حاله قائمة ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 79] فيعلم أجزاء الأشخاص المتفتتة المتبددة أصولها وفصولها ومواقعها ومواضعها وإعادة الأرواح إلى أشباحها.

وفي «تفسير السلمي» أي من يحيي القلوب الميتة بالإعراض عنه والقسوة والغفلة ويردها إلى التفويض والتسليم في الطاعة والعبادة.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [الآية 80] بأن يسحق المرخ على العفار وهما خضر وأن يقطر منها الماء فتندح منهم النار ﴿فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ [الآية 80] لا تشكون في أنها نار خرجت منه حين تقدحون وفي المثل

(1) أورده ابن كثير في تفسيره (6/ 593).

في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار فمن قدر على إحداث النار من خضر الأشجار مع ما فيها من الماية المضادة لها كان أقدر على إعادة الرطوبة فيما كان رطباً وعرض له اليبوسة.

وقال الأستاذ: أي شددنا أسرهم وجمعنا نشرهم وسوينا أعضاءهم وركبنا أجزاءهم وأودعناهم العقل والتمييز ثم إنه ﴿خَصِيصٌ مُبِينٌ﴾ [الآية 77] ينازعنا في بابه ويعترض علينا في أحكامنا بزعمه في استصوابه كما قيل:

أُعْلِمَهُ الرماية كل حين فلما اشتد ساعده رمانى

ثم مهد لهم سبيل الاستدلال وقال: إن الإعادة في معنى الاستبداء فإذا أقررت بالابتداء فأى إشكال بقي في جواز الإعادة في الانتهاء.

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الآية 81] مع كبر جرمها وسعة عظمها ﴿يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [الآية 81] في الصغر والحقارة بالإضافة إليها فإن خلق الصغر أسهل من الكبير عندكم أو في زعمكم ﴿بَلَى﴾ [الآية 81] جواب من الله مشعر بأنه لا جواب سواه وهو ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ [الآية 81] للعباد ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 81] بما أراد.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ [الآية 82] أي شأنه سبحانه ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ [الآية 82] / أي 76/ ب إيجاده أو إمداده ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾ [الآية 82] أن يكونه ﴿فَيَكُونُ﴾ [الآية 82] فهو يكون أي يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته تعالى في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول الأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار إلى مزاولة عمل واستعماله آلة قطع لمادة الشبهة وهي قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفاً على يقول.

وأفاد الأستاذ: الله سبحانه يخلقه بقدرته وأخبرنا أنه يتعلق بالمكنون كلمة على ما يجوز في صفته وسيان عنده خلق الكثير في كثرته والقليل في قلته.

﴿فَسُبْحَنَّ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 83] بقبضه قدرته تصرف من

كل شيء في خلقته فهو الملك المدبر في مملكته ﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 83] أي تردون إلى حكومته، وفيه وعد للمقرّين ووعد للمنكرين.

وقال الأستاذ: أي بقدرته ظهور كل شيء فلا يحدث شيء قل أو كثر إلا بإبداعه وإنشائه ولا يبقى ما يبقى منها شيء إلا بإبقائه، فمنه ظهور ما يحدث وإليه مصير ما يخلق.

سورة الصفات

[مكية]

وهي مئة واحد وثمانون آية^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة إذا استولت على قلب قلبته وأزالت عنه من الدارين أربه ثم ألزمته على وجه التنقية جرمه ثم شرفت من حيث الهمة طلبه.

﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ۝ فَالْزَجَرِ زَجْرًا ۝ فَالتَّائِيَةِ ذِكْرًا ۝﴾ [الآيات 1، 3، 4] أقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم أنوار الربوبية منتظرين للأمور الإلهية الزاجرين للأنام عن المعاصي والآثام بأنواع الإلهام التالين آيات الله وجلالاً أنبائه على أنبيائه وأصفياه والعطف لاختلاف الصفات وإلغاء لترقي المقامات.

﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ۝﴾ [الآية 4] جواب القسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه وأما تحقيقه فبقوله:

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ۝﴾ [الآية 5] فإن وجودها وانتظامها على وجه الأكمل في شهودها مع إمكان غيره دليل على وجود الصانع ووحدته وحكمته وقدرته وإرادته والمشارك مشارق الكواكب أو مشارق الشمس في السنة وهي ثلاثمائة وستون تشرق في كل يوم من واحد وبحسبهما /تختلف المغارب في مغاربها ولذا أكتفي بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة وأكمل في النعمة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنه واحد في ملكه وذلك أنهم تعجبوا

(1) كذا في الأصل المخطوط.

أن يقوم الواحد بجميع أحوال عالمه ومعنى كونه واحد تفرد في حقه عن التقسيم وتقده في وجوده عن التشبيه وتنزهه في ملكه عن الشريك واحد في جلاله واحد باستحقاق جماله واحد في أفعاله واحد في كبريائه بنعت علاقته ووصف سنائه ورب المشارق مشارق النجوم والشمس والقمر ومشارق القلوب شمسها وأقمارها ونجومها.

﴿إِنَّا زَيْنًا أَلَمَاءَ الدُّنْيَا﴾ [الآية 6] القربى منكم ﴿زِينَةُ الْكَوَاكِبِ﴾ [الآية 6] زينة هي الكواكب والإضافة بيانية ويعضده قراءة حمزة وحفض بتنوين زينة وجر الكواكب على إبدالها منه وبيان زينة الكواكب فيها ويؤيده قراءة أبو بكر بالتنوين والنصب على الأصل.

﴿وَحِفْظًا﴾ [الآية 7] أي وحفظناها حفظاً ﴿مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [الآية 7] خارج عن الطاعة برمي الشهب عليها.

﴿لَّا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 8] وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد أي لا تسمع الشياطين ﴿إِلَى الْأَعْلَى﴾ [الآية 8] الملائكة أو أشرافهم ﴿وَيَقْدُونَ﴾ [سَيًّا: الآية 8] ويرمون ﴿مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الآية 8] من جوانب السماء الدنيا وأطرافها إذا قصدوا الصعود إليها.

﴿دُحُورًا﴾ [الآية 9] أي للطرد عنها وحال كونهم مطرودين منهما ﴿وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِْبٌ﴾ [الآية 9] أي دائم أو لازم وهو عذاب الآخرة.

﴿إِلَّا مَن خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ [الآية 10] استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه أي إلا من اختلس كلام الملائكة مسارقة ﴿فَأَتْبَعُهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الآية 10] مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه وهو ما يرى كان كوكباً انقضى من مكانه واختلف في أن المرجوم هل يتأذى به فيرجع عن قصده؟ أو يحترق به؟ لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيبه كالمروج لراكب السفينة ولذا لا يرتدعون عنه بالكلية أم لأنهم لا يعلمون بحقيقة القضية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه زين السماء الدنيا بالنجوم وقلوب أوليائه بنجوم المعارف والأحوال وحفظ السماوات بأن جعل النجوم للشياطين

رجوماً كذلك زين القلوب بأنوار التوحيد فإذا قرب منها الشياطين رجمها بنجوم معارفهم إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب كذلك إذا اغتم الشيطان من الأولياء يلقي إليهم شيئاً من وساوسه تذكروا فإذا هم مبصرون ورجعوا كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ / طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 201].

77/ب

﴿فَأَسْتَفْهِمُ﴾ [الآية 11] الضمير لمشركي مكة وغيرهم أو لبني آدم جميعهم فاستخبرهم ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَّنْ خَلَقْنَا﴾ [الآية 11] أي من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ﴿إِذَا خَلَقْتَهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الآية 11] لاصق ثابت للمأرب فمن قدر على خلق هذه الأشياء في ابتداء قدر على إعادتهم في الانتهاء.

﴿بَلْ عَجَبْتَ﴾ [الآية 12] من قدرتنا وإرادتنا أو من إنكارهم لإعادتنا ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ [الآية 12] من تعجبك في كمال صفتنا وجمال حكمتنا وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء استعظمت من أن ينكر البعث ممن له هذه الأفعال أو هم يسخرون ممن يجوز هذه الحالة.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ [الآية 13] وإذا وعظوا لا يتعظون بالموعظة.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ [الآية 14] معجزة تدل على صدق القضية ﴿يَسْتَسْخَرُونَ﴾ [الآية 14] يبالغون في السخرية.

﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 15] ظاهر السخرية.

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا﴾ [الآية 16] تفرقت أعضاؤنا وتفتت أجزاءنا ﴿لَنَبْعُثُوكَ﴾ [الآية 16] أصله انبعث إذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقرأ نافع بحذف الهمزة الأولى ونافع والكسائي بطرح الثانية.

﴿أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الآية 17] عطف على محل أن واسمها وسكن قالون وابن عامر الواو على أن الترديد فيها.

﴿قُلْ نَعَمْ﴾ [الآية 18] أنتم مبعوثون محشورون ﴿وَأَنْتُمْ دَخِرُونَ﴾ [الآية 18] صاغرون.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الآية 19] أي إذا كان كذلك فإنما البعثة صحيحة واحدة هي النفخة الثانية وأمرها في الإعادة كما مرّ في البداية ولذا رتب عليهما ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الآية 19] فإذا هم قيام من مراقدهم أحياء يبصرون أو ينظرون ما يفعل بهم.

﴿وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ اللَّيْنِ﴾ [الآية 20] أي اليوم الذي نجازى فيه بأعمالنا على حسب أحوالنا فيقال لهم.

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [الآية 21] والفصل القضاء إذ الفرق بين المحسن والمسيء في الجزاء ويقول الله للملائكة: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 22] على أنفسهم بالكفر والمعصية من مقامهم إلى الموقف العظيم أو إلى وسط الجحيم ﴿وَأَزْوَاجِهِمْ﴾ [الآية 22] وأشكالهم كعابد الصنم مع عبدته وأمثالهم أو نسائهم اللاتي على دينهم أو قرنائهم من شياطينهم ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [الآية 22] من دُونِ اللَّهِ ﴿[الآيتان 22، 23] من الأصنام وغيرهم زيادة في تخجيلهم / وتحسرهم فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الآية 23] دلوهم إلى نحوها وعرفوهم طريقها ليسلكوها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد بأزواجهم قرنائهم وأشكالهم ومن عمل بمثل أعمالهم ومن أعانهم على ظلمهم بقليل أو كثير في حالهم ومآلهم وهكذا في هذه الطريقة من أعان صاحب فترة في فترته أو صاحب زلة على زلته كان مشاركاً له في عقوبته واستحقاق طرده وإهانته.

﴿وَقِفُوهُمْ﴾ [الآية 24] احبسوهم في مواقف أحوالهم ﴿إِنَّهُمْ يَسْأَلُونَ﴾ [الآية 24] عن عقائدهم وأعمالهم وأحوالهم.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ﴾ [الآية 25] لا ينصر بعضكم بعضاً بالتخليص وهو توبيخ وتقريع.

﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الآية 26] منقادون بظهور عجزهم إليهم وانسداد أبواب الحياة عليهم.

وأفاد الأستاذ: أن مقام السؤال مقام صعب الحال قوم يسألهم الملك وقوم يسألهم الملائكة فالذين يسألهم الملائكة أقوام لهم أعمال صالحة تسأل للعرض والكشف وأقوام لهم أعمال لا يصلح للكشف وهم قسمان الخواص يستترهم الحق على اطلاع الخلق عليهم في الدنيا والعقبى والعوام وهم أرباب الزلات يرحمهم الله فلا يفضحهم فيم أنهم يكونون في بعض أحوالهم بعين الهيبة وفي بعض ينعت البسط والقربة وفي الخبر أن قوماً يستترهم بيده ويقول لهم تذكر عذرك أي فيما مضى من أمرك وحديث الخلق في الصحيح وهو في هذا المعنى كالصريح وهؤلاء أصحاب الخصوص في تحقيق أسرار الأبرار، فأما الأغيار والأجانب والكفار فيقال: ادخلوا بحكمكم النار، ثم يقال لهم في بعض أحوال الفرع عليهم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [٧٥] ﴿بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [٢٦] [الآيتان 25، 26].

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الآية 27] يعني الأتباع والرؤساء أو الكفرة والفرقاء ﴿يَسَاءَلُونَ﴾ [الآية 27] يسأل بعضهم بعضاً للتوبيخ والتقريع ولذا فسر يتخاصمون.

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ [الآية 28] عن أقوى الوجوه في صد الدين أو عن الحلف فإنهم كانوا يحلفون لهم أنهم على الحق اليقين.

﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [٢٩] ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [الآيتان 29، 30] من برهان مبين ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ [الآية 30] أجابهم الرؤساء للمتبوعين أولاً بمنع إضلالهم بأنهم في / أنفسهم كانوا ضالين، وثانياً بأنهم ما أجبروهم على الكفر إذ لم يكن عليهم سلطان وإنما جنحوا إليه لأنهم اختاروا طريق الطغيان.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا﴾ [الآية 31] بعذاب الكافرين ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ [الآية 31] ما وعدنا على السنة المرسلين.

﴿فَأَعْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا عَاوِينَ﴾ [الآية 32] ثم بين الرؤساء أن ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان أمراً مقضياً لا محيص لهم عنه أصلاً فأحبوا أن يكونوا

مثلهم وفيه، أي في هذا الباب، وإن غاية ما فعلوا باتباعهم أنهم دعوهم إلى الغي معهم لأنهم كانوا على الغي فأحبوا أن يكونوا مثلهم، وفيه إيماء بأن غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم إذ لو كان كل غواية بإغواء غاير فمن أغواهم فهذا نصير قوله صلى الله عليه وسلم فمن أعدى الأول⁽¹⁾!، فتأمل فإنه يكشف لك من هنا باب التوحيد على الوجه الأكمل.

﴿فَاتَّبَعَهُمْ﴾ [الآية 33] أريد بهم الاتباع والمتبعون ﴿يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الآية 33] أي في العقبي كما كانوا مشتركين في الغواية في الدنيا بحسب مراتب زلاتهم واختلاف حالاتهم في جهالاتهم من ضلالاتهم وإضلالاتهم.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 34] أي الذين كانوا يكفرون وعلى المعاصي يصرون.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية 35] أن يقولوا ليس كمثل شيء وينكرون على قائله.

وأفاد الأستاذ: إن احتجاجهم بقلوبهم أوقفهم في وهدة عذابهم وذلك أنهم استكبروا عن عبادته وقد قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: الآية 172] أي أن يكونوا عبيداً له لأن من عرف الله فلا لذة له إلا في طاعة الله.

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَئِنَّا لَشَاعِرٍ تَجْنُونَ﴾ [الآية 36] يعنون به محمداً أعقل العاقلين.

﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 37].

قال الأستاذ: لما لم يحتشموا من وصفه تعالى بما لا يليق به لم يبالوا بما أطلقوا من المثالب في وصف أنبيائه.

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ [الآية 38] بإشراك الله العظيم وتكذيب الرسول الكريم.

(1) لم نعرثر عليه، وقد أورده الشرييني الخطيب في تفسير السراج المنير (1/ 3631).

﴿وَمَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 39] إلا مثل ما كنتم تصنعون جزاء وفاقاً وقضاء استحقاقاً.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 40] أي لكن عباد الله المخلصين من الأنبياء والمرسلين والمؤمنين المحسنين.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّطْلُومٌ﴾ [الآية 41] / مشهور خصائصه من الدوام 79/ أ وتمحص اللذة في المرام ولذا بينه بقوله.

﴿فَوَاكُهُ﴾ [الآية 42] فإن الفاكهة ما تقصد به اللذة دون التقوية فإن أهل الجنة أعيدوا على خلقة محكمة محفوظة على تجلّل البيئة فكانت أرزاقهم فواكه خالصة أو ما في معناها من قصد اللذة ﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾ [الآية 42] في نيل الرزق إليهم وحصوله من غير تعب لديهم ولا منة لأحد عليهم.

وقال أبو بكر بن طاهر: صحة البقاء مع الله إخلاص العبودية لله وقت العبد مع الله ببقاء حظه من الله.

وأفاد الأستاذ: أن الإخلاص أفراد الحق سبحانه بالعبودية والذي يشوب عمله رياء ليس بمخلص في أداء حق الربوبية ويقال: الإخلاص تصفية العمل لا توفيته، وفي الخبر: «يا معاذاً أخلص العمل يكفيك القليل منه في الأمل؟»⁽¹⁾. ويقال: الإخلاص فقد رؤية الأشخاص ويقال: أن لا يلاحظ محل الاختصاص ويقال: هو أن تنظر إلى نفسك بعين الانتقاص. ثم قال في أثناء التقارير: من كان له رزق معلوم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من جملة المياسير وهذه صفة أهل الجنة كما وقعت به البشارة فلهم في الآخرة رزق لإبشارهم وأسرارهم فالأغنياء اليوم لهم رزق معلوم لأنفسهم وعيالهم والفقراء اليوم لهم رزق معلوم لقلوبهم وأحوالهم فواكه وهم مكرمون، من ذلك وردد الرسول عليهم من قبل الله في كل وقت وحين وكذلك ليوم الخطاب، وأراد من الله على قلوب الخواص في كل وقت بكل

(1) انظر تفسير القشيري (6/ 416)، وتفسير حقي (12/ 285)، والبحر المديد (5/ 231).

أمر من عوارف الدين ومعارف اليقين .

﴿ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴾ [الآية 43] في جنات ليس فيها إلا النعيم المقيم .

﴿ عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ ﴾ [الآية 44] في مقام التكريم يستأنس بعضهم برؤية بعض من أرباب التعظيم .

﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴾ [الآية 45] يدار عليهم بإناء فيه خمر من معين من شراب معين أو نهر مبین أي ظاهر للعيون جمع عين بمعنى جسمه منه أو خارج من العيون وفيه الإيمان بأنها لكثرتها تجري كالماء .

﴿ بِيَضَاءٍ ﴾ [الآية 46] فيها حظٌ للناظرين ﴿ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴾ [الآية 46] منها 79/ ب ووصفها بلذة / دون لذیذة لإرادة المبالغة في اللذاعة فكأنها عينها .

﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ [الآية 47] غائلة كما في خمر الدنيا من صداع ونحوها ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفَوْنَ ﴾ [الآية 47] يسكرون من نرف الشارب مجهولاً إذا ذهب عقله وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي من أنرف الشارب إذا نفذ عقله أو شرابه .

قال الأستاذ: شراب يحضرهم ولا يسكرهم شراب لا يزيل عنهم الحشمة ولا يرفع عنهم الهيبة فقوم يشربون من وراء الستور وقوم يسقون على نعت القرب في الحضور .

﴿ وَعِنْدَهُمْ قَصِرَتْ الْقُرْفُ ﴾ [الآية 48] يقصرون أبصارهن على أزواجهن ﴿ عِينٌ ﴾ [الآية 48] جمع عينا أي نجل العيون .

﴿ كَانَتْ بِيَضٌ ﴾ [الآية 49] في صفاء الأنوار وضياء الأسرار ﴿ مَكُونٌ ﴾ [الآية 49] مصون من الغبار وإصابة يد الأغيار .

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الآية 50] أي يشربون يتحادثون عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا من الشمائل كما قيل وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام .

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ [الآية 51] جليس في الدنيا .

﴿يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ [الآية 52] في العقبى.

﴿أَلَا ذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْلًا أَهْنًا لَمَدِينُونَ﴾ [الآية 53] مجزيون بأعمالنا ومحاسبون بأحوالنا.

﴿قَالَ﴾ [الآية 54] إن ذلك القائل لأهل الجنة أو الله أو بعض الملائكة ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾ [الآية 54] هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار فتعلمون أين منزلتكم من منزلتهم في القرار.

﴿فَأَطَاعَ﴾ [الآية 55] عليهم ﴿فَرَّاهُ﴾ [الآية 55] أي قرينه منهم ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الآية 55] وسط عذاب الحميم.

﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الآية 56] لتهلكني بالإغواء عن الهداية، وإن مخففة واللام فارقة.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ [الآية 57] بالتوفيق والعصمة ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الآية 57] معك في عذاب الحرقة وحجاب الفرقة.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الآية 58] أي أنحن منعمون وغيرنا معذبون وكلنا مخلصون فما نحن بمن شأنه الموت والبلوى.

﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأَوَّلَى﴾ [الآية 59] التي كانت في الدنيا ونصبها على المصدرية من الصيغة الفاعلية ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ [الآية 59] بالموت مرة أخرى والجملة تنمة كلامه لقرينه تقريباً له في دينه أو معاودة إلى مكالمة جلسائه ومحاورة إنشائية تحدثاً بنعمة الله وتحجباً بها وتعجباً منها.

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الآية 60] الإشارة إلى ما هم فيه من النعمة / والأمن من النقمة.

﴿لِيُثَلَّ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الآية 61] أي لنيل مثل هذا الفضل يجب أن يعمل العمل لا للحظوظ الدنيوية المنسوبة بالأعراض الردية والأعواض الدنية والجملة من كلامهم في تقرير مرامهم أو من كلام الله والملائكة لهم.

وأفاد الأستاذ: أنه إن كان العابد يقول أو يقال له إذا ظهرت الجنة وبدت النعمة وزالت المحنة ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الآية 61] الطاعة والعبادة فإذا بدأ به شظية من حقائق المعرفة وتباشير الوصلة أو ذرة من نسيم القربة، فبالحري أن يقول القائلون: لمثل هذه الحالة تبدل الأرواح وتغنى الأشباح. على مثل سلمى يقتل المرء نفسه وإن بات من سلمى على الباب طاوياً⁽¹⁾ وها هنا تضيق العبارات وتقصّر الإشارات.

﴿أَذْلَكَ﴾ [الآية 62] أي أما ذكر من النعمة في الجنة ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ [الآية 62] للأبرار ﴿أَمْ سَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ [الآية 62] التي ثمرها نزول أهل النار وفي ذكر النزول دلالة على أن ما ذكر من الثواب والعقاب جزاء بمنزلة ما يقام للنازل ابتداء ولهم ما وراء ذلك ما يغفر عنه الاتهام انتهاء والزقوم اسم شجرة منتنة مرة تكون بتهامة سميت بها الشجرة الموصوفة.

﴿إِنَّا جَعَلْنَهَا فَتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ [الآية 63] محنة وعقوبة للكافرين في العقبي أو ابتلاء في الدنيا فإنهم لما سمعوا بها أنكروها وقالوا: لا يمكن وجودها ولم يعلموا إن من قدر على خلق ما يعيش فيها ويتلذذ بها فهو قدير على خلق الشجر في وسطها وحفظها من إحراقها.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الآية 64] منبتها في قعرها وأغصانها ترتفع إلى دركاتها نظيرة ما لأهل الجنة من شجرة طوبى أصلها في أسفلها وأغصانها في أعلاها واصله إلى درجاتها.

﴿طَعْنُهَا﴾ [الآية 65] حملها ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الآية 65] في تناهي قبورها وهولها.

﴿فَأَنَّهُمْ لَا كُؤُونَ مِنْهَا فَمَالُؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ [الآية 66] لغلبة الجوع على أهلها أو للجبر على أكلها.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (6/ 424).

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ [الآية 67] بعدما شبعوا منها وعليهم العطش بها وطال استسقاؤهم فيها ﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الآية 67] لشراباً من غساق أو صديد مشوباً بماء حميم يقطع أمعاءهم ويمزق أجزاءهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ [الآية 68] مصيرهم بعد أكلهم وشربهم ﴿لِلْآلِ الْجَحِيمِ﴾ [الآية 68] إلى دركاتهما أو إلى سائر عقوباتها.

/ ﴿إِنَّهُمْ أَلَفُواْ ءَابَاءَهُمْ﴾ [الآية 69] وجدوا أسلافهم ﴿ضَالِّينَ﴾ [الآية 69] عن 80/ ب طريق اليقين.

﴿فَهُمْ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الآية 70] يسرعون متقلدين من غير استعمال أفكارهم في تحقيق الدين.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ [الآية 71] قبل هؤلاء الموجودين ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 71].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾ [الآية 72] بالعقاب لمن أصر ومبشرين بالثواب لمن أقر.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الآية 73] من شدة الحال وفظاعة المآل.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 74] الذين أخلصوا دينهم لله. وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام أي الذين أخلصهم الله تعالى لدينه الإسلام والخطاب مع رسوله والمقصود به من آمن من قومه فإنهم أيضاً سمعوا أخبارهم ورأوا آثارهم.

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحٌ﴾ [الآية 75] دعانا حين أيس من إيمان الكفرة فأجبناه أحسن الإجابة ﴿فَلْيَعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ [الآية 75] نحن لمن نادينا في حال محنته ودعانا لزوال بليته.

وقال الأستاذ: أي لما أصابه الأذى من قومه ولم يسمع قومه ما بلغهم من قوله فرجع إلينا وخاطبنا وخاطبناه وكلمنا وكلمناه ونادانا وناديناه وكان لنا فكنا له وأجابنا فأجبناه فلنعم المجيبون كان لنا ولنعم المجيبون كنا له.

﴿وَنَجِّنُهُ وَأَهْلَهُ﴾ [الآية 76] أي من آمن معه ﴿مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الآية 76] من الغرق أو أذى الغرق كما أفاد الأستاذ: بقوله أخبر الله سبحانه عن كونهم جميعاً في الكرب ولكن شتان بين كرب نوح وأهله وبين كرب قومه:

وما يبكون مثل أخي ولكن أعزّي النفس عنه بالتأسي
﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ﴾ [الآية 77] إذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين
إذ روي أنه مات كل من كان معه في السفينة غير نبيه وأزواجهم السكينة.

﴿وَوَرَّكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الآية 78] في الأمم المتأخرين.

﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْآلَمِينَ﴾ [الآية 79] والجملة جيء بها على الحكاية ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية في المؤمنين والملائكة.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 80] قيل: المحسن من أحسن لنفسه فلا يوقعها في ورطة الغفلة وفي وهدة الزلة ويحسن إلى الخلق ولا يؤذيهم بسوء الخلق وبحسن العبادة والطاعة فلا يشوبها بشيء من الرياء والسمعة.

81/أ وقال الكتاني: بين العبد وبين الله سبحانه ألف مقام من/ نور وظلمة وإنما كان اجتهداهم في قطع الظلمة حتى وصلوا إلى نور القربة فلم يكن لهم رجوع إلى ما ورائهم فهؤلاء من المحسنين.

﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 81] تعليل للإحسان وإظهار لفضل الإيمان وإشعار لجلالة قدرة وأصالة أمره.

﴿ثُمَّ أَعْرِفْنَا الْآخِرِينَ﴾ [الآية 82] أي الكافرين.

﴿وَإِنِّ مِنْ شَيْعَتِهِ﴾ [الآية 83] ممن شايعه في الإيمان وأصول الشريعة من أركان الإحسان ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية 83] وكان بينهما ألفان وستماية وأربعون سنة وبينهما نبيان هود وصالح عليهم السلام والتحية.

﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الآية 84] من الخلائق والعلائق أو سليم من محبة الأغيار ومحنة الأكدار أو سليم من حظوظ نفسه وهواه مسلماً لله فيما اختاره وقضاه أو سالم من آفات القلوب وخالص لعلام الغيوب. ومعنى المجيء

يدربه إخلاصه له كأنه جاء به متحفاً لربه.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 85] على جهة الإنكار عليهم والتنبيه لهم على موضع غلطهم لديهم.

﴿أَيْفَاكَ إِلهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الآية 86] أي أتريدون آلهة دون الله إفكاً وقربة فقدم المفعول به للعناية ثم المفعول له لأن الأهم أن يقرر لهم أنه على الباطل مبني أمرهم.

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 87] بمن هو حقيق للعبودية لكونه موصوفاً بالربوبية حتى تركتم عبادته أو أشركتم به غيره في طاعته أو أمنتهم من عذابه وعقوبته.

وقال الأستاذ: أي إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره فما الذي تقولون له وكيف بكم من مقام الحجة بين يديه وإن كنتم اليوم غافلين عنه غير ملتفتين إليه.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ [الآية 88] إليها فرأى مواقعها.

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الآية 89] أي سقيم القلب لكفركم بالرب أو بصدد الموتى ومعرض الفوت ومنه المثل: كفى بالسلامة داء، رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعاً⁽¹⁾.

وقول لبید:

فدعوت ربي بالسلامة جاهداً ليصحنني فإذا السلامة داء⁽²⁾

وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس جملة فقيل: ما هذا؟ قالوا: مات وهو صحيح في نفسه فقال أعرابي: أصحيح من الموت في عنقه وما أحسن قول من قال من أرباب الحال/:

81/ب

(1) انظر جامع الأثير (306 / 15) رقم (1555)، وكنز العمال (308 / 3) رقم (6692) ص (166).

(2) انظر تفسير القرطبي (93 / 15) والكشاف (472 / 5).

كل أمرئ مٌصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله⁽¹⁾
وحاصله إني سأسقم على الموهوم إن كان تأتية الحمى للوقت المعلوم
وقد تعلل به ليتأخر عنهم عند ذهابهم إلى عيدهم ليمشى له ما كان في نفسه
من كسر أصنامهم وكيدهم.

وقال ابن عطاء: إني سقيم القلب لفوت مرادي من الرب فإن الحبيب
أبداً يكون سقيم القلب في البعد والقرب.

﴿فَنُؤَلِّهُ عَنْهُ﴾ [الآية 90] فأعرضوا عنه ﴿مُدْبِرِينَ﴾ [الآية 90] وإلى عيدهم
وزيتتهم مقبلين.

﴿فَرَأَىٰ إِلَىٰ آلِهِمُ﴾ [الآية 91] فذهب إليها بخفية ومال عليها بحيلة فرأى
عندها أنواعاً من الطعام موضوعة للتبرك بذلك المقام ﴿فَقَالَ﴾ [الآية 91] لها
استهزاء بها ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 91] كأحاد الحيوان.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ [الآية 92] كأفراد الإنسان. والمقصود إثبات
الجمادية وأنهم بمعزل عن استحقاق العبودية.

﴿فَرَأَىٰ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الآية 93] أي فحمل عليهم يضربهم ضرباً
بسبب اليمين وهو قوله تعالى: لأکیدن أصنامکم بعد أن تولوا مدبرین.

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُُونَ﴾ [الآية 94] أي بعد ما رجعوا عن عيدهم ورأوا
أصنامهم مكسرة في مكيدهم وبحثوا عن كاسر الأصنام وظنوا أنه إبراهيم عليه السلام
كما بينه قوله تعالى: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾ [الأنبياء: 59] الآية يزفون يسرعون وقرأ
حمزة بضم الياء أي يحملون أنفسهم أو بعضهم بعضاً على ما يبادرون.

﴿قَالَ اتَّبِعُونِ مَا نُنْخِثُ﴾ [الآية 95] أي ما ننحتونه من الأصنام.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 96] أي وما تعملونه من الأعمال فإن
جوهرها بخلقه سبحانه وشكلها وإن كان بفعلهم وكذا جعل من عملهم فيإقداره

(1) نسب إلى أبي بكر رضي الله عنه، انظر نهاية الأرب (4/ 339).

إياهم عليه وخلقهم تعالى ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي إليه وحصول عددهم لديه.

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا﴾ [الآية 97] مرتفعاً أو احفروا له مكاناً منخفضاً ﴿فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الآية 97] في النار الشديدة الموقدة في البقعة البعيدة.

﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ [الآية 98] فإنه لما قهرهم بالحجة التامة قصدوا هلاكه لئلا يظهر عجزهم للعامة ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الآية 98] الأذلين بإبطال كيدهم وإظهار برهانه وإعلاء شأنه كملاً وتاماً حيث جعل النار عليه برداً وسلاماً روي أنه لما رمي من المنجنيق وقد حصل له ما حصل من الضيق فنزل جبريل من السماء وتعرض له في الهواء/ وقال: هل لك من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا 82/أ فقال: فاسأل ربك؟ فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي وفي رواية قال الخليل: حسبي الله ونعم الوكيل.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 99] حيث أمرني ربي بإقامته أو حيث أتجرد فيه لعبادته ﴿سَيِّدِينَ﴾ [الآية 99] سيدلني إلى ما فيه صلاح ديني وإنما بت القول لسبق وعده أو لتحقيق توكله أو للبناء على عادته تعالى معه من فضله ولم يكن موسى عليه السلام في مقام الخليل حين قال: ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: الآية 22] حيث أتى بصيغة التوقع في المقام الجليل.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن قول إبراهيم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 99] وأخبر عن صفة موسى بقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا﴾ [الأعراف: الآية 143] وقال في نعت نبينا: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: الآية 1] فإبراهيم كان بعين الفرق وموسى بعين الجمع ونبينا بعين جمع الجمع انتهى.

واعلم أن المراد بالفرق هنا مقام البقاء وبالجمع حالة الفناء ولجمع الجمع أن لا يمنع الكثرة عن الوحدة ولا تحجبه الوحدة عن الكثرة فهو الجامع بين المحو والصحو كما يقتضيه صفة الجلال ونعت الجمال ولعل فرقه عليم من قوله: ﴿ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ [الآية 99] فإنه يشير إلى سيره إلى الله وهو مقام تفرقه بالنسبة إلى صاحب [الجمعية] ومؤمن من يكون سيره في الله

وهو حال ناقص أيضاً بالإضافة إلى مقام صاحب جمع الجمع وهو من يكون سيره بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وبهذا التحقيق ظهر كساد ما أفاد الأستاذ بقوله: كان ذاهباً في الله، فلذلك قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 99] فذهابه فيه أوجب ذهابه إليه ويقال: إنما طلب هداية مخصوصة لأنه كان صاحب هداية منصوصة ولو لم يكن له هداية في نفسه لما ذهب إلى ربه ويحتمل أنه كان صاحب هداية في الحال فطلب الهداية في الاستقبال أو الزيادة في الهداية من البداية إلى النهاية ويقال: طلب الهداية إلى كيفية [آداب] الرعاية في الحضرة ويقال: طلب الهداية إلى نفسه لأنه فقد فيه قلبه ونفسه فقال: ﴿سَيِّدِينَ﴾ [الآية 99] إلى الأقوم بحق عبوديته علي فإن المستهلك في / حقائق الجمع لا يصح منه أداء العبادة إلا بأن يرد إلى حالة التفرقة والتميز في الإرادة بين العبادة والعادة. وقالوا: معنى ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الآية 99] إلى المكان الذي يعبد فيه ربي سيهدين إلى مقصدي.

ب/82

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية 100] يعني ذرية صالحة تعينني على الدعوة والطاعة وتؤنسني في الغربة والكربة.

﴿فَبَشِّرْهُ بِأَنَّكَ لَهُ الْوَلِيُّ﴾ [الآية 101] بشره بذكر يبلغ أوان الحلم وزمان العلم وقد قيل: ما نعت الله نبياً بالحلم في كتابه لعزة وجوده في بابه غير إبراهيم وابنه وأي حلم مثل حلمها كما يشهد عليه فيما سيأتي حالهما.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ [الآية 102] أي وجد وبلغ أن يسعى معه في أعماله الدينية أو أحواله الدنيوية وكان له يومئذ ثلاث عشر سنة ﴿فَكَالَ يَبْنَىٰ﴾ [الآية 102] من الرأي في المرام يحتمل أنه رأى حقيقة ذلك أو رأى ما هو تعبيره هنالك وروي أنه رأى ليلة التروية أن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك أن تذبح ابنك فلما أصبح روي أنه من الرحمٰن أو من الشيطان فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره هنالك وقال له ذلك ولذا سميت الأيام الثلاثة بالتروية وعرفة والتحر، ثم الأظهر أن المخاطب إسماعيل لأنه الذي ذهب له أثر الهجرة ولأن البشارة

بإسحاق بعدما معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلام: أنا ابن الذبيحين فأحدهما جده إسماعيل والآخر أبوه عبدالله فإن عبدالمطلب نظر أن يذبح ولداً إن سهل الله له حفر زمزم أو بلغ بنوه عشرة فلما سهل اقترح فخرج السهم على عبدالله فمنعه أخواله ففداه بمائة من الإبل ولذا سنت الدية مائة ولأن ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها أيام ابن الزبير ولم يكن إسحاق ثم ولأن البشارة بإسحاق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فيبعد الأمر بذبحه قبل وقوعه وإنما شاوره فيه وهو حتم عليه ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء ربه فيثبت قدمه إن جزع ويأمن عليه/ إن سلم وليوطن نفسه عليه فيهبون الأمر 83/أ لديه ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله إليه وقرأ حمزة والكسائي ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء والمعنى أي شيء تراه ويحملني عليه من اعتقاده ﴿قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الآية 102] أي تؤمر به ولعله فهم من كلامه أنه رأى أن يذبحه مأموراً به أو علم أن رؤيا الأنبياء حق وأن مثل ذلك لا يقدمون عليه إلا بأمر منه ولعل الأمر به في المنام دون اليقظة لتكون مبادرتهما إلى الامتثال أدل على كمال الانقياد والإخلاص في الأعمال وإنما قال: أرى لتكرير الرؤيا ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الآية 102] على حكم الله وبلائه وقضائه في ابتلائه.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ [الآية 103] استسلما لأمر الله وحكمه أو سلمه الذبيح نفسه وإبراهيم ابنه وقد قرىء بهما ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الآية 103] صرعه على شقه فوق جبينه على جنبه وقيل: كبه على وجهه بأمره كيلا يرى فيه تغييراً يرق له فيمنعه عن ذبحه قيل: لما وصل إلى الأرض موضع السجود جاء الفرج وأثر الجود من الودود.

﴿وَتَدْنِيَهُ أَنْ يَأْتِيَبِهِمْ﴾ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ [الآيتان 104، 105] بالعزم والحزم من النيات والإتيان بالمقدمات روي أنه أمر السكين بقوته على حلقه مراراً فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما له تعالى على ما أنعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله.

﴿إِنَّ هَذَا هُوَ أَلْتَوَا أَلْمِينُ﴾ [الآية 106] الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره رد المحنة البينة فإنه لا أصعب من هذه البلية.

قال الحريري: البلاء على ثلاثة أوجه على المخلصين نقم وعقوبات وعلى السابقين تمحيص وكفارات وعلى الأنبياء والصديقين نوع من اختيارات.

وقال سهل: البلاء على صنفين بلاء رحمة وبلاء عقوبة، فبلاء الرحمة يبعث صاحبه على إظهار فقره إلى الله، وبلاء العقوبة يترك صاحبه على تدييره واختياره.

وقال جنيد: البلاء هو الغفلة عن المبلي.

ب/83 ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ﴾ [الآية 107] بما يذبح به بدله فيتم/ به فعله ﴿عَظِيمٌ﴾ [الآية 107] الجثة وقد ورد استشفوا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم أو عظم الرتبة لأنه يفدي الله سبحانه نبياً ابن نبي من نسله سيد الأنبياء فعن ابن عباس هو الكبش الذي قرّبه هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة⁽¹⁾.

وعن الحسن: فدي بوعلي هبط عليه من ثبير⁽²⁾. وعن ابن عباس: لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم، أي في كل حجة أو سنة⁽³⁾.

قال ابن عطاء: استسلما انقياداً به ورضياً.

قال جعفر: أخرج إبراهيم من قلبه محبة ابنه وأخرج إسماعيل من قلبه محبة روحه وقيل: الحكمة في أمر الله إبراهيم بذبح ابنه لما أراد الله أن يزيل

(1) أورد الطبري في تفسيره (87/21)، والقرطبي في تفسيره (107/15)، والزمخشري في كشافه (479/5).

(2) أورد ابن كثير في تفسيره (31/7)، والقرطبي في تفسيره (107/15)، وابن أبي حاتم في تفسيره (104/12)، والأزرقي في أخبار مكة (120/3).

(3) أورد الكشاف في كشافه (479/5)، والنسفي في تفسيره (25/4).

عن سره محبة ولده لكيلا بزاحم محبته محبة غيره ويثبت محبته في قلبه لأن وجود محبة الله في قلب إبراهيم مع محبة الولد محال فنظر إلى أقرب الأشياء إلى قلبه فوجد ابنه فأمره بذبحه، والمبتغى مما أمره الله به إبراهيم من ذبح الابن إخلاء السر وترك عادة الطبيعة لا حصول الذبح في الشريعة ألا ترى لما أمر السكين انقلب فلم يقطع فنودي بقوله: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبِيحٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 107] أي وقد خلصت مما طالبناك به من طريق الإشارة فيما تقدمت إليك العبارة.

قال ابن عطاء: لما سعى إسماعيل في الطاعة سعيه وأقام بحقوق الله حسب ما رضي به الخليل وارتضاه وقرت عينه لقيامه بحقوق مولاه وأنس الخليل بمكانه وفرح من شأنه قيل له: اذبحه فإنه لا يصلح لل خليل أن يفرح بشيء سوى خليله فابتلي بذبحه ثم لما أسلم وقام مقام الاستقامة واتبع الأمر في الطاعة فداه بذبح عظيم فصار ذبح الضحايا من سنة الأنبياء وروي أنه لما ذبحه قال جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال الخليل: الله أكبر والله الحمد فبقي سنة.

﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٠٨) سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿[الآيتان 108، 109] قال الواسطي: ثناء جزيلاً عليه وقبولاً جميلاً إليه عند جميع الأمم المتأخرين.

﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٠) إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿[الآيتان 110، 111].

وأفاد الأستاذ: إنه يقال: أيهما كان أشد بلاء؟ قيل إسماعيل لأنه وجد الذبح من يد أبيه الخليل/ ولم يتعود من يده إلا التربية بالجميل فكان البلاء 84/أ عليه أشد لأنه لم يتوقع منه ويقال: بل إبراهيم أشد بلاء لأنه كان يحتاج أن يذبح ابنه بيده ويعيش بعده قلت: الأظهر هو الأول فتأمل ويقال: لم يأت في ذلك إسماعيل بالدعوى فقال: ﴿سَمِعْتُكَ إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الآية 102] فتأدب بلفظ الاستثناء لصعوبة الصبر على مثل هذا البلاء ويقال: لو قال إسماعيل إما أن لا تقل يا بني بهذه اللطافة وإما لا تقل إني أذبحك فإن الجمع بينهما عجب في العبارة. قيل في التفاسير: كان إبراهيم يمر السكين على حلقه وكان السكين لا يقطع شيئاً من جلده فتعجب إبراهيم فنودي يا إبراهيم إنما المقصود

من هذا استسلامكما ويقال: إن الله ستر عليهما علم ما أريد منهما في حال البلاء وإنما كشف عليهما بعد مضي وقت المحنة لئلا يبطل معنى الابتلاء وكذلك لما ألقى إبراهيم في النار فأخفي عنه المراد منه ليحصل معنى الابتلاء وهكذا يكون الحال في حال البلاء تنشر وجود التهدي إلى الحال وكذلك كان حال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الإفك وهكذا حال أيوب وسائر الأنبياء في حال الابتلاء وإنما يتبين الأمر بعد ظهور آخر المحنة ولكن مع استعجام الحال واستبهامه في أول القصة إذ لو كشف الأمر على صاحبه ابتداء لم يكن حينئذ ابتلاء ثم الناس في البلاء على أقسام: فبلاء مستصعب وذلك صفة العوام وبلاء مستعذب وهو نعت الأولياء الكرام، يستعذبون بلاياهم كأنهم لا يأسون من الدنيا إذا قتلوا قلت: الأظهر أنهم يقولون ما قيل، اقتلونني يا ثقاتي، إن في قتلي حياتي وفي الحديث: «سترون ربكم ولن تروه قبل موتكم».

﴿وَبَشِّرْنَهُ بِنِحْلٍ يُبَيِّتُ﴾ [الآية 112] مقضياً نبوته مقدراً ثبوته نبياً ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية 112].

﴿وَبَشِّرْنَا عَلَيْهِ﴾ [الآية 113] على إبراهيم في أولاده وأحفاده ﴿وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ [الآية 113] بأن أخرجنا من صلبه أنبياء بني إسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب أو أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا.

وأفاد الأستاذ: إن كل هذا بعد البلاء قال تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: الآية 6]، ﴿وَمِن دُرَيْتِهِمَا خُسْرٌ﴾ [الآية 113] على نفسه بالإيمان والطاعة 84/ ب ﴿وَقَالُوا لَنُفْسِيهِ﴾ [الآية 113] بالكفر والمعصية ﴿مُيْتٌ﴾ [الآية 113] / ظاهر أثر كل ما واحد منهما وفيه تنبيه على أن النسب لا أثر له في الهدى والضلال أن الظلم في عقابهما لا يعود عليهما بالنقص والوبال.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ ﴿١١٤﴾ [الآية 114] أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والمصالح الدنيوية.

﴿وَجَبَّيْنَتُهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الآية 115] من الغرق أو من تغلب فرعون وأتباعه.

﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ [الآية 116] الضمير لهما مع قومهما ﴿فَكَانُوا هُمُ الْفَائِزِينَ﴾ [الآية 116] على فرعون وقومه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ يُكَلِّبُ الْمُسَيِّئِينَ﴾ [الآية 117] التبليغ بيانه العظيم برهانه وهو التوراة.

﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الآية 118] الدين القويم.

وأفاد الأستاذ: إنه هو شهود الوحدة والتبري عن الحول والقوة.

﴿وَوَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ [119] سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [120] إِيَّاهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَلِإِسَّا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآيات 119، 123] هو إلياس بن ياسين سبط هارون أخي موسى عليهم السلام بعث بعده وقرأ ابن ذكوان في وجهه عنه يوصل هذه همزة إلياس وقيل هو إدريس لأنه قرىء مكانه إدريس وإدريس.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 124] عذاب ربي أو مخالفة أمري.

﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا﴾ [الآية 125] أتعبدونه وهو اسم صنم كان لأهل الشام وهو البلد الذي يقال له الآن بعلبك ﴿وَنَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ﴾ [الآية 125] وتتركون عبادته وتخالفون طاعته.

﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولَى﴾ [الآية 126] جملة من مبتدأ وخبر أو خبر مبتدأ مقدر هو هو وقرأ حمزة والكسائي وحفص بنصب الثلاثة على البدلية.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [الآية 127] ووعظهم فما صدقوه ﴿فَأَنَّهُمْ لَمُحَضَّرُونَ﴾ [الآية 127] في العذاب يوم الحساب.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 128] استثناء من الواو لصحة المبنى لا من المحضرين لفساد المعنى.

﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٢٩) سَلَّمَ عَلَىٰ إِيَّاسِينَ ﴿[الآيتان 129، 130] لغة في إلياس كسيناً أو سينين وقيل جمع له مراد به وهو وأتباعه من المؤمنين أو للمنسوب إليه بحذف ياء النسب كالأعجميين وقرأ نافع وابن عامر على إضافة آل إلى ياسين فتكون ياسين أي إلياس ويؤيده أنهما في المصحف مفصولان وقيل: المراد آل محمد ولا يناسبه نظم سائر القصص ولا قوله وتركنا عليه في الآخرين ولا قوله: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣١) إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿[١٣٢] وَإِنْ لُوطًا لِّمَنِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿[١٣٤] إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ﴾ [الآيات 131، 135] أي الباقيين.

85/أ / ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ﴾ (١٣٦) [الآية 136] أي الكافرين. ﴿وَلِنَكْرَهُ﴾ [الآية 137] يا أهل مكة ﴿لَنُشْرُونَ عَنْهُمْ﴾ [الآية 137] على منازلهم في متاجرهم إلى الشام فإن سدوم في طريقه ﴿مُصْبِحِينَ﴾ (١٣٧) [الآية 137] حال كونكم داخلين في الصباح تارة.

﴿وَبِالْأَيْلِ﴾ [الآية 138] أي وفي المسامرة أو نهاراً أو ليلاً ولعل قريتهم وقعت قريب منزل يمرّ بها المرتحل عنه صباحاً والقاصد له مساء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 138] فتفكرون فتعتبرون.

﴿وَلِإِنْ يُؤْمَرْ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ ﴿[الآيتان 139، 140] أي هرب وأصل الإباق هرب العبد من سيده لكن لما كان هربه من قومه بإذن ربه حسن إطلاقه بلفظ ﴿إِلَى الْفَلَاحِ الْمَشْحُونِ﴾ [الآية 140] المملؤ بأهله.

﴿فَسَاهَمَ﴾ [الآية 141] فقارع أهله ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُلْحَضِينَ﴾ [الآية 141] فصار بالقرعة من المغلوبين روي أنه لما وعد قومه بنزول العذاب وحلوله خرج من بينهم قبل أن يأمره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا: ها هنا عبد أبق فافترعوا فخرجت القرعة عليه فقال: أنا الأبوق ورمى بنفسه في الماء.

﴿فَالْقَمَّةُ الْخَوْتُ﴾ [الآية 142] فابتلعه مأخوذاً من اللقمة ﴿وَهُوَ مُلِمٌ﴾

[الآية 142] آتٍ ما يلام عليه أو داخل في الملامة أو ملئم نفسه الندامة.

وأفاد الأستاذ: إنه كان في أول الأمر يطلب التفصي من النبوة فلم يعاف ثم استقبله ما استقبله فلم يلبث حتى رأى نفسه في بطن الحوت في الظلمة.

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الآية 143] الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح مدة عمره أو في بطن الحوت وقت حصره بقوله: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ونحوه أو من المصلين في جميع دهره.

﴿لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الآية 144] حياً وقيل: ميتاً وفيه حث على إكثار الذكر والدعاء وإظهار الشناء وإن من أقبل على الله في السراء أخذ بيده عند الضراء، وفي الحديث: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»⁽¹⁾.

قال الواسطي: كان من العارفين بأن تسبيحه لا ينجيه مما هو فيه من العناء وإنما ينجيه منه الفضل وسابق القضاء ويحتمل أن تكون معناه من المنزهين الله عن ظلمه والمعترفين بظلم نفسه كما يشير إليه قوله: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

﴿فَبَدَّنَهُ﴾ [الآية 145] بأن حملنا الحوت على لفظه وطرحه ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ [الآية 145] بالفضاء من الصحراء⁽²⁾.

روي أنه سبحانه أوحى إلى الحوت أنا جعلنا بطنك له سجناً وله فيه مقاماً ولم نجعله لك طعاماً واختلف في مدة لبثه ف قيل بعض يوم وقيل: ثلاثة أيام وقيل: سبعة وقيل: عشرون وقيل: أربعون ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الآية 145] مما ناله وأصاب/ حاله قيل: صار بدنه كبذن الطفل حين نزل من بطن أمه.

85/ ب

﴿وَأَلْبَسْنَا عَلَيْهِ﴾ [الآية 146] أي فوقه مظلة لديه ﴿شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ [الآية 146]

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (3/ 623) رقم (6303)، والطبراني في المعجم الكبير (11/ 223) رقم (11560).

(2) في المخطوطة: السحراء، والمثبت من تفسير القرطبي وبحر العلوم للسمرقندي.

من شجر ينسبط على وجه الأرض ولا يقوم على ساقه في العادة والأكثر على أنها الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع على الدباء، ويدل عليه أنه قيل له صلى الله عليه وسلم: إنك لتحب القرع قال: «أجل هي شجرة أخي يونس عليه السلام»⁽¹⁾. وفي تفسير ابن أبي حاتم عن أبي هريرة أنه قال: طرح يونس ابن متى عليه السلام بالعراء وأنبت الله عليه اليقطينة وهياً له أروية وحشية ترعى في برية وتأتيه فتفتتح عليه فترويه⁽²⁾ من لبنها كل بكرة وعشية حتى نبت لحمه وقيل هي التين وقيل الموز يتغذى يونس بورقه ويستظل بأغصانه ويفطر على ثماره.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الآية 147] في مرأى الناظر أي إذا نظر إليهم وتأمل في عددهم قال: هم مائة ألف أو أكثر وقرئ بالواو وييل هم قومه الذين هرب عنهم وهم أهل نينوى والمراد به ما سبق من إرساله إليهم أو إرسال ثان لديهم قيل: نام نومة فاستيقظ وقد يبست الشجرة فأصابته الشمس فبكى فأوحى الله إليه لا تحزن على شجرة يبست ولا تحزن على مائة ألف أو يزيدون أرسلناك إليهم فلم يتبعوك فأردت هلاكهم.

﴿فَأَمَّا نُونُ﴾ [الآية 148] فصدقوا به أو جددوا الإيمان بمحضره ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ [الآية 148] إلى أجل مبين في لوح مبين.

وأفاد الأستاذ: أنه لما خرج يونس من بينهم ورأوا أثر العذاب قد أظلمهم ندموا وتضرعوا إلى الله سبحانه وآمنوا به فكشف الله العذاب عنهم فكانوا يقولون لو رأينا يونس لوفرناه وعظمناه فرجع إليهم بعد نجاته من بطن الحوت وعود قوته إليه فاستقبلوه معظماً وأدخلوه بلدهم مكرماً ويقال: الذنب كان من قومه وهم قد توعدوا بالعذاب ويونس لم يذنب فخرج من بينهم فكشف الله العذاب عنهم واستقبل يونس ما استقبله حتى بعد المقاساة التي نجافئها عجباً من سر تقدير القضاء وفي القصة إن الله سبحانه أوحى إلى

(1) أورده الزمخشري في كشافه (5/ 486)، والنيسابوري في تفسيره (6/ 360)، والبيضاوي في تفسيره (1/ 27).

(2) انظر تفسير ابن كثير (7/ 39) وتفسير الطبري (21/ 113).

يونس بعد نجاته أن قل لفلان الفخار حتى يكسر ما عمله هذه السنة كلها فقال: يا رب إنه تعنى مدة في اتخاذ ذلك فأمره أن يكسرها كلها هنالك فقال له: يا يونس يرق قلبك بخزاف يتلف عمل سنة وأردت أن أهلك مائة ألف/ 86/أ من عبادي يا يونس لم تخلقهم ولو خلقتهم لرحمتهم.

﴿فَأَسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ﴾ [الآية 149] في قولهم الملائكة بنات الله وهم لها كارهون ﴿وَالَهُمُ الْبَنُونَ﴾ [الآية 149] على ما يشتهون فكيف يصفون القديم بما عنه يستنكفون.

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ [الآية 150] خلقتهم أو خلقنا إياهم والمعنى سلمهم من أين زعموا أو بأي حجة حكموا وفي أي أودية شبهة وقعوا وعن أي قضية عموا.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾ [الآية 151] ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ [الآيات 151، 152] لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ [الآية 152] فيما يتدين كل منهم ويدعيه.

﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ [الآية 153] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الآيات 153، 154] له بوصف العاجزين.

﴿أَفَلَا نَذْكُرُونَ﴾ [الآية 155] أنه تعالى منزله عن ذلك.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 156] برهان عقلي واضح لما هنالك.

﴿فَأَنذَرْنَا بِكَيْدِكُمْ﴾ [الآية 157] بدليل نقلي في بابكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 157] في دعواكم.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَابًا﴾ [الآية 158] يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم أن يبلغوا هذه المرتبة في وصفهم ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ [الآية 158] أي الكفرة ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ [الآية 158] في العقوبة.

﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الآية 159] من الولد والنسب والشركة.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 160] فإن وصفهم جميل وأجرهم جزيل.

﴿فَإِنَّكُمْ﴾ [الآية 161] أيها المشركون ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 161] من دونه.

﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 162] أي على دينه ﴿بِفَتْنَيْنِ﴾ [الآية 162] مفسدين الناس بالإغواء.

﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ [الآية 163] إلا من سبق عليه القضاء بأنه داخل العذاب المقيم.

قال أبو عثمان: من مال إلى شيء سوى الله وعظم شيئاً مما عداه فذلك لترادف الفتنة عليه وبعد التوفيق والمنة إليه.

وقال القاسم: ما أنتم بمضلين إلا من أوجبت له الضلالة في السابقة.

وقال الأستاذ: أي إلا من أغويته فبحكمي ما ضلوا إلا بإضلالكم.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الآية 164] حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية الرد على العبدية والمعنى وما أحد منا إلا له منزل معلوم في المعرفة والعبادة.

﴿وإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ [الآية 165] في مسالك الطاعة ومنازل الخدمة.

﴿وإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الآية 166] المنزهون الله عما لا يليق به من الصفة.

قال جعفر: الخلق مع الله على مقامات متفرقة وحالات مختلفة فللأنبياء مقام المشاهدة وللرسل مقام المعاينة وللملائكة مقام الهيبة وللمؤمنين مقام الخدمة والقربة وللعصاة مقام التوبة وللكفار مقام الطرد والغفلة.

86/ب وقال أبو عثمان: /معلوم في علم الله إلى ماذا يصير أهل كل مقام في منتهاه.

وأفاد الأستاذ: أن الملائكة لهم مقام معلوم لا يتخطون مقامهم ولا يتعدون حدهم ومرامهم والأولياء لهم مقام مستور بينهم وبين الله لا يطلع عليه أحد من غيرهم والأنبياء لهم مقام مشهور مؤيد بالمعجزات الظاهرة

والكرامات المتظاهرة لأنهم للخلق قدوة فأمرهم على الشهرة وأمر الأولياء على السيرة.

﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ [الآية 167] أي مشركو مكة ﴿يَقُولُونَ﴾ [الآية 167] متمنين ومدعين.

﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 168] كتاباً من كتب المرسلين المتقدمين.

﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 169] ولم نكن من المشركين.

﴿فَكْفُرُوا بِهِ﴾ [الآية 170] بذكرهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 70] عاقبة كفرهم.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ [الآية 171] أي عدتنا ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 171] بالنصرة والغلبة كما بينه بقوله.

﴿إِنَّهُمْ لَمُِّمٌ الْمُنْصُورُونَ﴾ [الآية 172] وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿﴾ [الآيتان 172، 173] أي في غالب الأوقات ولأنه المقضي بالذات.

﴿فَقُلْ عَنْهُمْ﴾ [الآية 174] فأعرض عنهم ولا تبال بهم ﴿حَتَّىٰ يَصِغَّ﴾ [الآية 174] هو موعد نصرك عليهم وظهور دينك لديهم.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ [الآية 175] على ما ينالهم من العقوبة ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 175] ما قضينا لك من الظهور والنصرة في الآخرة.

وقال الأستاذ: أي سبقت كلمتنا لهم بالسعادة وتقدم حكمنا لهم بالولاية والرعاية فهم من قبلنا منصورون وإن جندنا لهم الغالبون من نصره لا يغلب ومن قهره لا يغلب وجنده الذين نصبهم لنشر دينه وأقامهم لنصر الحق وتبيينه فمن أراد إذلالهم فعلى أذقانه يخر وفي حبل هلاكه ينجر فتول عنهم إلى أن تنقضي آجالهم وتنتهي أحوالهم وانظر انقضاء أيامهم فإنه سينصرم حديث أحكامهم.

﴿أَفِعْذَابَنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الآية 176] لقلة علمهم وفرط جهلهم.

﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ [الآية 177] العذاب ﴿إِسْحَابِهِمْ﴾ [الآية 177] وأناخ البلاء بعقوبتهم وحصل الفناء بفنائهم ووصل العناء بعنائهم ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الآية 177] فبئس صباحهم قبل مسائهم.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الآية 178] فعن قريب يحصل ما منه يحذرون. ﴿وَبَاصِرٌ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 179] تأكيد إلى تأكيد وتهديد بعد تهديد أو الأول لعذاب الدنيا والثاني لعقاب العقبي.

﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الآية 180] تقريباً له وتنزيهاً عما قاله المشركون وإضافة الرب إلى العزة لاختصاصها به إذ لا عزة إلا له أو لمن عزّه.

﴿وَسَلِّمْ/ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية 181] تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم بالتكريم. 87/أ

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 182] على ما أفاض عليهم وعلى من اقتدى بهم فيما أنزل إليهم من جميل النعمة وحسن العاقبة. والآية محتوية على صفاته السلبية ونعوته الثبوتية والمراد تعليم المؤمنين كيف يسبحونه ويحمدونه ويسلمون على رسله في مقام كلام يختمون به.

وعن علي ما رواه البغوي: «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ﴾ [الآية 180]»⁽¹⁾ إلى آخر السورة.

(1) أوردته ابن كثير في تفسيره (7/ 47)، والزمخشري في كشافه (5/ 497).



[مكية]

وهي ثمان وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز اعترفت المعارف بالمقصود عن إدراكه، اسم جليل تقنعت العلوم خجلاً من الطمع في إحاطته، اسم كريم صغرت الحوائج على ساحة جوده، اسم رحيم تلاشت قطرات زلات عبادته في تلاطم أمواج رحمته .

﴿ص﴾ [الآية 1] لسكون الدال وقرىء بكسرها على أنه أمر من المصادرة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فإنه يعارض النداء والمعنى عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وAntه عن زواجه وقيل: معناه صدق وعده أو هو الصادق فيما حكمه أو صدق محمد فيما أخبره ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ [الآية 1] أي ذي البيان الشافي والبرهان الوافي والموعظة البليغة والحجة البالغة والشرف والشهرة والجواب محذوف أي أنه لمعجزة أي معجزة أو أن محمد لصادق الكلمة .

وقال الأستاذ: إنَّ صاد مفتاح اسمه الصادق والصمد والصبور والصانع أقسم بهذه الأسماء وبالقرآن وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص: الآية 64]، ويقال: أقسم بصفاء مودة أحبابه وبالقرآن الذي هو أشرف كتاب .

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِ﴾ [الآية 2] للنفس وعزة وغفلة وتكبر عن قبول الحق ﴿وَشِقَاقِي﴾ [الآية 2] خلاف الله ولرسوله فيما بين الخلق .

وقال الأستاذ: في ضلالة ظاهرة وعداوة بينة وإعراض عن بحث أدلة وتحقيق حجة.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ [الآية 3] وعيد لهم على كفرهم استكباراً وشقاقاً في أمرهم استدباراً ﴿فَنَادَوْا﴾ [الآية 3] استغاثة واستعانة واعتذاراً واستنفاراً ﴿وَلَا تَجِئْ مِنْ مَنَاصِرٍ﴾ [الآية 3] أي ليس حين ملجأ لخلاص.

87/ب وقال الأستاذ: / فنادوا حين هجم البلاء بالاستغاثة وقد فات وقت الإجابة.

﴿وَجِئُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ [الآية 4] بشر من جنسهم أو أي من نوعهم ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ [الآية 4] المبالغون في كفرهم ﴿هَذَا سَجَرٌ﴾ [الآية 4] فيما يظهره من المعجزة ﴿كَذَّابٌ﴾ [الآية 4] فيما يدعيه من النبوة ومن الغريب العجيب أن لم يعجبوا من أن يكون المنحوتات آلهة.

﴿أَجَلٌ أَلَّهِمَّةٌ إِلَهًا وَحِيدًا﴾ [الآية 5] بأن جعل الألوهية التي كانت لهم منحصرة لواحد مع كثرة العبادة إذ كانت العادة فيهم أن تختص كل قبيلة بصنم أو كل واحد بوثن بحسب اختلاف أهويتهم وتفاوت وهدات أوديتهم ولم يتصوروا حقيقة الألوهية التي ينافي الإثنية مع اعترافهم بأنه سبحانه هو المنفرد بوصف الخالقية ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [الآية 5] بليغ في العجب فإنه خلاف ما أطبق عليه إسلامه في الحساب والنسب.

﴿وَأَنطَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا﴾ [الآية 6] أي اذهبوا وتفرقوا قائلين بعضهم لبعض امشوا على طريقتكم ﴿وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ﴾ [الآية 6] واثبتوا على عبادتها في محبتكم ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ﴾ [الآية 6] أن هذا الأمر العجيب الشأن لشيء يراد بنا من رب الزمان فلا مرد له كسائر مصائب الدوران قال عمر والمكي لقد وبخ الله تعالى للتاركين الصبر من المؤمنين على دينهم وثبات يقينهم.

وأفاد الأستاذ: أن الكفار إذا تواصلوا فيما بينهم بالصبر على آلهتهم فالمؤمنون أولى بالصبر على عبادة معبودهم والاستقامة في وقتهم على مقصودهم.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ [الآية 7] بالذي يقوله من دعوى التوحيد وادعاء النبوة ﴿فِي أَلَمَةٍ الْآخِرَةِ﴾ [الآية 7] في الملة التي أدركنا عليها آبائنا المتقدمة ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَخْلَقُ﴾ [الآية 7] افتراء يجز إلى خلاف وشقاق.

وأفاد الأستاذ: أنهم ركنوا إلى النشأة والعادة وما وجدوا عليه أسلافهم من الضلالة ومالوا إلى تقليد أهل الجهالة وقالوا: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [الآية 8] إنكاراً لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ [الآية 8] من كتابي وما فيه من أمري ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [الآية 8] بل لم يذوقوا بعد عذابي الذي استحقوه من كفرهم بي. والمعنى أنهم لا يصدقون بتحقيقه حتى يمسمهم العذاب فيلجئهم إلى تصديقه.

وأفاد الأستاذ: أنهم لو استبصروا في أديانهم لما أقدموا على ما أسرفوا فيه من جحودهم وعصيانهم / ولو أنا أدمنا لهم العقابة في أبدانهم لما تفرغوا 88/أ إلى طغيانهم.

﴿أَمَّ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [الآية 9] حتى يصيبوا بها من شأؤوا ويصرفوها عن شأؤوا.

﴿أَمَّ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ [الآية 10] فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها إلى عالم العلويات وهو غاية آلهتهم بهم لظهور عجزهم عن الأمور الجزئية في السفليات.

﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ [الآية 11] أي هم جندنا من الكفار المتحزبين على الأنبياء الأبرار مهزوم مكسور عما قريب في هذه الدار فمن أين لهم التدابير الصمدانية والتصرف في الأمور الربانية وما مزية للتعليل وهنالك إشارة إلى حيث أنفسهم من القيام لمثل هذا المرام والمراد أنهم في مفاد الطرد والحجاب والبعد عن باب رب الأرباب.

وقال الأستاذ: أي هؤلاء الكفار الذين عارضوا ونازعوا وكذبوا واحتجوا عندهم شيء من هذه الأشياء أو هم يقدررون على شيء من هذه الأشياء فيفعلوا ما أرادوا ويعطوا من شأؤوا ويرتقوا إلى السماء فيأتوا بالوحي

على من أرادوا ويهلكوا ما أرادوا بل هم جند ما كلهم عجزة لا يقدرّون على ذلك مهزومون هنالك شبههم في بقائهم عن مرادهم بالمهزومين عن بلادهم والمعنى أن هؤلاء الكفرة ليس معهم حجة ولا لهم قوة ولأصنامهم من النفع والضرر مكنة ولا في الرد والدفع عن أنفسهم شوكة.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ [الآية 12] ذو الملك الثابت بالأوتاد ومنه قوله ولقد عتوا فيها بأنعم عيشه في ظل ملك ثابت الأوتاد مأخوذ من ثبات البيت المطنب بأوتاده وقيل نصب أربع أسطوانات وكان يمد يدي المعذب ورجليه إليها ويضرب أوتاداً عليها ويتركه حتى يموت.

﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَبُ لُتَيْكَةَ﴾ [الآية 13] أي الغيضة⁽¹⁾ وهم قوم شعيب ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ [الآية 13] يعني المتحزبين على رسلهم الذي جعل الجند المهزوم بعضهم.

﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ﴾ [الآية 14] بيان لما اسند إليهم على وجه الإيهام من تكذيبهم وهو إما مقابلة جمعهم بجمعهم أو جعل تكذيب واحد منهم تكذيب جميعهم ﴿فَحَقَّ عِقَابٌ﴾ [الآية 14] فثبت عليهم / عقابي ووقع لديهم حجابي.

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ﴾ [الآية 15] أي وما ينتظر قومك الكافرون أو الأحزاب فإنهم في علم الله الحاضرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [الآية 15] هي النفخة الأولى أو الأخرى ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [الآية 15] من توقف مقدار فواق وهو ما بين الجبلتين وقرأ حمزة والكسائي بضم الفاء.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا مَجْلٍ لَنَا قَطْنَا﴾ [الآية 16] قسطنا من العذاب ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [الآية 16] مبالغة في استبعاد نزوله وإنكار حصوله.

﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [الآية 17] فإنه لن تطول مدتهم ولا تمتد مهلتهم فعن قريب سينصر الله عبده ويصدق بالتحقيق وعده ويقوي جنده ويهزم الأحزاب

(1) وهي الشجرة المتكاثفة.

وحده ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ [الآية 17] ذا القوة في الصبر على العبادة والمحنة ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [الآية 17] رجاع إلى الله بكثرة التوبة والأوبة وكان عليه السلام يصوم يوماً ويفطر يوماً وهو أفضل الصيام ويقوم نصف الليل عن المنام وهو أكمل القيام.

﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ [الآية 18] مسبحات في أفضل حالات وأوقات ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ [الآية 18] بعد الظهر ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ [الآية 18] أي وبوقته وهو حين تشرق الشمس بضياؤها وتصفو بشعاعها وصفائها وهو وقت الضحى فعن أم هانئ أنه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الضحى وقال: «هذه صلاة الإشراف»⁽¹⁾.

وعن ابن عباس: ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية⁽²⁾. وأما شروقتها فطلوعها والتحقيق أن أول وقت صلاة الضحى حين شروقها وارتفاعها قدر رمح وآخره ما يقال له: ضحوة الكبرى.

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [الآية 19] إليه من كل جانب مجموعة محضورة ﴿كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ [الآية 19] أي كل منهما ومن داود له سبحانه رجاع بالتسبيح تعظيماً لشأنه وتكريماً لبرهانه.

وأفاد الأستاذ: أن داوود كان يسبح والجبال تسبح وكان يفهم تسبيحها على وجه تخصيصه كرامة له ومعجزة وكذلك الطير كانت تجتمع له فتسبح لله وداوود كان يعرف تسبيحهن وكل من تحقق بحاله مع ربه ساعده كل شيء كان بقربه ويصير غير جنسه بحكمه. وفي معناه أنشدوا:

ربّ ورقاء هتوف بالضحى ذات شجورٍ صرخت في فنن⁽³⁾
ذكرت إلفاءً ودهراً صالحاً وبكت شوقاً فهاجت حزني

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (406 / 24) رقم (986).

(2) أورده الطبري في تفسيره (169 / 21) وابن كثير في تفسيره (58 / 7) والزمخشري في كشافه (5 / 6).

(3) نسبت هذه الأبيات إلى التهامي. انظر الكشكول (1 / 293).

فبكائي ربما أرقها وبكاهها ربما أرقني
ولقد تشكو فما أفهمها ولقد أشكو فما تفهمني
وغير أني بالجوى أعرفها وهي أيضاً بالجوى تعرفني

الشجو: الحزن والفنن: والأفنان بمعنى الأغصان، والجوى: الحزن.

أ/ 89 / ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ﴾ [الآية 20] فقويناه بالهيبة وكثرة الجنود والغلبة والنصرة وقيل:

أن رجلاً ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان لديه فأوحى الله إليه أن اقتل المدعى عليه فقال: صدقت إني قتلت أباه غيلة وأخذت البقرة فعظمت بذلك هيئته كذا نقله البيضاوي وتفصيله في المثنوي المولوي وقيل: بالعقل والتؤدة وقيل: بالتوفيق والإنابة وقيل: صرفنا بصره عن الملك وجعلنا نظره إلى الملك وقيل: شددنا ملكه بوزراء صالحين فدلوه على الخير معاونين.

وقال الأستاذ: أن في التفسير كان يحفظ ملكه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل ويقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ﴾ [الآية 20] بنصرنا له ورفعنا البلاء عنه ويقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ﴾ بالعدل في القضية وحسن السيرة في الرعية ويقال: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ﴾ بدعاء المستضعفين له ويقال: بأن رأى منا جميع نصرته وتبرأ من حوله وقوته ويقال: بتيقظه وحسن سياسته ويقال: برجوعه إلينا في سائر حالاته وأوقاته ﴿وَأَيَّنَهُ الْحِكْمَةَ﴾ [الآية 20] كمال العلم واتقان العمل أو النبوة وقيل: العلم بنا والفهم عنا وقيل: مخالطة الأبرار ومجانبة الأشرار ﴿وَفَصَّلَ الْخُطَابَ﴾ [الآية 20] أي الرشد والصواب أو فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل في الأحكام وقيل: هو الخطاب القصد الذي ليس فيه اختصار محل ولا إكثار ممل كما جاء في وصف كلام نبينا صلى الله عليه وسلم فصل لا نذر ولا هذر أي لا يسير ولا كثير.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ [الآية 21] استفهام معناه التعجب في شأنه والتشويق إلى استماع بيانه والخصم أريد به جنس المخاصم ولذا قال ﴿إِذْ سَوَّرُوا لِيحْرَابَ﴾ [الآية 21] إذ تصعدوا سور الفرقة من غير طريق الباب.

﴿إِذْ تَحَلَّوْا عَلَى دَاوُدَ﴾ [الآية 22] للفصل بينهم ﴿فَفَرَعَ مِنْهُمْ﴾ [الآية 22] لأنهم نزلوا عليه في يوم الاحتجاب من فوق بيته والحرس على الباب فإنه عليه السلام

كان جزءاً زمانه يوماً للعبادة ويوماً للحكومة ويوماً للموعظة ويوماً للاشتغال بما له من الخاصة فتصور عليه الملائكة وتصوروا على صور الإنسان في يوم الخلوة ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ [الآية 22] أي منا ﴿خَصَمَانِ﴾ [الآية 22] أي نحن فوجان متخاصمان ﴿بَيْنَ بَعْضِنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ [الآية 22] منا على فرض المسألة لأنهم كانوا / 89 ب ملائكة وقصدوا التعريض به في قضية ﴿فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ [الآية 22] ولا تبعد عن الصدق ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [الآية 22] أي وسطه وهو العدل بالرفق.

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ [الآية 23] في الديانة أو الصحبة ﴿لَمْ تَسْعُ وَتَسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةً وَجَدَّةً﴾ [الآية 23] وهي الأنثى من الضأن وقد كنى بها عن المرأة والتلويح أبلغ من التصريح وهذا تصوير للمسألة كما يقال: لي أربعون شاة ولهذا أربعون فخلطناهما وحال الحال عليهما فكم يجب فيهما ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا﴾ [الآية 23] ملكيتها أو اجعلها كفلي أي نصيبي أو أنزل عنها حتى أكفلها ﴿وَعَزَفَ فِي الْخُطَابِ﴾ [الآية 23] وغلبنى في مخاطبته إياي في هذا الباب.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ [الآية 24] أي صاحبك في علاجه ﴿سُؤَالَ نَجِيكَ إِلَى نَعَاجِهِ﴾ [الآية 24] قال ذلك بعد اعتراف الآخر أو على تقدير صدق المدعي لما قرر فضحك أحدهما في وجه صاحبه وصعد السماء من عنده فعلم أنه تنبيه في حقه وعتاب من ربه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾ [الآية 24] الشركاء الذين خلطوا أموالهم ﴿لِبَنِي﴾ [الآية 24] ليتعدى ﴿بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الآية 24] في عامة أحوالهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [الآية 24] أي وهم قليل في غاية القلة وما مزيدة للمبالغة ﴿وَضَنَّ دَاوُدُ﴾ [الآية 24] أي استيقن ﴿أَنَّمَا فُتِنَتْهُ﴾ [الآية 24] ابتليناه بالمعصية أو بالفتنة الموعودة أو امتحناه بتلك الحكومة هل ينتبه لها أم لا ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ [الآية 24] أي فطلب مغفرة ربه لما صدر عنه من ذنبه ﴿وَحَرَّ رَاكِعًا﴾ [الآية 24] ساجداً على تسمية السجود ركوعاً بالتوسعة أو خاشعاً متضرعاً بهيئة السكينة ﴿وَأَنَابَ﴾ [الآية 24] ورجع إلى الله بالتوبة وحسن الإنابة.

﴿فَعَفَرْنَا لَمْ ذَلِكْ﴾ [الآية 25] أي ما استغفر عنه هنالك ﴿وَإِنَّ لَّمْ عِنْدَنَا لُزْلَقًى﴾

[الآية 25] أي لقربة بعد المغفرة ﴿وَحُسْنَ مَكَابٍ﴾ [الآية 25] مرجع في الجنة وعند صلى الله عليه وسلم السجدة التي في صاد سجدها داوود توبة ونحن نسجدها شكراً.

قال سهل: الإنابة هي الرجوع عن الغفلة إلى الذكر مع انكسار القلب وانتظار المقت.

وقال أبو عثمان الإنابة أجل من التوبة لأن التائب يرجع ببعضه فيسمى تائباً ولا يسمى منياً إلا من رجع إلى ربه بالكلية.

وقال القاسم: إنابة العبد أن يرجع إلى ربه بنفسه وقلبه وروحه فإنابة النفس أن يشغلها بخدمته / وطاعته وإنابة القلب أن يخليه مما سواه وإنابة الروح دوام حضوره حتى لا يذكر غيره.

وقال أبو سعيد الخراز: زلات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة زلف وكرامات ألا ترى إلى قصة داوود حين أحس تأويل أمره كيف استغفر وتضرع في دهره فأخبر الله تعالى بما ناله في حال ظنه من الزلفى فقال: ﴿وَقَطَّنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ [الآية 24] فتضرع ورجع وكان له بذلك عندنا زلفى وحسن مآب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أرسل إلى داوود عليه السلام ملكين على صورة رجلين فتحاكما إليه تنبيهاً له على ما كان منه من تزوجه بامرأة أوريا وكان تركه أولى وهذا على طريق من رأى تنزيه الأنبياء عليهم السلام من جميع الذنوب ومن جوز عليهم الصغائر قال: كان هذا من جملتها ثم قيل: لم يكن أوريا تزوج بها بعد وكان خطبها فأجابته في التزويج به فخطب داوود على خطبته وقيل: بل أرسل أوريا إلى قتال الأعداء ففيل: فتزوج بها وقيل: بل كانت امرأته فسأله أن ينزل عنها فنزل بأمره فتزوجها قلت: وكذا نقله محيي السنة عن ابن مسعود ولعله كان ذلك معتاداً فيما بينهم وقد واسى الأنصار المهاجرين بهذا المعنى عندهم.

ثم قال الأستاذ: وكان داوود عليه السلام قال: يا رب أني لأجد في

التوراة أنك أعطيت الأنبياء الرتب العالية في الاجتباء فأعطينها فقال: إنهم صبروا فيما ابتليتهم به فوعد داوود من نفسه الصبر إذا ابتلاه طمعاً في نيل تلك الدرجات فأخبر الله أنه يبتليه يوم كذا فجعل داوود ذلك اليوم يوم عبادة وخلا في بيت وأمر حرسه أن لا يؤذن أحد في الدخول عليه وكانوا ثلاثين ألف رجل وأغلق على نفسه الباب وأخذ يصلي زماناً وقرأ التوراة زماناً لكن لم يمكنه غلق باب السماء فلم يدفعوا عنه حكم القضاء ولقد قال الحكماء: الهارب مما هو كائن في كف الطالب يتقلب ثم أنه كان في البيت كوة يدخل منها الضوء فدخل منها طير صغير من الذهب ووقع قريباً منه وكان لداوود ابن صغير فهم أن يأخذه ليدفعه إلى ابنه فتباعد عنه.

وجاء في التفاسير إنه كان إبليس/ تصور له في صورة طير فتبعه داوود 90/ب فلم يزل يتباعد قليلاً قليلاً وداوود يتبعه حتى خرج من الكوة فنظر داوود في أثر توقع بصره على امرأة أوريا وهي تنتقل متجردة فعاد إلى قلبه منها شيء فكان هذا السبب.

وقد جاء في التفسير أنه سجد أربعين يوماً لا يرفع رأسه من السجود إلا للمكتوبة عليه ويبكي حتى نبت العشب من دموعه ولم يأكل ولم يشرب في تلك المدة حتى أوحى الله إليه بالمغفرة فقال: يا رب كيف بحديث الخصم فقال: إني استوهبك منه وقيل: كان لا يشرب الماء إلا ممزوجاً بدموعه ويقال: لما التجأ داوود عليه السلام في أوائل البلاء إلى التوبة والبكاء والتضرع والللجأ وجد المغفرة والتجاوز عن العناء وهكذا من رجع في أول الشدائد إلى الله فالله يكفيه ما ينوبه ومن صبر إلى حين من المدة طال عليه المحنة ويقال: إن زلة أسفك عليها يوصلك إلى ربك ويدنيك أجدي لك من طاعة إعجابك بها يبعدك عن ربك ويقصيك انتهى وفي معناه ما قاله ابن عطاء: معصية أورثت ذلاً واستغفاراً خير من طاعة أوجبت عزاً واستكباراً.

﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 26] استخلفناك على الملك

فيها أو جعلناك خليفة ممن قبلك من الأنبياء القائمين بالحق المتعلق بها وبغيرها

وقيل: حاكماً من قبلي على أهلها ﴿فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 26] بحكم الهدى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ [الآية 26] ما تهوي النفس وتتمنى من الردى ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 26] عن طريق قرب المولى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ﴾ [الآية 26] بأنفسهم أو يضلون غيرهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 26] عن طريق الصواب ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [الآية 26] بسبب نسيانهم عن سبيل المولى فإن تذكره يقتضي ملازمة الهدى ومخالفة الهوى.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ [الآية 27] خلقاً باطلاً لا حكمة فيه أصلاً ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 27] أي خلقها باطلاً ﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 27] أي مظنونهم جهلاً ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [الآية 27] بسبب هذا الظن الباطل الذي ليس تحته الطائل.

﴿أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 28] في الدنيا والعقبى ﴿كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 28] من الكفار ﴿أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 28] أي الأبرار من المؤمنين ﴿كَالْفُجَّارِ﴾ [الآية 28] من المجرمين.

91/أ وقد أخرج أبو يعلى / عن أبي ذر مرفوعاً كما أنه لا يجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار⁽¹⁾.

وفي الآية دلالة على صحة الحشر والإعادة فإن التفاضل بينهما لا بد منه عقلاً ونقلاً وهو أما أن يكون في الدنيا والغالب فيها أن غير المؤمن أحسن حالاً وأكثر مالاً ومناًلاً بحسب الظاهر أو في غيرها وذلك يستدعي أن يكون لهم داراً أخرى يجازون فيها.

﴿كِتَابٌ﴾ [الآية 29] أي مكتوب عظيم ﴿أُنزِلَتْهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ﴾ [الآية 29] مقام كريم ﴿لِيَذَّبُوا ءَايَاتِهِ﴾ [الآية 29] ليتدبروا آياته ويتفكروا فيها فيعرفوا حسن مبانيها وصحة معانيها فيعلموا بمقتضى أوامرها ونواهيها ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الآية 29] وليتعض ذو العقول السليمة بمواعظه القويمة.

(1) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية (9/ 173) رقم (3224).

أخرج سعيد بن منصور عن الحسن في قوله: ﴿لِيَذَبَّ عَنْهُ﴾ [الآية 29] قال: إنما تدبر آياته اتباعه بعمله.

﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَنَ﴾ [الآية 30] أي ابنه ﴿نِعَمَ الْعَبْدِ﴾ [الآية 30] أي سليمان ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [الآية 30] رجاع إلى الله بالتوبة والأوبة أو بالصبر في المحنة وبالشكر في النعمة. وسئل جنيد: من العبد؟ قال: الذي يكون مطروحاً عند سيده كالमित بين يدي غاسله لا يكون له تدبير ولا حركة.

﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 31] أي على سليمان ﴿بِالْعِشِيِّ﴾ [الآية 31] بعد الظهر ﴿الضَفِينَتِ﴾ [الآية 31] الخيل التي تقوم على ثلاثة قوائم وتنثني في وقوفها طرف سنبك يد أو رجل واحدة وهو في الخيل من الصفات المحمودة ﴿الْحَيَادُ﴾ [الآية 31] جمع جواد أو جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل: جمع جيد أصله جيود فخفض روي أنه عليه السلام غزا دمشق فأصاب ألف فرس فاستعرضها فلم يزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وعقل عن العصر أو عن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها وذبحها تقرباً إلى الله سبحانه وقيل: وضع عليها الكي فسلها ووهبها لمن طلبها فعوضه الربح بدلاً عنها فمن ترك شيئاً لله لم يخسر على الله.

﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ [الآية 32] أي الخيل التي شغلته ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [الآية 32] أي غربت الشمس بإضممارها من غير سبق ذكرها لدلالة العشي عليها.

﴿رُدُّوهُا﴾ [الآية 33] أي الصافنات ﴿عَلَى فُطُوقٍ مَسْحًا﴾ [الآية 33] فأخذ وشرع يمسح السيف مسحاً ﴿بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [الآية 33] بسوقها وأعناقها / يقطعها وقد أبعد من رد ضمير ردها إلى الشمس فإن المخاطبين لم يقدرُوا على ردها.

وفي «تفسير السلمي» قال أبو سعيد القرشي: من غار الله وتحرك له فإن الله تعالى شكره ألا ترى سليمان لما أشغله الأفراس عن الصلاة ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [الآية 32] قال: ﴿رُدُّوهُا عَلَى فُطُوقٍ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [الآية 33] قيل: إنه كان عشرون ألف فرس منقش ذوات أجنحة أخرجهم الشياطين من البحر

فشكر الله سعيه بتسخير الريح، أبدله مركباً أهنأ منها وأنعم والله أعلم.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ [الآية 34] أظهر ما قيل في فتنته وامتحانه وبليته ما روي مرفوعاً أنه قال: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل: إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة جاءت بشق رجل فوالذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا فرساناً⁽¹⁾.

قال الأستاذ: فاستغفر من ترك الاستثناء وكان ذلك ترك ما هو الأولى وقوع في الابتلاء.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي﴾ [الآية 35] لا يتسهل ﴿لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [الآية 35] ليكون معجزة لي مناسبة لحالي ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [الآية 35] المعطي ما تشاء لمن تشاء.

قال ابن عطاء: أي مكني من مخالفة نفسي حتى لا أوافقها بحال من أحوالي وقيل: هب لي المعرفة بك لا أرى معك غيرك ولا تشغلني كثرة عروض الدنيا.

وقال سهل: ألهم الله سليمان أن يسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ليقصم به الجبابرة والكفرة الذين يخالفون ربهم ويدعون لأنفسهم قدرة وقوة من الجن والإنس فوق السؤال من سليمان على ما اختار الله له لا على اختياره لنفسه.

وقال جنيد: أي هب لي ملكاً على نفسي فإني إن ملكت الدنيا ولم أملك نفس أكون عاجزاً في ملكي.

وقال ابن عطاء: لما سأل سليمان من الله الملك وسخر له الريح أعلمه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3424) ومسلم في الصحيح (25/1654) والبيهقي في السنن الكبرى (4480) رقم (19694)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/108) رقم (1532).

بذلك إن ما سواه ربح لا بقاء له ولا دوام معه .

وقال محمد بن علي في قوله: هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي هو أنه لا يشغله عن ربه شيء مما آتاه من الملك فتكون / حجة على من بعده 92/أ من الملوك وأبناء الدنيا .

﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾ [الآية 36] فذلّلناها لطاعته إجابة لدعوته ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ ذُؤَاءً﴾ [الآية 36] لبنه على وفق إرادته ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ [الآية 36] أي أراد من قولهم أصاب الصواب فأخطأ الجواب .

﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ﴾ [الآية 37] بدل منه ﴿وَعَاكِرِينَ﴾ [الآية 38] عطف على الريح كل ﴿بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ﴾ [الآية 37] أي وجماعة مرده ﴿مُتَقَرِّبِينَ﴾ [الآية 38] قرن بعضهم مع بعض ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ [الآية 38] في القيود والسلاسل ليكفوا عن الشر والردائل .

﴿هَذَا﴾ [الآية 39] أي الذي أعطيناك من الملك والبسطة والتسلط بالغلبة في السلطنة ﴿عَطَاؤُنَا﴾ [الآية 39] لك ﴿فَأَمْنٌ أَوْ أَمْسِكُ﴾ [الآية 39] فاعط من شئت وامنع من شئت، فأو للتنوع ﴿يَغْيِرُ حِسَابِ﴾ [الآية 39] غير محاسب على منه ومنعه لتقويض التصرف فيه إلى أمره والمعنى أنه عطاء من غير إمكان حصره .

وقال ابن عطاء: امنن على من أردت بعطائنا فإننا لا نمن عليك بذلك وإنما نمن عليك بالهداية إلينا والمعرفة لنا قال الله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: 17] .

﴿وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لَظُلْفَى﴾ [الآية 40] لقربى في العقبي مع ما له من الملك العظيم في الدنيا ﴿وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾ [الآية 40] هو الجنة المأوى .

وأفاد الأستاذ: أن المشي في الهوى للأولياء في الجملة وقطع المسافات البعيدة في مدة يسيرة مما يعلم وجوده قطعاً في هذه الأمة إن لم يعلم للأفراد والآحاد على تعيين القضية وإظهاره على خدم خير البرية يدل على أن مقامه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب أشرف المقامات وألطف الحالات .

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدًا أَيُّوبَ﴾ [الآية 41] أي ابن عموص ابن رعويل بن عيص ابن إسحاق ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ [الآية 41] بدل من عبدنا، وأيوب عطف بيان له ﴿أَيُّوبَ﴾ [الآية 41] بأنني ﴿مَسْنَى الشَّيْطَانُ بُصْبٍ﴾ [الآية 41] بتعب ﴿وَعَذَابُ﴾ [الآية 41] ألم ووصب.

والإسناد إلى ﴿الشَّيْطَانُ﴾ [الآية 41] أما لأن الله مسبب ببليته لما فعله أيوب بوسوسته كما قيل: إنه أعجب بكثرة ماله وسعة حاله أو استغاثة مظلوم فلم يغثه لاشتغاله أو لسؤاله امتحاناً لصبره في مقام كماله فيكون اعترافاً بذنبه وتقصيره في ماله أو مراعاة للأدب مع الرب أو لأنه وسوس إلى أتباعه حتى رفضوه في داره وثم أخرجه من دياره أو لأن المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس إليه في مرضه / ب92 وبليته من عظم بلاء الله والقنوط من رحمته ويغريه على الجزع من حالته قيل: فبلغ أمره ووصل ضرره إلى أن لم يبق منه عضو سالم إلا قلبه ولسانه ويروي أنه قال في مناجاته إلهي قد علمت أنه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم أكل إلا ومعني يتيم ولم أبت شعبان ولا كاسياً إلا ومعني جائع أو عريان فكشف الله سبحانه وتعالى عنه بقوله:

﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [الآية 42] أي اضرب برجلك الأرض ﴿هَذَا مَغْسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [الآية 42] أي فضربها فنبعت عين بها فقيل: هذا الماء مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهره ويعود إليك جمالك وكمالك قيل: لبث في البلية أربعين سنة وقيل: سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ [الآية 43] بأن جمعناهم بعد تفرقهم أو أحييناهم بعد موتهم ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْآيَةِ 43﴾.

وقال الأستاذ: رد الله عليه ماله ومثله وأحيا أولاده وأهله ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾ [الآية 43] ورحمتنا عليه ونعمتنا لديه ﴿وَذِكْرِي لَأَوْلَى الْأَلْبَابِ﴾ [الآية 43] وتذكرة وموعظة لهم ليتنظروا الفرح بالصبر واللجأ إلى الله فيما يحق بهم.

﴿وَعُذْ بِكَ ضَعْفًا﴾ [الآية 44] حزمة صغيرة من حشيش ونحوه ﴿فَأُصْرِبَ بِهِ﴾ [الآية 44] بتركه روي أن زوجته ليا بنت يعقوب وقيل: رحمة بنت

أفرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف إن برأ أن يضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الشريعة إذا قال: مائة جلدة أو مائة عصاة ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ [الآية 44] فيما أصابه من شدة الحال في النفس والأهل والمال ولا يخل به شكواه من الشيطان إلى مولاه فإنه لا يسمى جزعاً في البلاء كتمني العافية وطلب الشفاء مع أنه قال: ذلك خشية أن يفتنه أو قومه فيما لا يرضي ربه ﴿نَعَمْ أَلْعَبُّ﴾ [الآية 44] أيوب ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [الآية 44] مقبل بكليته إلى الله في جملة بلواه.

قال ابن عطاء: صابراً أي واقفاً مع الرب بحسن الأدب لا يؤثر عليه دوام النعم وتامام المنن ولا يزعجه تواتر البلاء وتابع المحن لمشاهدة المنعم والمبلي ونعم العبد لم يشغله ما لنا عنا وقيل: الصبر الفناء في البلوى بلا إظهار الشكوى.

وقال القاسم: محنة / الأنبياء تقريب تهذيب وترتيب وكشف عن ظهور 93/أ ما لهم للعوام لقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمْ أَلْعَبُّ﴾ [الآية 44] عبد عرف أن لا رجوع له إلى مولاه فرجع إليه إنه أواب أي راجع إلينا في السراء والضراء مما ابتلينا.

وقال جعفر: لم يستعذب البلاء من لم ير البلاء من العطاء نعم العبد سره بلاؤنا كما سره عطاؤنا.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر أن لا يعترض على التقدير أقول ولعله أراد قل ما يراد به في التعبير كما عبر عن كماله بقوله. ويقال: التلذذ بالبلاء واستعذابه دون استصعابه، ولم ينف قوله: ﴿مَسَقَى الْأُصْرُ﴾ [الأنبياء: الآية 83] اسم الصبر عنه لأنه لم يكن على وجه الشكوى منه ولأنه مرة واحدة والحكم للغلبة.

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الآية 45] وقرأ ابن كثير: عبدنا على وضع الجنس موضع الجمع أو على إنه إبراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان وإسحاق ويعقوب عطف عليه لكونهما تابعين لديه ﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾

[الآية 45] أصحاب القوة في الطاعة وأرباب البصيرة في المعرفة أو أولي الأعمال الجليلة والعلوم الجزيلة وفيه تفريض بالبطلة الجهلة.

﴿إِنَّا أَخْلَصْنَهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [الآية 46] جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة هي تذكركم للآخرة بوصف المداومة وإطلاق الدار للإشعار بأنها الدار التي عليها المدار وإنما الدنيا معبر في نظر النظار من أهل الاعتبار وأصناف نافع وهشام بخالصة إلى ذكره للبيان.

﴿وَلِيَنبُذَهُمْ عِنْدَنَا لِمَنْ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [الآية 47] لمن المجتبيين من أمثالهم المختارين في أحوالهم.

قال الواسطي: إنا خلصناهم بخالصة لم يبق معها ذكر الدار وهو الكونين وما فيهما.

وقال أبو يعقوب السوسي: لما قال أخلصناهم بخالصة صفت قلوبهم بذكره عند ذلك ووقت أرواحهم له بإرادته هنالك فهم في مكشوف ما تقدم لهم في الغيب سبقت لهم منه الحسنى فصاروا بدرجة المخلصين.

وقال جنيد: الإخلاص ما أريد الله به من أي عمل كان.

وقال سهل: الإخلاص التبري مما سواه وقيل: أخلصناهم بخالصة أي أبقينا عليهم في أعقابهم حسن الثناء لديهم.

وقال الأستاذ: أي تفضيله خالصة وهي ذكرى الدار ذكر الجنة والنار 93/ ب بدعاء/ الناس إليها والهرب منها ويقال: بسلامة قلب من ذكرى الدار أي لم يعملوا على ملاحظة جزاء ويقال: تجردوا لنا بقلوبهم عن ذكرى الدارين.

﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ﴾ [الآية 48] أفردته بالذكر لشرفه وكونه جداً لأشرف الأنبياء في مقام لطفه ﴿وَالْيَسَعَ﴾ [الآية 48] استخلفه إلياس على بني إسرائيل ثم استنبى وقرأ حمزة والكسائي واليسع بتشديد اللام وسكون الياء ﴿وَذَا الْكَقْلِ﴾ [الآية 48] ابن عم يسع أو بشر بن أيوب واختلف في نبوته ووجه نعتة فقيل: قرإليه مائة نبي من القتل فأواهم وكفلهم وقيل: تكفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة.

وأفاد الأستاذ: أن اليسع وذا الكفل أخوان ﴿وَكُلُّ﴾ [الآية 48] أي كلهم ﴿مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [الآية 48] أي أختيار الأبرار.

﴿هَذَا﴾ [الآية 49] أي هذا القرآن ﴿ذِكْرٌ﴾ [الآية 49] أي فيه ذكر ما كان وما يكون ويقال: أنه شرف لك لأنه معجزة تدل على صدقك أو هذا إشارة إلى ما تقدم من أمورهم ذكر شرف لهم ثم بين ما أعد لهم ولأمثالهم بقوله: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [الآية 49] مرجع أو انقلاب وبيانه.

﴿جَنَّتِ عَدْنٌ﴾ [الآية 50] بساتين إقامة حال كونها ﴿مُفْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَنْزُوبُ﴾ [الآية 50].

قال الأستاذ: أي إذا جاؤوها لا يلحقهم ذل الحجاب ولا كلفة الاستئذان أن بالباب بل تستقبلهم الملائكة بالتبجيل والإرحاب.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ [الآية 51] على أرائكهم في حجالهم بأنعم أحوالهم ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ﴾ [الآية 51] ما يتفله به ويتلذذ بسببه ﴿كَثِيرَةٍ﴾ [الآية 51] أي لا يسيرة ولا عسيرة ﴿وَشَرَابٍ﴾ [الآية 51] على ما يشتهون من كل باب.

﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مِّنَ الْأَعْنَافِ﴾ [الآية 52] من الحور العين وغيرهن لا ينظرون إلى سوى أزواجهن ﴿أَنْزَابٌ﴾ [الآية 52] لذات أتراب مستويات في الأسنان فإن النجائب أثبت بين الأقران أو بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية منهن كلهن في سن ثلاث وثلاثين على ما ورد في حقهن.

وأفاد الأستاذ: أنهم مستويات في الحسن والجمال والشكل والدلال.

﴿هَذَا مَا نُوعِدُونَ﴾ [الآية 53] وقرأ ابن كثير وأبو عمر بالغيبة ﴿يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [الآية 53] لأجله فإن الحساب علة الوصول إلى الجزاء من الثواب والعقاب.

﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَكُمْ مِنْ نَفَادٍ﴾ [الآية 54] أي ليس له انقطاع ولا انتهاء في الدنيا ولا في العقبى.

﴿هَذَا﴾ [الآية 55] أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر أو خذ هذا أو هذا المعد للمتقين ﴿وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ [الآية 55] شر مرجع ومنقلب.

﴿جَهَنَّمَ﴾ [الآية 56] بدل منه ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ [الآية 56] حال أو استئناف يدخلونها ويعذبون بها ﴿فِيئْسَ الْمِهَادُ﴾ [الآية 56] ما مهد لهم وأعد لأجلهم وهو جهنم لقوله: لهم من جهنم مهاد.

﴿هَذَا﴾ [الآية 57] العذاب أو العذاب هذا ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ [الآية 57] هو الماء الحار ﴿وَعَسَاقُ﴾ [الآية 57] ما يسيل من صديد أهل النار وقيل: المراد به الزمهرير وقرأ حفص وحمزة والكسائي بتشديد السين وآخر أي مذوق آخر أو عذاب آخر وقرأ أبو عمرو وآخر أي ومذوقات أو عقوبات.

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْ شَكْلِهِ﴾ [الآية 58] من مثل هذا المذوق أو العذاب في الشدة ﴿أَزْوَاجٌ﴾ [البقرة: الآية 25] أجناس وأصناف.

﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ﴾ [الآية 59] فقال للمتبوعين: هؤلاء قوم من التابعين مقتحمون معكم النار وتابعون لكم في قرار دار البوار ﴿لَا مَرْجَأَ لَهُمْ﴾ [الآية 59] دعا من المتبوعين على التابعين أي ما أتوا رجاءً وسعة بل حضروا ضيقاً وشدة ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ [الآية 59] داخلوها مع أثقال الأوزار.

﴿قَالُوا﴾ [الآية 60] أي أي الأتباع للرؤساء ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ بِكُمْ﴾ [الآية 60] بل أنتم أحق بما قلتم منا ﴿أَنْتُمْ قَدْ مَتَّوْهُ﴾ [الآية 60] أي العذاب ﴿لَنَا﴾ [الآية 60] بإغوائنا وإغرائنا على ما قدمناه من الأحوال الفاسدة والأعمال الكاسدة ﴿فِيئْسَ الْفَرَارُ﴾ [الآية 60] في دار البوار.

﴿قَالُوا﴾ [الآية 61] أي الأتباع أيضاً ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ [الآية 61] مضاعفاً ﴿فِي النَّارِ﴾ [الآية 61].

﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 62] أي الطاغون وهم الأتباع والمتبوعون من الكفار بعد دخولهم النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رَجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ [الآية 62] يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يستردلونهم ويسخرون منهم.

﴿أَتُخَذُّنَّهِمْ سَخِرِيًّا﴾ [الآية 63] صفة مستأنفة وقرأ وابن كثير وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على أنه إنكار لهم على أنفسهم وملامة لها في

الاستسخار بهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي سخرنا بالضم ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ
الْأَبْصَارُ﴾ [الآية 63] أم مالت عنهم أبصارنا فلا نراهم في النار وأم معادلة لما لنا لا
نرى أن المراد ففي رويتهم لغيبتهم كأنهم قالوا أغابوا عنها أم زاعت عنهم
أبصارنا فلا نراهم هنا أو منقطعة والقصد الدلالة على أن سبب استردالهم
واستحقارهم زيف أبصارهم وقصور أنظارهم على رثائه حالاً الفقراء وانكسارهم
وذلك مثل فعل أبي جهل وإضرابه في حق مثل بلال وأصحابه.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ [الآية 64] أي الذي حكينا/ عنهم ﴿لَحَقَّ﴾ [الآية 64] خبر 94/ ب
صدق لا بد أن يتكلموا هنالك ﴿تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [الآية 64] فيما بينهم عند ظهور
البوار بدل من حق أو خبر محذوف تقديره: هو.

﴿قُلْ﴾ [الآية 65] يا محمد للكفار ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ [الآية 65] مخوف لكم من
العذاب إن كفرتم ومبشر لكم بالشواب إن آمنتم ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾
[الآية 65] الذي لا يغبك في ذاته الكثرة والشركة ﴿الْفَهَّارُ﴾ [الآية 65] الموصوف
بالقدرة والغلبة.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية 66] منه خلقاً وإليه أمرها ﴿الْعَزِيزُ﴾
[الآية 66] البديع في أفعاله على وفق مراده ﴿الْفَقْرُ﴾ [الآية 66] لذنوب المؤمنين
من عباده وفي هذه الأوصاف تقرير للتوحيد في الدين وتحرير بالوعد والوعيد
للموحدين والمشركين.

﴿قُلْ هُوَ﴾ [الآية 67] أي ما أنبأتكم من أني نذير بين يدي الساعة أو هو
بمعنى هذا والمراد به ما بعده من نبا آدم والملائكة ﴿نَبِيُّ عَظِيمٍ﴾ [الآية 67].

﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [الآية 68] لقلّة معرفتكم وكثرة غفلتكم.

﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ [الآية 69] أي ولا بكلامهم ﴿إِذْ يَخْصِمُونَ﴾
[الآية 69] في قضية آدم وغيره من مرامهم.

﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 70] أي ما أوحى إلي إلا الإنذار
لأنه المقصود الأهم بالنسبة إلى كثرة الكفار وقلة الأبرار على أن النذارة والبشارة

متلازمان في باب الرسالة وقد يكتفي بأحدهما عن الأخرى بحسب الدلالة أو التقدير لأنها والمعنى ليس يوحى إلي إلا لأنني نذير مبين للبشارة.

وأفاد الأستاذ: أن الملائكة الأعلى قوم من الملائكة في السماء العليا واختصاصهم كما ورد في الخبرية أن جبريل عليه السلام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: لا أدري فقال جبريل: في الكفارة والدرجات من إسباغ الوضوء في المكروهات ونقل الأقدام إلى الجماعات وإفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وإنما اختلفوا في بيان كيفية المثوبة وكمية الفضيلة فيجتهدون ويقولون أيتها أفضل وأيتها أكمل وقيل: المراد بذلك الاختصاص ما وقع لهم في شأن آدم عليه السلام حيث قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ (الآية 71) لا سيما على القول بأنه بدل من إذ / يختصمون. 95/ أ

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ (الآية 72) عدلت صورته وكملت خلقته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ (الآية 72) وأحييته بنفخ الروح في بنите وإضافته إلى نفسه لشرفه وطهارته.

وقال ابن عطاء: أي روحت سره الممكنون بما يكون به الروحانيون ﴿فَقَعُوا﴾ (الآية 72) فخرُوا ﴿لَمْ يَسْجُدْ﴾ (الآية 72) تكريماً وتعظيماً له نحو تبجيل الكعبة في كون المراد به القبلة فإنه لا يعبد الله ولا يسجد لسواه.

﴿فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (الآية 73).

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (الآية 74) استثناء متصل أو منفصل ﴿أَسْتَكْبَرَ﴾ (الآية 74) تعظم وتكبر ﴿وَكَانَ﴾ (الآية 74) وصار ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (الآية 74) باستكباره أمر الله إياه أو كان منهم في علم الله.

وأفاد الأستاذ: أن أخباره سبحانه كان للملائكة بذلك يدل على تفخيم شأن آدم هنالك لأنه تعالى خلق ما خلق من الكونين والجنة والنار والعرش والكرسي والملائكة وغيرهما ولم يقل في صفة شيء منها ما قال في صفة آدم

هنا ولم يأمر بالسجود، لأحد ولا لشيء من خلقه إلا لآدم وسبحان الله خلق أعز خلقه من أقل شيء وأخسّه وهو التراب والطين ثم روح آدم وإن كانت مخلوقة فلها شرف على سائر الأرواح لإفرادها بالذكر فلما سوى خلق آدم وركب فيه الروح الأعظم جلله بأنوار الخصوصية فوقعت هيئته على الملائكة فسجدوا لأمره وظهر لإبليس الشقاوة ووقع بامتناعه في اللعنة.

﴿قَالَ يَإِئِيلُ مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ [الآية 75] أي من سجودك ﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [الآية 75] بعد وجودك بنفسي من غير الوساطة والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة أو اختلاف الصنعة حسب اختلاف الصفة المستدعية للهيبة والعظمة والحاصل أن في التنبيه إشارة إلى أنه جعل مظهر الكمال بظهور صفتي الجلال والجمال بخلاف سائر المخلوقات على اختلاف الأحوال فإن منهم من جعل مظهر الجمال فقط بدوام الطاعة بالملائكة المقربين ومنهم من خلق مظهر الجلال فحسب باستمرار الضلال كالشياطين ومنهم من لا يصلح لشيء من ذلك بل لحكم أخرى يقتضي هنالك ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ [الآية 75] الآن ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْغَالِينَ﴾ [الآية 75] المستكبرين في مضي الزمان أو تكبرت من غير استحقاق أو كنت ممن علا واستحق باتفاق.

﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الآية 76] إظهار لمانع لديه وقوله ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الآية 76] دليل عليه.

وأفاد الأستاذ: أنه من هنا وقع الغلط له حيث توهم أن الفضيلة من حيث البنية والجوهرة ولم يعلم أن التفضل من حيث اللبسة دون الخلقة ويقال: ما أودع عند آدم لم يوجد عند غيره فيه ظهرت الخصوصية.

﴿قَالَ فَخَرُّجْ مِنْهَا﴾ [الآية 78] من الجنة والسماء والصورة الملكية ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الآية 78] مطرود من الرحمة ومبعد من الكرامة.

وقال الأستاذ: مرمي باللعن وبالشهب من السماء وبالرجوم والشهب من قلوب الأولياء أن تعرضت لها بشيء من الأشياء.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الآية 78] أي مستمرة وإنما غياه إلى

يوم القيامة فإنه يشاهد عقوبة في تلك الحالة تنسيه اللعنة فكأنها حينئذ منقطعة أو المراد باللعنة المغياة المجردة عن العقوبة.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الآية 79] أي أمهلني في العقوبة إلى يوم القيامة ولو وفق للطاعة لقال: انظرني إلى يوم الرحمة.

وأفاد الأستاذ: أنه من كمال شقاوته جرى هذا على لسانه وتعلق به إرادته بسؤال أنظاره ليزداد إلى يوم القيامة في سبب عقوبته فانظره الله وأجابه لدعوته لأنه بلسانه سأل تمام شقاوته.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ الممهلين في سؤالك الموهوم. ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الآيتان 80، 81] وهي النفخة الأولى.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ [الآية 82] فبسلطانك وقهرك وعلو شأنك ﴿لَأَعُوذَنَّهُمْ﴾ [الآية 82] أي آدم وذريته أصالة والجن تبعية ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 82].

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [الآية 83] الذي أخلصهم الله لطاعته بعصمته أو أخلصوا أحوالهم وأعمالهم بتوفيق الله ورحمته قيل المخلص الذي يكون سره بحيث لا يعلمه ملك فيكتبه ولا عدو فيفسده.

وأفاد الأستاذ: أنه لو عرف حقيقة عزته لما أقسم به على مخالفته ويقال: تحاسره في مخاطبته الحق حيث أصر على المخالفة وأقسم عليه للمبالغة أقبح وأولى في استحقاق اللعنة من امتناعه للسجود ولآدم وترك الطاعة.

﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ [الآية 84] أي فأحق الحق أو أقول الحق.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ﴾ [الآية 85] أي من ذاتك أو جنسك في صفاتك لتناوله الشياطين ﴿وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ [الآية 85] أي من الإنس والجن ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 85] وهو جواب القسم المقدر والجملة تفسير للحق المقول المقرر / وقرأ عاصم وحمزة برفع الأول على الابتداء أي الحق قسمي أو على الخير أي فأنا الحق.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 86] أي على التبليغ بالرسالة من

أجرة ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُكَفِّينَ﴾ [الآية 86] المتصنعين بما لست من أهله فأنتحل النبوة وأتقوّل القراءة.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْمَلَمِينَ﴾ [الآية 87] ما القرآن إلا موعظة للعالمين وهداية للمؤمنين وحجة على الكافرين.

﴿وَلَعَلَّكُمْ نَبَأُ﴾ [الآية 88] صدق ما فيه من الوعد والوعيد ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ [الآية 88] وقت الموت وحين الغرغرة أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام والغلبة.

سورة الزمر

[مكية]

وهي خمس وسبعون⁽¹⁾ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة سماعها يوجب للقلوب شفاءها وللأرواح ضيائها وللأسرار علاءها وبالحق بقاءها.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ [الآية 1] أي نزل كله أو بعضه مبتدأ خبره ﴿مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ [الآية 1] الغالب على مراده ﴿الْحَكِيمِ﴾ [الآية 1] فيما يفعل بعباده.

وقال الأستاذ: هذا كتاب عزيز نزل من رب العالمين عزيز على عبد عزيز بلسان ملك عزيز في شأن قوم عزيز بأمر عزيز:

ورد الرسول من الحبيب الأول بعد التلاقي بعد طول تنزل

نزهة قلوب الأحاب بعد ذبول غصن سرورها في كتب الأحاب عند قراءة فصولها والعجب منها كيف لا تزهر سروراً بوصولها وارتياحاً بحصولها ويقال: كتاب العزيز عزيز. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الآية 2] إليك ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 2] ملتبساً بالحق أو بسبب إثبات الحق ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ [الآية 2] محضاً له الطاعة من الشرك والرياء والسمعة. ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الآية 3] أي تنبهوا أنه هو الذي وجب اختصاصه بخلوص العبودية فإنه المنفرد بصفات الألوهية ونعوت الربوبية.

(1) ذكرت في الأصل المخطوط اثنتان وسبعون آية وأثبتت هنا حسب المصحف.

وأفاد الأستاذ: أن العبادة معانقة الأمر على غاية من الخضوع والمذلة ويكون بالنفس وبالقلب وبالروح فالتى بالنفس الإخلاص فيها التباعده عن الانتقاص والتى بالقلب الإخلاص فيها العمى عن رؤية الأشخاص والتى بالروح فالإخلاص فيها التنقي عن طلب الاختصاص. ثم الدين الخالص ما يكون جملته لله وما للعبد فيه نصيب فهو عن الإخلاص بعيد لا قريب اللهم إلا أن يكون ما يسره فإنه إذا أمر العبد/ أن يحتسب الأجر على طاعته فإطاعته 96/ب لا تخرجه عن الإخلاص باحتسابه ما أمره به ولولا هذا المخلص لما صح أن يكون في العالم مخلص ﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ ذُنُوبِهِمْ أُولَئِكَ﴾ [الآية 3] من غير الله آلهة يعبدونها قائلين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الآية 3] قربي في الدنيا والعقبى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 3] من أمر الدين بإدخال المحق الجنة والمبطل نار العقوبة.

وأفاد الأستاذ: أنهم لم يقولوا هذا من قبل الله ولا بأمره ولا بإذنه وإنما حكموا بذلك من ذات أنفسهم فرد الله عليهم وفي هذا إشارة إلى أن ما يفعله العبد من القرب بنشاطه نفسه من غير أن يقتضيه حكم وقته وما يعقد بين وبين الله من عقود ثم لا يفي بها ولا يقوم بحققها فكل ذلك أتباع نفس وهوى لها قال تعالى: ﴿مَا كُتِبَتْهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا آتِفَاءً رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: الآية 27]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الآية 3] إلى طريق الأبرار ﴿مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الآية 3] من طبع على الكذب والكفر من طوائف الفجار.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لا يهديهم اليوم لدينه ولا في الآخرة إلى ثوابه وإشارة إلى تهديد حتى يتعرض لغير مقامه ويدعي شيئاً ليس بصادق في مرامه فالله لا يهدي قط إلى ما فيه طريق سداً ورشده وعقوبته أنه يحرمه ذلك الشيء الذي تصدى له بدعواه قبل تحقيقه بوجوده وذوقه.

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [الآية 4] كما زعموا ﴿لَاصْطَفَىٰ مِنْهَا خَلْقًا مَا يَشَاءُ﴾ [الآية 4] أي لاختيار ما يشاء من مخلوقاته من غير نحو عيسى وملائكته وما شابه سائر كائناته وفيه تنبيه أنه لا يتصور موجود سواه ألا وهو مخلوقه على

وصف قدره وقضاه وفيه إيماء إلى عدم تناهي قدرته وإمكان زيادة إرادته فقول الغزالي ليس في الإمكان أبدع مما كان محتاج إلى تأويل في عبارته ﴿سُبْحَنُكَ﴾ [الآية 4] أي تنزيهاً له من اتخاذ الولد فضلاً عن تحقيقه المنافي لوحده وقهاريته بغلبته وعزته واستغنائه عن غيره ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الآية 4] فإن الألوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تناهي المماثلة المعتبرة/ في الوالدية والولدية مع ما فيهما من لوازم عوارض الحدوثية المعارضة للتقدمية الأزلية. 97/ أ

﴿خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 5] أي محققاً لا عابثاً أو بسبب ظهور الحق وزهوق الباطل ﴿يَكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الآية 5] يغشي كل واحد منهما الآخر كأنه يلف عليه لف اللباس باللباس في الجملة أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كالأرءاء عليه كروراً متتابعاً تتابع أكوار العمامة ولعل الإشارة فيها إلى اختلاف الأطوار وتفاوت الأدوار وتداول المظاهر في الأسرار والأنوار.

وقد قال الشيخ أبو مدين المغربي لا تنكر الباطن في طوره فإنه بعض ظهوراته ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [الآية 5] أي ذللها بقدرته وفق حكمته ﴿كُلُّ﴾ [الآية 5] منهما ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 5] وهو منتهى دورته أو منقطع حركته ﴿أَلَا هُوَ الْكَرِيمُ﴾ [الآية 5] الغالب على كل شيء بالقدرة ﴿الْفَرُّ﴾ [الآية 5] حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة.

وأفاد الأستاذ: أنه مضى فيما تقدم اختلاف أحوال العبد في القبض والبسط والجمع والفرق والأخذ والرد والصحو والسكر ونجوم العقل وأقمار العلم وشموس المعرفة ونهار التوحيد وليالي الشك والجحد ونهار الوصل وليالي الهجر وكيفية اختلافهما وزيادتهما ونقصانهما ألا هو العزيز المتعزز على المحيين الغفار للمذنبين.

﴿خَلَقَكُمْ﴾ [الآية 6] أي قدر خلقكم ﴿مِّنْ نَّفْسٍ وَحِدَةٍ﴾ [الآية 6] وهي آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا﴾ [الآية 6] من ضلعها الأيسر فيها ﴿زَوْجَهَا﴾ [الآية 6] حواء

ليسكن إليها فتأملوا المعنى في صنيع الرب من خلق الإنسان لأنه أقرب وأكثر دلالة وأعجب بل قيل هو العالم الأكبر وما دونه من المخلوقات هو العالم الأصغر كما يشير إليه فيما ورد من الحديث القدسي والكلام الأنسي: «لا يسعني أرض ولا سماء ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن»⁽¹⁾ ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ﴾ [الآية 6] أي قضى وقسم لكم فإن القسم والقضايا توصف بالنزول من السماء حيث كتبت في اللوح حال الابتداء والانتهاء وقيل: خلقها في الجنة ثم أنزل أصولها ﴿مِنْ الْأَنْعَامِ تَمَنِّيَةً أَزْوَاجَ﴾ [الآية 6] ذكراً أو أنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز كما مر في سورة الأنعام ﴿يَخْلُقْكُمْ﴾ [الآية 6] باختلاف هيئاتكم ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ 97/ ب خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الآية 6] حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة من بعد عظام عارية من بعد مضغ علق من بعد نطف ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الآية 6] ظلمة البطن والرحم والمشيمة ﴿ذَلِكُمْ﴾ [الآية 6] الذي هذه أفعاله في خلقكم ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 6] هو المستحق لعبادتكم ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ [الآية 6] أي ظاهراً وباطناً ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 6] إذ لا يشاركه في خلق الأشياء غيره ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الآية 6] فكيف يعدلون عن عبادته إلى الإشراك به.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكرهم حقيقة نسبتهم لئلا يعجبوا بحالهم وصفتهم ويقال بين آثار أفعاله لحكمته في كيفية خلقتك البديعية من قطرتين من نقطة أمشاج متشاكلة الأجزاء مختلفة الصور في الأعضاء مسخراً بعضها لبعض في الأوقات العديدة محالاً للصفات الحميدة كالعلم والقدرة والحياة وغيرها من أحوال القلوب وانقلابها وكالسمع والبصر والشم ونحوها ويقال: هذه كلها نعم أنعم الله بها علينا فذكرنا بما هو موجود لدينا إذ القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها ثم قال: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 6] يعني الذي أحسن إليكم بجميع هذه الوجوه هو ربكم والمعنى أنا خلقتكم وأنا صورتك فأحسن صوركم وأنا رزقتكم وأكثر رزقكم وأنا الذي أسبغت عليكم إنعامي وخصصتكم بجميل إكرامي وغرقتكم في بحار أفضالي وعرفتكم استحقاق جمالي

(1) أورده النيسابوري في تفسيره (5/ 223).

وجلالى وهديتكم إلى توحيدى وألزمتكم رعاية حدودى فما لكم لا تنطقون بالكلية إلي ولا ترجون ما وعدتكم لدى ومالكى فى الوقت لا تنظرون بقلوبكم إلي.

﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ [الآية 7] بإظهار كفرانكم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنكَمُ﴾ [الآية 7] وعن إيمانكم ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرُ﴾ [الآية 7] لاستضرارهم به رحمة عليهم ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الآية 7] لأنه سبب فلاحكم وموجب نجاحكم.

قال سهل: أول الشكر الطاعة وآخره رؤية المنة ثم اعلم أن قومًا استدلوا بهذه الآية على أنه تعالى لا يرضى كفر الكافرين وإن كان يريد أن يرضى والمحبة معنهما واحد كما أن الإرادة والمشئة مرادهما متحد ثم بدل القرينتين تغاير ظاهر فهما تعلق به الثواب يقال: فيه إن الله رضى وأحبه ويقال/ أيضاً إرادة ومشئة وما تعلق به العقاب ويقال: إن الله تعالى أراد وشاء ولا يقال: أحبه ورضيه بل يقال: كرهه ونهى عنه ومعنى ذلك أنه لا يثيب عليه لأنه يقع قهروا لديه به كسائر مكروهات العباد فإن العبد يقع المكروه عليه قهراً ولو قدر على رفعه رفعه والله سبحانه يتعالى على هذا المعنى وهذا مذهب كثير من السلف ومشرب أكثر الخلف.

قال قتادة: والله ما رضى الله لعبد ضلالة ولا أمره بها ولا دعاه إليها وقد شاء وجودها فيمن خلق لها.

وقال ابن عباس والسدي وجماعة: أن الله يرضى الكفر للكافرين كما يرضى الإيمان للمؤمنين.

فالآية من العام الذي أريد به الخصوص أن لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾ [الإسراء: الآية 65] وهو كقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: الآية 6] أي المؤمنون الأبرار وهؤلاء الطائفة لا يفرقون بين الإرادة والمحبة والرضى بالمشئة يقولون كل ما أَرَادَهُ فقد رضىه ممن أريد منه وإن كان لا يؤمر به ولا يثيب عليه.

وقال الأستاذ: فى بيان معنى المراد إن أعرضتم وأبيتتم وفى جحد

كفركم تماديتم فما افتقرنا إليكم ونحن أغنياء عنكم ولكني لا أرضى لكم أن تبقوا عني في حال منكم أنت المسكين إن لم أكن لك فمن تكون أنت من الذي يحسن إليك من الذي يقبل عليك من الذي يرحمك من الذي ينثر التراب على جرحك من الذي يهتم بشأنك بمن تسلى إذا أبقيت عني من الذي يبيعك رغيفاً بمثاقيل ذهب عبي أنا لا أرضى لك أن لا تكون لي فأنت كيف ترضى أن لا تكون لي يا قليل الوفاء يا كثير الجفاء إن أعطتني شكرتك وإن ذكرتني ذكرك وإن خطوت لأجلي خطوة ملأت السماوات والأرضين من شكرك.

لو علمنا أن الزيارة حق لفرشنا الخدود أيضاً لترضى

﴿وَلَا تُزْرُ وَازِرَةٌ وَزَدَ أُخْرَى﴾ [الآية 7] لا تحمل نفس آئمة قل آئمة أخرى بل كل منهما بحملها أولى وأخرى في دنيا وأخرى ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا رُجُوكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 7] بالمحاسبة والمجازاة ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الآية 7] فلا يخفى عليه خافية من أعمالكم ولا غائبة من أحوالكم.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ [الآية 8] مقبلاً عليه ومتضرعاً لديه ﴿ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ﴾ [الآية 8] / أعطاه مما تمناه ﴿نِعْمَةً مِنْهُ نَسَى مَا كَانَ يَدْعُوًّا إِلَيْهِ﴾ [الآية 8] أي الضر الذي كان يدعو الله أي كشفه أو ربه الذي يتضرع في طلب لطفه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 8] قبل النعمة من الضر والمحنة ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ [الآية 8] أي أشباهاً أو أضداداً ﴿لِيُضِلَّ﴾ [الآية 8] غيره ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الآية 8] عن دين ربه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء واللام لام العاقبة ﴿فَلْ تَمَنَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ [الآية 8] من الزمان أو تمتعنا قليلاً في هذا المكان إنك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الآية 8] على وجه الخزي والهوان والأمر للتهديد والوعيد الشديد.

قال الواسطي: الخلق مجبورون تحت قسمته مقهورون تحت خلقته ألا ترى إذا ضاقت الصدور واشتدت الأمور كيف يفزع بالإخلاص إلى الملك الغفور.

وقال الأستاذ: إذا مسه ضر خشع وخضع وإلى ربه فزع وتملق بين يديه

وتضرع إليه فإذا زال عنه ضره وكفاه أمره وأصلح شغله نسي ما كان يدعو إليه من قبل فيعود إلى رأس كفرانه وينهمك في كبائر عصيانه وأشرك بمعبوده وأصر على جحوده أو من كان هذا صفته فسحقاً له وبعداً سوف يلقي حزناً وطرداً.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَبِيتُ﴾ [الآية 9] قائم بوظائف طاعاته ﴿ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ﴾ [الآية 9] في ساعاته وأوقاته ولعل الاقتصار على آناء الليل من باب الاكتفاء أو لما يفهم منه غيره بالطريق الأولى أو تنبيهاً على الاستنباه فيه الأخرى والأعلى والمعنى بل أمر من هو قانت في أوقات عبادته كمن هو بضده في حالته. وقرأ نافع وابن كثير وحمزة بتخفيف الميم أي أمن هو قانت لله كمن أتبع هواه وجعل أنداداً لمولاه ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ [الآية 9] حالان من ضمير قانت ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ [الآية 9] أي ما يؤدي إلى عذابها أو يخاف العذاب الموعود بها ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الآية 9] من دخول جنته وحصول نعمته ووصول رؤيته.

قال ابن عطاء: القانت الذي يجتهد في العبادة فلا يرى ذلك من نفسه بل يرى من فضل الله عليه ولطفه ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 9] أي ويعلمون ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 9] أي يجهلون أو لا يعملون بما يعلمون نفيًا لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه أبلغ لمزيد فضل العلم بالمزية. / وقيل: المعنى كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون.

قال رويم: المقامات كلها علم والعلم حجاب أي المقامات كلها معلومات لأصحاب الحالات والعلم حجاب عن شهود الذات بمشاهدة الأفعال والصفات وقد قيل: العلم حجاب نوراني والغفلة حجاب ظلمياني ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ﴾ [الآية 9] يتعظ في هذا الباب ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الآية 9] أي دون أرباب الحجاب.

وأفاد الأستاذ: أنهما لا يستويان هذا في أعلى الفضائل وهذا بأسوأ الرذائل والعلم المخلوق على ضربين مجلوب بكسب العبد وموهوب من قبل

الرب ويقال: موضوع ومصنوع ويقال: علم بيان وعلم برهان، فالعلوم الدينية كلها برهانية إلا ما يحصل بنعت الإلهامية انتهى. وقد قيل: علم مشروع وعلم مطبوع ولا بدّ منهما ولا يستغنى عنهما ومن كان فيه أحدهما فهو في مرتبة القصور ومن أوتيهما، وكان فيه أحدهما فهو نور على نور ﴿وَمَنْ لَّا يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [النور: الآية 40].

﴿قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [الآية 10] بلزوم طاعته ودوام عبادة ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ [الآية 10] بالطاعات ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [الآية 10] مثوبة مستحسنة في العقبي والإحسان هو الإتيان بجميع وجوه الإمكان وقيل: في هذه بيان لمكان جنسه أي للذين أحسنوا بالعبادة حسنة في الدنيا وهي الصحة والعافية والقناعة وحسن الخاتمة ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ﴾ [الآية 10] فمن تعسر عليه التوفر على الإحسان في وطنه فليهاجر إلى متمكنه ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّادِرُونَ﴾ [الآية 10] على مشاق الطاعة من احتمال الأحزان ومهاجرة الأوطان ومفارقة الإخوان ﴿أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية 10] أجراً لا يهتدي إليه حساب الحساب وفي الحديث إنه ينصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا ينصب لأهل البلاء بل يصب عليهم الأجر صباً حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تُقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل رواه الثعلبي وابن مردويه (1).

﴿قُلْ/ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الآية 11] أي الانقياد في 99/ ب الطاعة على وجه المحبة.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَن أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية 12] أي وأمرت بذلك لأجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والعقبى لأن إحراز قصب السبق في الدارين بالإخلاص في الدين.

قال جنيد: الإخلاص إخراج الخلوة من معاملة الحق والنفس أول الخلق.

(1) أورده البيضاوي في تفسيره (1/ 60).

وقال الأستاذ: في الخبر أن الله يقول الإخلاص بين الله وبين عبده ويقال: إن الإخلاص لا يفسده الشيطان ولا يطلع عليه الملكان.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ [الآية 13] بترك الإخلاص في الدعاء والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك والرياء ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 13] لعظمة ما فيه من العناء.

﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الآية 14] في جميع أعماله وسائر أحواله من القيام بالطاعة والحذر عن المخالفة.

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي﴾ [الآية 15] وهو غاية الوعيد ونهاية التهديد ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾ [الآية 15] أي الكاملين في الخسران وإرادتهم الكافرين ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية 15] بالضللال ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ [الآية 15] بالاضلال ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية 15] حين يدخلون النار بالسلاسل والأغلال بدل الجنة ونعيم الوصال إلى أزل الأزل ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الآية 15] أي الظاهر البرهان لأنهم جمعوا وجوه الخسران ووبال الهجران.

وأفاد الأستاذ: إن ذلك غاية الخسران وهو الخزي والهوان والخاسر على الحقيقة من خسر دنياه بمتابعة الهوى وخسر عقباه بارتكاب ما عنه نهي وخسر مولاه فلم نستحي منه فيما رأى.

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الآية 16] أطباق منها.

وقال الأستاذ: وأحاط بهم سرادقها فهم لا يخرجون منها ولا يفترون عنها كما أنهم اليوم في جهنم عقائدهم يستديمون حجابهم ولا ينقطع عنهم عتابهم ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 16] إلى ما ذكر من العذاب ونحوه ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ [الآية 16] ليستجنبوا طريق خلافه ولو أراده ﴿يَعْبَادُ فَاتَّقُونِ﴾ [الآية 16] فخافوا عقوبتي واتقوا مخالفتي.

وقال الأستاذ: إن خفت اليوم كفيت اليوم وإلا فبين يديك عقبة كؤود أي شاق عليك.

/ ﴿وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظَّنَّ﴾ [الآية 17] المبالغ في الطغيان وهو الشيطان ومن يجري مجراه في العصيان ﴿أَنْ يَبْذُوهَا﴾ [الآية 17] بدل اشتغال منه أي يطيعوها ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 17] أقبلوا إليه واعتمدوا عليه ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ [الآية 17] البشارة الكاملة بالمشوبة الشاملة على السنة الرسل في الدنيا أو الملائكة عند حضور الموت وحلول العقبي.

قال سهل: الطاغوت الدنيا وأصلها الجهل وفرعها المأكول والمشارب وزينتها التفاخر وثمرتها المعاصي وميراثها القسوة والعقوبة.

وأفاد الأستاذ: أن طاغوت كل أحد نفسه وإنما يجتنب الطاغوت من خالف هواه وعانق رضى مولاه فعبادة النفس بموافقة الهوى وقليل من لا بعيد هواه ويجتنب حديث النفس وما يتمناه ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الآية 17].

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾ [الآية 18] أي الأقوال الحسنة ﴿فَيَسْتَعِزُّونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الآية 18] يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الأفضل فالأفضل من بين محاسن الشمائل ومناقب الفضائل ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [الآية 18] لدينه وأبواب يقينه ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الآية 18] ذوو العقول السليمة عن منازعة الأوهام الذميمة قال عيسى عليه السلام: جالسوا من يذكركم الله رؤيته ويرغبكم في الآخرة عبادته كذا في «تفسير السلمي».

وأفاد الأستاذ: أن اللام في قوله القول للعموم يقتضي جنس المقول والاستماع يكون لكل شيء والاتباع يكون للأحسن وفيه قولان أحدهما أن يكون بمعنى الحسن والثاني أنه للمبالغة والحسن ما كان مأذوناً فيه والأحسن هو الأولى والصواب ويقال: أحسنه ما كان لله دون ما سواه ويقال: الأحسن ذكر الله خالصاً لرضاه ويقال: من عرف الله لا يسمع إلا بالله ويقال: للعبد دواعي باطنه فوساوس الشيطان تدعوا إلى المعاصي وهو أحبس النفس يدعو إلى ثبات الأشياء مما لها فيه نصيب وحظ وخواطر الملك تدعوا إلى الطاعات والقربان وخطاب الحق في حقائق التوحيد ودقائق التفريد ويقال: من أحسن أن يسمع من الله أحسن أن يسمع عباد الله.

100/ ب

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ [الآية 19] وثبت له مذلة الحجاب ﴿أَفَأَنْتَ/ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ [الآية 19] أي أخلصه وتنجيه من العقاب وفيه إيماء إلى أن الأحوال اللاحقة إنما هي على طبق الأقوال السابقة.

وأفاد الأستاذ: إن الذين حقت عليهم كلمة العذاب فريقان فريق حقت عليهم كلمة بعذابهم في النار وأصحاب الحجاب حقت عليهم كلمة العذاب بأنهم اليوم لا يخرجون عن حجاب قلوبهم ولا يكون لهم بهذه الطريقة إيمان وإن كانوا من أهل الإيمان.

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْقَرُوا رَهْمَ لَهُمْ عُرْفٌ مِّنْ فَوْقَهَا عُرْفٌ﴾ [الآية 20] علالي بعضها فوق بعضها ﴿مَبْنِيَّةٌ﴾ [الآية 20] بنيت على أسس قوية سفلية وعلوية بحسب مراتب بهية ومناقب رضية وفيه تنبيه على أن أبنية الجنة حسية لا كما توهم قوم أنها معنوية ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الآية 20] من تحت غرفها أو من تحت تصرف أهلها ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ [الآية 20] مصدر مؤكد لما سبق من الوعد ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الآية 20].

أفاد الأستاذ: أنه سبحانه وعد المطيع بالجنة ولا محالة لا يخلفه ووعد التائبين بالمغفرة ولا محالة يغفر له ووعد المريد القاصد بالوجود والوصول فإذا لم يقنع له فترة فلا محالة يصدق وعده.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الآية 21] أي مباركاً وطهوراً ﴿فَسَلَكَهُ﴾ [الآية 21] أدخله ﴿يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 21] هي عيون ومجار كائنة فيها ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ [الآية 21] أصنافه من بر وشعير وغيرهما أو كفيياته من خضرة وحمرة ونحوهما ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ﴾ [الآية 21] يتم جفافه لأنه إذا تم حال يبوسته حان له أن يثور عن منبته ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ [الآية 21] من يبسه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَلًا﴾ [الآية 21] فتاتاً في تكسره ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ﴾ [الآية 21] لتذكر آياته بأنه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه وبأنه مثل الحياة الدنيا فلا يغتر بها إلا من اتبع هواه واختار دنياه على آخرته ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الآية 21] إذ لا عبرة بغيرهم في هذا الباب.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية إلى أن الإنسان يكون طفلاً ثم يصير شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً ثم يصير إلى أرذل العمر ثم آخره يخترم وعن حياته يحترم ويقال: إن الزرع ما لم يأخذ في الجفاف فلا يؤخذ منه الحب الذي هو المقصود منه كذلك الإنسان ما لم يجف من نفسه صوله لا يكون له قدر ولا قيمة ويقال: إن المؤمن بقوة عقله يوجب استقلاله بعلمه إلا أن يبدو منه/ كمال تمكنه من وقادة بصيرته ثم إذا بدأت لائحة من سلطان المعارف 101/أ تصير تلك الأنوار مغمورة فإذا بدت أنوار التوحيد استهلكت تلك الجملة كذلك قالوا:

فلما استنار الصبح أدرج ضوءه بأنواره أنوار تلك الكواكب ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الآية 22] من معرفة وهداية كائنة من عناية ربه ورعاية كمن ضيق قلبه فهو على ظلمة من نفسه من جهالة وغواية، وقد روى الحاكم وغيره عنه عليه السلام إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح فقليل: ما علامة ذلك؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله⁽¹⁾.

﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الآية 22] أي من أجل ذكره وهو أبلغ من أن يكون عن مكان من لان القاسي من أجل الشيء أشد تائباً من قبوله من القاسي عنه بسبب آخر له ﴿أُولَئِكَ﴾ [الآية 22] أي أصحاب القسوة وأرباب الغفلة ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 22] ظاهر الضلالة وأوضح الجهالة.

قال الحسين: قسوة القلب بالنعم أشد من قسوته بالنسيان فإن بالنعمة يشكر وبالشدّة يذكر.

وقال يحيى بن معاذ: قسوة القلب من اتباع الهوى ومخالفة الهدى.

وأفاد الأستاذ: أن النور الذي من قبله سبحانه اللوائح بنجوم العلم ثم

(1) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (2/ 489) رقم (983)، وفي القضاء والقدر (1/ 353) رقم (334).

نور اللوامع ببيان الفهم ثم نور المحاضرة بزوائد اليقين ثم نور المكاشفة بتجلي الصفات ثم نور المشاهدة بظهور الذات ثم أنوار الصمدية بحقائق التوحيد وعند ذلك فلا وجد ولا قصد ولا قرب ولا بعد، كلا بل هو الله الواحد القهار، يعني ويظهر حينئذ معنى قول من قال ليس في الدار غيره ديار.

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الآية 23] أي ما يحدث به ويشرح صدر العبد بسببه وهو القرآن العظيم والفرقان الكريم ﴿كَتَبْنَا﴾ [الآية 23] جامعاً للمعاني ﴿مُتَشَبِّهًا﴾ [الآية 23] في المباني ﴿مَثَانِي﴾ [الآية 23] مثنياً فيه أحوال الداني والقاصي والمطيع والعاصي أو مشتملاً على نوعي الثناء بذكر سلطانه وإحسانه وصفة الجنة والنار والوعد والوعيد للأبرار والفجار ﴿نَقَّشَرْنَا مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الآية 23] تضطرب/ وترتعد خوفاً مما فيه من الوعيد بالعقوبة ﴿ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ﴾ [الآية 23] أي تستكن وتطمئن ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الآية 23] في وعده بالرحمة وعموم المغفرة.

وقال الأستاذ: تقشعر وتلين بالخوف والرجاء ويقال: بالقبض والبسط ويقال: بالهيبة والإنس ويقال: بالتجلي والاستتار أقول وقد يقال: بالفناء والبقاء ويقال: بالمحو والصحو ويقال: بالسكّر والشكر ويقال: بالفرق والجمع ويقال: بالغفلة والخصور ويقال: بالشعور والغيبة ونحو ذلك مما يصح أن يقال هنالك:

عبارتنا شتّى وحسنك واحد وكلّ إلى ذاك الجمال يشير ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 23] أي الكتاب المعروف أو الحال الموصوف ﴿هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 23] هدايته ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ [الآية 23] أي ومن يخذله ويشأ ضلّالته ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الآية 23] يخرج من غوايته في بدايته أو نهايته.

﴿أَفَمَنْ يَنْتَقِي بَوَجهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية 24] يجعله درقه لأنه يقي به نفسه حيث يكون مغلوله يده إلى عنقه فلا يقدر أن يتقي إلا بوجهه سوء العذاب يوم القيامة كمن هو آمن من مقارنة العقوبة ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ [الآية 24] في

ذلك الحين ﴿ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الآية 24] أي سوء وباله وقبح حاله.

﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 25] من الجهة التي لا تخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها في حالهم.

﴿فَإِذَا قَهُمُ اللَّهُ لُحْزَى﴾ [الآية 26] الذل والمهانة بغتة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 26] كالمسوخ والخسف والقتل والسبي والإجلاء ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ [الآية 26] خزيًا وأكثر حزنًا لشدته ودوام مدته ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 26] ذلك لا اعتبروا بما هنالك.

وأفاد الأستاذ: أن أشد العذاب ما يكون بغتة كما أن أتم السرور ما يكون فلة ومن الهجران والفراق ما يكون فجأة غير متوقعة وهو أنكره للفؤاد وأشدّه في التأثير وأوجعه للقلب وفي معناه قلنا:

فبتنا بخير والdney مطمئنة وأصبحت يوماً والزمان تقلباً
وأتم السرور وأعظمه تأثيراً في الصدور ما يكون فجأة حتى قال قائلهم:
أشد السرور قفلة على غفلة، أي رجعة في حال جذبة ومنه فقولهم جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقيلين، وفي معناه أنشدوا:

بينها خاطر المني بالتلاقي سائح في فؤاده وفؤادي
جمع الله بيننا / فالتقينا هكذا بغتة بلا ميعاد⁽¹⁾ 102/أ

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ [الآية 27] بينا لهم ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الآية 27] يحتاج إليه الناظر في أمر دينه وتحقيق يقينه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 27] يتعظون به ويتفكرون في مصدره ومورده وينتفعون بما هو المقصود من ذكره.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 28] منصوب على المدح أي مقرأً غريب المعاني عربي المباني ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الآية 28] لا اختلال في مبانيه ولا اختلاف في معانيه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية 28] لكي يتقوا ما ينافيه ويتبعوا ما فيه من أوامره

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/5) و(7/31).

ونواهيه قال ابن أنس في قوله: غير ذي عوج أي غير مخلوق كذا في «تفسير السلمي». ولعله أشار إلى مضمون قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلُفْقَرَأْنِ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: الآية 82] وهذا ما وجد أحد فيه اختلافاً يسيراً فدل على أنه من عنده وإنه كلامه لا كلام غيره لأن المخلوق من حيث هو لم يخلو من نقص في وصفه.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ [الآية 29] أي بين مثلاً للمشرك والموحد وأبدل منه ﴿رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ [الآية 29] متخالفون متنازعون ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ [الآية 29] مثل المشرك على ما تقتضيه طريقته من أن يدعي كل واحد من معبودية عبوديته بعبد تشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتناوبون في خدمته على وفق مهامهم المختلفة في تحيره وتشتت فكره وتوزع أمره وتضييق صدره ومثل الموحد بمن خلص لواحد في ملازمته ليس لغيره عليه سبيل في مطالبته وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلماً بفتحتين وهو مصدر نعت به مبالغة ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ [الآية 29] أي الرجلان أو المثلان ﴿مَثَلًا﴾ [الآية 29] أي صفة وحالاً ﴿أَلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الآية 29] لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لأنه المنعم بالذات على ما عدها ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 29] فيشركون غيره. به من غلبة جهالتهم وقوة ضلالتهم.

قال ابن عطاء: لا يعلمون ما لهم في حمد الله من الذخر والفخر.

فقال جعفر: لا يعلمون أن أحداً من عباده لم يبلغ الواجب من حمده.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الآية 30] ستموت وغيرك أيضاً من المؤمنين والكافر يموتون.

102/ ب / ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ [الآية 31] على تغليب المخاطب على الغيب ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ عند رَيْبِكُمْ فَخَصْمُونَ [الآية 31] فتحتج عليهم بأنك اجتهدت في التبليغ والإرشاد وأنهم لجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالأباطيل مثل أطعنا سادتنا وكبرانا وإنا وجدنا آبائنا أو المراد به الاختصاص العام فيما دار بينهم في الدنيا يقصد الانتقام في ذلك المقام.

قال ابن عطاء: إنك ميت عما هم فيه من الاشتغال بالدنيا وإنهم ميتون

عما كشفت به من حقائق التقريب ودقائق قرب المولى وقيل: إنك ميت عن رؤية الأكوان وبمشاهدة المكون أي بخلاف أحوال أهل الغفلة والنسيان.

وأفاد الأستاذ: أن من لم يتفرع من ما تم نفسه وأنواع همه فليس له من هذا الحديث أثر شمه فإذا فرغ قلبه عن حديث نفسه وعن الكون بجملته فحينئذ يجد الخبر من ربه وليس هذا الحديث يصح منهم إلا بعد فنائهم عنهم.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 32] افترى عليه بإضافة الولد والشريك إليه ﴿وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ﴾ [الآية 32] وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الحق ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾ [الآية 32] من غير تفكر في أمره وتوقف في دهره ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الآية 32] أي ذلك يكفيهم فيما يجازيهم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إلى من أشار إلى أشياءكم يبلغها ويدعي وجود أشياء لم يذق شيئاً منها وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: الآية 60]، ويقال: لا بل هؤلاء الكفار وفأما المدعي الذي لم يبلغ ما يدعيه من حاله فكيف يكذب على ربه وإنما كذب على نفسه حيث ادعى لها أحوالاً لم يجدها ولم يذوقها فأما غير المتحقق الذي يكذب على الله فهو الجاحد والمبتدع الذي يقول في صفته سبحانه ما يتقدس ويتعالى عنه عز شأنه.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الآية 33] أريد به الجنس ليدخل الرسل والمؤمنون لقوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الآية 33] وقيل: هو النبي وأتباعه أجمعون وقيل: الجائي هو الرسول والمصدق أبو بكر وقيل: على ما في الدر وذلك يقتضي إضمار الذي وهو جائز عند الأخفش والكوفيون خلافاً / للبصريين 103/ أ قال أبو سعيد الخراز الصدق منزلة تبلغ الآمل مأموله.

وقال الأستاذ: جاء بالصدق في أفعاله من حيث الإخلاص وفي أحواله من حيث الصدق وفي أسراره من حيث الحقيقة.

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ [الآية 34] من النعمة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 34] في الجنة

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 34] في الطاعة.

وقال الأستاذ: لما سلموا له المشيئة استيقنوا بأن الله يفعل ما يشاء سلم لهم المشيئة غداً فقال: لهم ما يشاؤون عند ربهم ثم ظاهر هذا الخطاب أن يرى ربه كل وقت وأراده ثم لا يريد دوام الرؤية أي سلب عنه هذه الإرادة ليتم له اللذات المعتادة.

﴿يُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [الآية 35] أي ليغفر لهم ويستر عنهم ﴿أَسْوَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الآية 35] أخص الأسوأ للمبالغة فإنه إذا كفر كان غيره أولى بذلك في العادة أو للإشعار بأنهم لاستعظامهم الذنوب الصادرة عنهم يحسبون أن ما فرط فيهم من الصغائر أسوأ ذنوبهم ويجوز أن يكون بمعنى السيء وإنما لم يؤت به لئلا يتوهم عدم مغفرة الأسوأ ﴿وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾ [الآية 35] ويعطيهم ثوابهم ﴿بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 35] فيعد لهم محاسن أعمالهم بأحسنها في زيادة الأجر وعظمه لفرط إخلاصهم فيها.

وأفاد الأستاذ: أن من لا يكون مؤمناً فليس من أهل هذه الجملة ومن كان معه إيمان فإذا كفر عنه أسوأ عمله وأسوأ أعماله كبائره فإذا غفرت يجزيهم بأحسن أعمالهم وأحسن أعمال المؤمن الإيمان والمعرفة فإذا كان المؤمن مؤقتاً كان ثوابه مؤقتاً وإلا ليس كذلك وإذا كان الإيمان على الدوام فثوابه على الدوام ثم يجب أي بمقتضى الوعد أن يكون على أحسن الأعمال أحسن الثواب وأحسن الثواب الرؤية فيجب أن يكون على الدوام وهذا استدلال قوي في المرام أقول الظاهر أن المراد بأحسن الأعمال جنس الأحوال من الإيمان وغيره من الأقوال والأفعال وكذا أحسن الثواب جنس مترتب على ما ذكر في هذا الباب ولذا قال بعض المحققين أن الرؤية في 103/ ب العقبى إنما هي بقدر المعرفة وحالة المراقبة والمحاضرة / والمشاهدة في الدنيا.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الآية 36] أي رسوله ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الآية 36] حيث قال

قريش له إنا نخاف أن تخيلك آلهتنا بعبك إياها ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ [الآية 36] حتى عقل عن كفايته وخوفه بما لا ينفع ولا يضر بحسب ذاته ﴿فَمَا لَكُمْ مِنْ هَادٍ﴾ [الآية 36] يهديه إلى إرشاده.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ [الآية 37] اكتفى بحمايته ورعايته ﴿فَمَا لَكُمْ مِنْ مُضِلٍّ﴾ [الآية 37] عن طريق هدايته إذ لا راد لفعله ولا معقب لحكمه كما قال ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ [الآية 37] غالب منيع بديع ﴿ذِي أَنْفَامٍ﴾ [الآية 37] من أعدائه لأحبابه.

قال أبو بكر بن طاهر: من لم يكتف بربه بعد قوله أليس الله بكاف عبده فهو في درجة الهالكين.

وأفاد الأستاذ: أن الله كاف عبده اليوم في عرفانه بتصحيح إيمانه وغداً في غفرانه وما بينهما فكفاية تامة وسلامة عامة.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ [الآية 38] إذ لا جواب لهم سواه ﴿اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 38] أي ما تعبدون مما سواه ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الآية 38] بمضرة من محنة ومشقة ومرض وفاقة ﴿هَلْ هُنَّ كَشَفَتْ ضُرِّيَّ﴾ [الآية 38] هل من يكشفه ويرفعه عني ﴿أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ﴾ [الآية 38] بنعمة من صحة وسعة وراحة ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِي﴾ [الآية 38] فيمنعها مني وقرأ أبو عمر وبتنوين كاشفات وممسكات ونصب ضره ورحمتي ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [الآية 38] كافياً في إصابة الخير ودفع الضر إذ تقرر أنه القادر الذي لا مانع لما يريد من الخير أو الشر ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الآية 38] وقرأ أبو بكر.

﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا﴾ عَلَى مَكَاتِبِكُمْ [الآية 39] أي حالاتكم ومراتب مقاماتكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ [الآية 39] على مكاتي بقدر حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 39].

﴿مَنْ يَأْنِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [الآية 40] أي بهيبته ويهلكه ويرديه في الدنيا ﴿وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [الآية 40] دائم وهو عقاب العقبي.

وقال الأستاذ: سوف ينكشف ربنا وخسرانكم وسوف يظهر زيادتنا ونقصانكم وسوف نطالبكم ولا جواب لكم ونعاقبكم ولا شفيع لكم وندم عليكم فلا صريخ لكم ولا مغيث لديكم.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 41] / لأجلهم فإنه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبساً بالصدق.

قال سهل: ليهتدوا ﴿بِالْحَقِّ﴾ [الآية 41] إلى الحق ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ﴾ [الآية 41] إذا نفع به نفسه في حالها ومآلها ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الآية 41] فإن وبالها لا يتخاطاها ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الآية 41] ما وكل إليك أمرهم لتجبرهم، على الهداية وإنما أمرت بالتبليغ وقد بلغت وفي النصيحة بالغت.

وأفاد الأستاذ: أن من أحسن فإحسانه إلى نفسه اكتسبه ومن أساء فبلاؤه إلى نفسه جلبه والحق غني عن التجميل بطاعة من أقبل والتنقص بزلة من أعرض.

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الآية 42] أي يقبضها عن الأبد إن جميعها بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها إما ظاهراً أو باطناً وذلك عند الموت أو ظاهراً لا باطناً وهو في حالة النوم ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ﴾ [الآية 42] أي قدر وحكم ﴿عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ [الآية 42] ولا يردّها إلى بدنّها وقرأ حمزة والكسائي بضم القاف وكسر الضاد ورفع الموت ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾ [الآية 42] أي النائمة إلى بدنّها عند يقظتها ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 42] وهو الوقت المضروب لموته. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن في ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز، والروح التي بها النفس والحياة فتتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم⁽¹⁾.

وعن علي رضي الله عنه أنه قال: تخرج الروح عند النوم ويبقي شعاعه

(1) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 205) رقم (1118).

في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فإذا نبه من النوم عاد الروح إلى جسدها بأسرع من لحظة⁽¹⁾.

وقال سهل: إن الله تعالى إذا توفى الأنفس أخرج الروح النوري من لطيف نفس الطبع الكثيف فالذي يتوفى في النوم من لطيف نفس الطبع لا من لطيف نفس الروح فالنائم يتنفس نفساً لطيفاً وهو نفس الروح الذي إذا زال لم يكن للعبد حركة وكان ميتاً وقال: حياة نفس الطبيعي بنور لطيف الروح وحياة لطيف نفس الروح بذكر الله وقال أيضاً: الروح / يقوم بلطيفه في ذاتها بغير 104/ب نفس الطبع ألا ترى أن الله خاطب الكل في الذر بنفس الروح مع فهم وعقل وعلم لطيف بلا حضور طبع كثيف ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [الآية 42] أي فيما ذكر من التوفي والإمساك والإرسال ﴿لَا يَكْتِبُ﴾ [الآية 42] لدلالات على كمال قدرته وجمال حكمته وشمول رحمته ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 42] في كيفية تعلقها بأبدانها وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وإمساكها باقية ولو صارت أبدانها فانية وما يعتربها من السعادة وأحوالها والشقاوة وأحوالها وفي الحكمة في توفيها على ظواهرها وإرسالها حيناً بعد حين إلى توفي آجالها.

وأفاد الأستاذ: أن قبض الأرواح في حال النوم بإخراج اللطيفة التي في البدن وهي الروح ويخلق بدل الاستشعار والعلم الغفلة والغيبة في محال الإحساس والإدراك ثم إذا قبض الأرواح عند الموت خلق في أجزائه الموت بدل الحياة والموت ينافي الإحساس والعلم وإذا ردّ الأرواح بعد النوم إلى الأشباح خلق الإدراك في محل الاستشعار فيصير مستيقظاً والأرواح إذا قبضها الله في حال النوم فقد وردت الأخبار أن لها مراتب وإن روحاً تقبض على الطهارة ترفع إلى العرش وتسجد لله سبحانه ويكون لها تعريفات ومخاطبات والله أعلم.

﴿أَمِرٌ اتَّخَذُوا﴾ [الآية 43] بل اتخذ المشركون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ [الآية 43]

(1) أورده البغوي في تفسيره (7/ 122)، والنسفي في تفسيره (4/ 56).

أَتَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى زَعْمِهِمْ ﴿قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَمْ يَشْفَعُوا وَلَا يَسْتَعِينُونَ﴾ [الآية 43] أي يشفعون ولو كانوا كما يشاهدون جمادات لا يقدرون ولا يعلمون.

﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الآية 44] أي هو مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة ولا يستقل بها ﴿لَكُمْ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 44] أي أنه مالك الملك كله لا يملك أحد أن يتكلم في أمره دون إذنه وحكمه ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 44] إلى موافاة جزائه.

قال الواسطي: قطع أطماع العباد أجمع عنه أن يصل أحد إليه إلا به لقوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الآية 44].

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ [الآية 45] دون آلهتهم ﴿أَسْمَأَزَّتْ﴾ [الآية 45] نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الآية 45] وما يتعلق بها من التوحيد والنبوة ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الآية 45] من صنم/ وغيره ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الآية 45] لفرط افتتانهم به ولقد بولغ في الأمرين غاية المبالغة في بيان العبارة فإن الاستبشار أن يمتلىء القلب سروراً حين ينسبط له بشرة وجهه والاشمئزاز أن يمتلىء غماً حتى ينقبض أديم وجهه والعامل في إذا لمفاجأة.

قال أبو عثمان: كل قلب لا يعرف الله فإنه لا يأنس بذكره ولا سكن إليه ولا يفرح به.

﴿قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 46].

أفاد الأستاذ: أنه سبحانه أوحى إليه وعلمه كيف يشي عليه، والآية تشتمل على الإشارة إلى البيان بما فيه التنصل والتذلل وابتغاء العفو والتفضل وتحقيق الالتجاء بحسن التوكل.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 47] أي لكل نفس ظلمت ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية 47] إقنط كلي لهم من الخلاص ووعيد شديد بعدم تصور المناص ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا

يَحْتَسِبُونَ ﴿[الآية 47] زيادة مبالغة في الوعيد وهو نظير قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: الآية 17] في الوعد قيل: من اعتمد الفضل نجا ومن اعتمد العمل بدا له منه الهلاك.

وقال الأستاذ: لافتدوا به لم يقبل منهم واليوم لو تصدقوا بمثقال ذرة لقبول منهم كما أنهم لو بكوا في الآخرة بالدماء لا يرحم عليهم في البكاء ويدمعة واحدة اليوم يمحي كثير من دواوينهم ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الآية 47] في سماع هذه الآية حسرات لأصحاب الانتباه ففي بعض الأخبار أن قوماً من المسلمين من أصحاب الذنوب يؤمر بهم إلى النار فإذا وافوها يقول مالك: من أنتم فإن الذين جاؤوا قبلكم من أهل النار وجوههم كانت مسودة وعيونهم مزرقة وأنتم لستم بتلك الصفة فيقولون ونحن لم نتوقع أن نلقاتك وإنما انتظرنا سبباً آخر هنالك ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الآية 47].

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الآية 48] سيئات أعمالهم حين تعرض صحائف أحوالهم ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية 48] وأحاط بهم جزاء استهزائهم.

/ ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ [الآية 49] بلية مجازاة لأعماله أو امتحاناً لأحواله 105/ ب ﴿دَعَانَا﴾ [الآية 49] إخبار عن الجنس بما يغلب فيه من تقلب قلبه في مقابلة حكم ربه. قال جنيد: من يرى البلاء ضراً فليس بعارف إذ العارف من يرى الضر على نفسه رحمة ﴿ثُمَّ إِذَا حَوْلَتْهُ نِعْمَةٌ مِّنَّا﴾ [الآية 49] أعلينا إياه تفضلاً من عندنا ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الآية 49] على معرفة مني بوجوه كسبه وإلهاماً إن جعلت موصولة لا كافة وإلا فللنعمة والتذكير لأن المراد بها الإنعام ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ [الآية 49] امتحان له أشكر أم يكفر وتأنيث الضمير باعتبار الخبر أو لفظ النعمة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 49] حقيقة القضية.

﴿قَدْ قَالَهُمْ﴾ [الآية 50] أي هذه الكلمة أو الجملة المتقدمة ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 50] كقارون وأمثاله ممن اغتر بكثرة ماله ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 50] في متاع الدنيا عن ظهور هلاك العقبي.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الآية 51] أي جزاؤها ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾ [الآية 51] المشركين الموجودين ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الآية 51] فإنهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم ﴿وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الآية 51] فائتين.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 52] حيث ضيق عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 52] بأن الحوادث كلها من الله وأن لا متصرف في الكون سواه.

وقال الأستاذ: أو لم يروا كيف خالف بين أحوال الناس في الرزق فموسع عليه ومضيق له وليس لواحد منهم شيء مما خص به من التقصير والتكثير.

﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية 53] الظاهر أن الخطاب للكفرة وإن عموم المغفرة لما يترتب على الإيمان من الكفارة لثلاثين ينافي بعمومه قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية 48] ولا يناقض ما صح في الإخبار من عذاب جمع من المؤمنين في النار ولما روي في سبب نزوله على ما رواه الطبراني والبيهقي من أن أهل مكة قالوا: يزعم محمد أن من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له⁽¹⁾ فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الأوثان وقتلنا الأنفس ولقوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ [الآية 54] أي توبوا إليه ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الآية 54] أي بقلوبكم أو انقادوا بجوارحكم ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ [الآية 54] أو الآية عامة إلا أن عموم المغفرة يقيد بالتوبة الشاملة للكفر والمعصية وما أبعد من قال: أنه يغفر بلا توبة ولو بعد العقوبة.

قال الحريري: أمر الله عباده أن لا يعتمدوا على أعمالهم ولا يقنطوا من التقصير في أحوالهم فإن العناية والرعاية سبقت العباد أي على وفق المشيئة.

(1) أورده البيضاوي في تفسيره (71/1).

وقال سهل في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الآية 54] ارحلوا إليه بالتضرع والدعاء والمسألة والثناء وأسلموا له فوضوا الأمر إليه.

وقال محمد بن علي: اعتذروا إليه مما سلف منكم من التقصير وأخلصوا على دوام الموافقة بعدها.

وأفاد الأستاذ: أن التسمية يا عبادي مدح والوصف بأنهم أسرفوا ذم فلما قال: ﴿قُلْ يَعْبادِي﴾ [الآية 53] طمع المطيعون ولم يكونوا هم المقصودين بالآية فرفعوا رؤوسهم ونكس العاصي رأسه وقال: من أنا حتى يقول لي هذا؟ فقال الله: ﴿الَّذِينَ اسْرَفُوا﴾ [الآية 53] فانقلب الحال فهؤلاء الذين نكسوا رؤوسهم انتعشوا وزالت مذلتهم والذين رفعوا رؤوسهم أطفقوا وزالت صولتهم ثم أزال الأعجوبة عن القضية بما قوى رجاءهم بقوله: ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية 53] يعني إن أسرفت فعلى نفسك أسرفت، يعني لا يضر بكبريائنا ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الآية 53] بعدما قطعت اختلافك إلى بابنا فلا ترفع قلبك عن جنابنا وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الآية 53] الألف واللام للاستغراق والعموم وذنوب جمع وجميعاً تأكيد فكأنه قال: أغفر ولا أترك وأعفو ولا أبقي ويقال: إن كانت لكم جناية عميمة فلي بشأنكم عناية قديمة ثم الإنابة هي الرجوع بالكلية وقيل: الفرق بين الإنابة والتوبة أن التائب يرجع خوف العقوبة وصاحب الإنابة يرجع استحياء الكرامة المشهورة بين الصوفية في الفرق بين التوبة والإنابة إن الأولى من المعصية والثانية عن الغفلة والإسلام الذي هو الإخلاص بعد الإنابة أن يعلم أن نجاته بفضله لإنابته بفضله يصل إلى إنابته وإنابته يضل إلى فضله وقيل: المراد بالعذاب الفراق والحجاب.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ [الآية 56] كرامة أن تقول نفس مقصرة في الطاعة ﴿بِحَسْرَةٍ﴾ [الآية 56] / وقرئ بالياء على الأصل ﴿عَلَىٰ مَا قَرَّطْتُ﴾ [الآية 56] بما قصرت ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الآية 56] في جانبه أي في حقه وهو طاعته أو في قربه وحضرته أو في جنب نعمته أو مقابلة منته ﴿وَإِنْ كُنْتَ لِمِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الآية 56] المستهزين بأهل عبادته.

قال الواسطي: من قصد في مقصوده غير الحق فقد عظمت استهانتة للحق.

وقال سهل: من ترك مراعاة حق الله وملازمة خدمته واشتغل بعاجل الدنيا من سابقة النفس ولذة هواه فقد ضيع في جنب الله أي في ذاته من القصد إليه والاعتماد عليه.

وقال فارس: من هرب مني لأحرقنه أي من هرب مني إلى نفسه أحرقتة بالتأسف على قوتي إذا شاهد حقاً مقامات أهل معرفتي ويدل عليه قوله: ﴿بَحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الآية 56] وهذا لا يقوله إلا محترق كذا في «تفسير السلمي».

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ [الآية 57] إلى الإيمان والإحسان ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُنْقِصِينَ﴾ [الآية 57] للعصيان.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ [الآية 58] أي رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 58] في العقيدة والعمل النافع في العقبى.

﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَكَاءٌ بِكَ فَأَنْتَ مُخَيَّرُهَا وَأَسْتَكَرَّتْ﴾ [الآية 59] على من بينها ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية 59] أي صرت ممن أصر على الكفر بها أو كنت في علم الله من الكافرين فلم يحصل لك منفعة فيها.

وأفاد الأستاذ: إنه يقال هذا في أقوام يرون بعض أمثالهم قدموا عليهم في علو أحوالهم فتذكروا ما سلف من تقصيرهم ورأوا ما وفق أولئك من توفيرهم فيعضون بنواجد الحسرة على أنامل الخيبة.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 60] بإثبات الولد والشريك له ﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الآية 60] بما ينالهم من الظلمة والشدة ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الآية 60] عن الإيمان والطاعة.

قال يوسف بن الحسين: أشد الناس عذاباً يوم القيامة من ادعى في الله ما لم يكن له أو أظهر من حال هو خال عنه قال الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ

تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ﴿٦٠﴾ [الآية 60] قال: هم الذين ادعوا محبة الله ولم يكونوا صادقين في دعواه.

وأفاد الأستاذ: إن هؤلاء الذين ادعوا أحوالاً ولم يصدقوا فيها وأظهروا المحبة ولم يتحققوا/ بها وكفاهم افتضاحاً بذلك صباحاً ورواحاً. 107/أ

ولما ادعيت الحب قالت كذبتني فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا
فما الحب حتى تنزف الدمع بالبكا وتخرس حتى لا تجيب المناديا
﴿وَيَجِيءُ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ [الآية 61] بسبب فلاحهم من إيمانهم
وصلاح أعمالهم مفعلة من الفوز وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع مراعاة
للمضاف إليه ﴿لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية 61].

قال الواسطي: ينجيهم بما سبق لهم من الفوز بالسعادة ﴿لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ﴾ [الآية 61] زوال النعمة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية 61] على فوت المنة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما وقاهم اليوم عن المخالفات حماهم غداً
عن المعاقبات فالمتقون فازوا بسعادة الدارين اليوم عصمة وغداً نعمة واليوم
عناية وغداً حماية.

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية 62] من خير وشر وإيمان وكفر ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الآية 62] يتولى التصرف فيه بما شاء منه.

قال الحسين: كل ما أراد الله به الإهانة والمذلة ألبسه لبسة المخلوقة
ألا ترى كيف نزه عن ذلك صفاته وكلامه فالله خالق كل شيء والمخلوقات
ليس لها عز إلا بالنسبة إلى خلقه.

وأفاد الأستاذ: أن اكتساب العباد دخل في هذه الجملة ولا يدخل
كلامه فيه لأن المخاطب لا يدخل تحت الخطاب ولا صفاته.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 63] مفاتيح أمرها من خيرها وشرها ولا
يتمكن غيره من التصرف فيها بأجمعها. وعن عثمان بن عفان: أنه سأل النبي
صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال: تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان

الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير رواه الطبراني وغيره بسند ضعيف⁽¹⁾.

والمعنى على هذا أن الله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السماوات والأرض من تكلم بها أصابه خير منها.

وقال سهل: بيده مفاتيح القلوب موفق من يشاء لطاعته وخدمته وتصرف من يشأ عن بابه وحضرته.

وأفاد الأستاذ: أن المراد منه أنه قادر على جميع المقدورات فما يريد أن يوجده أوجده من الكائنات ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثَةِ اللَّهِ﴾ [الآية 63] دلائل قدرته وشواهد حكمته أو بكلمات توحيده وتمجيده ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ 107/ ب [الآية 63] في جميع الأزمان لخسرانهم رأس مالهم من الإيمان / وحرمانهم عن ربح حالهم من العرفان.

﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَ﴾ [الآية 64] وقرأ نافع بالتخفيف وابن عامر تأمروني ﴿اعْبُدُوا إِلَهًا لَّجَاهِلُونَ﴾ [الآية 64] أي أبعد هذه الدلائل تأمروني بعبادة غيره أيها الجاهلون بوصفه وأمره.

قال أبو عثمان: عبادة الله على الإخلاص ينفي عن صاحبها الجهل قلت: لأن الإخلاص إنما ينشأ عن غاية المعرفة وترك العبادة أو ممزوجة بالرياء والسمعة تنشأ عن نهاية الجهالة.

وقال الأستاذ: أي متى يكون لكم طمع في أن أعبد غيره وبتوحيده رباني وبتفريده عزاني وشراب حبه سقاني.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الآية 65] من الأنبياء والمرسلين ﴿لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْطَبَنَّ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الآية 65] في عملك كلام على

(1) أورده البيضاوي في تفسيره (75 / 1)، وأبو السعود في تفسيره (261 / 7).

سبيل الفرض والتقدير وإفراد الخطاب باعتبار كل واحد في التعبير، والمراد به تهيج الرسل وأقنات الكفرة والأشعار على حكم الأمة.

قال ابن عطاء: لئن طالعت غيري لتحرمن حظك من قربي وأمري.

وقال جعفر: لئن نظرت إلى من سواه لتحرمن في الآخرة لقاءه.

﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ﴾ [الآية 66] لا غيره ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الآية 66] لأنعامه قيل: حقيقة العبودية تسليم الأمور للربوبية.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الآية 67] أي ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق عظمتهم حيث جعلوا له شريكاً في ذاته أو وصفوه بما لا يليق به من صفاته ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً﴾ [الآية 67] ﴿قَبْضَتُهُ﴾ [الآية 67] بطبقاته أي ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الآية 67] تنبيه على جمال عظمتهم وكمال قدرته ﴿سُبْحَنَهُ وَقُدْرَتُهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 67] ما أبعد من هذه صفاته عن إشراكهم بمخلوقاته.

قال جنيد: متى كانت منشورة حتى صارت مطوية سبحانه نفى عن نفسه ما يقع من العقول من طيها ونشرها إذ كل الكون كحبة خردلة أو جناح بعوضة أو أقل من ذلك كذلك قوله: قائم على كل نفس يستحيل قيامه على هذا الكون الذي لا يزن ذرة عنده بل قيامه بنفسه لنفسه.

وقال الأستاذ: ما وصفوه حق وصفه فمن اتصف بتمثيل أو جنح إلى تعطيل حاد عن السنن المثلى وانحرف عن الطريقة الحسنی وصفوا الحق / 108 أ بالأعضاء وتوهموا في نعتهم الأجزاء فما قدروه حق قدره فالخلق في قبضة قدرته والسموات مطويات بيمين قوته ولا يد في نعتهم أقسم أن يفنيها ويطويها سبحانه تنزيهاً له عما أشركوا في صفته.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الآية 68] النفخة الأولى ﴿فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 68] خر ميتاً ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الآية 68] قيل جبريل وميكائيل وإسرافيل: فإنهم يموتون بعد ذلك وقيل: حملة العرش والمقربون هنالك ﴿ثُمَّ نُفِخَ

فِيهِ أُخْرَى ﴿[الآية 68] نفخة أخرى ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ [الآية 68] أي الخلق كلهم ﴿فَيَاوِي﴾ [الآية 68] قائمون من قبورهم أو متوقفون في أمورهم ﴿يَنْظُرُونَ﴾ [الآية 68] في جوانبهم أو ينتظرون ما يفعل بهم.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه النفخة الأولى يموتون ثم في النفخة الثانية يجرون والنفختان متجانستان فيخلق الله عند أحدهما إزهاق الأرواح وفي الأخرى منهما إحياء الأشباح ليعلم أن النفخة لا تعمل شيئاً بعينها وإنما الجبار بقدرته يخلق ما يشاء ويحكم ما يريد بعزته.

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الآية 69] بما أقام من العدل فيها كما في حديث الشيخين: الظلم ظلمات يوم القيامة⁽¹⁾. أو بسبب نور ربها في قلوب أهلها من المؤمنين ويؤيده قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ﴾ أي نور إيمانهم ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَمَانِهِمْ﴾ [الحديد: الآية 12].

وقال سهل: قلوب المؤمنين يوم القيامة تشرق بتوحيد سيدهم والاقتداء بسنة نبيهم. وقال القاسم: أشرقت الأرض بأولياء الله فهم أنوار الله.

وقال الأستاذ: نور يخلقه الله في القيامة فتشرق القيامة به وذلك عند تكوير الشمس وانكدار النجوم وذلك الإشراق والنور يستضيء به قوم دون قوم والكفار يبيتون في الظلمات والمؤمنون نورهم يسعى بين أيديهم ويقال: اليوم إشراق وغداً إشراق في القيامة إشراق الأرض واليوم إشراق القلب وغداً إشراق الأرض بنور ربها واليوم إشراق القلوب بحضورها عند ربها ويقال: غداً أنوار التولي للمؤمنين واليوم أنوار التجلي للعارفين ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ [الآية 69] الجزاء والحسنات أو صحائف الأعمال في أيدي العمال وقيل: اللوح المحفوظ تقابل به صحائف أعمال العباد فتطابقه من غير زيادة ولا نقصان في جميع الموادي ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ [الآية 69] أي والمرسلين ﴿وَالشُّهَدَاءَ﴾ [الآية 69] 108/ ب للأمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل: أراد بهم/ المستشهدين وفي معناهم

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2447)، ومسلم في الصحيح (2579/57).

العلماء العاملين والأولياء من أرباب الشهود واليقين ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 69] بين الخلق ﴿بِالْحَقِّ﴾ [الآية 69] بالعدل والصدق ﴿وَهُمْ لَا يظْلَمُونَ﴾ [الآية 69] بنقص ثواب وزيادة عقاب.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ [الآية 70] جزاؤه إن كان خيراً فخييراً وإن كان شراً فشرّاً ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 70] أي بأفعالهم وما يترتب عليها من الجزاء وفق أحوالهم.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا﴾ [الآية 71] أفواجاً متفرقة بعضها في إثر بعض بمراتب مختلفة على تفاوت إقدامهم في الضلالة والشرارة ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الآية 71] ليشموا حدة ريحها ويدركوا حدة فوحها وقرأ الكوفيون: بالتخفيف هنا وفيما بعدها ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا﴾ [الآية 71] تقريراً وتوبيخاً ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ [الآية 71] من جنسكم ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الآية 71] وهي قوله تعالى: لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين.

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الآية 72] عن قبول الدين أو على أهل الحق واليقين وفيه تنبيه إن تكبرهم وسائر قبائحهم مسببة عن الحكم عليهم بشقائهم ففي الحديث: «إن الله تعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموتوا على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار»⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن الكفار يساقون إلى النار عنفاً والمؤمنون يساقون إلى الجنة لطفاً فالسوق بجمع الجنسيتين ولكن شتان بين سوق وسوق إلى المكانين، فإذا جاء الكفار قابلهم خزنة النار بالشريب والتأنيب فلا تكريم ولا

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (2/ 593) رقم (4001)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 266) رقم (3075)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 347) رقم (11190)، وابن حبان في الصحيح (14/ 37) رقم (6166)، وأبو داود في السنن (4/ 363) رقم (4705).

تعظيم ولا سؤال ولا استقبال بل خزي وهوان ومن كل جنس من العذاب ألوان.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ﴾ [الآية 73] إسراعاً بهم إلى دار الكرامة ومحل السلامة وقيل: سيق مراكبهم إذ لا يذهب بهم على أقدامهم ﴿زُمَرًا﴾ [الآية 71] على تفاوت أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سوق ولكن بغير تعب ولا نصب سوق ولكن بروح وطرب وقوله ﴿زُمَرًا﴾ [الآية 71] جماعات / هؤلاء عوام الجنة وفوق هؤلاء قوله: ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: الآية 85]، وفوقهم من قال: ﴿وَأُزْلِفَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: الآية 90] غير بعيد، ففرق بين من يُساق إلى الجنة وبين من تقرب منها على سبيل المنة هؤلاء الظالمون والآخرين المقتصدون والآخرين السابقون ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتَأْ أَبْوَابُهَا﴾ [الآية 71] حذف جواب إذا للدلالة على أن لهم حينئذ من الكرامة ما لا تحيط به العبارة وإن أبواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم تعظيماً لقدومهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم وافوا الجنة تكون الأبواب مفتحة لئلا يصيبهم وصف الاستنظار وفيه من المحنة ويقال: إذا كان حديث الجنة فالواجب أن يبادر إليها ولا يحتاج إلى أن يساق لها ولعل هؤلاء لا رغبة لهم في الجنة بالكثرة فلهم معه في الطريق طيب فيساقون إلى الجنة ولكن بلطف دون عنف ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 73] لا يلحق مكروه إليكم ﴿طِبْتُمْ﴾ [الآية 73] طهرتم من أدناس وأرجاس كانت لديكم ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الآية 73] مقدرين الخلود فيها.

قال ابن عطاء: السلام في الجنة من وجوه منهم من يسلم عليهم خزنة الجنة يقولون: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ [الآية 73] وهؤلاء قائم، ومنهم من يكون سلامه من الملائكة بقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَعِمَّ عُمَى الدَّارِ﴾ [الرعد: آيتان 23، 24]، ومنهم من يكون له سلام من الحق سبحانه بقوله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ﴾ [يس: الآية 58] وهم أرفعهم درجة. أقول:

ولا يبعد أن يحصل لبعضهم هذه الجملة.

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الآية 74] بالبعث والمثوبة
﴿وَأَوْزَنَنَا الْأَرْضَ﴾ [الآية 74] أرض الجنة ﴿نَنْبُوْا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الآية 74]
بإدخال الجنة وإكمال المنة ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ [الآية 74] الجنة ودرجاتها
العلية.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء أقوام مخصوصون والذين هم أهل الغرف قوم
آخرون.

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ﴾ [الآية 75] محدقين ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الآية 75]
ومن زائدة أو ابتدائية ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 75] ملتبسين بحمده وثنائه،
والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله وجماله تلذذاً بنعوت كماله وفيه إشعار بأن
منتهى درجات العليين من الخلق هو الاستغراق في ذكر الحق.

قال أبو علي الجرجاني: ما تقرب أحد إليه إلا بالافتقار والعبودية
والتذلل والتنزيه للربوبية من كل ما نسب إليه مما لا يليق إطلاقه عليه. ألا
ترى إلى مقام الملائكة / مع كمال قربهم يحفون بالعرش يسبحون بحمد ربهم 109/ ب
وذلك غاية عباداتهم ونهاية لذاتهم ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 75] بين الخلق
﴿بِالْحَقِّ﴾ [الآية 75] بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة حسب دركاتهم ووفق
درجاتهم أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 75] على ما قضى بيننا أو على ما هدانا أو آخر دعواهم أن
الحمد لله رب العالمين على أحوالنا في ديانا وآخرتنا.

سورة غافر (المؤمن) (1)

[مكية]

وهي خمس وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة من تحقق بها شرف من الحق مناله وصفت عنده أحواله خلع على نفسه ود الأفضال وألبس قلبه حلل الإقبال وأفرد روحه بروح لطف الجمال واستخلص سره بكشف وصف الجلال.

﴿حَمْدٌ﴾ [الآية 1] أمال حاء ابن عامر وحمزة والكسائي محضاً وورش وأبو عمرو بين بين ولا يبعد أن يكون في الحاء إيماء إلى بعض الأسماء كالحميد وفي الميم إشارة إلى بعضها كالمجيد أو بهما يشار إلى شطر الأول من الحميد وإلى طرفي حرفي الحكيم.

وأفاد الأستاذ: أن في تفسير حم أمر كان أي قضى بحلمي ومجدي لا أخلد في النار من آمن بي ويقال بهذه الحروف.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الآية 2] أي البالغ في القدرة الكاملة والحكمة البالغة الشاملة.

وقال سهل: الحي الملك هو الذي أنزل عليك الكتاب وهو الذي وله به قلوب العارفين العزيز عن درك الخلق ﴿الْعَلِيمِ﴾ بما شاء قدر.

وقال الأستاذ: أي المعز لأوليائه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بما كان ويكون منهم فلم

(1) في المخطوطة: المؤمن.

يمنعه علمه عما سلف لهم من قضائه .

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [الآية 3] أي مشدده، بالعدل ﴿ذِي الطُّوْلِ﴾ [الآية 3] صاحب سعة الفضل وقيل: ذي الغنى عن الكل وفي إيراد هذه الصفات على هذا النسق والترتيب إيحاء إلى تحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب وفي أفراد نعت العقوبة مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 3] فيجب الإقبال الكلي على عباداته ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الآية 3] المرجع لمجازاته فيجازي المحسن والمسيء بحسب حالاته وقيل: / إذا كان إليه المصير 110/ أ فقد طاب المسير قال بعضهم: غافر الذنب كرماً وقابل التوب فضلاً شديداً العقاب عدلاً لا إله إلا هو فرداً إليه المصير تصديقاً للوعد غداً وقال بعضهم: غافر الذنب للظالمين وقابل التوب للمقتصدين ذي الطول للسابقين شديداً العقاب للكافرين والجاحدين والمنافقين ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الآية 3] يصل الظالم بجوده إلى رحمته ويصل المقتصد بفضلته إلى رضوانه ويصل السابق بمثته وكرمه إلى وجهه الكريم .

وقال الأستاذ: معنون بقبول توبته لعباده علم أن العاصي منكسر القلب فأزال عنه الانكسار بأن قدم نصيبه فقدم اسمه على قبول التوبة فسكن قلوبهم بوصفين يوجبان الرجاء وهو قوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [الآية 3] ثم عقبهما بقوله ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [الآية 3] ثم لم يرضى حتى قال بعده: ﴿ذِي الطُّوْلِ﴾ [الآية 3] فيقابل قوله ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [الآية 3] وقوله: ﴿ذِي الطُّوْلِ﴾ [الآية 3] وسبق قوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [الآية 3] ويقال: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ [الآية 3] لمن أصر واجترم ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [الآية 3] لمن أقر وندم شديد العقاب لمن جحد وعند ذي الطول لمن عرف ووجد .

﴿مَا يُجَدِّدُ فِي عَآيَتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 4] بالطعن فيها والصد عنها دون الجدال لتبين مبانيها وظهور معانيها وتأويل ما ينافيها ولذا ورد أن جدالاً في القرآن بالتنكير على ما رواه البيهقي وغيره⁽¹⁾ .

(1) واللفظ: «إنَّ جدالاً في القرآن كفر»، انظر ما أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث (3) (216) رقم (1128) .

وقال سهل: هو المجادلة في الذات دون الفروع والحكومات ﴿فَلَا يَفْرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ﴾ [الآية 4] إمهالهم في دنياهم وإقبالهم على هواهم فإنهم عن قريب مأخوذون بفعلهم نحو من قبلهم.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا ظهر البرهان واتضح البيان استسلمت الأبواب الصاحبة للاستجابة والإيمان فأما للكفار فلهم على الجحود إصرار وشؤم شركهم بالاعتساف يحول بينهم وبين الانصاف وكذلك من لا يحترم أولياء الله يصرون على إنكارهم تخصيص الله عبادة بالآيات الواردة في أسرارهم ويعترضون عليهم بقلوبهم في حلول أنوارهم فيجادلون في جحد الكرامات وسيفتضحون كثيراً من الأوقات والحالات ولكن لا يميزون بين رجحانهم ونقصانهم.

110/ ب ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الآية 5] برسولهم ﴿وَالْأَحْزَابُ/ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية 5] والذين خرجوا على الرسل واجتمعوا على حربهم كعاد وثمود وحزبهم وافقوهم في تكذيبهم ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ [الآية 5] من هؤلاء الجماعة ﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ [الآية 5] ليعاقبوه ﴿وَجَدَلُوا يَأْبُطِلُ﴾ [الآية 5] بما لا حقيقة له ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [الآية 5] ليزيلوه به ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ [الآية 5] بالإهلاك جزاء لهم برسولهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الآية 5] عقابي لهم فإنكم تمرون على ديارهم وترون آثار دمارهم وهو تقرير على تعذيب فيه نوع تعجيب وقال الأستاذ.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الآية 6] من انقراض من الكفار فيمن قبلهم كان التكذيب للرسول دأبهم والله انتقم منهم وعلى كفرهم اخترمهم والمنكر لهذا الطريق بإنكاره يتوهم أن يتقرب إلى الله به فينعتة في أولياء الله من جملة إحسانه وخيراته والله في العاجل يعذبهم بتخليتهم فيما هم فيه وصد قلبهم عن هذه المعاني وجرمهم ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الآية 6] قضاؤه بالعذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 6] أي أصرروا على الكفر ووقعوا في الحجاب ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الآية 6] بدل من كلمة ريك بدل الكل.

وقال الأستاذ: إذا انختم على عبد حكم الله بشقاوته فلا ينفعه كثرة ما

يورد عليه من النصح في حالته ومن أسرته يد الشقاوة فلا يخلصه من مخلبها الجهد والسعاية.

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ [الآية 7] أي ومن يكون حوله من الحافين وهم أعلى طبقات الملائكة المقربين ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 7] يذكرون الله بصفات الكمال من نعوت الجلال فالجمال ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الآية 7] أخبر عنهم بالإيمان إظهار لفضله وتعظيم لأهله كما أشير إليه بقوله ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 7] وإشعاراً بأن حمله العرش وسكان الفرش سواء في معرفته رداً على المجسم في مقالته ثم استغفارهم لهم الشفاعة وحملهم على التوبة وإلهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه أن المشاركة في صفة الإيمان توجب النصيحة والشفقة والمرحمة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: الآية 10]، ﴿رَبَّنَا﴾ [الآية 7] يقولون يا ربنا ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [الآية 7] أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء من خلقك وتقديم الرحمة لأنها المقصودة بالذات هنا باعتبار السابق واللاحق في القضية ﴿فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ [الآية 7] عن الشرك والمعصية ﴿وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ﴾ [الآية 7] / طريق يوصل إليك من الكتاب والسنة. 111/أ

قال سهل: هم الذين تابوا من الغفلة وأنسوا بالذكر والطاعة واتبعوا سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم على وجه المحبة ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الآية 7] واحفظهم من عقاب الحرقة وحجاب الفرقة.

وأفاد الأستاذ: أن حملة العرش ومن حوله مأمورون بالتسبيح مع سائر الملائكة المقربين ثم بالاستغفار للمذنبين لأن الاستغفار مختص لأرباب السيئات فيجتهدون في الدعاء لهم كما في هذه الآيات ويدعون لهم بالنجاة ثم يرفع الدرجات ثم يحيلون الأمر فيه على رحمته بقوله: ﴿وَمَنْ تَقَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْنَاهُ﴾ [الآية 9] فلئن سلط عليك أراذل من خلقه وهم الشياطين فلقد قيض بشفاعتك أفاضل من خلقهم من الملائكة المقربين.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ [الآية 8] أي إقامة أي ﴿أَلَيْ وَاعِدْتَهُمْ﴾ [الآية 8] إياها ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ [الآية 8] أي الملائكة وأدخلهم معهم

من يصلح أن يكونوا في درجاتهم ليطم غاية سرورهم ونهاية لذاتهم ﴿إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ﴾ [الآية 8] البديع المنيع ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 8] فيما يظهره من الصنيع.

﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ [الآية 9] العقوبات في الدنيا أو جزاء السيئات في
العقبى ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ [الآية 9] أي ومن تق ارتكاب المعاصي في
الدنيا ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ [الآية 9] في الأخرى ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الآية 9]
الحاصل من فضل المولى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ﴾ [الآية 10] يوم القيامة على رؤوس الأشهاد
ويقال لهم ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ [الآية 10] إياكم ﴿أَكْبَرُ﴾ [الآية 10] عظيم وأكثر ﴿مِنْ
مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [الآية 10] الأماراة بالسوء ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ [الآية 10] اذكروا إذ
تنادون ﴿إِلَى الْإِيمَنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [الآية 10] بالداعي والمدعو.

قال سهل: المقت غاية الإبعاد من الله تعالى عن العباد فالكفار إذا
دخلوا النار مقتوا أنفسهم بما رأوا من البوار ومقت الله لهم أشد عليهم من
دخول النار.

وأفاد الأستاذ: أن أشد العقوبات التي يوصله الحق إليهم أثار سخطه
وغضبه عليهم وأكره النقم التي يفردهم بها أثار إعراضه عنهم فإذا عرف
الكافر في الآخرة أن ربه عليه غضبان فلا شيء أصعب على قلبه منه في ذلك
الزمان حيث علم أن لا بكاء ينفعه ولا غناء يزيل عنه ما هو فيه ويرفعه ولا
يسمع له تضرع ولا يرجى له حيلة.

111/ ب / ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَفْتِنِ﴾ [الآية 11] إِمَاتَيْنِ بِأَن خَلَقْتَنَا أَمْوَاتًا فِي بَدْءِ
أَحْوَالِنَا ثُمَّ صَيَّرْتَنَا أَمْوَاتًا عِنْدَ انْقِضَاءِ أَجَالِنَا ﴿وَأَحْيَيْتَنَا أَفْتِنِ﴾ [الآية 11] إِحْيَاءِ
الأولى في الدنيا وإِحْيَاءِ البعث في العقبى كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ
وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: الآية 28]، وقيل: الإِمَاتَةُ
الأولى عند انخراط الآجال والثانية في القبر بعد الإِحْيَاءِ للسؤال والإِحْيَاءِ آن ما في
القبور ويوم النشور والصحيح أن الإِمَاتَةَ في القبر وإنما هو إِمَاتَةٌ كَمَا فِي الصَّحِيحِ
من الخبر: يقال للمؤمن نم كنومة العروس وأما الكافر فيحصل له غشيان بعد

النفخة الأولى⁽¹⁾، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَنْوِلُنَا مِنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدًا﴾ [يس: الآية 52].

وأغرب الأستاذ حيث اختار القول الضعيف في الإسناد ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ [الآية 11] اعترفوا بالمخالفة بعد المعاينة بما عقلوا عنه ولم يكثرثوا منه وهو اغترارهم بالدنيا وإنكارهم للعقبى ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ [الآية 11] نوع خروج من النار ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الآية 11] طريق فنسلكه وندخل الجنة مع الأبرار.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: أمّنا اثنتين السمع والبصر فعجزتنا أن نفقه الحق وتتخذ سبيل الرشد والصدق فاعترفنا بذنوبنا أنا مصرفين تحت العداوة وأنت القادر علينا بوصف القوة.

﴿ذَلِكُمْ﴾ [الآية 12] أي الذي أنتم فيه من حالكم بأنه بسبب ﴿بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ [الآية 12] متحداً ومنفرداً ﴿كَفَرْتُمْ﴾ [الآية 12] بتوحيده وما شكرتم بتمجيده ﴿وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ يُشْرِكْ بِهِ﴾ [الآية 12] بإشراكه ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ [الآية 12] المستحق للعبادة والقاسم لعباده مراتب الشقاوة والسعادة ﴿أَلَعَلَّيْ﴾ [الآية 12] شأنه ﴿أَلَكَبِيرٌ﴾ [الآية 12] سلطانه.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء إمامتهم وإحيائهم محصورة فأما أهل الجنة فلهم في كل وقت موت وحياة حاضرة كما قال قائلهم:

أموت إذا فقدتك ثم أحيا فكم أحيا عليك وكم أموت

وإن الحق أبداً يردد الخواص من عباده بين الفناء والبقاء والحياة والممات والمحو والإثبات قلت: وفي هذا إشعار بعدم مداومة مشاهدة الذات مع أنها من أعظم اللذات.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ﴾ [الآية 13] مصنوعاته الدالة على توحيد ذاته وتحقيق صفاته ﴿وَيُرِيكُمْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [الآية 13] أسباب رزق صوري

(1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (383 / 3) رقم (1071)، وابن حبان في الصحيح (386 / 7) رقم (3117).

112/ أ

كالمطر مراعاة لمعاشكم أو/ أسباب رزق معنوي من الآيات القرآني والإلهامات السبحاني ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ [الآية 13] بالآيات الإلهية ﴿إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [الآية 13] يرجع عن الغفلة عنها بالإقبال عليها والتفكر فيها والتأمل في مبانيها.

قال أبو بكر بن طاهر: من آياته في الأرض للعوام سوق الأرزاق إليهم من غير حركة منهم ولا سعي في ذلك لديهم ومن آياته للخواص من عباده مكان أوليائه وأصفياه فمن صحبهم وتبعهم في طريقتهم وصبر على موافقتهم كفي الاهتمام في طلب الرزق ورزق من حيث لا يحتسب من بين الخلق قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [الآية 13].

وقال ابن عطاء: إنك لا تنظر إلى شيء من الموجودات إلا وهو يخاطبك بحقيقة توحيد الذات ويدلك على تحقق الصفات وذلك ظاهر لمن تبين وكشف له وأيد بالناية معه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يريهم آيات فضله فيما يلاطفهم ويربهم آيات قهره فيما يكشفهم ويربهم آيات عفوه إذا تنصلوا وآيات جوده إذا توسلوا وآيات جلاله إذا هابوا فغابوا وآيات جماله إذا أبوا واستجابوا وينزل لكم من السماء رزقاً لأبدانكم وهو توفيق المجاهدات ولقلوبكم وهو تحقيق المشاهدات ولأسراركم وهو فنون المواصلات والزيادات ويقال: ينزل من السماء ماء المطر فيحيي رياضكم وماء الرحمة فيحيي قلوبكم ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [الآية 13] يرجع من العادة إلى العبادة ومن الشك إلى اليقين ومن الخلق إلى الحق ومن الجهل إلى العلم ومن النكرة إلى المعرفة.

﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الآية 14] أي الطاعة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الآية 14] هذه الحالة التي هي غاية الاستطاعة.

قال أبو عثمان: الإخلاص في الدعاء هو الذي إذا دعوته في كشف ضرر فكشفه ألزمت نفسك إلى الأبد شكره وإذا دعوته لاستجلاب خير فأعطاك ألزمت نفسك الحمد إلى الأبد وأن لا تخص نفسك بالدعاء دون سائر المؤمنين.

وأفاد الأستاذ: أن شرط الدعاء تقديم المعرفة فتعرف من الذي تدعوه ثم تدعوه ما تحتاج إليه مما لا بدّ لك منه ثم تنظر هل أعطاك ما تطلب وأنت لا تدري به ثم لا تطلب ما يكون مخالفة لأمره ثم تتباعد عن سؤال الأشياء الدنية / الدنيوية وترضى ما يختار لك مولاك والإخلاص في الدعاء ألا ترى 112/ ب الإجابة الآمنة ولا ترى لنفسك استحقاق إلا بفضلته وأن تعلم أنه إن بقيت في سؤالك عن مطلوبك الذي هو حظك لا تبقي عن عبادة ربك الذي هو حقه فإن الدعاء مخ العبادة ومن الإخلاص في الدعاء أن تكون في حال الاضطرار لما لا يكون ابتداءه جرمًا لك ويكون ضرورتك سراية جنايتك فإن ذلك يبعد من موعود الإجابة.

﴿رَفِيعٌ الدَّرَجَاتِ﴾ [الآية 15] أي هو رافع السماوات أو مراتب المخلوقات أو درجات ثواب الحسنات ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ [الآية 15] صاحب العرش الذي هو أعظم المخلوقات فهو في قبضة قدرته كأضعف المكنونات.

وقال الأستاذ: أي رافع الدرجات للعصاة بالنجاة وللمطيعين بالمشوات وللأصفياء والأولياء بالكرامات ولذي الحاجات بالكفايات وللعارفين بتقديتهم عن جميع أنواع الإرادات ويقال: درجات المطيعين بظواهرهم في العقبي ودرجات العارفين بقلوبهم في العقبي فيرفع درجاتهم عن النظر إلى المكنونات وما عليها ومن المساكنة إليها وأما المحبون فيرفع درجاتهم عن أن يطلبوا في الدنيا والعقبي شيئاً غير رضى المولى ويقال: العرش الذي هو قبلة الدعوات أرفع المخلوقات وأعظمها جثة في المكنونات ﴿يُلْقَى الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ﴾ [الآية 15] أي ينزل الوحي الذي هو مبدأ خيره ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الآية 15] أي يختاره للرسالة إلى أهل بلاده ﴿يُنْزِلُ﴾ [الآية 15] أي الله أو الروح أو من اختاره للنبوّة ﴿يَوْمَ النَّالِقِ﴾ [الآية 15] يوم القيامة أي ليخوف مجيئه الشامل لأهل الوفاق والشقاق فيتلاقى فيه الأرواح والأشباح وأهل العلويات والسفليات والعابدون والمعبودون والأعمال والعمال.

قال ابن عطاء: حياة الخلق على حسب ما ألقى الحق عليهم من الروح

فمنهم من ألقى إليه روح الرسالة ومنهم من ألقى إليه روح النبوة ومنهم من ألقى إليه روح الصديقية ومنهم من ألقى إليه روح الشهادة ومنهم من ألقى إليه روح الصلاح والديانة ومنهم من ألقى إليه روح الخدمة والعبادة ومنهم من ألقى إليه روح الهداية ومنهم من ألقى إليه روح الحياة الحيوانية فقط فهو ميتة في الباطن وإن / كان حياً في الظاهر. 113/أ

وقال الأستاذ: روح بها ضياء أبدانهم وهو سلطان عقولهم وروح بها ضياء قلوبهم وهو شفاء علومهم وروح بها ضياء أرواحهم والذي هو الروح روح بقائهم بالله واستغنائهم عما سواه ويقال: روح هو روح إلهام وروح هو روح إعلام وروح هو روح إكرام ويقال: روح النبوة وروح الرسالة وروح الولاية وروح المعرفة ويقال: روح بها بقاء الخلق وروح بها ضياء الحق.

﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورُونَ﴾ [الآية 16] خارجون من قبورهم ظاهرون في نشورهم أو ظاهرة مراتب أعمالهم وسرائر أحوالهم ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [الآية 16] لا من أعيانهم ولا من أفعالهم.

قال الواسطي: كيف يخفى عليه وهو الذي يبدي عليهم وكيف يسترون عنه بشيء وهو الذي يظهر عليهم ما عنه يسترون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعلم الحاصل الموجود ويعلم المعلوم المفقود والذي كان والذي يكون والذي لا يكون مما علم أنه لا يجوز أن لا يكون والذي جاز أن يكون إن لو كان كيف كان يكون ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [الآية 16] وحكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به على لسان الجمع من القوم أو لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الأسباب وارتفاع وسائط الأكساب وأما حقيقة لسان الحال فدائماً ناطقة بذلك المثال.

قال جعفر الصادق: أخرس المكونات من ذوات الأرواح عن جواب سؤاله في قوله لمن الملك اليوم فلم يجسر أحد على الإجابة وما كان يستحق أن يجيب سؤاله سواء فلما سكت الخلق عن الجواب أجاب الحق نفسه بما كان يستحقه من الجواب الصواب فقال لله الواحد القهار.

وقال الأستاذ: لا يتقيد ملكه بيوم ولا يختص ملكه بوقت ولكن دعاء للخلق اليوم لا أصل بها فتنقطع تلك الدعاوى عزاً وترتفع تلك الأوهام عن عامة الأنام.

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الآية 17] من العقائد والأحوال ومن الأقوال والأفعال وتحقيقه أن النفوس تكتسب بأعمالها أمراً لا توجب لذتها ومحنتها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فإذا قامت قيامتها زالت علائقها / وعوايقها وأدركت آلامها ولذات مرامها ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [الآية 17] ببعض الثواب وزيادة العقاب ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الآية 17] أو لا يشغله شأن عن شأن في جميع الأبواب.

قال ابن عطاء: من طالع من نفسه أفعاله وأذكاره وطاعته جزى على ذلك ولا ظلم عليه ومن طالع فضله ومنته أسقطه عن درجة الجزاء إلى مقام الإفضال والرحمة لقوله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: الآية 58].

وقال الأستاذ: يجازيهم على أعمالهم الجنان وعلى أحوالهم الرضوان وعلى أنفاسهم القربة وعلى محبتهم الرؤية يجازي المذنبين على توبتهم المغفرة وعلى بكائهم والضياء والشفاء والرحمة لا ظلم اليوم أي أنه يستحيل تقدير الظلم منه أزلاً وأبداً فليستوي فيه اليوم وغداً فكل ما يفعله فله أن يفعله وهو سريع الحساب مع عباده لا يشغله شأن عن شأن من مراده وسريع الحساب مع أوليائه في الحال يطالبهم بالصغير والكبير والنقيير والقطمير تحيناً لما لهم في المال.

﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ [الآية 18] أي القيامة الآتية القريبة ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [الآية 18] واصلة إليها حيث ترتفع عن أماكنها من أسافلها إلى أعاليها فلا تعود فيتروحوها ولا تخرج فيستريحوا ﴿كَطَمِينٍ﴾ [الآية 18] مملؤين من الغيظ والهم دائمين متحسرين نادمين ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ﴾ [الآية 18] قريب مشفق ﴿وَلَا سَفِيعٌ يُطَاعُ﴾ [الآية 18] أي حتى يقبل شفاعته.

وأفاد الأستاذ: أن قيامة الكل مؤجلة وقيامة المحبين معجلة لهم في كل

نفس قيامة من العتاب والعقاب والثواب والبعد والإقرب وما لم يكن لهم في الحساب وشهادة الأعضاء والأجزاء على وجه الإبداء فالدمع يشهد وخفقات القلب تنطق والنحول يخبر واللون يفصح ويعبر والعبد يستر ولكن البلاء يظهر يا من تغير صورتني لما بدا للجميع ما ظنوا بنا التصديق، وقلوبهم إذا أزف الرحيل بلغت الحناجر وعيونهم شرفت بدموعها إذا نودي بالرحيل وشدت الزوائد على الرحائل.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ [الآية 19] النظرة الخائنة كالنظرة الثانية إلى المحرم عليه واستراق النظر إليه أو خيانة الأعين/ ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [الآية 19] من الضمائر والسرائر كالحزن والسرور فيجازي العباد بما في ظواهرهم وبواطنهم من أعمالهم وفق أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن خيانة أعين المحبين استحسانهم أشياء من الدنيا والأخرى ومن خيانة أعينهم أن تأخذهم سنة الغفلة لأن السيئات في أوقات المناجاة من الخيانات وفي قصة داود كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني ومن خائنة أعين العارفين أن يكون لهم خبر قلوبهم مما تقع عليه عيونهم ينظرون ولكن لا يبصرون ومن خائنة أعين الموحدين أن يخرج منها قطرة دمع تأسفاً على مخلوق يفوت في الدنيا والأخرى ولا على أنفسهم فيما تهوى.

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [الآية 20] بالعدل الصدق ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ [الآية 20] وقرأ نافع وهشام بالخطاب ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾ [الآية 20] أي لا يتمكنون على القضاء بشيء أصلاً ولا ظلماً ولا عدلاً لأنهم جماد لا يقدرون نطقاً ولا فعلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الآية 20] تقرير لعلمه بخيانة الأعين وقضائه بالحق في الأعيان ووعد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه على ما يزعمون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يقضي للأجانب بالبعد وبالوصال لأهل الوداد.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 21] أي بطواهرهم أو بواطنهم ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 21] مآل حال المكذبين لرسولهم كعاد وشمود وأمثالهم ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [الآية 21] تمكناً وقدرة وقرأ ابن عامر أشد منكم قوة ﴿وَعَاثَرَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 21] من القلاع المرتفعة والمدائن الحصينة ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية 21] عاقبتهم ﴿يَذُوبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [الآية 21] يمنع العذاب عنهم.

وقال الأستاذ: أو لم يسيروا بنفوسهم في أقطار الأرض وجوانبها ويطوفوا مشارقها ومغاربها ليعتبروا بها فيزهدوا فيها ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ [الآية 21] بقلوبهم في الملكوت بجولان الفكر فيشهدوا أنوار التجلي فيستبصروا بها أو لم يسيروا بأسرارهم في ساحات الصمدية ليستهلكوا في سلطان الحقائق ويتخلصوا من جميع الخلائق قاصيها ودانيها.

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 22] الأخذ بالسيئات / ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ 114/ ب [الآية 22] بالمعجزات أو الأحكام الواضحات ﴿فَكَفَرُوا﴾ [الآية 22] بها ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية 22] بسببها ﴿إِنَّهُمْ قَوْمٌ﴾ [الآية 22] بما أراد ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الآية 22] لمن كفر به من العباد.

وأفاد الأستاذ: أنه إن بقي من أهل السلوك قاصد لا يصل إلى مقصده فليعلم أن موجب حجه اعتراض عن بعض شيوخه مما خامر في قلبه ففي الخبر «الشيخ في أهله كالنبي في أمته».

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 23] يعني المعجزات ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 23] وحجة قاهرة ظاهرة كالعصا واليد البيضاء من جهة الكرامات.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [الآية 24] أي هو يعني موسى جامع بين السحر للخلق والافتراء على الحق وفيه تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم ووعد للمؤمنين ووعد للكافرين.

وأفاد الأستاذ: أن أكرم خلقه سبحانه كان موسى عليه السلام في وقته وزمانه، وأخس خلقه وأذلهم في حكمه وأشدهم كفراً بربه كان فرعون إذ لم

يقول أحد غيره ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: الآية 38] فبعث الله أخص عباده إلى أخس عباده فقابلته بالتكذيب ونسبه إلى السحر وأنه بأنواع التأنيب ثم أنه سبحانه لم يعجل عقوبته وأمهله إلى أن أوصل إليه شقوته إنه سبحانه حلیم وعباده عليم.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [الآية 25] أي موسى ﴿بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ [الآية 25] أي أعيدها عليهم ما كنتم تفعلون بهم كي يصدوا عن مظاهرة موسى ويضعفوا عن مقاومة مخالفهم ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية 25] منهم ومن غيرهم ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الآية 25] أي ضياع في تدبير أمرهم.

وقال الأستاذ: عزم على إهلاكه وإهلاك قومه واستعان على ذلك بجنده وخيله ورجله ولكن كان كما قال: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الآية 25] وإذا حفر واحد لولي من أولياء الله حفرة ما وقع فيها غير حافرها بذلك أجرى الحق سنته.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ [الآية 26] أي اتركوني وكانوا يكفونه عن قتله وأظهر على لسانه ما ذكر من تعلله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ [الآية 26] ليستعين بربه وهذا تجلد منه وجرأة في كفره ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ/ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ﴾ [الآية 26] ما يفسد دنياكم فيما بينكم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الباء والهاء ووقع الفساد.

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ [الآية 27] أي لقومه لما سمع من فرعون بعض قوله ﴿إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [الآية 27] خض اسم الرب لأن المطلوب هو التربية والتقوية وإضافته إليه وإليهم حثاً لهم على الموافقة لما في تظاهر الأرواح من استجلاب الإجابة وذكر وصفاً يعم فرعون وغيره لإفادة تعميم الاستعاذة وللدلالة على الحامل له على تلك المقالة.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 28] من أقاربه وهو ابن عمه

وقيل: من متعلق بقوله ﴿يَكْفُرُ بِمَنَّهُ﴾ [الآية 28] والرجل إسرائيلي من جنده ﴿أَنقَتُلُونَ رَجُلًا﴾ [الآية 28] أقتصدون قتله ﴿أَن يَقُولَ﴾ [الآية 28] لأن يقول أو وقت أن يقول ﴿رَبِّ اللَّهِ﴾ [الآية 28] أي وحده من غير تأمل في أمره ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية 28] المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية 28] ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط في دفع قتله بقوله ﴿وَإِن يَكُ كَذِبًا فَلَيْتَهُ كَذِبُهُ﴾ [الآية 28] أي لا يتخطاه وبال ما افتراه فيحتاج في دفعه إلى إهلاكه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [الآية 28] أي فلا أقل من أن يصيبكم بعضه أو يصيبكم بعض ما يعدكم من عذاب الدنيا وللعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ [الآية 28] في الأفعال ﴿كَذَابٌ﴾ [الآية 28] في الأقوال والمعنى إنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله إلى البينات ولما قواه بتلك المعجزات أو أن من أهلكه الله وخذله فلا حاجة لكم في قتله ولا يبعد أن يكون تقريراً منه بحالهم وبما يؤول إليه من عاقبة مالهم.

﴿يَقَوْمَ لَكُمْ أَلْمَلُكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ [الآية 29] غاليين قاهرين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 29] أرض مصر ﴿فَمَنْ يَصُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ [الآية 29] عقابه ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾ [الآية 29] بسبب قتل نبيه وأدرج نفسه معهم أي بأنه يساهم فيما ينصح لهم ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ﴾ [الآية 29] ما أشير إليكم في أمره ﴿إِلَّا مَا أَرَى﴾ [الآية 29] من استصواب قتله ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [الآية 29] وطريق السداد.

115/ب

﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 30] في تكذيبه والتعرض لقتله ﴿مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ [الآية 30].

﴿مِثْلَ﴾ [الآية 31] أيام الأمم الماضية ووقائعهم البادية مثل ﴿دَابَّ قَوْمِ ثُوًجٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ [الآية 31] مثل جزاء ما كانوا عليه دائماً من الكفر بربههم وإيذاء رسلهم ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الآية 31] كقوم لوط ونحوهم ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [الآية 31] أي من نفسه فإنه لكونه محالاً في صفته لا يوجد فيه تعلق إرادته فلا يعاقبهم بغير ذنب صدر منهم ولا يخلي الظالم بغير انتقام عنه إما في الدنيا وإما في العقبى.

﴿وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ [الآية 32] يوم نزول البلاء والمحنة حين ينادي فيه بعضهم بعضاً للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والحسرة.

﴿يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ﴾ [الآية 33] عن مساكنكم فارين عن المهلكة ﴿مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن عَاصِمٍ﴾ [الآية 33] يعصكم من العقوبة ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: الآية 33] يرده إلى الهداية وقيل المراد بيوم التناد يوم القيامة وفيه أن القوم لم يكونوا مؤمنين بوقوعه والقائل في مقام نفيه من قوله اللهم إلا أن يحمل على فرض وقوع ما يدعي موسى مع قومه أو أظهر حينئذ ثبوت إيمانه بعد ما كان مدة على كتمانته كما سيظهر في بعض كلامه من تحقيق بيانه ثم من جملة نصحه قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾ [الآية 34] أي ابن يعقوب على أن فرعونه فرعون موسى فإنه نقل أنه عمر أربعمئة وأربعين سنة ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية 34] قبل موسى ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية 34] بالمعجزات روي أنه بعثه الله رسلاً يدعو القبط إلى طاعة الله وحده فما أطاعوه في ما يتعلق بالأمر الأخروي بل بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ [الآية 34] من الحكم الديني ﴿حَقَّ إِذَا هَلَكَ﴾ [الآية 34] مات ﴿فَلْتَمَنَّ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [الآية 34] فيما إلى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده على طبق حالته ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [الآية 34] شاك فيما تشهد به البينات أنه طريق صواب.

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ [الآية 35] بغير حجة وبرهان ﴿أَلَنَّهُمْ﴾ [الآية 35] بل أما تقليد طائفة جاهلة أو شبهة داحضة زائلة لاحت لهم والجملة مبتدأ خبره ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 35] عظم جدالهم غضباً عند ربهم ﴿وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 35] لأنهم متخلقون بأخلاق مولاهم ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [الآية 35] وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان بتنوين قلب/ على وصفه بالتكبر والتعبر لأنه منبعهما ومعدلها.

116/أ

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُنِ ابْنُ لِي صَرَخًا﴾ [الآية 36] بناءً مكشوفاً عالياً ﴿لَعَلِّي أُنَبِّئُ الْأَسْبَابَ﴾ [الآية 36] الطرق العالية في الاكتساب.

﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ﴾ [الآية 37] أسباباً تعين الصعود إلى جهات العلويات

وهي بيان لما قبلها وفي إيهامها ثم إيضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع إلى معرفة بيانها ﴿فَاطْلِعْ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ﴾ [الآية 37] عطف على أبلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترخي وهذه كلها منه أمور وهميات وتعللات تخيليات منشأها غاية الجهالة ونهاية الضلالة ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [الآية 37] في دعوى الرشاد وهذا كذب منه لظهور صدق موسى بقطعي الدلالة ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الآية 37] سبيل الرشاد وطريق السداد والفاعل هو الله حقيقة والشیطان وساطة وقرأ الحجازيان والبصري والشامي صد على بناء الفاعل على أن فرعون صد الناس عن البينات بأمثال هذه التمويهات ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ [الآية 37] خسار ودمار، قيل: من رأى في نفسه زلة وستر عليها ولم يجتهد في إزالتها زين في عينه مساوئه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 38] يعني مؤمن آل فرعون ﴿يَقَوْمُ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ﴾ [الآية 38] بالدلالة ﴿سَبِيلَ الرِّشَادِ﴾ [الآية 29] سبيلاً يصل سالكه إلى المراد وفيه تعريض بأن فاعله فرعون وقومه سبيل الغي والعناد.

﴿يَقَوْمُ إِنَّمَا هَٰذِهِ الدُّنْيَا مَتْنٌ﴾ [الآية 39] تمتع يسير لسرعة زوالها وانقضاء آجالها ﴿وَالْآٰخِرَةُ هِيَ دَارُ الْفَرَارِ﴾ [الآية 39] لدوامها وبقاء آمالها.

قال محمد بن علي: لم تزل الدنيا مذمومة في الأمم السالفة عند العقلاء وطالبوها من المهانين عند الحكماء وما قام داع في أمة من نبي أو ولي إلا وحذر حبها وجمعها ألا ترى مؤمن آل فرعون كيف قال اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد يا قوم الآية أي لن تصل سبيل الهداية وأهلها وفي قلبك محبة الدنيا وطلبها.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الآية 40] عدلاً من الله ونعمة وفيه دلالة على أن الجناية تغرم بنحوها.

وقال الأستاذ: إلا مثلها في المقدار لا في الصفة لأن الأول سيئة والمكافأة / حسنة. قلت وأما قوله تعالى: ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ [الشورى: الآية 40] فهو من باب المشاكلة أو من حيثيته الصورة من الهيئة ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ

ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴿[الآية 40]﴾ أي في المآل أي المدار على تلك الحال ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ [الآية 40] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بصيغة المجهول ﴿يَرْزُقُونَ فِيهَا إِيَّاهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الآية 40] بغير موازنة بالطاعة بل أصناف مضاعفة فضلاً منه ورحمة.

﴿وَيَقُومُوا مِثْلَ آبَائِهِمْ إِلَى النَّجْوَى﴾ [الآية 41] إلى ما به النجاة من العقاب والفوز بالشواب ﴿وَيَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [الآية 41] ما يجرف إلى دار البوار ومقام الكفار والفجار.

وقال أبو عثمان من أراد النجاة فليترك ما لا يعنيه ويشغل بما يعينه فإن نجاة الدارين فيه.

﴿تَدْعُونِي لِكُفْرٍ بِاللَّهِ﴾ [الآية 42] أي بالوهيته ﴿وَأُشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ﴾ [الآية 42] بربوبيته ﴿عِلْمٌ﴾ [الآية 42] عرفان والمراد نفي المعلوم والإشعار بأن الألوهية لا بد لها من برهان وأن اعتقادها لا يصح إلا عن إيقان ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَعْلِيِّ﴾ [الآية 42] المستجمع لصفات الألوهية ونعوت الربوبية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والإرادة والتمكن عن المجازاة على الحسنة والسيئة والقوة على العقوبة والمغفرة. ﴿لَا جَرَمَ﴾ [الآية 43] لا بد ولا محالة ﴿أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [الآية 43] أي إلى عبادته من الآلهة ﴿لَيْسَ لَكَ دَعْوَةٌ﴾ [الآية 43] مستجابة ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ [الآية 43] أي أصلاً لأنها جمادات ليس لها ما تقتضي ألوهيتها عقلاً ونقلاً ﴿وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 43] مرجعنا إلى حكم بالموت وغيره ﴿وَأَنْتَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية 43] في الضلالة كالمشركين ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الآية 43] ملازموها ومداوموها.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ [الآية 44] عند معاينة الأحوال ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ [الآية 44] من النصيحة في تحسين الأحوال ﴿وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 44] ليعصمني من كل سواء أَرَادَهُ بِي مِنْ سِوَاهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ [الآية 44] عالم بمن هو من أهل الصلاح وأرباب الفساد.

قال أبو عثمان البصري: قلت لأبي صالح حمدون أوصني قال: أن

تصبح مفوضاً لا مدبراً وقال بعضهم: التفويض قبل نزول البلاء والتسليم بعد نزول العناء. وسئل ذا النون متى يكون العبد مفوضاً لأمره إذا آيس من نفسه وأفعاله والتجأ إلى الله في جميع أحواله.

﴿فَوَقَدَ اللَّهُ﴾ [الآية 45] أي حفظ مؤمن آل فرعون/ ﴿سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ [الآية 45] شدائد مكرهم في حقه ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 45] بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى به ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الآية 45] الإغراق في الدنيا والإحراق في العقبى كما قال تعالى في حق قوم نوح: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ [نوح: الآية 25].

﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [الآية 46] طرفي النهار وما بينهما معذبون بشيء آخر ودائماً أريد بالعشي الليل وبالغدو والنهار. وقد ثبت في الأخبار عن سيد الأخيار وسند الأخبار أنه قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغدوة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ويقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»⁽¹⁾.

وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ [الآية 46] أي هذا ما دامت الدنيا فإذا قامت القيامة قيل لهم ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [الآية 46] فإن عذاب الآخرة أشد وأبقى وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ادخلوا على أمر الملائكة بإدخالهم النار وهذا إشكال منشؤه سؤال وهو أن الآية لا شك في أنها مكية.

وفي مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين أن يهودية في المدينة كانت تعيد عائشة رضي الله عنها من عذاب القبر فسألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «كذب يهود لا عذاب دون يوم القيامة فلما مضى بعض أيام نادى عليه السلام محمراً عيناه بأعلى صوته أيها الناس

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1379)، ومسلم في الصحيح (2866/65).

استعيذوا بالله من عذاب القبر فإنه حق⁽¹⁾ وأجيب بأن الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ وما نفاه أولاً ثم أثبتته عليه السلام عذاب الجسد والمراد به الجمع بين العذاب الروحاني والجسماني في الجملة فلا ينافيه ما روي ابن مسعود رضي الله عنه أن أرواح الكفار في أجواف طير سود وتعرض على النار بكرة وعشيماً⁽²⁾ إلى يوم القيامة.

وما روي غيره مرفوعاً أن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش⁽³⁾.

﴿وَإِذْ يَتَحَاوَنُونَ﴾ [الآية 47] أي واذكر حين يتخاصم الكفار ﴿فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ﴾ [الآية 47] الأتباع من الفقراء توبيخاً ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ [الآية 47] 117 ب للمتبوعين من / الأغنياء ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [الآية 47] أتباعاً في الدين طمعاً في الدنيا ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّقْنُونَ عَلَنًا نَّصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ [الآية 47] بالدفع منا أو الحمل عنا.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ [الآية 48] نحن وأنتم واقعون فيها فكيف نغني عنكم شيئاً منها ولو قدرنا لأغنيانا عن أعيننا ﴿إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [الآية 48] بأن أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار على ما أراد ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه وفي الآية إشارة إلى أن عذاب الأغنياء من الكفار لجمعهم بين الضلال والإضلال أشد من كفار الفقراء لاقتصار وبالهم على الضلال ففي الجملة دلالة على فضل الفقراء على الأغنياء كما ذهب إليه أرباب الكمال والله أعلم بحقيقة الحال.

-
- (1) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (582 / 5) رقم (3604)، والطبراني في المعجم الكبير (103 / 25) رقم (268)، وابن حبان في الصحيح (395 / 7) رقم (3125).
- (2) ورد بلفظ: «أرواح آل فرعون» انظر ما أورده ابن كثير في تفسيره (148 / 7)، والطبري في تفسيره (395 / 21)، والقرطبي في تفسيره (319 / 15).
- (3) أخرجه مسلم في الصحيح (121 / 1887)، والطبراني في المعجم الكبير (183 / 9) رقم (8905)، وأبو يعلى في المسند (219 / 4) رقم (2331)، وأحمد في المسند (265 / 1) رقم (2388).

وقد صرح حجة الإسلام أن عذاب الكافر الفقير أحق من الكافر الغني فإذا نفع فقر الكافر صاحبه في دار الجحيم فكيف لا ينفع فقر المؤمن صاحبه في دار النعيم وقد ورد أشبعكم في الدنيا أجوعكم في العقبى .

وأفاد الأستاذ: أن الضعفاء يقولون للكبراء أنتم أضللتمونا والمستكبرون يقولون لهم بل أنتم باختياركم وافقتمونا فمحااجة بعضهم لبعض تزيد في غيظ قلوبهم فكما يعذبون بنفوسهم يعذبون بضيق صدورهم وبغض بعضهم من بعض في نحورهم .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾ [الآية 49] كلهم أو بعضهم ﴿لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 49] وهي مشتملة على جميع دركاتنا وطبقاتها ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ يَحْفَظْ عَنَّا يَوْمًا﴾ [الآية 49] وقتاً ما ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ [الآية 49] شيئاً منه ولو يسيراً في هذا الباب ثم في قولهم ادعوا ربكم دون ادعوا ربنا أيما إلى كمال ضلالهم في مقام البعد وحال الحجاب .

وأفاد الأستاذ: أن هذه أيضاً من إمارات الأجنبية يدخلون واسطة بينهم وبين ربهم في الأدعية ثم أن الله تعالى ينزع الرحمة عن قلوبهم حتى لا يشفعوا في حقهم .

﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية 50] أرادوا بهذا إلزامهم للحجة وتوبيخهم على إضاعة أوقات الدعوة وتعطيل أسباب الإجابة ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا﴾ [الآية 50] أنتم فإننا لا تجترىء في ذلكم إذ لم يؤذن لنا في الدعاء لأمثالكم ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية 50] لو دعونا هنالك ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الآية 50] ضياع لا يجاب .

لذلك ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 51] بالحجة وللنصرة من الكفرة بحسب الغلبة/ ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [الآية 51] من 118/ أ الملائكة والأنبياء والصالحين من العباد .

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾ [الآية 52] وقرأ ابن كثير وأبو عمر وأبو عامر بالتأنيث وعدم نفع المعذرة لأنها باطلة أو لأنه لا يؤذن لهم فيعتذرون فالآية

من باب نفي القيد والمقيد ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ [الآية 52] البعد من الرحمة ﴿وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الآية 52] وفيها أشد العقوبة.

قال جعفر الصادق: نصرر رسلنا بالمؤمنين ظاهراً وننصر المؤمنين بالرسل باطناً.

وقال سهل: نكرمهم بالعلم والمعرفة في الدنيا وبالرضا والرؤية في العقبى.

وقال الأستاذ: نصرهم بالآيات وفنون من التعريفات حتى يعرفوا ويشهدوا أن الظفر وضده من الله والخير والشر كله من عند الله ويقال: نصرهم بكيد خفي ولطف غير مرئي من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب وكما ينصرهم في الدنيا ينصرهم في الأخرى ينصرهم في الدنيا بالمعرفة واليقين بأن الكائنات من الله وفي العقبى ليشهدوا بالإقرار ويعرفوا بالاضطرار أن التأثير من الله وغاية النصرة أن يقتل الناصر عدو من ينصره فإذا رآه حقيقة أنه لا عدو في الحقيقة وإن الخلق أشباح يجري عليهم أحكام القدرة فالولي لا عدو له ولا صديق له ليس له إلا الله، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: الآية 257].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدًى﴾ [الآية 53] ما يهتدي به في الدين من المعجزات والأحكام البينات ﴿وَأَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ أَلْكَتَبَ﴾ [الآية 53] وتركنا عليهم بعده التوراة.

﴿هُدًى وَذِكْرَى﴾ [الآية 54] هداية وتذكرة ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الآية 54] لذوي العقول السليمة والطباع المستقيمة.

﴿فَأَصْرَ﴾ [الآية 55] على أذى الكفرة والفجرة ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 55] بالغلبة والنصرة ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ﴾ [الآية 55] وتدارك فرطائك كترك الأولى وساعة الغفلة عن المولى والاهتمام بأمر العدي بالاستغفار ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [الآية 55] ودم على التسبيح والتحميد لربك فإنه تعالى كافيك في النصر وإظهار الأمر وقيل صل بهذين الوقتين إذ كان الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشية.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر في / انتظار الموعود من الحق على حسب 118/ ب
 الإيمان والتصديق بالإيقان فمن كان تصديقه ويقينه أتم وأقوى كان صبره أتم
 وأوفى، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 55] وإنه يعطي وأن توهم
 العبد أنه يبطيء ويقال: الصبر على قسمين صبر على العافية وصبر على البلاء
 فالصبر على العافية أشد وأقل من الصبر على البلاء. ثم قال وفي قوله: وللمؤمنين
 دليل على أنه كان له ذنوب ولم يكن جميع استغفاره لأتمته لأنه ذكر استغفاره
 للمؤمنين ويكون ذلك محمولاً على ذنوبه قبل النبوة ويجوز أن يكون العبد قد تاب
 من الزلة ثم يجب عليه الاستغفار من ذلك الذنب كلما ذكره فإن تجديد التوبة
 يجب كما يجب أصل التوبة انتهى كلامه ولا يخفي ما فيه من نقصان مرامه، فإن
 قوله: وللمؤمنين ليس في هذه الآية ثم إثبات الذنوب له صلى الله عليه وسلم قبل
 النبوة مما لا يرتضيه المحققون من علماء الأمة بل حملوا إثبات هذه الآية على ما
 سبق من أن حسنات الأبرار سيئات الأحرار ثم ما ذكره من وجوب تجديد التوبة
 فلا أعرف أن أحداً من الفقهاء ذهب إليه ولا أحد من الصوفية اعتمد عليه بل
 اختلفوا هل تذكر المعصية وتجديد التوبة أفضل أو نسيانها من أصلها أكمل فتأمل
 فإنه موضع زلل وموقع وحل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ يَغَيِّرُ سُلْطَانَهُ﴾ [الآية 56] حجة
 وبرهان ﴿أَنَّهُمْ﴾ [الآية 56] بل جادلوا فيها بما وافق هواهم ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا
 كِبْرٌ﴾ [الآية 56] تكبر عن أتباع الحق وتعظم عن التفكير والتعلم في طريق
 الصدق أو إرادة الرياسة والتقدم على الخلق ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [الآية 56] ليسوا
 بواصلين مقتضيه فإن الله يعذر رسوله ومتابعيه ﴿فَأَسْتَوِذُّ بِاللَّهِ﴾ [الآية 56] التجيء
 إليه واعتمد عليه واستسلم لديه ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الآية 56] لأقوالكم
 وأفعالكم فيجاريكم وفق أحوالكم.

﴿لَخَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [الآية 57] أي أعظم
 وأشق في نظر العقل القاصر وإن استويا بالنسبة إلى قدرة الخالق القاهر فمن قدر
 على خلقها مع عظمها في زعمكم أولاً من غير أصل ومادة قدر على خلق
 الإنسان ثانياً من أصل موجود في / الجملة بعد مدة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[الآية 57] لأنهم لا يتفكرون في مبدأ فطرتهم لفرط غفلتهم وأتباع أهوائهم وشهواتهم.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [الآية 58] الغافل والمستبصر ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ﴾ [الآية 58] في العقائد والطاعات أي وما يستوي المحسن والمسيء فينبغي أن يكون لهم مال يظهر فيه تفاوت حال وهي فيما بعد البعث من دار البوار للكفار ومن دار القرار للأبرار وزيادة لا في المسمى لأن المقصود نفي مساواته مع ماله من سوء الحالة للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير لتغاير الوصفين في مقصود التعبير أو للدلالة بالصراحة بعد الكناية للتأكيد والتقرير ﴿تَلِيلًا مَّا﴾ [الآية 58] تذكر أما قليلاً ﴿نَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 58] حيث لا ينتفعون والضمير للكفار أو لأكثر الناس من الفجار وقرأ الكوفيون بالخطاب تغليياً أو التفاتاً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد به ما يستوي المؤمن والكافر ولا المربوط بشهوته كالمبسوط بصفوته ولا المجذوب بقربته كالمحجوب بعقوبته ولا المرقى إلى مشاهدة كالمبقي في مشاهدة ولا المحدود بسعاده كالمردود بشقاوته .

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الآية 59] لا شك في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها وإجماع الرسل على الوعد بوقوعها ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 59] لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به من أثرهم.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [الآية 60] أثبتكم لقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [الآية 60] أو المراد بالعبادة الدعاء فإنه من أبوابها بل زبدة أسبابها فقد ورد أن الدعاء مخ العبادة ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [الآية 60] صاغرين وفي الحديث من لم يدع الله غضب عليه وقرأ ابن كثير وأبو بكر بصيغة المفعول وهو أبلغ في الزجر.

قال ابن عطاء: إن للدعاء أركاناً وأجنحة وأوقاتاً وأسباباً فإن وافق أركانه قوي وإن وافق أجنحته طار وإن وافق مواقيته فاز وإن وافق أسبابه أنجح فأركانه حضور القلب والرقعة والخشوع والاستغاثة وقطع القلب من الأسباب وتعلقه/ برب الأرباب وأجنحته الصدق في القول والفعل ومواقيته الأسحار وأسبابه الصلاة على محمد ﷺ.

وقال الوراق: ادعوني على حد الالتجاء وغاية الاضطرار حيث لا يكون لكم مرجع إلى الأغيار.

ومرّ إبراهيم بن أدهم بسوق البصرة فاجتمع إليه الناس فقالوا إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [الآية 60] ونحن ندعوا فلا يستجاب دعاؤنا فما بالناس فقال: إن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء: أولها عرفتم الله فلم تؤدوا حقه، والثاني: قرأتم كتابه [ولم] تعملوا به، والثالث: ادعيتم حب رسول الله ومودّته وتركتم متابعة سنّته والرابع: ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه في دعوته والخامس: ادعيتم حب الجنة فلم تعملوا لها والسادس: ادعيتم خوف النار فلم تتركوا المعصية خوفاً منها والسابع: أقررتم أن الموت والإعادة حق ولم تستعدوا لها والثامن: اشتغلتم بعيوب إخوانكم عن عيوب أنفسكم وإصلاحها والتاسع: أكلتم نعمة الله وكفرتكم بها والعاشر: دفنتم موتاكم في المقبرة ولم تعتبروا فيها.

وأفاد الأستاذ: أن معنى الآية: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [الآية 60] إن شئت لأنه قال في آية أخرى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: الآية 41]، ويقال: ادعوني بشرط الدعاء ومن شرط الدعاء الأكل من الحلال فقد قيل: الدعاء مفتاح الحاجة أسنانه لقم الحلال ويقال: كل من دعاه استجاب له إما بما يسأله بعينه أو بشيء آخر هو خير له منه ويقال: الكافر ليس يدعوه لأنه إنما يدعو من له شريك وهو لا شريك له ويقال: إذا ثبت أن هذا الخطاب للمؤمنين فما من مؤمن يدعو ويسأله شيئاً إلا أعطاه إما في الدنيا وإما في الآخرة يقال له: هذا يدل ما طلبته في الدنيا وقد ادخرته لك إلى هذا اليوم حتى يتمنى العبد أنه ليت له لم يعط شيئاً في

الدنيا ويقال: ادعوني بالتفضل استجب لكم بالتفضل ادعوني بحسب الطاعة استجب لكم بكشف الفاقة ادعوني بالسؤال استجب لكم بالنوال.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ [الآية 61] مظلماً ﴿لَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ [الآية 61] منيراً/ لتتحركوا فيه الأمر معاشكم وما يتعلق فيه من أمر معادكم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [الآية 61] بوصف عميم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 61] فضله وإنعامه لجهلهم بالمنعم وإغفالهم مواقع إكرامه وتكرير الناس لتنقيص تخصيص الكفران بهم.

وأفاد الأستاذ: أن سكون الناس في الليل على أقسام أهل الغفلة ليسكنون إلى غفلتهم وأهل المحبة يسكنون بحكم وصلتهم فستان بين سكون غفلة وسكون وصلة قوم يسكنون إلى أمثالهم وأشكالهم وقوم يسكنون إلى حلاوة أعمالهم وقوم يعدمون القرار في ليلهم ونهارهم أولئك أصحاب الاشتياق فهم أبداً في الاحتراق.

﴿ذَلِكُمْ﴾ [الآية 62] المخصوص بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 62] أخبار متلاحقة تخصص اللاحقة السابقة ﴿فَأَنفِ ثُؤْفُوكُمْ﴾ [الآية 62] فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره وأنتم مغمورون في فضله وخيره فذلك أي مثل إفك ﴿كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الآية 63] ولا يتأملون ما هنالك.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [الآية 64] ذات قرار ومدار ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ [الآية 64] سقفاً محفوظاً قال بعضهم: جعل الأرض قراراً لصفوتة والسماء بناءً لملائكته ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [الآية 64] بأن جعلك منتصب القامة بادي البشرة والهامة متناسب الأعضاء ومتعادل الأجزاء متهيئاً لمزاولة الصناعات واكتساب الكمالات ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الآية 64] المستلذات ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 64] مربيكم في أحوالكم ومقويكم في أعمالكم ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ [الآية 64] تكاثر خيره على من سواه ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 64] فإن كل ما عده مربوب له ومفتقر إليه في دنياه وأخراه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلق العرش والكرسي والسموات والأرض وسائر المخلوقات ولم يخاطبهم بهذا الخطاب وإنما قال لنا: ﴿وَصَوِّرَكُمْ فَاَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [الآية 64] وليس الحسن ما يستحسنه الرقيب وإنما الحسن ما يستحسنه الحبيب.

ما حطك الواشون عن رتبة عندي ولا ضرك مغتاب كأنهم أثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا

لم يقل للشموس في علانها ولا / للأقمار في ضيائها ﴿وَصَوِّرَكُمْ فَاَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [الآية 64] ولما انتهى إلينا قال: ﴿فَاَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ [الآية 64] وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: الآية 4]. ويقال: إن الواشين قبحوا صورتكم عندنا فالملائكة كتبوا في صحيفتكم قبيح ما ارتكبتم وصوركم أحسن صوركم عنده بأن محا من ذنوبكم الزلات وأثبت في ذلك الحسنات قال تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ [الرعد: الآية 39]، ﴿فَأُولَئِكَ يَدْعُ اللَّهُ سَعَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: الآية 70]. ثم لبس الطيب ما يستطيه الخلق الطيب ما يستطيه القلب الخير، الغفار أطيب للفقير الشاكر من الحلوى للغني المتسخط ورزق النفوس المطعومات والمشروبات ورزق القلوب لذات الطاعات.

﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ المنفرد بالحياة الذاتية الأزلية الأبدية. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 65] إذ لا موجود يساويه في ذاته وصفاته أو يدانيه ﴿فَادْعُوهُ﴾ [الآية 65] فاعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الآية 65] الطاعة من الشرك والسمعة قائلين ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 65] على سائر النعمة.

قال الحسين: هو الحي الذي أحيا العالم بنظره فمن يكن بنظره حياً فهو ميت وإن تحرك ونطق.

وقال جنيد: الحي على الحقيقة من به حياة كل حي.

وقال الأستاذ: هو الحي الذي لا يموت ولا فضله يفوت فادعوه تبيان القوة فإن ذلك عليه لا يفوت.

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ﴾

[الآية 66] من الحجج والآيات ﴿مَنْ رَزَقْنَاهُ﴾ [الآية 66] من عنده على وجه الكرامات ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 66] أن انقاد له في ديني أو أخلص له في يقيني.

وقال الأستاذ: أي أمرت بالتبري عما عبدتم والإعراض عما به اشتغلتم والاستسلام للذي خلقتني وبالنبوة أخلصني.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [الآية 67] أي من نفلكم من تربة إلى قطرة ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ﴾ [الآية 67] أي كلاً منكم ﴿طِفلاً ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ [الآية 67] ثم يبعثكم لتبلغوا شباباً ﴿ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخاً﴾ [الآية 67] وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص بضم الشين ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 67] قبل الشيخوخة ﴿وَلِيَبْلُغُوا﴾ [الآية 67] أي ويفعل ذلك بكم لتبلغوا ﴿أَجَلاً مُّسَمًّى﴾ [الآية 67] وهو القيامة الصغرى أو الكبرى ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 67] / ما في هذا المعبر من الحجج والعبر.

121/أ

﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [الآية 68] أي ثم يبعثكم ثم في إحدى الدارين ينزل بكم ﴿فَإِذَا قُضِيَ أَمْرُ﴾ [الآية 68] أي أراد شيئاً ﴿فَأِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الآية 68] فلا يحتاج في تكوينه إلى عدة وبحسم كلفه ومدة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يُضَرُّوا﴾ [الآية 69] عن التصديق بها والتأمل فيها وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل والمجادل فيه أو للتوكيد في الوعيد والتهديد فلا حجة يوردون ولا عذاب عن أنفسهم يردون.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ [الآية 70] بالآيات القرآنية أو بجنس الكتب السماوية ﴿وَيَمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 70] جزء أفعالهم الدنية.

﴿إِذِ الْأَغْطُلُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ﴾ [الآية 71] في رقابهم ﴿يُسَجَّبُونَ﴾ [الآية 71] أي بها.

﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ [الآية 72] أي بالجحيم ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [الآية 72] يحرقون والمراد أنهم يعذبون بأنواع العذاب وينتقلون من بعضها إلى بعض كما

كانوا في عالم الأسباب.

﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا ضَلُّوا عَنَّا﴾
[الآيات 73، 74] غابوا عنا وضاعوا منا فليس لنا منهم إلا لعنا ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا
مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ [الآية 74] ينفعنا ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية 74] حتى لا
يهتدوا إلى شيء ينفعهم في الدنيا والأخرى.

﴿ذَلِكُمْ﴾ [الآية 75] الإضلال أو العذاب والأنكال ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ في
الأرض ﴿[الآية 75] تنظرون وتتكبرون فيها ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الآية 75] بغير استحقاق
بل بمجرد الطغيان ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ [الآية 75] تتوسعون في الفرح بالعدوان
والعدول إلى الخطاب للمبالغة في التوبيخ والعتاب.

﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ [الزمر: الآية 76] الأبواب السبعة المقسومة لأهلها
﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية 76] مقدرين الخلود فيها ﴿فَيَسَّ مَتَوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الآية 76]
فبين متواهم ومصور بهم وساء ذهابهم ومسيرهم.

﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 77] كائن لا محالة ﴿فَكَيْفَ تُرِيدُكَ﴾
[الآية 77] ما مزيدة لتأكيد الشرطية والمعنى فإن ترك ﴿بَعْضَ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [الآية 77]
وهو القتل والأسر والمذلة ﴿أَوْ نَوَفِّتُكَ﴾ [الآية 77] قبل أن نرى تلك الحالة ﴿فَإِنَّا
يُجْعَلُونَ﴾ [الآية 77] جميعهم يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم على حسب ما
يستحقونه من العقوبة.

قال أبو بكر بن طاهر: صبراً على شدائد الدنيا فإن وعد الله حق لمن
صبر فيها على البلاء والعناء أن يوصله إلى الراحة الكبرى وهو مقعد صدق
عند مليك / مقتدر.

وقال الأستاذ: أي كن بقلبك فارغاً عنهم وانظر من بعد إلى ما نفعل
بهم واستيقن بأنه لا بقاء لجولة باطلهم فإن لقيت بعض ما نتوعدهم به وإلا
فلا تك في ريب من مقاساتهم ذلك بعدك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا﴾ [الآية 78] كثيراً ﴿مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾

[الآية 78] حاله مفصلاً أو مجملاً ﴿وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [الآية 78] حاله أصلاً إذ روي أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً والرسل ثلاثمائة وخمسة عشر والمذكور قصتهم قيل أربعة وعشرون شخصاً ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ [الآية 78] من الأولين والآخرين ﴿أَنْ يَأْتِكَ بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الآية 78] فإن المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فهم كسائر القسم لغيرهم فليس لهم اختيار في إثارة بعضها والاستبداد بإتيان المقترح بها فإن بعضهم من ذكر القسمة وما جرى له في السابقة ينقطع عن السؤال والدعاء ويعلم أن القضاء كائن بالحق من الحق في الابتداء أو الانتهاء ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [الآية 78] بعذاب المقترحة في الدنيا والآخرة ﴿فُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 78] بإنحاء المحق وتعذيب المبطل ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الآية 78] المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها من المعجزات.

وقال الأستاذ: لم يكن في وسع صاحب نبوة أن يأتي بمعجزة إلا إذا أظهرناها نحن عليه على ما أردنا إذا أردنا كما أرادنا فكذاك إن طالبوك بآية فقد أظهرنا عليك من الآيات ما أزعجنا العذر وأظهرنا صحة الأمر وما اقترحوه إن شئنا أظهرناه وإن شئنا تركناه.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ [الآية 79] من غاية الأنعام ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 79] والظاهر أن المراد بها الإبل وحدها لقوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ [الآية 80] كالبانها وجلودها وأوبارها ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ [الآية 80] بالمسافرة عليها ﴿وَعَلَيْهَا﴾ [الآية 80] في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [الآية 80] بأثقالكم وأحمالكم.

﴿وَرَبِّكُمْ ءَايَتُهُ﴾ [الآية 81] علاماته الدالة على كمال قدرته وجمال رحمته ﴿فَأَيُّ ءَايَتِ اللَّهِ﴾ [الآية 81] فأى آية من تلك الآيات ﴿تُنْكِرُونَ﴾ [الآية 81] فإنها لظهورها لا يمكن إنكارها.

/ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بسير قلوبهم أو البهم ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 82] مال أحوالهم مع كثرة آمالهم وإصرارهم

على كفرهم ومساوىء أعمالهم ﴿كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ﴾ [الآية 82] عدة وعدة ﴿وَأَشَدُّ قُوَّةً﴾ [الآية 82] وأحد شوكة ﴿وَأَنَارًا﴾ [الآية 82] وأكثر عمارات فانية منهم باقية بعدهم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 82] كالقصور والقلاع ونحوها ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 82] الأولى نافية أو استفهامية والثانية موصولة أو مصدرية.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية 83] بالمعجزات أو الآيات الواضحات ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [الآية 83] واستحققوا علم الرسل بجنب علمهم كما صدر عن بعض الحكماء السفهاء والمراد بعلمهم علوم الطبائع والتنجيم والمنطق ونحوها أو عقائدهم الفاسدة وشبههم الكاسدة من قولهم لا حساب ولا عذاب في الدار الآخرة ولئن رجعت إلى ربي أن لي عنده الحسنی فسمها علماً على زعمهم تهكماً بهم ﴿وَحَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية 83] جزاء استهزاءهم وجهلهم بأنبيائهم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [الآية 84] شدة عذابنا ويبينوا من الوقوف على بابنا ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ [الآية 84] من الصنم ونحوه.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ﴾ [الآية 85] لامتناع قبوله حينئذ لأن إيماننا الابتلاء غير معتبر حال حلول البلاء ﴿سُنَّتَ اللَّهُ أَلْقَى قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ﴾ [الآية 85] أي سنَّ الله ذلك سنة ماضية في العباد في جميع البلاد ﴿وَحَسِرَ هُنَالِكَ﴾ [الآية 85] وقت رؤيتهم البأس ﴿الْكَافِرُونَ﴾ [الآية 85] من الناس.

سورة فصلت

[مكية]

وهي أربع وخمسون آية⁽¹⁾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: أفلح من عرف بسم الله وما ربح من بقي عن بسم الله من صحب لسانه ذكر بسم الله وصحب جنانه حب بسم الله كفى له شفيعاً بسم الله إلى من تعبدنا بذكر اسم الله.

﴿حَمْدٌ﴾ [الآية 1] قال سهل: حم قضي في اللوح المحفوظ وكتب فيه ما هو كائن من المذموم قال بعضهم: الحافظ الملك هو الله ولا يبعد أن يكون الحاء إيماء إلى صفة الرحمن والميم إلى نعت الرحيم وأشير إلى وسط الوصف الأول فإنه يعم ويشمل أهل الدنيا وأومئ إلى آخر النعت الثاني لأن محل ظهوره المؤمنون في العقبى ويؤيده قوله:

﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الآية 2] حيث/ أضاف التنزيل إلى الوصفين الشريفين للدلالة على أنه مناط المصالح الدنيوية والمنافع الأخروية.

وقال الأستاذ: أي بحقي وحياتي ومجدي في ذاتي وصفاتي إن هذا تنزيل من الرحمن الرحيم.

﴿كِتَابٌ﴾ [الآية 3] أي هذا كتاب جامع فيه لكل حكم باب ﴿فُصِّلَتْ﴾ ﴿آيَاتُهُ﴾ [الآية 3] باعتبار فصاحة مبانيها وبلاغة معانيها عن غيرها لتعلق الإعجاز بها.

(1) في المخطوط: ثلاث وخمسون آية.

وقال ابن عطاء: أي بينت أحكامه.

وقال الأستاذ: بينت دلالته وعلاماته ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 3] نصب على المدح وفيه امتنان لسهولة مبناه وفهم معناه ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 3] العربية أو لأهل العلم والنظر في القضية بشيراً للعالمين به ونذيراً للمخالفين له.

وقال ابن عطاء: ﴿بَشِيرًا﴾ لمن آمن به برضا ربه ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن أعرض عنه بسخط ربه ويلائمه قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ [الآية 4] عن نذيره وقبوله ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 4] سماع تأمل في حصوله.

وأفاد الأستاذ: أن الدليل منصوب لكافة العالمين ولكن الاستبصار به للعالمين دون المعرضين الجاحدين بشيراً لمن اخترناهم واصطفيناهم ونذيراً لمن أبعدناهم ومن شهود آياتنا أعميناهم فأعرض أكثرهم عن دعائنا أيهم فهم مشبتون فيما أردنا بهم وعلى ذلك الوصف علمناهم.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْثَرَةٍ﴾ [الآية 5] أعطية ﴿مِمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِيْءِ إِذَانِنَا وَقُرْ﴾ [الآية 5] ثقل وصمم ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [الآية 5] يمنعنا عن التواصل فينا ﴿فَاعْمَلْ﴾ [الآية 5] على دينك ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ [الآية 5] على ديننا.

وأفاد الأستاذ: أنهم قالوه على الاستهانة والاستهزاء ولو قالوا: ذلك على بصيرة لكان ذلك منهم توحيداً فممنوا بالمقت لما فقدوا من تحقيق الوقت قلت لو كان لهم بصيرة هنالك لما قالوا ذلك.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [الآية 6] أي قل لا ادعي أنني من جنس الملائكة بل ادعوكم إلى التوحيد بطريق اليقين مما دل عليه دلائل العقل وشواهد النقل.

وفي «تفسير السلمي» أي أنا مثلكم في الصورة ولست مثلكم في الحقيقة كما ورد إنني لست لأحدكم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ [الآية 6] أي استقيموا في أفعالكم / متوجهين إليه بأحوالكم ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا﴾ [الآية 6] مما فرطتم في أعمالكم قيل: الاستقامة مساواة الأحوال في

الأقوال والأفعال وهو أن لا يخالف الظاهر الباطن ولا الباطن الظاهر فإذا استقامت جملة حالتك فاستغفر من رؤية استقامتك واعلم أن الله سبحانه هو الذي قومك لا إنك استقامت بنفسك كذا في تفسير السلمي.

ويحتمل أن يكون معناه واستغفروا مما فرط عنكم لأنكم لا تقدروا على حقيقة الاستقامة فيكم لقوله صلى الله عليه وسلم: استقيموا ولن تحصوا أي لن تطبقوا ولذا قيل الاستقامة أشد من ألف كرامة.

وقال الأستاذ: أي أنا بشر مثلكم في الصورة والبنية والذات والخلقة والتفرقة بيني وبينكم أنه يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فالخصوصية لي من قبله لا من قبلي ولقد لبثت فيكم عمراً ولقيتموني دهرأ فما عثرتم مني على غير صواب ولا وجدتم في قلبي شوب كذاب وأمري لكم أن استقيموا في طاعة أمره واستسلموا لقضاءه وحكمه فطوبى لمن أجاب والويل لمن أصر وخاب. ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ [الآيتان 6، 7].

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ﴿٨﴾ [الآية 8] غير مقطوع في العقبى أو في الدنيا أيضاً لما قيل: إنها نزلت في المرضى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم أجر ما كانوا يعملون في العافية.

وقال الأستاذ: آمنوا: شاهدوا الألوهية والربوبية، وعملوا الصالحات: لازموا بساط العبودية، وأجر النفوس: الجنة، وأجر القلوب الرضا بالمنة وأجر الأرواح الاستئناس بالله وأجر الأسرار دوام المشاهدة لله.

﴿قُلْ أَيْتَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [الآية 9] في مقدار يومين أو في وقتين أو توقيتين وكفرهم به: إلحادهم في ذاته وصفاته ﴿وَيَجْعَلُونَ لَهُٗٓ أَندَاداً﴾ [الآية 9] ولا يصح أن يكون له ند في مراتب تعيناته ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 9] أي خالق الأرض في قدر معين فيها هو خالق جميع ما أوجد من الممكنات ومربها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه خلق الزمان ولم يكن قبله زمان وخلق

123/ ب المكان ولم يكن قبله مكان /والحق سبحانه كان ولا مكان ولا زمان فهو عزيز

لا يدركه المكان ولا يهلكه الزمان ثم كيف يكون الذي لم يكن ثم حصل ندأ للذي لم يزل.

﴿وَجَمَلَ فِيهَا رُؤُسَ﴾ [الآية 10] جبلاً ثوابت ﴿مِّن فَوْقَهَا﴾ [الآية 10] مرتفعة عليها مفروشة فيها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار والاستدلال والاعتبار بأن الأرض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة إلى ممسك وهو الله المتعال.

وقال القاسم الرواسي: الأجلّة من الأولياء الذين هم مشرفون على الخلق والثابتون بقدوم الاستقامة على الحق ﴿وَبَرَكَ فِيهَا﴾ [الآية 10] وأكثر خيرها بأن خلق فيها أنواع النبات والحيوانات.

قال الأستاذ: يا أيتها المطر بركات السماء ويندفع عنها البلاء ببركات الأولياء ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [الآية 10] أقوات أهلها بأن عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به وينفعه أو أقواتاً ينشأ منها بأن خص حدوث كل قوت بقطر من أقطارها ليظهر لطائف أسرارها.

وقال الأستاذ: أي جعلها مختلفة في الطعم والصورة والمقدار وكذا رزاق القلوب والأرواح والأسرار ﴿فِي أَزْجَةٍ أَيَّامٍ﴾ [الآية 10] أي في تنمة أربعة أيام قيل: ولم يقل في يومين للإشعار باتصالهما باليومين الأولين والتصريح على فذلّة الوقتين ﴿سَوَاءٌ﴾ [الآية 10] أي استواء والجملة صفة أيام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجعر ﴿لِّلْسَائِلِينَ﴾ [الآية 10] أي هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها.

﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الآية 11] قصد نحوها وهو مجاز عن الإيجاد على نحو ما أراد، يقول العرب: فعل فلان كذا ثم استوى إلى عمل كذا يريدون أن أكمل الأول وابتدأ الثاني في العمل والظاهر أنّه تم التفاوت ما بين الخلقين من الرتبة لا للتراخي في المدة لقوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: الآية 30] أي بعد خلق السماء بسطها ودحوها متقدم على خلق الجبال فوقها.

وقال الأستاذ: قيل قصد وقيل: فعل فعلاً هو الذي يعلم تعيينه ويقال

رتب أقطارها وركب فيها نجومها وأزهارها ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [الآية 11] جوهر ظلماني ولعله أراد به مادتها والأجزاء التي ركبت منها.

124/أ

وفي «تفسير ابن عادل» قال المفسرون: / هذا الدخان بخار الماء وذلك أن عرش الرحمن كان على الماء قبل: خلق الأرض والسماء كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: الآية 7] ثم إنه تعالى أحدث في ذلك الماء اضطراباً إلى جمعه الهواء فأزبد وارتفع وخرج منه دخان وأما الزبد فبقي على وجه الماء وأخذت منه الأرض بأقطارها وأما الدخان فارتنفح وعلا فخلق من السماوات بأطوارها ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أُنْتِيَا﴾ [الآية 11] بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر المتعلقين بكما وإبرازاً ما أو دعت فيكما من الأوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [الآية 11] شئتما أم أبيتما والمراد إظهار كمال قدرته وجمال عزته وغلبته لإثبات الطوع والكره لهما ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [الآية 11] منقادين بالذات مطيعين في الصفات والأظهر تمثيلهما بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع كقوله: كن فيكون ولا يبعد أن وقع لهما الخطاب وأقدرهما على الجواب بالوجه الصواب.

وأفاد الأستاذ: أنه قيل هذا على ضرب المثل إن لم يتعسر خلقه شيء منهما على ما أردنا وقيل: بل أحياهما وأعقلهما وأنطقهما فقالتا: ذلك وانقادت لما هنالك وجعل نفوس العابدين أيضاً لطاعته وعبادته وجعل قلوبهم أفلاكاً لنجوم علمه وأقمار هدايته وشموس معرفته فأوتاد النفوس الخوف والرجاء والرغبة والرغبة وفي القلوب ضياء العرفان وشموس التوحيد ونجوم العلوم والعقول والنفوس والقلوب بيده يصرفها على ما أراد من حكمه.

﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [الآية 12] خلقهن خلقاً إبداعياً وأتقن أمرهن اتقاناً إبداعياً والضمير للسماء على المعنى وسبع سماوات حال أو هو مبهم وسبع سماوات تمييز ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ [الآية 12] قيل: المراد بالأيام الأربعة: الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء، وإنه خلق السماوات يوم الخميس، والشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة، وختم بآدم أبي الخاتم فهو ﷺ باعتبار ظهوره كالعلة

الغائية وباعتبار تصور روحه ونوره في المرتبة الأولية ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [الآية 12] شأنها وما يتأتى منها بأن حملها عليه اختياراً منها أو طبعاً فيها وقيل: أوحى إلى أهلها بأوامره على تفاصيلها ﴿وَزَيْنًا لِّلْأَنفِ بِمَصْنُوعٍ﴾ [الآية 12] فإن الكواكب ترى كلها كأنها تتلألأ عليها ﴿وَحِفْظًا﴾ [الآية 12] أي وحفظناها من 124/ب الآفات حفظاً ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الآية 12] البالغ في القدرة والحكمة.

قال ابن عطاء: زيننا قلوب العارفين بأنوار المعرفة وجعلنا فيها ضياء التوحيد ومصايح الهداية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه زين وجه الأرض بمصايح وهي قلوب الأحباب فأهل السماء إذا نظروا إلى قلوب الأولياء بالليل فذلك متزهم كما أن أهل الأرض إذا نظروا إلى السماء استأنسوا برؤية الكواكب في منظرهم.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ [الآية 13] عن الإيمان بعد البيان ﴿فَقُلْ أَذَرْتُمْ صَبْعَةً﴾ [الآية 13] حذرتكم إصابة عقوبة شديدة الوقعة كأنها صاعقة ﴿مِثْلَ صَبْعَةٍ عَادٍ وَتَمُودَ﴾ [الآية 13].

﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [الآية 14] من جميع جوانبهم واجتهدوا به من كل جهة في بيان في رغائبهم ورهائبهم أو من جهة الزمن الماضي بالإنذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما أعد لهم في الآخرة من عذاب النار وكل منهما يحتملها ﴿أَلَّا تَقْبَلُوا﴾ [الآية 14] بأن لا تعبدوا ﴿إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾ [الآية 14] إرسال رسل إلينا ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ [الآية 14] برسالته المقبولة لدينا ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ [الآية 14] على زعمكم فيه ﴿كَافِرُونَ﴾ [الآية 14] جاحدون منكرون إذا أنتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 15] على أهلها ﴿بِئْسَ الْحَقُّ﴾ [الآية 15] بغير استحقاق فيها ﴿وَقَالُوا﴾ [الآية 15] فخرة ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [الآية 15] اغتراراً بما لهم من القوة والشوكة فقبل كان من قوتهم أن الرجل منهم ينزع بيده الصخرة فيقتلعها من أصلها ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [الآية 15] ألم يتصوروا ولم يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي

خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴿[الآية 15] قدرة فإنه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى من الممكنات﴾ وَكَانُوا بِعَيْنِنَا يُبْخَذُونَ ﴿[الآية 15] يعرفون إنها حق وينكرون.

قال الأستاذ: ركنوا إلى قوة نفوسهم بهواهم فخانتهم قواهم لما استمكن منهم بلواهم.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [الآية 16] باردة تهلك بشدة بردها ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾ [الآية 16] جمع نحسة من نحس نحساً نقيض سعد سعداً⁽¹⁾ وقرأ الحجازيان والبصري: بالسكون تخفيفاً قيل: كن آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء ﴿لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ [الآية 16] أي الذل / ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ آخَرٌ﴾ [الآية 16] أكثر خزيًا عليهم ﴿وَهُمْ لَا يُصْرُونَ﴾ [الآية 16] بدفع العذاب عنهم.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ [الآية 17] دللناهم على الهدى بنصب الآيات وإرسال الرسول بالمعجزات ﴿فَأَسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [الآية 17] فاختاروا الضلالة على الهداية ﴿فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ [الآية 17] من السماء فأهلكتهم ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 17] من الكفر والمعصية وفي تفسير الأستاذ قيل: أنهم آمنوا وصدقوا ثم ارتدوا وكذبوا فأجرهم مجرى إخوانهم فيما عذبوا.

﴿وَجَعَلْنَا آلِإِنِ عَمَّاؤُا﴾ [الآية 18] من تلك الصاعقة ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [الآية 18] المخالفة والظاهر أن المراد بالمؤمنين ممن ينجيهم الله من عذاب المخالفين وحملهم الأستاذ على العموم فأفاد أن منهم من نجاهم من غير أن رأوا النار عبروا القنطرة ولم يعلموا وقوم كالبرق الخاطف وهم أعلامهم وقوم كالراكض وهم أيضاً أكابرههم وقوم عن الصراط سقطوا وتردهم الملائكة على الصراط فيشبتون فبعد فبعد وقوم بعدما دخلوا النار فمنهم من تأخذه إلى كعبه ثم إلى ركبته ثم إلى حقويه فإذا بلغ القلب قال الرب للنار: لا تحرق قلبه فإنه محترق في وقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا وصاروا حمماً.

(1) إن الله تعالى أدام تلك الريح فيها على حالة واحدة لا تفتت وأهلكهم بها لا كما يزعم المنجمون من أن بعض الأيام قد يكون في ذاتها نحساً وبعضها سعداً / شيخ زاده / .

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ [الآية 19] وقرأ نافع بفتح النون وضم الشين ونصب أعداء ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [الآية 19] يحبس أولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا في محشرهم وهو عبادة عن كثرهم.

﴿حَقَّ إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ [الآية 20] حضروها وما مزيدة مؤكدة لاتصال الشهادة بحضورهم ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 20] بظواهرهم.

﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [الآية 21] سؤال توبيخ لهم ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية 21] أي ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء أراد إنطاقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الآية 21] الأظهر أنه استئناف من الله سبحانه في الدنيا والآخرة ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 21] طوعية أو كراهية.

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [الآية 22] أي كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضيحة / 125 ب وما ظننتم أن أعضائكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفي تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن يتحقق أنه لا يمر عليه حال من الأحوال إلا وعليه رقيب مطلع على جميع ماله من الأعمال ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 22] لذلك اجترائتم على أن ما فعلتم.

قال أبو عثمان الجبري: من لم يذكر في وقت مباشرة الذنوب شهادة جوارحه عليه يجترئ على الذنوب وتقدم عليها ومن ذكر ذلك حين أراد مباشرتها ربما يلحقه التوفيق والعصمة فيمنعانه عنها وذلك مبتدأ أو بدل عنه.

﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ [الآية 23] خبره ﴿أَزْدَلَكُمْ﴾ [الآية 23] أهلككم وأوقعكم في مقام الفاجرين ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الآية 23] فظهرت خسارتكم وما ربحت تجارتكم.

﴿فَإِنْ يَصِيرُوا فَاَلنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [الآية 24] لا خلاص لهم عنها ﴿وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾ [الآية 24] يسألوا العتبي وهي الرجوع إلى الرضا ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ [الآية 24] المجابين إليها.

﴿وَقِصَّصْنَا﴾ [الآية 25] قدرنا ﴿لَهُمْ﴾ [الآية 25] لمن أراد أن يكفر بنا
 ﴿قُرْنَاءَ﴾ [الآية 25] إخواناً من شياطين الجن وإخواناً من شياطين الإنس ﴿فَزَيَّنُوا﴾
 لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴿[الآية 25] من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلَقَهُمْ﴾ [الآية 25]
 من أمر العقبي بإنكار العقوبات والمثوبات ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ [الآية 25] أي
 كلمة العذاب ﴿فِي أَمْرٍ﴾ [الآية 25] كائنين في جملة أمم أو معهم ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ﴾
 قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴿[الآية 25] وقد عملوا مثل أعمالهم ﴿إِنَّهُمْ﴾ [الآية 25] أي
 كلهم ﴿كَانُوا خَسِرِينَ﴾ [الآية 25] في أحوالهم وآمالهم في مآلهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا أراد بعبد سوءاً قبيض له أخذان سوء
 قرناء وإخوان شرهم الأضداد لهم فيما راموا، وإذا أراد بعبد خيراً قبيض له
 قرناء خير يعينونه على الطاعة ويحملونه عليها ويدعونه إليها ومن ذلك
 الشيطان فإنه مقيض مسلط على الإنسان يوسوس إليه بالعصيان وشر من ذلك
 النفس وبئس القرين هي تدعو اليوم إلى ما فيه العقوبة وتشهد غداً عليه بفعل
 الزلة فزينوا لهم ما بين أيديهم من طول الأمل وما خلفهم من نسيان الزلل
 والتأخر في التوبة والتقصير في الطاعة.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمْعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا فِيهِ﴾ [الآية 26] وعارضوه
 بالهذيان ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 26] على ما تطلقون.

قال ابن عطاء: من لم يكن / قلبه منور بالإيمان لا يلتذ بسماع القرآن
 ولا يؤثر فيه مواعظه وأحكامه إنما يتعظ به من كان منور السر مشروح الصدر
 مفتوح السمع حاد البصر معاناً بالتوفيق مسدداً بالعصمة والتحقيق فإذا سمعه
 وعى فوائد أحكامه واتعظ بلطائف مواعظه.

126/أ

وأفاد الأستاذ: أن الكفار استولى على قلوبهم الجحد والإنكار ودام
 على العداوة منهم الإصرار فاختلفوا بكل وجه أمكنهم فتواصوا فيما بينهم بأن
 لا يستمعوا إلى القرآن لأنه يغلب القلوب ويسلب العقول وكل من أقبل عليه
 مال إليه قالوا: فإذا أخذ محمد في تلاوة القرآن فألقى الكفار في قراءته اللغظ
 فيقع هو في السهو والغلط ولم يعلموا أن الذي نور قلبه بالإيمان وأيد بالفهم

وأمدّ بالبصيرة وكشف بسماع السر من الغيب فهو الذي يسمع ويؤمن والذي هو في ظلمات جهله لا يدخل الإيمان قلبه ولا يباشر السماع سره.

﴿فَلَنَذِقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 27] منهم ومن غيرهم ﴿عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 27] سيئات أعمالهم في أسوأ أحوالهم.

وقال الأستاذ: لنذيقنهم عذاباً شديداً في الدنيا بإدامة الحرمان التي هي الفراق وعذاباً بالتخليد في النيران التي هي الاحتراق.

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 28] الجزاء الأسوأ ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾ [الآية 28] مبتدأ وخبر ﴿النَّارِ﴾ [الآية 28] عطف بيان للجزاء لهم فيها في النار ﴿هُمْ فِيهَا دَارُ النَّارِ﴾ [الآية 28] موضع إقامتهم ومحل إدامتهم لا يخرجون منها ولا يموتون فيها ﴿جَزَاءُ مَا كَانُوا يَأْتِينَا يَجْحَدُونَ﴾ [الآية 28] ينكرون أو يلغون ويكفرون.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [الآية 29] يعني شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة وقيل: هما إبليس وقابيل فإنهما أول من سن المعصية ﴿تَجْمَعُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ [الآية 29] انتقاماً منهما ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الآية 29] محلاً وذلاً.

وأفاد الأستاذ: أن الفائدة من هذا هي الأخبار عن تبرئ بعضهم من بعضهم ووقوع الندم عليهم حين لا ينفعهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الآية 30] اعترافاً بربوبيته وإقراراً بالالوهية ﴿ثُمَّ أَسْتَقِيمُوا﴾ [الآية 30] في الإقامة على وظائف عبوديته من اكتساب طاعته

واجتناب معصيته وما روي من الخلفاء الأربعة / في معنى الاستقامة من الثبات 126/ ب على الإيمان ومن الأمر بالطاعة والنهي عن العصيان ومن الإخلاص في عمل الأركان ومن أداء فرائض الرحمن فجزئيات الاستقامة كما لا يخفي على أهل العرفان ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [الآية 30] فيما يعن لهم قبورهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم خوفهم وحزنهم ويأتيهم فرحهم وسرورهم أو في هذا عند موتهم وجزائهم وحال نزعهم وفزعهم أو في قبورهم أو وقت نشورهم ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ [الآية 30] ما تقدمون عليه ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [الآية 30] على ما فارقت منه

﴿وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الآية 30] في الدنيا على لسان الأنبياء.

﴿نَحْنُ أَوْلَىٰ بِكُم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 31] نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل إمام الشياطين بأهل الكفر للباطل وحملهم على الشر ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [الآية 31] بالكرامة والشفاعة حيث يتفادى الشياطين والكفرة بالبراءة والشفاعة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنفُسُكُمْ﴾ [الآية 31] من اللذات ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [الآية 31] تتمنون من المطلوبات.

﴿نُزُلًا﴾ [الآية 32] ضيافة للمؤمنين ﴿مِّنْ عَفْوَ﴾ [الآية 32] للمذنبين ﴿رَجِيمٌ﴾ [الآية 32] بالمحسنين ويقال: برحمته وصلوا إلى مغفرته هذا وثم في الآية للتراخي في الرتبة إيماء بأن مدخولها له زيادة المزية فالمعنى استقاموا في الحال ثم استقاموا في المال بأن استدام إيمانهم وإحسانهم إلى حال الانتقال.

وأفاد الأستاذ: أنهم قالوا بشرط الاستجابة ثم استبصروا بموجب الحجة ولم يكتفوا بالمقالة دون صفاء الحالة ويقال: هي يعني الاستقامة على قسمين في أصل التوحيد والمعرفة وهذه صفة عامة المؤمنين ومستقيم في الفروع من غير المعصية وهذه صفة خاصتهم من المتقين ثم الاستقامة لهم على حسب أحوالهم فمستقيم في عهده ومستقيم في عقده ومستقيم في جده ومراعاة حده ومستقيم في جهده وقصده وعهده وحبه ووده وهذا أعمهم وفي المقام أتمهم ويقال: ﴿أَسْتَقِمُوا﴾ [الآية 30] على دوام الشهود وعلى انفراد القلب بواجب الوجود ويقال: ﴿أَسْتَقِمُوا﴾ في تصفية العقد ثم في توفية العهد ثم في صحة القصد بدوام الوجد ويقال: استقاموا بأقوالهم ثم بأعمالهم ثم بصفاء أحوالهم في وقتهم وفي مالهم ويقال: أقاموا على طاعته واستقاموا على معرفته/ 127 أ وهاموا في محبته وقاموا بشرائط خدمته ويقال: استقامة الزاهد أن لا يرجع إلى دنياه ولا يمتع بالجاه بين الناس عن الله واستقامة العابد أن لا يعود إلى الفترة وأتباع الشهوة ولا يتدخله الرياء والتصنع والسمعة واستقامة العارف أن لا يشوب معرفته حظ في دنياه وأخراه فيحجب به عن مولاه واستقامة المحبين أن لا يكون لهم إرب في قلوبهم من غير محبوبهم تكنفون من عطائه بقاءه ومن مقتضى

جوده بدوام عزّه ووجوده.

ثم قال: الخوف إنما يكون في المستقبل من الوقت وهو لحلول مكروه أو فوت محبوب والملائكة يبشرونهم بأن كل مطلوب لهم سيكون وكل محذور لهم لا يكون هذا تحقيق قوله ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [الآية 30] والحزن من حزنه الوقت والذي هو راض بجميع ما يجري عليه في حالته فلا حزنه في عيشته فالملائكة يبشرونهم بأنه لا حزنه في أحوالهم فهم في الروح والراحة ويبشرون بالجنة وهي حسن المآب وما وعد الله من جميل الثواب والذي هو موعود للأولياء بسفارة الملك موجود اليوم لخواص عباده بعتاء الملك وهو أن لا يكون له مطالعة المستقبل من حوله ويكون بحكم الوقت فلا يكون له خوف لما قلنا أن الخوف لما سيحصل في الثاني من الحال من زوال محبوب أو حصول مكروه والذي هو بصفة الرضا فلا حزنه في حاله ووقته ويمكن القياس على ما قاله الناس في قولهم ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [الآية 30] بأن يقال: ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ من عذاب القيامة ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما أسلفتم من الجنابة ﴿وَأَبْشِرُوا﴾ بدوام الوصلة والخطاب في ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾ [الآية 31] يحتمل أن يكون من قبل الملائكة وأن يكون أشد كلام من الله بطريق المواصلة والولاية من الله بمعنى المحبة ويكون بمعنى النصره ولو لم يكن المحبة الإلهية في الآزال لم يحصل النصره في الحال والمآل فيقال ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 31] بتحقيق المعرفة وفي الآخرة بتحصيل المغفرة ويقال: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 31] الدنيا بالعناية ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [الآية 31] بحسن الكفاية وجميل الرعاية في الحياة الدنيا بالمشاهدة وفي الآخرة بالمعانية في الدنيا بالرضا / بالقضاء وفي الآخرة باللقاء في دار البقاء في الحياة الدنيا بالإيمان وفي الآخرة بالغفران في الدنيا بالمحبة وفي الآخرة بالقربة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ [الآية 31] أي في الجنة ﴿مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ﴾ [الآية 31] من أنواع اللذة، الولاية نقد وحصول الشهوات وعد فمن اشتغل بنقده قل ما يشتغل بوعده.

﴿تُزَلَّ مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [الآية 32].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 33] إلى عبادته له ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [الآية 33] يصلح لمرضاته ﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية 33] تحدثاً بنعمته والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات تامة وقيل: المراد بهم النبيون أو المؤذنون أو الأئمة الداعون أو الوعاظ الواعون.

قال ابن عطاء: ما دعا إلى الله من دعا بنفسه إلى الله حتى يدعوا إلى الله بالله فيكون هو داعي حق.

وأفاد الأستاذ: أن الداعي إلى الله هو الذي يدعو الناس إلى الاكتفاء بالله وترك طلب العوض من الله بأن يكل أمره إلى الله ويرضى من الله بقسمة الله وعمل صالحاً كما يدعوا الخلق إلى الله يأتي بما يدعونهم إليه طلباً لرضاء الله.

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [الآية 34] في المجازاة وحسن العقابة ولا الثانية مزيدة لتأكيد النافية ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الآية 34] ادفع السيئة بأحسن ما يمكن دفعها به من أفراد الحسنة ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [الآية 34] أي إذا فعلت صار عدوك المشتاق مثل الولي القريب الشفيق المشتاق.

قال ابن عطاء: لا يستوي بين من أحسن الدخول في خدمتنا والخروج من حضرتنا وبين من أساء الأدب في الخدمة وبين من أساء في الغيبة فإن سوء الأدب في القرب أصعب من سوء الأدب في البعد وقد يصفح عن الجاهل الكبائر ويعاتب بالالتفات بعض الأكابر.

وقال الأستاذ: أي ادفع بالخصلة هي أحسن السببية يعني بالعفو عن المكافأة بالتجاوز والصفح عن الزلة وترك الانتصاف في المظلمة وهذا من جملة حسن الخدمة والأدب في حق صحبتك مع الرب أن تحلم عن عباده لأجله ومن جملة حسن الخلق في الصحبة مع الخلق أن لا تنتقم لنفسك وأن تغفو عن خصمك.

﴿وَمَا يُلْقِهَا﴾ [الآية 35] أي هذه الخصلة المستحسنة وهي / مقابلة الإساءة بمقابلة الحسنة ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [الآية 35] حبسوا أنفسهم عن الأخلاق السيئة ﴿وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [الآية 35] من الشرائع البهية والفضائل الجليلة.

وقال الأستاذ: لا يصل إلى سني الدرجات إلا من صبر على مقاساة شدائد البليات.

﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ [الآية 36] تحس شبه الوسوسة لأنها بعث على ما لا ينبغي من الحركة كالدفع بما هو أسوأ من السيئة وحبل النزغ نازغاً على طريقة جد جده للمبالغة ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الآية 36] من شره ولا تطعه في أمره ﴿إِنَّهُ﴾ [الآية 36] سبحانه ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية 36] لاستعاذتك ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 36] بنيتك وصالح حالتك قال بعضهم: من طرد الشيطان بنفسه عن نفسه فهو أبداً قرينه ومن طرده بالالتجاء والتضرع إلى الله والاستعاذة به منه لم يجعل الله للشيطان عليه سبيلاً في دينه.

وقال الأستاذ: أي إذا اتصل بقلبك نزغة من نزغات الشيطان فلا تذرهما تتكرر إلى الله تعالى بالمرة بل ارجع إلى الله في أول الخطرة فإنك إن لم تخالف أول الوهلة صارت الفكرة ثم بعد ذلك يحصل العزم على الغفلة ثم إن لم يتدارك ذلك تجري الزلة فإن لم يتدارك بحسن الرجعة صار القسوة ويتمادى به الوقت فهو يحظر كل آفة من الشقوة ولا يتخلص العبد من نزغات الشيطان إلا بصدق الاستفاقة بالله وصدق الاستغاثة إلى الله فيه ينجو عن الشيطان قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: الآية 42] فكلما زاد العبد في تفرده من حوله وقوته وأخلص بين يدي الله من تضرعه واستغاثته زاد الله في حفظه وحمايته ودفع الشيطان عنه بعنايته ورعايته.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [الآية 37] أي ومن علاماته الدالة على كمال قدرته وجمال حكمته اختلاف الوقتين وتفاوت النيرين ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [الآية 37] أي ونحوهما من سائر الكواكب بالأولى فإنهما مأموران مثلكم بل مخلوقان ولأنهما فلكان غافلان من علمكم ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [الآية 37] الضمير للأربعة المذكورة أو للكواكب المسطورة ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 37] فإن السجود أخص من العبادة هو موضع

السجدة عند الشافعية لاقتران الأمر به في المبنى وعندنا آخر الآية الأخرى لأنه تمام المعنى.

﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا﴾ [الآية 38] عن الطاعة ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الآية 38] من الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الآية 38] أي في جميع الأزمنة ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية 38] لا يملون ولا يفترون.

قال ابن عطاء: أظهر لك الآيات كلها لتشتغل بمظهرها دونها فمن اشتغل بها أشغله عن مظهرها ومن اشتغل بمظهرها أشغله ذلك عن الاشتغال بها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أوضح الآيات وألاح البينات وأزاح علة من رام الوصول إلى الكمالات فاختلف الليل والنهار ودوران الشمس والأقمار إمارات قدرته ودلالات حكمته لا تسجدوا للشمس في علائها ولا للقمر في ضياء سمائها واسجدوا للذات المنعوت بأوصافها وأسماؤها عار عليكم أن تسجدوا لغيره من المخلوقات في إبدائها وإنهاءها ويقال: الشمس وإن علت والقمر وإن حسن صورته وانجلت فلاجلك خلقناهما فاسجدوا لنا ولا تسجدوا لهما ويقال: خلق الملائكة ثم مع كثرة عبادتهم وتقدمهم في طاعتهم قال لهم: اسجدوا لآدم فامتنع واحد منهم ولعن إلى الأبد مطروداً عنهم وقال لأولاده: العصاة لا تسجدوا للشمس ولا للقمر فشتان ما هما فتدبر ويقال: الحق سبحانه يأمرك بصيانة وجهك عن الشمس والقمر وأنت لأجل كل حظ خسيس تنقل قدمك إلى كل أحد وتدخل بمحيالك على كل أحد. قلت: وما أحسن دعاء الإمام أحمد بن حنبل قدس سره الأكمل: اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسألة غيرك.

﴿وَمَنْ ءَايَتْهُ﴾ [الآية 39] الدالة على كمال ذاته وجمال صفاته ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خُشْعَةً﴾ [الآية 39] يابسة ساكنة كالميتة متواضعة ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ [الآية 39] تحركت بالإنبات ﴿وَرَبَّتْ﴾ [الآية 39] انتفخت بالنبات ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا﴾ [الآية 39] بعد موتها وهي من الجمادات ﴿لَمَجِي الْمَوْتِ﴾ [الآية 39]

من الإنسان والحيوانات ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 39] بالغ القدرة كامل القوة على الإحياء والإماتة.

وأفاد الأستاذ: أن الأرض إذا صحبتها جذوبة الشتاء خشت وفي وقت الربيع إذا نزل/ عليها المطر اهتزت بالنبات واخضرت كذلك إذا خشعت القلوب لاستشعارها بما عملت من الذنوب فأقبل الله عليها فظهرت فيها بركات الندم وعفا عن أربابها ما قصروا في صدق القدم وكذا إذا وقع للعبد فترة في معاملته وغيبته عن بساط طاعته فإذا تعهده الحق سبحانه بما يدخل على قلبه من تذكر ظلمة الشقاق أظهر في قلبه أنوار الوفاق فيعود إلى مألوف مقامة ومعروف مرامه ويعود عود سداذه غصاً طرياً وشجر وفائه وثمر صفائه ومما أصابه الجدوبة بماء العناية مستقيماً وكذا إذا حصل للعبيد من أهل العرفان وقفة أو بدر لسوء أدب جرى منهم حجة فإذا نظر الحق سبحانه إليهم بالرعاية وعين العناية اهتزت رياض أنفسهم واخضرت مشاهد قدسهم وانهزمت وفود وقفته وانعدمت وجوب حجيتهم بعد شهود فترتهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ [الآية 40] يميلون عن الاستقامة ﴿فِيْ عَايِنَاتِنَا﴾ [الآية 40] بالطعن والتحريف بالنقصان والزيادة وبالتأويل الباطل والإلغاء فيها حال القراءة ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [الآية 40] فحسابهم إلينا وعذابهم لدينا ﴿أَفَنُتْلَىٰ فِي النَّارِ﴾ [الآية 40] بوصف الملامة ﴿خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِيْ ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [الآية 40] تهديد شديد ﴿إِنَّهُمْ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية 40] وعد ووعد.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ [الآية 41] بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [الآية 41] بنعت الفرقان والخبر سيأتي قريباً من قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الآية 44] أو محذوف مثل معاندون أو معذبون.

وقال الأستاذ: بقوا عنا ووقعوا في أهوائهم وشقوا إلى الأبد في عنائهم ﴿وَأَنَّهُ لَكِنَّتْ لَكُم مِّنْ عَذَابِكُمْ﴾ [الآية 41] كثير النفع عديم النظير أو بديع منيع.

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ﴾ [الآية 42] مما فيه من الأخبار الماضية والآثار الآتية ﴿تَنَزَّلُ مِنَ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [الآية 42].

قال ابن عطاء: كيف يكون للباطل عليه سبيل وهو من الحق بدأ وإلى الحق يعود وهو الحق فلا يتحقق به إلا بحق.

وأفاد الأستاذ: أنه كتاب عزيز لا مثل له لأنهم عجزوا عن الإتيان بمثله ويقال: عزيز على المؤمنين لأنه كتاب حبيبهم وهو لا ينقضه كتاب مما يقدمه 129/ ب ولا ناسخ مما يأتي/ بعده ويقال: لا يدافع معناه مبناه ولا يخالف مبناه معناه.

﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ [الآية 43] أي ما يقول لك كفار قومك ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الآية 43] إلا مثل ما قال لهم كفار قومهم فاصبر كصبرهم أو ما يقول الله إلا مثل ما قال لهم فلست بدع مما بينهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ [الآية 43] لأوليائه ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 43] لأعدائه والجملة استئناف منقطع عما قبله على الوجه الثاني يحتمل أن يكون المقول لهم بمعنى أن حاصل ما أوحى إليك وإليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والمثوبة ووعد الكافرين بالمجازاة والعقوبة.

ومال الأستاذ إلى هذا حيث أفاد أن أصول التوحيد لا تختلف بالشرائع واختلاف الشرائع في الأحكام واحد في أنه يجب موافقة أوامره ومباعدة مزاجه ثم الله سبحانه قال في كل كتاب وشرع لكل أمة أن يعرفوا أنه للمطيعين ثواب عظيم وللكافرين عذاب أليم.

﴿وَلَوْ جَمَعْنَاهُ﴾ [الآية 44] أي الذكر المذكور ﴿قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا﴾ [الآية 44] أي بعض كفار العرب من المعاندين ﴿لَوْلَا فَصَّلَتْ أَيْنُهُ﴾ [الآية 44] بينت بلسان تفهمه وتعقل به أمور الدين ﴿أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [الآية 44] أي كلام أعجمي ومخاطب عربي والأعجم من لا يفصح الكلام كالأعجمي وقرأ هشام بالأخبار على تقدير همزة الأفكار ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ [الآية 44] إلى الحق والمعرفة ﴿وَشِفَاءٌ﴾ [الآية 44] لما في الصدور من الشك والشبهة ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 44] مبتدأ خبره ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ [الآية 44] هو في أذانهم ثقل وصمم ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [الآية 44] وذلك لتصامهم عن سماعهم وتعمتهم عما يريهم من الآيات مما يغنيهم ويعينهم ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الآية 44]

هو تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن يصيح بهم من مسافة بعيدة إلى محصولهم.

قال جعفر الصادق: القرآن شفاء لمن كان في ظل العصمة والرعاية وعمى على من كان في ظلمة الخذلان والغواية.

وأفاد الأستاذ: أن الكتاب موجب شفاء للمؤمنين وسبب شقاء للكافرين فهو شفاء للعلماء حيث استراحوا به عن كدّ الفكرة وتحير توارد الخطرة وشفاء لضيق صدور المريدين لما فيه من التنعم بقراءة مبانيه والتلذذ بالتفكير/ 130/ أ في معانيه وشفاء لقلوب المحبين من لواعج الاشتياق بما فيه من لطف المواعيد وشفاء لقلوب العارفين بما يتوالى عليه من أنوار التحقيق وآثار المواجهيد.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ [الآية 45] بالتصديق والتكذيب ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية 45] وهي العدة بالقيامة وفصل الخصومة في تلك الساعة ﴿لَفُضِّىَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 45] بإفناء الكافرين وإنجاء المؤمنين ﴿وَإِنْ هُمْ﴾ [الآية 45] أي الذين لا يؤمنون ﴿لَفَى شَكِّ مِنْهُ﴾ [الآية 45] من التوراة أو القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾ [الآية 45] موجب للاضطراب في البرهان.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [الآية 46] نفعه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [الآية 46] ضرره ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ﴾ [الآية 46] بذي ظلم ﴿لَلْعَبِيدِ﴾ [الآية 46] فيفعل بهم ما ليس له أن يفعله.

﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الآية 47] أي إذا سئل عنها أي لا يعلمها إلا هو ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ [الآية 47] من أوعيتها وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات لاختلاف أنواعها وما نافية ومن الأولى مزيدة للاستغراق ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ﴾ [الآية 47] بمكان أو زمان ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [الآية 47] إلا مقروناً بعلمه واقعاً بحسب تعلقه به ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ [الآية 47] بزعمكم حتى يخلصوكم ﴿قَالُوا ءَاذَنْتَكَ﴾ [الآية 47] أخبرناك ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ [الآية 47] من أحد يشهد لهم بالشركة إذ تبرأنا عنهم ولعل تكرير السؤال عنهم للتوبيخ بلسان القول أو ببيان الحال.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الآية 48] غاب أو ضاع منهم ﴿مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ [الآية 48] يعيدون ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 48] حيث لا ينفعهم ﴿وَطَنُّوْا﴾ [الآية 48] أيقنوا ﴿مَا لَهُمْ مِنْ نَّجِيصٍ﴾ [الآية 48] مهرب مما نزل بهم.

﴿لَا يَسْعَمُ الْإِنْسَانُ﴾ [الآية 49] لا يمل ﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ [الآية 49] من طلب السعة في النعمة ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ [الآية 49] أدنى المضرة أو أدنى المحنة ﴿فَيَتَوَسَّسُ فَنُوطٌ﴾ [الآية 49] من الفضل والرحمة والجمع بين الوصفين لزيادة المبالغة.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يمل من إرادة المنفعة وإن مسه المضرة فلا يرجو زوال المشقة لعدم علمه بربه وانسداد الطريق على قلبه في الرجوع إليه والاعتماد عليه.

﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ﴾ [الآية 50] بتفريجها عنه وإزالتها منه ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [الآية 50] حقي استحقته لما لي من الفضل والمال أو دائماً لا يزول في حال من الأحوال ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ [الآية 50] أي القيامة تقوم ﴿وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾ [الآية 50] / على فرض الكلام ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَى﴾ [الآية 50] للحالة الحسنى من الكرامة والأنعام وذلك لاعتقاده الفاسد وظنه الكاسد ما أصابه من النعم الدنيوية فلاستحقاق لا ينفك عنه بالكلية ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ [الآية 50] فلنجزينهم بحقيقة أعمالهم ولنبرنهم عكس ما اعتقدوا فيها من آمالهم ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [الآية 50] بحسب أحوالهم.

وقال الأستاذ: لئن كشفنا عنه البلاء وأثبتنا له الرخاء لا دعاه استحقاقاً أو إنفاقاً ولا يعتقد ذلك منا فضلاً وإنعاماً ويقول لو كان لي حشر ونشر لكان لي من الله لطف وخير وليعلمن الأمر بخلافه إذا أذقناه ما يستوجبه من عذابه. ﴿وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ﴾ [الآية 51] عن ذكرنا وانصرف عن القيام بشكرنا.

قال الواسطي: أعرض عن المنعم بالنعمة ﴿وَنَّا﴾ [الآية 51] وقرأ ابن

ذُكِرَ أَنَّ نَأْيَ ﴿يَمَانِيهِ﴾ [الآية 51] ذهب بنفسه وتباعد عن مقام أنسه تكبراً وتجبراً
﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُوْ دُعَاً عَرِيضٍ﴾ [الآية 51] كثير العرض والطول في طلب
الخير.

وأفاد الأستاذ: إنه لا يميز بين البلاء والعطاء فكثير مما يتوهمه أنه
عطاء وهو مكر واستدراج فيستديمه وكثير مما هو فضل وصرف عطاء ويظنه
بلاء فعيافه ويكرهه ويقال: إذا أنعمت عليه صاحبه بالبطر وإذا أبليناه قابله
بالضجر ويقال: إذا أنعمنا عليه أعجب بنفسه فتكبر مختالاً في زهوه لا يشكر
ربه ولا يذكر فضله وتباعد عن بساط طاعته وكالمستغني عنا يهيم على وجهه
وإذا مسه الشر فذوا دعاء كثير وتضرع عريض وابتهال شديد واستكثار بدوام
زمن مدين ثم إذا كشفنا ذلك عنه فله إلى عتوه ونبوه عود وعادة وإلى أسوأ
طريقته في الجحود أعاده.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ [الآية 52] القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ
مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الآية 52] أي من أضل منكم فوضع الموصول
موضع الضمير شرحاً لحالهم وتعليلاً لمزيد ضلالهم.

﴿سَتُرِيهِمْ ءَايَاتَنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ [الآية 53] يعني ما ذكر لهم النبي عليه السلام
من أخبار الحوادث الآتية وأثار النوازل الماضية وما يسر الله لخلفائه من الفتوح
 وظهور السعادة على ممالك الشرق والغرب بطريق خرق العادة ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾
[الآية 53] أي ما ظهر فيما بين أهل مكة وغيرهم / وما حل بهم من نزول شرهم
 وحلول خيرهم والمراد بالآفاق ظواهر الإنسان وأشباحهم وأنوارهم وبأنفسهم
 وبواطنهم ورواحهم وأسرارهم وما أبرز فيها من عجائب النعمة وأودع فيها من
 غرائب المنة الدالة على كمال قدرته وجمال حكمته ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾
 [الآية 53] الضمير للقرآن أو الرسول أو التوحيد أو الله وهو الأحق ولا مانع من
 الجمع ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ [الآية 53] الباء مزيدة على الفاعل للمبالغة ﴿أَنَّهُ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الآية 53] بدل منه والمعنى أو لم يحصل الكفاية بأنه مطلع على
 كل شيء فيعلم حالك وحالهم.

وأفاد الأستاذ: أن الآيات في الآفاق اختلاف أحكام الأعيان مع اتفاق جواهرها في التجانس وهذه هي آيات حدوث العالم واقتضاء المحدث بصفاته وفي أنفسهم من أمارات الحدوث واختلاف الأوصاف ويقال في الآفاق للعلماء وفي أنفسهم لأهل المعرفة مما يجدونه من العقاب إذا ألموا بمعصية ومن الثواب إذا أخلصوا في طاعة وكذلك ما يحصل لهم من اختلاف الأحوال كالقبض والبسط والفرق والجمع والحجب والجذب وما يجدونه بالضرورة في معاملاتهم ومنازلاتهم.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَةٍ﴾ [الآية 54] شك وشبهة ﴿مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 54] بالبعث والمجازات وفق المحاسبة ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [الآية 54] عالم أكمل الأشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء منها.

سورة الشورى

[مكية]

وهي ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: سلوة العاصين سماع رحمة الله وخطوة العابدين في رجائهم نعمة الله وراحة الفقراء في رضائهم بقسمة الله لكل من حاله نصيب وفي كل في نفسه مصيب.

﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ عَسَقٌ ﴿٢﴾﴾ [الآيتان 1، 2] لعلهما اسم واحد ولمطابقة السابقة واللاحقة فصل بينهما وقد سبق ما تعلق بهما وهنا زيادة العين للإيماء إلى بعض الأسماء كالعليم والسين إلى نحو السلام والقاف إلى نحو القاهر القادر.

﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية 3] أي مثل إيماء هذه الصورة أو مثل إيحاء هذه السورة ﴿يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الآية 3] وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على أنه مسند إلى إليك والله مرتفع بالابتداء والعزیز وما بعده أخبار.

وقال ابن طاهر: الحاء من الحليم والميم من الملك والعين من العليم والسين من السيد/ والقاف من القادر.

131/ب

وأفاد الأستاذ: أن الحاء مفتاح اسمه حليم وحافظ وحكيم والميم مفتاح اسم ملك وماجد ومجيد ومنان ومؤمن ومهيمن والعين مفتاح اسمه عالم وعدل وعال والسين مفتاح اسمه سيد وسريع الحساب والقاف مفتاح اسمه قادر وقاهر وقريب وقدير وقُدوس، أقسم الله بهذه الأسماء أو بهذه الحروف الدالة عليها بالإيماء أنه ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿[الآية 3].

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿[الآية 4] استئناف مقرر لكمال عزته وجمال حكمته.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾ ﴿[الآية 5] قرأ نافع والكسائي بالتذكير ﴿يَنْفَطَرْنَ﴾ ﴿[الآية 5] يتشقق من عظمة الله وهيته وقرأ أبو بكر وأبو عمرو ينفطرن بالنون ﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ ﴿[الآية 5] أي مبدأ الانفطار من جهة كل واحدة منهن إلى أسفلهن أو الضمير للأرض باعتبار الجنس أي من فوق أهلهن لإهلاكهم بسبب إشراكهم وأغرب الأستاذ هنا حيث قال: تكاد السماوات يتشققن من عظمة من فوقهن والله يريد فوقية الرتبة ويقال: من ثقل الملائكة وكثرتهن فوقهن ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿[الآية 5] بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الإلهام والشفاعة، وإعداد الأسباب المقربة إلى الطاعة وذلك يعم المؤمن والكافر في الجملة ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ﴾ ﴿[الآية 5] لذو مغفرة للناس على ظلمهم من كمال حلمه ﴿الرَّحِيمُ﴾ ﴿[الآية 5] فما من مخلوق إلا وهو ذو حظ من رحمته كما سبق في علمه وفي الجملة المنبهة تنبيه في الجملة على أن الله مع عظمته إذا كان غفوراً ورحيماً لجميع عباده فينبغي أن يكون كل من خواص خلقه متخليفاً بأخلاق ربه.

وقال الأستاذ: يغفر لهم مع كثرة عصيانهم ومع عظم جرمهم لا يقطع عنهم رزقهم وإن كان يريد في الآخرة أن يعذبهم.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ ﴿[الآية 6] أنداداً وشركاء ﴿اللَّهُ حَفِظُ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿[الآية 6] رقيب على أعمالهم وحسب بأحوالهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿[الآية 6] بموكل لديهم أو بموكل إليك أمرهم.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية من الإشارة أن من عمل بمتابعة هواه وترك لله حداً أو نقض له عهداً فهو متخذ الشياطين أولياء والله يعلمه ولا يخفى عليه أمره وعلى الله حسابه وإليه إيباه فإن شاء عذبه/ وإن شاء غفر له.

132/ أ

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ ﴿[الآية 7] أي مكة والمراد

أهلها ﴿وَمَنْ حَوَّلَا﴾ [الآية 7] من العرب والعجم لأنها سرتها وعمدتها وفيها قبلتها ﴿وَنُذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ [الآية 7] يوم القيامة يجمع فيه الأرواح والأشباح أو العمال والأعمال ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية 7] لا شك في كون ذلك اليوم أو الجمع والجملة معترضة ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الآية 7] والمعنى يجمعون في موقف الحساب ثم يفرقون إلى داري الثواب والعقاب والتقدير فريق منهم والضمير للمجموعين فيه لدلالة الجمع عليه.

وقال الأستاذ: كما أنهم اليوم فريقان فريق في راحات الطاعات وحلاوة العبادات وفريق في ظلمات الشرك والجحود وعقوبات العناد والكنود فذلك غداً أقرهم أهل اللقاء والبقاء وفريق أهل الشقاء والبلاء.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الآية 8] موحدين أو ملحدين ﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الآية 8] بالهداية والحمل على الطاعة ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ [الآية 8] بالكفر والمعصية ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ﴾ [الآية 8] ينفعهم بالشفاعة ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية 8] يدفع عنهم العقوبة بالمقاومة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إن أراد أن يجمعهم كلهم على الرشاد والسداد لم يكن مانع وإذا لا زين لهم ولو شاء أن يجمعهم كلهم على العناد والفساد لم يكن دافع وإذا لا شين منهم وحيث خلقهم مختلفين على ما أراد فلا مبالاة بهم إنما هو إله واحد جبار غير مأمور ولا مجبور ولا بحكم أحد عن فعل مزجور.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ [الآية 9] بل اتخذ بعض الأنام ﴿مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية 9] كالأصنام ﴿فَاللَّهُ هُوَ أَوْلَىٰ﴾ [الآية 9] بالحق وغيره الباطل المطلق ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [الآية 9] وغيره في المبنى جماد أو كالجماد في المعنى ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 9] وغيره غير قادر على نقير وقطير.

قال الواسطي: يحيي القلوب بالتجلي ويميت النفوس بالاستتار.

وأفاد الأستاذ: أنهم توهموا أن شيئاً من الحدثن بأحد فالله هو متولي جميع الأمور من الخير والشر والنفع والضرر وهو الذي يحيي النفوس

والقلوب اليوم ويميت النفوس والقلوب اليوم وغداً وهو على كل شيء قدير
أزلاً وأبداً.

﴿وَمَا اخْلَقْنَاهُ فِيهِ﴾ [الآية 10] أنتم والكفار ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 10] من أمور
الدنيا أو الدنيا ﴿فَحَكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 10] مفوض إليه يميز الحق من المبطل
بالنصرة والمعونة أو بالإثابة والمعاقبة وقيل ﴿وَمَا اخْلَقْنَاهُ فِيهِ﴾ [الآية 10] من تأويل
ب/132 متشابهة فارجعوا فيه إلى محكم من كتابه ﴿ذَلِكُمْ﴾ [الآية 10] الحاكم ﴿اللَّهُ/ رَبِّي
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [الآية 10] في مجامع المهمات ﴿وَالَيْهِ أُتِيبُ﴾ [الآية 10] ارجع في
المشكلات.

وأفاد الأستاذ: في قوله فحكمه إلى الله أي إلى كتابه وسنة نبيه وإجماع
الأمة وشواهد القياس والعبرة وهذه الأشياء هي قانون الشريعة والكتاب يدل
على صحة هذه الجملة ويقال: إذا لم تهتدوا إلى شيء وتعارضت منكم
الخواطر فدعوا تدبيركم إلى تدبيره والتجئوا إلى ظل شهود تقديره وانتظروا ما
الذي ينبغي لكم أن تفعلوه بحكم تيسيره ويقال: إذا اشتغل قلوبكم بحديث
أنفسكم لا تدرون بالسعادة جرى حكمكم أم بالشقاوة مضى اسمكم فكلوا
الأمر فيه إلى الله واشتغلوا في الوقت بأمر الله دون التفكير فيما ليس لكم
سبيل إلى علمه من عواقبكم.

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 11] أي هو مبديهما ومبدعهما ﴿جَعَلَ لَكُم
مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [الآية 11] من جنسكم ﴿أَزْوَاجًا﴾ [الآية 11] نساء ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ
أَزْوَاجًا﴾ [الآية 11] ذكوراً وإناثاً ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ [الآية 11] أي يكثركم بسبب هذا
التدبير في التقدير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الآية 11] أي كذاته أو صفاته لأنه فاطر
السموات والأرض وخالق ما فيهما من الطول والعرض ولا مثل يضارعه ولا
شكل يشاكله ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عني أنه يعطي معنى ليس غير أنه
أكد كما في قولهم مثلك لا يبخل على قصد المبالغة في نفيه عنه فإنه إذا نفي
عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه أولى ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الآية 11]
لجميع المسموعات والمبصرات ولعل صدر الآية مشير إلى توحيد جلال الفعل

في المصنوعات وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الآية 11] إلى جمال الذات وما بعده إلى كمال الصفات.

قال الواسطي: ليس كذاته الحسنى ذات ولا كاسمه من جهة المعنى اسم ولا كصفته صفة من جميع الوجوه إلا من جهة موافقة اللفظ، وكما لم يجز أن يظهر من مخلوق صفة قديمة كذلك يستحيل أن يظهر من الذات الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ صفة حديثة وأن التكرار من حدوث الصفة جل ربنا وتعالى أن تحدث له اسم أو صفة إذ لم يزل تجميع صفاته واحداً ولا يزال كذلك أبداً.

وقال الشبلي: كل ما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم في أتم مقامكم فهو مصروف إليكم ومردود عليكم ومحدث مصنوع مثلكم وحقيقته أعلى من أن / تدركه عبارة أن تلحقه إشارة أو يحيط به وهم كلا، كيف يكون 133/أ به علم وقد اتفق أصداد في وصفه بقوله: هو الأول والآخر والظاهر والباطن أي عبارة تخبر عن حقيقة هذه العبارة كلا قصرت عنه الإشارات وخرست الألسن بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الآية 11] ويقال: معناه ليس له مثل إذ لو كان له مثل لكان لمثله شيء وهو مثله والحق لا شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في أحكام بيناته فقوم وقعوا في تشبيه ذاته بذات المخلوقين فوصفوه بالحد والنهاية والكون في المكان وأقبح قولاً منهم من وصفه بالجوارح والآلات والأركان وقوم وصفوه بما هو تشبيه في الصفات فظنوا أن بصره في حدة وسمعه في عضو وقدرته في يد إلى غير ذلك وقوم قاسوا حكمه على حكم عباده فقالوا ما يكون من الخلق قبيحاً فمنه قبيح وما يكون من الخلق حسناً فمنه حسن فهؤلاء كلهم أصحاب التشبيه والحق سبحانه مستحق التنزيه محقق بالتحصيل دون التعطيل والتمثيل مستحق التوحيد دون التحديد.

﴿لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 12] خزائنها أو مفاتيح أرزاق أهلها ﴿يَبْسُطُ﴾ [الآية 12] يوسع ﴿الرِّزْقِ﴾ [الآية 12] الضروري والمعنوي ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 12] ما يشاء من كمية وكيفية ﴿وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 12] ويضيق على من يشاء بما

يشاء على وفق مشيئته ومقتضى حكمته ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 12] فيفعل ما ينبغي له فعله.

وأفاد الأستاذ: أن المقاليد مفاتيح الخزائن وخزائنه مقدوراته ومن خزائنه القلوب والموجودات معادن الأشياء في المعادن جواهر مختلفة كذلك القلوب معادن أحوال من تلفه فكما أن بعض المعادن للذهب وبعضها للفضة إلى غير ذلك كذلك بعض القلوب معادن المعرفة وبعضها معادن لمعرفة الإرادة وبعضها معادن المحبة وبعضها للشوق وبعضها للأنس وغير ذلك من الأحوال كالتوحيد والتقرير والهيبة والرضا وأمثالها وفائدة تفريق أن المقاليد له قطع أفكار العبد من الخلق إليه في طلب ما يريده ويقبل عليه فإنه يوسع ويضيق رزق النفوس والقلوب كما قدر لديه.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [الآية 13] أي أظهر وبين لكم من الدين/ دين أول الرسل وخاتم النبيين ومن بينهما من بقية أولي العزم في مقام اليقين بالأصل المشترك في ما بين الأنبياء منهم ومن غيرهم المفسر بقوله ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ [الآية 13] وهو الإيمان بما يجب تصديقه والطاعة في أحكامه من امتثال أوامره واجتناب زواجره وهي الحالة الكاملة الشاملة المعبر عنها بالتقوى كما تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: الآية 131] أي ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلَكُمْ﴾ [الحجرات: الآية 13] أي أعلمكم وأخشاكم ﴿وَلَا تَنَفَرُوا فِيهِ﴾ [الآية 13] أي لا تختلفوا في هذه الأصل وأما فروع الشرائع فمختلفة كما قال: لكل جعلنا منكم شرعة.

وفي «تفسير السلمي» قال سهل: أول من حرم الأمهات والبنات والأخوات نوح عليه السلام انتهى وما أظن صحة هذا الكلام لأن آدم عليه السلام أول من حرم بدليل قضية قابيل وهابيل وأما كون الأمهات والبنات حرم بعد تحليلهن فما ورد شيء في حقهن.

وأغرب الأستاذ حيث أفاد أن القصة أن تحريم البنات والأخوات إنما

شرع في زمن نوح عليه السلام ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 13] عظم عليهم ﴿مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الآية 13] من التوحيد والتفريد ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 13] أي يختار لما يدعوهم أو للدين أو لله ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾ [الآية 13] بالإرشاد والتوفيق ﴿مَنْ يُنِيبُ﴾ [الآية 13] يقبل إليه ويعتمد عليه في التحقيق ولعل الاجتباء للمراد من المجدوبين بوصف الطيران كما يشير إليه المشيئة المجردة والهداية للمريد من السالكين بنعت النيران كما يومىء إليه قاعدة الإنابة وهي الرجعة من الغفلة إلى الحضرة أخص من التوبة التي هي الرجعة من المعصية إلى الطاعة.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ [الآية 14] أي الأمم السالفة ﴿إِلَّا مِنْ بَدٍ مَا جَاءَهُمْ أَلِيمٌ﴾ [الآية 14] بأن التفرق ضلال وطغيان وأصروا على باطلهم بعد وضوح البيان وظهور البرهان ﴿بَيِّنًا بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 14] طلباً للدنيا على وجه العدوان ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية 14] أي حكم بتأخير العقوبة ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ [الآية 14] وهو يوم القيامة أو آخر أعمارهم المقطرة ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 14] بالعقوبة العاجلة ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ [الآية 14] من كتابهم لا يعلمونه كما هو حقه/ أو لا يؤمنون به حق إيمانه وهو 134/أ ﴿مُزَيَّبٍ﴾ [الآية 14] معلق في الريبة أو مدخل في الشبهة.

﴿فَلَذَلِكَ﴾ [الآية 15] فلأجل ذلك التفرق في القضية ﴿فَادْعُ﴾ [الآية 15] إلى الاتفاق على الملة الحنيفية ﴿وَأَسْتَقِمَّ﴾ [الآية 15] على ما يتعلق بالدعوة ﴿كَمَا أُمِرْتُ﴾ [الآية 15] بالإقامة والقيام بالطاعة ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الآية 15] الباطلة قيل: حقيقة الاستقامة لا يطيقها إلا الأنبياء وأكابر الأولياء لأنه الخروج من المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الحق على قدم الصدق ولذا قال عليه السلام استقيموا ولا تحصوا أي ولن تطيقوا الاستقامة التي أمرتم به.

وقال الأستاذ: أي إلى هذا القرآن ادع الخلق واستقم في الدعوة والطاعة أمراً لكل بالاستقامة وأفرده بذكر إلزام الاستقامة ويقال: السين في الاستقامة سين السؤال والرغبة أي سل مني أن أقيمك ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الآية 15] يعني جميع الكتب المنزلة ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾

[الآية 15] في تبليغ الشرائع وفصول الحكومة والأول إشارة إلى كمال القوة العلمية وهذا إشارة إلى كمال القدرة العملية ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ [الآية 15] خالق الكل ومربيه ومتولي أمره فيما يعنيه ﴿لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ [الآية 15] فكل مجزي بحسب أحوالنا وأحوالكم ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية 15] أي لا حجاج بمعنى لا خصومة أو الحق قد ظهر للعباد فلم يبق للخلاف مبدأ سوى العناد ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ [الآية 15] يوم القيامة ﴿وَالِيهِ الْمَصِيرُ﴾ [الآية 15] مرجع الكل لفصل القضاء بالمشوبة والعقوبة.

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ [الآية 16] يجادلون في دينه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتَجِيبَ لَهُمْ﴾ [الآية 16] من بعده ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والمعنى أن من جادل بالباطل والعدوان بعد وضوح الحق بالبرهان ﴿مُجْهِتُمْ دَاحِضَةً﴾ [الآية 16] زائلة باطلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ [الآية 16] بمعاندتهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية 16] بمخالفتهم.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ [الآية 17] جنسه ﴿بِالْحَقِّ﴾ [الآية 17] متلبساً به ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ [الآية 17] أي العدل بأن أنزل الأمر به أو آله الوزن وإيجادها بأن أوحى إلى الخلق إعدادها ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الآية 17] إتيانها فاتع 134/ ب الكتاب وواظب على العدل في الحساب قبل أن يناجيك / الذي يوزن فيه أعمالك ويوفي جزاء أحوالك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يزجرهم عن طول الأمل وينبههم على انتظار الأجل.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ [الآية 18] استهزاء لها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُسْفِقُونَ مِنْهَا﴾ [الآية 18] خائفون من وقوعها مع الاعتناء بها لتوقع الشواب فيها ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ [الآية 18] الثابت الكائن وقوعها ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارَوْنَ فِي السَّاعَةِ﴾ [الآية 18] يجادلون في ثبوتها ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الآية 18] عن حقيقة الحق وتصورها فإن البعث أشبه الغائبات إلى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزه فهو أبعد عن الاهتداء إلى غيره.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الآية 19] يربهم بصنوف من البر التي لا تبلغها الأفهام ولا تدركها الأوهام ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 19] وفق مشيئته فيخص كلاً من عباده بنوع من البر على مقتضى حكمته ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ [الآية 19] الباهر القدرة ﴿الْمَزِيدُ﴾ [الآية 19] البديع المنيع في الغلبة والعزة.

قال ابن عطاء: يعلم من أنفسهم ما لا يعلمونه من نفوسهم.

قال جنيد: اللطيف الذي لطف بأوليائه حتى عرفوه بصفاته وأسمائه.

وقال علي بن عبدالرحيم: اللطيف من يلطف بهم من الجهات الخفية.

وأفاد الأستاذ: أن اللطيف هو العالم بدقائق الأمور وغوامضها واللطيف هو الملطف المحسن واللفظ بالبعد في الحقيقة قدرة الطاعة وقوة العبادة ويقال: خاطب العابدين بقوله: ﴿لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الآية 19] أي يعلم غوامض أحوالهم من دقائق الرياء والتصنع في أعمالهم لئلا يعجبوا بأفعالهم وخاطب القضاة بقوله: ﴿لَطِيفٌ﴾ لئلا يياسوا من إحسانه في مالهم ويقال: سماع قوله الله يوجب الهيبة وسماع اللطيف يوجب الطمأنينة فسماع قوله الله أوجب لهم تهوياً وسماع قوله اللطيف أوجب لهم تأملاً ويقال: من لطفه أنه أعطاك فوق الكفاية وكلفك دون الطاقة ويقال: من لطفه بالعبد إبهام عاقبته عليه لأنه لو علم سعادته لاتكل عليه وثقل عمله ومن لطفه بالعبد خفاء أجله عليه لئلا يستوحش إن كان قدرنا أجله ويقال: من لطفه بالعبد في الآخرة أنه ينسيهم / ما 135/أ عملوه في الدنيا من الزلة لئلا يتغص عليهم العيش في الجنة.

﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ [الآية 20] ثوابها شبهه بالزرع من حيث أنه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذا قيل: الدنيا مزرعة الآخرة ﴿نَزِدْ لَهُمْ فِي حَرْثِهِ﴾ [الآية 20] فيعطيه بالواحد عشر إلى سبعمئة فما فوقها أو نزل له في حرثه الأخروي مع نفعه الدنيوي بأن يجمع له بين خيري الدنيا والأخرى ﴿وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [الآية 20] شيئاً منها على ما قسمنا له فيها ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الآية 20] حظ به يصيب إذ الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة وقيل: من عمل لله محبة ورضاء ولم يطلب

ثواباً وجزاءً صغر عنده كل شيء دون الله فلا يطلب حرث الدنيا ولا حرث الآخرة بل يطلب المولى في الدنيا والآخرة.

وقال الأستاذ: نزد له في حرثه أي تزيده اليوم في الطاعات توفيقاً وصفاء الحالات تحقيقاً ونزيده في الآخرة ثواباً واقترباً وفنون نجاة وصنوف درجات ﴿وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ مكثفياً به ﴿نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ ما يريد وليس ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الآية 20].

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ [الآية 21] بل ألهم شياطين ﴿شَرَعُوا لَهُمْ﴾ [الآية 21] بطريق التزيين ﴿يَنْ أَلَيْسَ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الآية 21] كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ [الآية 21] أي القضاء السابق بتأخير العقوبة إلى يوم القيامة ﴿لَفُضِّى بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 21] بين الكافرين والمؤمنين من غير المهلة ﴿وَأَنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 21] لا يتخلف عنهم والمعنى أنه يمهلهم لكن لا يمهلهم.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 22] في القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ [الآية 22] خائفين ﴿وَمِمَّا كَسَبُوا﴾ [الآية 22] من الشرك والمعصية ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ [الآية 22] أي وباله نازل عليهم ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ [الآية 22] في أطيب بقاعها وأنزهها ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 22] أي ما يشتهونه ثابت عند ربهم لأجلهم ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الآية 22] الذي يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا من النعم الكثير.

وقال الأستاذ: لهم في الدنيا جنات الوصلة ولذاذة⁽¹⁾ الطاعة والعبادة وطيب الأنفس في أوقات الخلوة وفي الآخرة روضات الجنة لهم ما يشاؤون عند ربهم إن أرادوا دوام اللطف دام لهم وإن أرادوا تمام الكشف كان لهم.

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 23] التبشير بروضات الجنات ﴿الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ

135/ ب ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 23] / .

(1) في المخطوطة: ولذا ذات، وهو تصحيف.

وقال الأستاذ: أي الذي معنى ذكره في القرآن مغرقاً من أوصاف الجنة وما أعد الله لأهلها من المثوبة هو الذي يبشر الله عباده ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 23] على ما أتعاطاه من التبليغ والبشارة ﴿أَجْرًا﴾ [الآية 23] نفعاً منكم ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الآية 23] أي المحبة للتقرب إلى رضا المولى كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله.

قال سهل: أن تقربوا إلي باتباع سبتي.

وقال ابن عطاء: لا أسألكم على دعواكم أجراً إلا أن تتودوا إلي بتوحيده وتقربوا إليه بدوام طاعته والتزام عبادته وقيل: الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم أجراً قط ولكن أسألكم المودة في حق القرابة ومن أجلها، إذ روي أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء؟ قال: علي وفاطمة وإبناهما ﴿وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً﴾ [الآية 23] يكتسب طاعة سيما محبة أهل بيت النبوة ﴿زِدْ لَهُ فِيهَا﴾ [الآية 23] في تلك الحسنة ﴿حُسْنًا﴾ [الآية 23] بمضاعفة المثوبة ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية 23] للمذنبين ﴿شَكُورٌ﴾ [الآية 23] للمطيعين بالأجر الجزيل على العمل القليل.

وأفاد الأستاذ: أن من بشر بالخير أحداً طلب عليه أجراً فالله بشر المؤمنين على لسانه بالكرامات الأبدية والسعادات السرمدية ثم قال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الآية 23] لأن الله ليس يطلب منكم عليه عوضاً فأنا أيضاً لا أسألكم عليه أجراً فإن المؤمن أخذ من الله خلقاً حسناً والمودة في القربى هو أن يود من يتقرب إلى الله بطاعته والزيادة في الحسنة زيادة توفيق الطاعة ويقال: إذا آتينا توفيق المجاهدة نزيده بفضلنا تحقيق المشاهدة ويقال: من يقترب حسنة من الوظائف نرد له حسناً في اللطائف ويقال: تلك الزيادة على العبادة ما لم يدركه أحد من أهل السعادة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ [الآية 24] بل أنقولون ﴿أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 24] بدعوى النبوة ونزول القرآن ﴿فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخَيِّمَ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الآية 24] أن يمسك القرآن والوحي عن صدرك أو يربط عليه بالصبر على بلواهم فلا يشق عليك أذاهم

﴿وَيَمَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ [الآية 24] استئناف لنفي الافتراء عما يقوله فإنه لو كان مفترياً لمحقه الحق سبحانه إذ من عادته تعالى محو الباطل وإثبات الحق موجه أو بقضائه وسقوط الواو رسماً من يمح لا تباع اللفظ كما في قوله ويدع الإنسان ﴿إِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الآية 24] / أي بالخواطر التي ترد عليها من الأمور.

قال سهل: يختم على قلبك ختم الشوق والمحبة فلا تلتفت إلى الخلق ودعاءهم ولا تشتغل بإيمانهم وإيابهم.

قال الواسطي: فإن يشاء الله يختم على قلبك بما يشاء ويمحو الله الباطل بنفسه ونعته حتى يعلم أنه لا حاجة له إلى أحد من خلقه ثم يحق الحق في قلوب أنشأها للحقيقة وأبداها في الشريعة والطريقة.

وقال الأستاذ: إنك إن افتريته ختم الله على قلبك ولكنك لم تكذب على ربك ومعنى الآية: إن الله سبحانه يتصرف في عباده بما يشاء من إبعاد قريب وإدناء بعيد.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الآية 25] بالتجاوز عما تابوا عنه وأركان التوبة الندامة بالقلب من حيث أن الغفلة معصية الرب والامتناع بالفعل عنها والعزم على أن لا يعود إليها وقضاء ما يمكنه من حقوق الله وأداء ما يتصور له من حقوق العباد وكمالها ما أشار إليه علي كرم الله وجهه بقوله: هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته أي في حال الغفلة ﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الآية 25] صغائرها وكبائرها لمن يشاء ﴿وَيَعْلَمُ مَا نَفَعُونَ﴾ [الآية 25] فيجازي المطيعين على التوبة وغيرها ويتجاوز عن معصية المذنبين إن تعلقت المشيئة بها وقرأ حفص وحمزة والكسائي بالخطاب وكل منهما تغليب في هذا الباب فإن فيه وعد⁽¹⁾ ووعد لأولي الأبواب.

(1) في المخطوطة: وهو، ولعله تصحيف.

﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَصَلُّوا الصَّلَاةَ﴾ [الآية 26] أي يجيب الله لهم فحذف اللام كما في وإذا كالوهم والمراد إجابة الدعوة والإثابة على الطاعة وتقدم أن الاستجابة أخص من الإجابة ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾ [الآية 26] على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا به بالاستجابة ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية 26] بدل للمؤمنين من ثواب عديد.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الزيادة بقول المفسرين من أهل السنة: الرؤية والمعنى أن الطاعات في مقابلتها الدرجات فيكون بمقدارها في النقصان والزيادات وأما الرؤية فسبيلها الفضل / والفضل ليس فيه تمييز انتهى وكأنه أراد أن لا تمييز في أصل تعلق الفضل وإلا فلا شك في تفاوت مراتبه بالنسبة إلى اختلاف ومقامات مناقبه.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ [الآية 27] لو وسعه عليهم جميعهم أو أكثر مما هم عليه من وسعهم ﴿لَبَفَّزُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 27] لتكبروا وأفسدوا فيها بطراً وأشراً أو لبغي بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا بحسب حكم الغالب في القضية وأصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد في ما يتحرى كمية أو كيفية ﴿وَلَكِن يُّنَزِّلُ﴾ [الآية 27] رزق كل أحد ﴿بِقَدَرٍ﴾ [الآية 27] بتقدير أو بمقدار ﴿مَا يَشَاءُ﴾ [الآية 27] ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الآية 27] يعلم خفايا أمرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم في مآلهم وقد صح عن علي كرم الله وجهه إن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت فالمراد بعباده خواص عباده ويلائمه ما أفاده الأستاذ: أن هذا الخطاب في الظاهر لم يشبه الاعتذار في خطاب الآدميين أي إنما لم أبسط أيها الفقير عليك الدنيا لما كان لي من المعلوم أنني لو وسعت عليك لطفوت على العباد وسعيت في الأرض بالفساد ويقال: قوله ولولا كلمة استدراك يقول: إن لم أوسع عليك الرزق بمقدار ما تريد لم أمنع عليك الكل بل أنزل عليك بقدر ما أشاء لكي يحيي قلوبهم وتنشرح صدورهم وتتسهل أمورهم.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [الآية 28] المطر الذي يغيثهم من الجذب وينفعهم

من جهة الخصب ﴿مِنْ بَدِّ مَا قَنَطُوا﴾ [الآية 28] أيسوا منه وقطعوا الطمع عنه ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ [الآية 28] في كل شيء من سهل وجبل ونبات وحيوان ﴿وَهُوَ أَلْوَنُ﴾ [الآية 28] الذي يتولى أمر عباده بإحسانه وفق مراده ﴿الْحَمِيدُ﴾ [الآية 28] المستحق للحمد على جميع أفعاله من منعه وعطائه.

قال ابن عطاء: إن الله يربي عباده بين طمع ويأس فإذا طمعوا فيه آيسهم بصفاته أي الجلالية وإذا أيسوا أطعمهم بصفاته أي الجمالية فإذا غلب على العبد القنوط وأشفق منه أتاه الله الفرج بعده ألا ترى يقول: وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا معناه ينزل غيث رحمته على قلوب أوليائه فينبت فيه التوبة والإنابة والرعاية والمراقبة.

وأفاد الأستاذ: أن/ العبد إذا ذبل غصن وقته وتكدر صفو وده وكسف شمس أنسه وبعد عن ساحة الحضرة وبساط القرب عهده فربما ينظر إليه الحق بعين عنايته فينزل على سره أمطار رحمته فيعود عوده طرياً وينبت من مشاهد أنسه ورداً جنياً. 137/أ

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ [الآية 29] أي عجائب مصنوعاته ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 29] أي في أنفسهما فإنهما بذاتهما وصفاتهما يدلان على وجود صانع حكيم في إبداءهما وإبداعهما ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾ [الآية 29] أي وخلق ما فرق ونشر عليهما ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ [الآية 29] يدب ويتحرك فيهما من الملائكة وحملة العرش وسكان الفرش ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ﴾ [الآية 29] في أي وقت شاء اجتماعهم ﴿قَدِيرٌ﴾ [الآية 29] متمكن منه لا يتخلف عنه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل في كل شيء من مخلوقاته وصنائع أفعاله دلالة على توحده في جلاله وتفرد به بنوع كبريائه وجماله والإشارة في قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الآية 29] أن الحق سبحانه يغار على أوليائه أن يسكن بعضهم بقلبه إلى بعض منهم فأبداً يبدد شملهم ولا يكاد يتفق الجماعة من أهل القلوب في موضع إلا ندرة وذلك أيضاً مدة يسيرة ثم في بعض الأحيان وقد تفضل عليهم بأن يدنوا بهم الديار ويحصل بينهم في الظاهر

الاجتماع والتقاء الآثار وذلك وقت نظر الحق سبحانه بفضله إلى العالم فإن في بركات اجتماعهم حياة العالم وهذا وإن كان نادراً فهو على جمعهم إذا يشاء قدير.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ﴾ [الآية 30] بدنية أو مالية ﴿فِيَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الآية 30] فسبب كسب المعصية والمخالفة الدينية والفاء لأن ما شرطية ولم يقرأ بها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الآية 30] من الذنوب فلا يجازي بها ولا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فإن ما أصاب غيرهم من المطيعين فلأسباب آخر منها رفع درجاتهم في عِلين وقد ورد ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر.

وعن ابن عطاء: من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وإن ما عفي عنه أكثر في باب حسابه كان قليل النظر عن إحسان ربه.

وقال بعضهم: العبد ملازم للجنايات في جميع الأوقات / وجنایاته في 137/ ب طاعته أكثر من جنایاته في معصيته لأن جنایة المعصية من وجه وجنایة الطاعة من وجوه والله يطهر عباده من جنایاته بأنواع، من مصیباته ليخفف عنه أثقاله يوم القيامة ولولا عفو ورحمته لهلك في أول خطوة من خطواته.

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مرفوعاً: من عفي عنه في الدنيا عفا الله عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم يثن عليه عقوبته في الآخرة⁽¹⁾.

وروي أن هذه الآية من القرآن أرجى آية لأهل الإيمان.

وأفاد الأستاذ: أن العبد إذا تحقق بهذه الآية فإذا أصابه شظية أو حالة مما يسوء وعلم أن ذلك جزاء له وعتاباً على ما بدر منه من سوء أدبه مع ربه

(1) أورده الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (3/ 241) رقم (1152).

فاستحيا بخجلته من فعله الموجب لمصيبته يشغله عن رؤية ذلك من الناس وفعلهم حتى ينتقم منهم أو يكافئهم أو يدعو عليهم ويقال: إذا كثرت الأسباب من البلايا على عبد وتوالت عليه فليتفكر في أفعاله المذمومة كما يحصل منه حتى يبلغ جزاء ما يفعله من العفو الكثير هذا المبلغ فعند ذلك يزداد أسفه وأحزانه لعلمه بكثرة ذنوبه وعصيانه.

﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 31] فإيتين ما قضى عليكم من المكاسب والمصائب فيها ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 31] من غيره ﴿وَمِنْ وَلِيٍّ﴾ [الآية 31] يحرسكم عنها ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية 31] يدفعها عنكم أو يرفعها.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ [الآية 32] علامات الدالة على كمال قدرته وجمال حكمته ﴿الْجَوَارِ﴾ [الآية 32] السفن الجارية ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَاقِ﴾ [الآية 32] كالجبال الراسية.

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ [الآية 33] وقرأ نافع الرياح ﴿فَيُظِلِّلَنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ [الآية 33] فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الآية 33] أي لكل مؤمن كامل فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر.

﴿أَوْ يُوقِعَهُنَّ﴾ [الآية 34] أي إن يشأ يهلكهن بأن يفرق أهلهن ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الآية 34] من سوء عملهم فيهن أو غيرهن ﴿وَيَعَفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الآية 34] من أهلهن فلا يهلكهن ليشكروا نعمة نجاتنا.

﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ [الآية 35] محيد عن عقوباتنا وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف.

وأفاد الأستاذ: إن الإشارة في هذا إلى إمساك الناس في خلال فتن الوقت من الأنواع المختلفة ثم حفظ العبد في إيواء السلامة/ وذلك يوجب خلوص الشكر للمريد ليوجب له جزيل المزيد.

138/ أ

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 36] من الأمور الدنيوية ﴿فَمَتَّعْ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا﴾ [الفَصَص: الآية 60] الدنية يتمتعون بها في مدة قليلة ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من ثواب

العقبى ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الآية 36] لخلوص نفعه ودوامه في الكيفية والكمية ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الآية 36] في أمورهم لا على أعمالهم وأجودهم.

وقال الأستاذ: يعني أن الراحة في الدنيا لا تصفو ومن المشائب لا تخلو فإن اتفق البعض منها في أحيائين من الأحوال فإنها سريعة الزوال وشيكة الارتحال وما عند الله من الثواب الموعود خير من هذا القليل الموجود.

﴿وَالَّذِينَ يَجْنَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ﴾ [الآية 37] من حقوق الحق ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ [الآية 37] من متعلقات الخلق وقرأ حمزة والكسائي كبير الإثم وفسر بالشرك والفواحش بالكبائر ﴿وَإِذَا مَا عَصَبُوا﴾ [الآية 37] على أحد ممن ظلمهم ﴿هُمْ يَفْقَرُونَ﴾ [الآية 37] بأنفسهم من غير اعتذار لديهم ولا شفاعة إليهم.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ [الآية 38] في دعوته إلى طاعته ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: الآية 277] خصوصاً ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ [الآية 38] فيما ليس عندهم نص من كتاب أو سنة ﴿شُورَىٰ يَنفَعُهُمْ﴾ [الآية 38] ذو تشاور بينهم في أمر دينهم ودنياهم لا يتفردون برأي حتى يتشاوروا ويجمعوا عليه ويختاروا وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في أمرهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفقُونَ﴾ [الآية 38] في سبل خيرهم.

وأفاد الأستاذ: أن المستجيب لربه هو الذي لا يبقى معه نفس إلا على موافقة رضاه ولا يبقى منه له بقية في متابعة هواه فهؤلاء هم الذين لهم حسن الثواب وحميد المآب.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ [الآية 39] الظلم والعدوان ﴿هُمْ يَنْصَرُونَ﴾ [الآية 39] بالعدل والإحسان.

﴿وَحَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً﴾ [الآية 40] سمي الثانية سيئة للازدواج والمشكلة والمراد بها سيئة صورية أو لغوية ﴿مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا﴾ [الآية 40] بقلبه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ [الآية 40] بينه وبين عدوه ﴿فَاجْرُؤْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 40] عدة مبهمة تدل على عظمة موعوده ﴿إِنَّهُمْ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 40] المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في المعاقبة.

وقال الأستاذ: فمن عفا عن الجاني عليه وأصلح ما بينه وبين ربه حتى يصلح الله ما بينه وبين خلقه فأجره على الله والذي للعبد من الله وعلى الله وعند الله خير مما يعلمه باختياره ويفعله باقتداره.

﴿وَلَمَنِ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ [الآية 41] بعدما ظلم وقد قرىء به ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الآية 41] بالمعاتبه.

138/ ب ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ/ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ [الآية 42] يشوونهم بالأضرار ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الآية 42] أي ويطلبون ما لا يستحقونه كما هو دأب الفجار ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 42] في النار على ظلمهم وبغيهم مع الإصرار.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه علم أن الكل من عباده لا يجد الخيرية من أحكام النفس ولا يستمكن من محاسن الخلق فرخص لهم في المكافأة على سبيل العدل والقسط وإن كان الأولى بهم الصفح والعفو.

﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ [الآية 43] على الأدنى ﴿وَعَفَرَ﴾ [الآية 43] أي وعفا أو ستر حاله وحال من أذى بعدم الشكوى ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ [الآية 43] منه ﴿لَمِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الآية 43] أي معزومات الأمور ومطلوباته عنه.

وقال الأستاذ: أي صبر على البلوى من غير شكوى وغفر بالتجاوز عن خصمه ولا يبقى لنفسه عليه دعوى بل يرى خصمه من جهة ماله عليه من كل دعوى في الدنيا.

﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ﴾ [الآية 44] من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله إياه ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ [الآية 44] حين يرون نار العذاب وآثار العقاب ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَٰهٌ مَّרَدٍ﴾ [الآية 44] أي إلى رجعة إلى الدنيا أو الحالة الحسنی ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ [الآية 44] أي طريق توفيق فيقال لا كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَمَادُوا﴾ [الأنعام: الآية 28].

﴿وَقَرْنَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ [الآية 45] على النار ﴿خَشَعَيْنَ مِّنَ الذَّلِّ﴾ [الآية 45] منكسرين محتقرين مما يلحقهم من المذلة ﴿يَنْظُرُونَ مِّنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ﴾ [الآية 45]

يبتدئ نظرهم إلى نيرانهم من تحريك ضعيف لأجفانهم كالمصبورين ينظرون إلى السيف حين امتحانهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ﴾ [الآية 45] أي الكاملين في خسرانهم ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ﴾ [الآية 45] بالتعرض للعذاب المخلد المعد لهم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية 45] بسبب عصيانهم ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الآية 45] من تمام كلامهم أو تصديق من الله لمراهم.

﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الآية 46] إلى الهداية في الدنيا ولا إلى النجاة في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن الذين أضلهم الله وأعمى أبصارهم أوقعهم في كد كسبهم وحرهم برد الرضا بحكم ربهم فليس لهم ولي من دون الله ولا مانع عنهم من عذاب الله وتراهم يعرضون على نار العقوبة وهم خاشعون من غاية المذلة لا ينفعهم ندامة ولا يسمع منهم دعوة ولا ناصر ينصرهم ولا راحم يرحمهم.

/ ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية 47] لا 139/أ يرده الله بعد ما حكم به أو من قبل أن يأتي يوم من الله لا يمكن رده ﴿وَمَا لَكُمْ مِّن مَّلَاجٍ﴾ [الآية 47] موضع فرار ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّكَيرٍ﴾ [الآية 47] إنكار لما اقترفتموه من أوزار لأنه مدون في صحف أعمالكم وتشهد ألسنتكم وجوارحكم بأفعالكم وهو عالم الغيب مطلع بتفاصيل أحوالكم.

﴿فَإِن أَعْرَضُوا﴾ [الآية 48] عن الاستجابة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [الآية 48] رقيباً بالمحاسبة ﴿إِن عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الآية 48] بتبليغ الرسالة وقد بلغت وبالغت ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ [الآية 48] أراد بالإنسان الجنس لقوله ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَّمَّا قَدَمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ [الآية 48] يبلغ الكفران ينسي النعمة وأيامها ويذكر البلية ويعظمها ولا يتأمل سببها.

قال جنيد: استجابة الحق لمن سمع هواته وأوامره وخطابه فيتحقق فيه الإجابة بذلك السماع ومن لم يسمع الهواتف كيف يجيب وإنى له محل الجواب من الرقيب.

وأفاد الأستاذ: أن الاستجابة الوفاء بعهده والقيام بحقه والرجوع من مخالفته إلى موافقته والاستسلام في كل وقت لحكمه ثم الطريق اليوم إلى الاستجابة مفتوح وعن قريب سيغلق الباب على القلب بغته ويؤخذ فلتة فإن أعرضوا عن الإجابة فليس عليك إلا تبليغ الرسالة ثم نحن أعلم بما نعاملهم به من تقلب الحالة وإذا أذقنا الإنسان منا رفاهية ونعمة فرح بتلك الحالة بطراً وتوصل بتمام عاقبته وسلامته إلى دوام مخالفته وإن إصابته فتنة وبلية ومستهم مصيبة ورزية فإنه كفور لنعمائنا جحود لآلائنا .

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 49] فله أن يقسم النعمة والبلية كيف يشاء بين البرية ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية 49] من أنواع المنحة وأصناف المحنة ويقسمها بين عباده بمقتضى مشيئته وموجب حكمته ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا﴾ [الآية 49] أي من البنات ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الآية 49] من غير لزوم ومجال اعتراض في الأمور.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا﴾ [الآية 50] أي يخلطهم عميماً ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ [الآية 50] جملة يهب بدل من يخلق والمعنى يجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة على مقتضى المشيئة الإلهية لا على مقتضيات الطبائع البشرية 139/ ب فمن خص الإناث من الأنبياء لوط عليه السلام وبالذكور إبراهيم / عليه السلام وبالجمع نبينا عليه الصلاة والسلام وبالمنع يحيى وعيسى عليهما السلام ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَلِيلٌ﴾ [الآية 50] فيفعل ما يفعل بحكمته واختياره لبريته.

وقال بعض العارفين: يهب لمن يشاء إنثاً أي العلوم الظاهرية ويهب لمن يشاء الذكور أي المعارف الباطنية أو يزوجهم يجمع لهم بينهما ويجعل من يشاء عقيماً خالياً عنهما .

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ [الآية 51] وما صح له ﴿أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الآية 51] كلاماً خفياً يدرك بسرعة لأنه تمثل ليس في ذاته مركباً من حروف مقطعة بتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافهة به كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور ولكن

عطف قوله ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ [الآية 51] عليه يخصصه بالأول فالآية دليل على جواز الرؤية في الجملة لا على امتناعها بالكلية أو يرسل رسولاً أي ملكاً فيوحي إليه بإذنه بأمر ربه باعتبار ذاته ونعته ما يشاء من حكمه وقرأ نافع ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية 51] بالرفع فيهما ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية 51] عن صفات المخلوقين باعتبار ذاته ونفسه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 51] يفعل بمقتضى حكمته فيكلم تارة بواسطة وأخرى بغيرها إما عياناً وإما من وراء حجاب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بحق ملكه أن يفعل ما يشاء في ملكه ويعطي من يشاء من عباده ما يشاء من أمره ولكن أجرى العادة بأنه لا يفعل إلا ما في هذه الآية فلا يكلم أحداً إلا بالوحي أو من وراء حجاب، يعني وهو لا يرى الحق فالمحجوب يكون العبد لا الرب والحجاب أن يخلق في محل الرؤية ضد الرؤية وتعالى الله عن أن يكون وراء حجاب لأن ذلك صفة الأجسام المحدودة التي تسبل على المحجوب سترًا أو يرسل رسلاً بحق مخاطبته إيانا بإرسال الرسل إلينا.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الآية 52] أي وحيًا نحوي به قلوب
عبادنا ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ [الآية 52] أي قبل الوحي ﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الآية 52]
أي تفاصيل أحكامه ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ﴾ [الآية 52] أي الروح المراد به الوحي أو
الكتاب أو معرفة الإيمان بتفاصيله ﴿ثَوْرًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الآية 52]
المؤمنين بالتوفيق لقبوله والنظر فيه لحصوله ﴿وَلِنَاكَ لَهْدَى﴾ [الآية 52] أي تدل
وتدعوا ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 52] دين قويم.

﴿صَرِطَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَأْكُلْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 53] مَلِكًا وَمُلْكًا / ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الآية 53] بارتفاع الوسائط وتعلقات المخلوقين وفيه 140/أ وعد للمطيعين ووعد للمجرمين.

قال القاسم: ألا إلى الله تصير الأمور لأن منه مبدأ كل شيء وإليه ينتهى كل شيء فما كان منه وإليه فهو الساعة به وله .

سورة الزخرف

[مكية]

وهي تسع وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: اسم عزيز من وثق بجوده ونعمه لم يعلق بغيره صواعد هممه ولم يقف على شدة مخلوق بقدمه في ابتغاء كرمه اسم عزيز من عوده خفيا لطفه لم يتدلل في طلب شيء لغيره ولم يرجع إلى غيره شره وخيره.

﴿حَمْدٌ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢﴾ [الآيتان 1، 2].

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 3] أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآناً عربياً وهو من غريب البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه، ولعل إقسام الله تعالى بالأشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه، والقرآن المبين يبين طريق الهداية وما يحتاج إليه في الديانة ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 3] مبانيه وتفهمون معانيه.

قال سهل: بين فيه الهداية من الضلالة والخير من الشر وسعادة السعداء وشقاوة الأشقياء.

﴿وَإِنَّهُ﴾ [الآية 4] أي القرآن ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ [الآية 4] في اللوح المحفوظ لأنه أصل الكتب السماوية ومظهر بعض العلوم الإلهية ﴿لَدَيْنَا﴾ [الآية 4] محفوظ عندنا عن التبديل والتحويل ﴿لَعَلَّيْ﴾ [الآية 4] رفيع الشأن ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 4] ذو حكمة بالغة البرهان.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ [الآية 5] أي انهملكم فسنبعد عنكم

الذكر إعراضاً عن تكليفكم والمراد إنكار أنه يكون الأمر على خلاف ما ذكر من إنزال كتاب مبين للخير والشر والنفع والضرر ﴿أَنْ كُنْتُمْ﴾ [الآية 5] أي لأجل أن كنتم ﴿قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الآية 5] وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الإعراض عن بيان حال المكلفين وقرأ نافع وحزمة والكسائي أن بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك في القضية بياناً لحالهم أنهم من السفهاء وما قبلها دليل الجزاء.

وقال الأستاذ: أي لا تفعل ذلك والمعنى / أفنقطع عنكم ذكر خطابنا 140/ب وتعريفنا بما فيه عقابنا وثوابنا بأن أسرفتم في خلافكم على بابنا أي لا نرفع عنكم التكليف بأن خالفتم ولا نهجركم بقطع الكلام معكم وإن أسرفتم وفي هذا إشارة لطيفة وهو أنه لا يقطع الخطاب اليوم عمن تمادى في عصيانه وأسرف في أكثر شأنه فأرجو أن من لم يقصر في إيمانه وإن تلطخ بعصيانه ولم يدخل في ميدان عرفانه لا يمنع عند لطالب غفرانه.

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ [الآيتان 7،6] ﴿إِلَّا كَانُوا﴾ أي أكثرهم ﴿بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية 7] وفيه تسلية لرسوله عن استهزاء قومه به. ﴿فَاهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ [الآية 8] من القوم المسرفين ﴿بَطْشًا﴾ [الآية 8] قوة وشوكة ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 8] وسبق في القرآن المبين قصتهم العجيبة وقضيتهم الغريبة وفيه وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين الآخرين بمثل ما جرى الأولين.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الآية 9] أي الله المنعوت بصفات الجلال والجمال.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [الآية 10] أي كالمهد فتستقرون فيها وقرأ غير الكوفيون مهاداً أي فراشاً ممهداً والموصول مقطوع عما قبله مرفوع على أنه مستأنف خبر مبتدأ مقدر هو هو ومنصوب بتقدير أعني قبله ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا﴾ [الآية 10] تسلكونها ﴿لَسَلَّكُمُ نَهْدُونَ﴾ [الآية 10] لكي تهتدوا إلى مقاصدكم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ذكر وصفه في انفراده بإبداعه واختراعه فقال: الذي جعل لكم الأرض مهدياً فكما جعل لهم الأرض قراراً لأشباحهم جعل الأشباح قراراً لأرواحهم فالخلق سكان الأرض والأرواح سكان النفوس فإذا انتهى مدة كون النفوس على الأرض حكم الله بخرابها كذلك إذا فارقت الأرواح الأشباح بالكلية قضى الله بخرابها.

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ﴾ [الآية 11] بمقدار مقدر ينفع ولا يضر ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ [الآية 11] أحيينا به مكاناً زال عنه النماء ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الآية 11] تنشرون من قبوركم. وقرأ ابن ذكوان وحمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء.

وقال الأستاذ: كما يحيي الأرض بالمطر يحيي القلوب بحسن النظر.

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ [الآية 12] أصناف المخلوقات جميعها.

141/أ

/ وقال الأستاذ: كذلك جنس عليكم الأحوال كلها فمن رغبة في الخيرات ومن رهبة في العقوبات وخوف يحملكم على ترك الزلات ورجاء يبعثكم على فعل الطاعات طمعاً في المثوبات وغير ذلك من فنون الصفات ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ﴾ [الآية 12] أي الإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الآية 12] أي فيه أو عليه.

﴿لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الآية 13] أي ظهور ما تركبون ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ [الآية 13] بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها بالسنتكم ﴿إِذَا أَسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ [الآية 13] المركوب ﴿وَمَا كُنَّا لَكُمْ مُّقْرِنِينَ﴾ [الآية 13] مطيقين.

﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الآية 14] أي راجعون والنكتة في اتصال هذه الجملة أن الركوب للرحلة والنقلة العظمى هو الانقلاب إلى المولى.

قال ابن عطاء: خاطب العوام بأنهم يذكرون النعم في وقت دون وقت وفي حالة دون حالة لأنهم لا يعرفون نعم الله عليهم في كل نفس وطرفة ولحظة ولمحة وسكون وحركة.

وقال أبو بكر بن طاهر: ليكن ركوبهم على الدواب ضرورة على المشي في الحاجة أو حرباً في المجاهدة ولا يكون ركوبهم عليها ركوب اللهو والفخرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما سخر لهم الفلك في البحر والدواب في البر للركوب عليها وأعظم المنة بذلك عليهم فيها كذلك سهل للمؤمنين مركب التوفيق فحملهم عليه إلى بساط الطاعة وسهل للمريدين مركب الإرادة فحملهم عليه إلى عرصات الجود وعرفات الوجود وسهل للعارفين مركب الهمة وأناخوا بقوة العزة وعند ذلك محط الكافة لم يخرق سرادقات العز همة مخلوق سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلأً أو ولياً مكرماً وعند سطوات العز يتلاشى كل مخلوق ويقف وراءها كل محدث مسبوق.

﴿وَجَمَلُوا﴾ [الآية 15] أي كفار مكة ﴿لَهُ﴾ [الآية 15] أي الله سبحانه ﴿مِنْ عِبَادِهِ جُزْءٌ﴾ [الآية 15] وقرأ أبو بكر بضميتين أي ولداً حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 15] ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد للرحمن لأنها من فرط الجهل وغاية الطغيان.

﴿أَمْ أَخَذَ مِمَّا يَطْلُقُ بَنَاتٍ﴾ [الآية 16] وهم الجزء الأخس لديكم وأبغض الأجزاء إليكم ﴿وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ [الآية 16] واختياركم بإعطاء ما تختارونه من الجزء الأحسن عندكم وفي العبارة إشارة إلى أن ما سوى / الله مخلوق له فلا يتصور له الولد حقيقة وأما الاتخاذ على التوسعة فلو وجد لما كان أخس الأشياء فصنيعهم هذا دل على أنهم من أجهل السفهاء.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ [الآية 17] أي بالجنس الذي جعله له إذ الولد لا بد أن يكون لوالده مماثلاً ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا﴾ [الآية 17] صار وجهه أسود في الغاية لما يعتريه من الحزن والكآبة ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الآية 17] مملوء القلب من كثر الكرب.

﴿أَوْ مَنْ يُنشِؤُا فِي الْحَلِيَّةِ﴾ [الآية 18] أي واتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾ [الآية 18] في المجادلة مع الرجال ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الآية 18]

غير مقدر لما يدعيه من نقصان عقله وضعف رأيه وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد مجهولاً أي يربي في الخلوة دون الجلوة.

﴿وَجَعَلُوا أُمَمًا مِّمَّنْ لَّ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنَّا﴾ [الآية 19] كفر آخر من قبح أحوالهم تضمنه سوء مقالهم وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله مقاماً وأنقصهم رأياً وأحسنهم صنفاً وقرأ الحجازيان والشامي عند علي تمثيل زلفا لهم وتقربهم عند مولاهم ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ [الآية 19] احضروا خلق الله أيأهم فشاهدهم إنائاً فشهدوا فإن ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرأ نافع بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة مسهلة على صيغة المجهول ﴿سَتَكُنُّ شُهَدَاءُ لَهُمْ﴾ [الآية 19] التي شهدوا بها على الملائكة ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ [الآية 19] عنها يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ﴾ [الآية 20] عدم عبادة الملائكة والأصنام ﴿عَبَدْنَاهُمْ﴾ [الآية 20] فاستدلوا بنفي مشيئته عدم العبادة على امتناع النهي عنها أو على تحقق حسننها وذلك باطل لأن المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض في عالم الوجود مأموراً كان أو منهيّاً مستحسناً كان أو مستقبحاً ولذلك جهلهم فقال ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ [الآية 20] الاستدلال ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ [الآية 20] يفيد في معرض الجدل ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الآية 20] يحتالون ويتكلمون المحال.

وأفاد الأستاذ: أنهم إنما قالوا ذلك استهزاء واستبعاداً لا إيماناً وإخلاصاً فقال تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الآية 20] فلو علموا ذلك وقالوا على وجه التصديق لم يكن ذلك معلولاً منهم في مقام التحقيق.

﴿أَمْ أَلْيَنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ [الآية 21] قبل القرآن على صحة ما قالوه من البرهان ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَسْكِنُونَ﴾ [الآية 21] بذلك الكتاب مستمسكون والحاصل/ أن كلامهم خارج عن طريق العقل وتحقيق النقل وإنما هو مبني على محض التقليد وصرف الجهل.

أ/142

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ [الآية 22] أسلافنا ﴿عَلَى أُمَّةٍ﴾ [الآية 22] طريقة مسلوكة ﴿وَأَنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الآية 22] أي جنحوا إلى تقليد آبائهم الجهلة.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [البقرة: الآية 143] ومثل هذه الحالة ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ [الآية 23] أي تنعموها ﴿إِنَّا وَجَدْنَا عِبَادًا عَلَيْنَا أُمَةٌ وَإِنَّا عَلَيَّ عَآثِرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الآية 23] وتخصيص المترفين إشعار بأن التمتع وحب البطالة صرفهم عن النظر في الدلالة إلى تقليد أرباب الضلالة وأصحاب الجهالة وإيماء إلى أن غالب المؤمنين كانوا فقراء وعلماء في كل وقت وحين.

﴿قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ [الآية 24] أي أتتبعون أهواءكم وتقلدون آباءكم لو جئتم بأهدى من دين قدامتكم وهو حكاية أمر ماض أوحى إلى كل نذير ويؤيده أنه قرأ ابن عامر وحفص قال ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الآية 24] أي وإن كان أهدى إقنأطاً للنذير من أن ينظروا ويتفكروا فيه.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَنْهُمْ﴾ [الآية 25] باستئصالهم ﴿فَلَنُفْضِرَ كَيْفَ كَانَ عَقِبُهُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الآية 25] أي سوء أحوالهم وقبح مآلهم.

قال أبو عثمان علامة انتقام الله من عباده أن يجريهم في ميدان الغفلة ولا يحملهم على مدارج الذكر ومعارج الفكر ورياض القدس وحياض الإنس.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ [الآية 26] أي برىء وقرئ به ﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 26] أي من عبادتكم أو آلهتكم والمعنى واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد حين تولى التوفيق بالتحقيق والتأييد.

﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الآية 27] أي لكن الذي خلقني ابتداء ﴿فَإِنَّهُ سَيِّدِينَ﴾ [الآية 27] إلى ما وراء ما هداني إليه انتهاء.

﴿وَجَعَلَهَا﴾ [الآية 28] أي جعل الله كلمة التوحيد ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِيهِ﴾ [الآية 28] في ذرية فيكون فيهم أبداً من يوحد الله ويدعوا إلى ملته ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 28] أي من أشرك منهم حين ظهور حجته.

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ﴾ [الآية 29] الكفار المعاصرين للرسول المختار

﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾ [الآية 29] بالمد في العمر وأنواع النعمة فاغثروا بذلك وانهمكوا في أصناف الشهوة ﴿حَقَّ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ [الآية 29] دعوته ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ [الآية 29] ظاهر رسالته.

142/ ب ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ [الآية 30] ينبههم عن غفلتهم ﴿قَالُوا/ هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الآية 30] زادوا في شرارتهم بإظهار معاندتهم قسموا القرآن سحراً وصرحوا به كفراً واستحققوا بالرسول فقراً.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ﴾ [الآية 31] أي من أحدهما مكة والطائف ﴿عَظِيمٌ﴾ [الآية 31] بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي قال: الرسالة منصب عظيم لا يليق إلا بعظيم ولم يعلموا أنها الرتبة الروحانية فتستدعي عظمة النفس بالتجلي بالفضائل الأنسية والشمائل القدسية لا التزخرف بالزخارف والدينية.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الآية 32] أي نبوته التي أعلى مراتب أهل العقبي ﴿لَنَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 32] وهم عاجزون عن تدبير ومتحIRON في تقديرها وهو خويصة أمرهم في دنياهم فمن أين لهم أن يتدبروا أمر النبوة التي هي أعلى المراتب في دنياهم وأخراهم قال بعضهم: لم يترك قسمة معاش الدنيا بالعبد مع خسته وكثافته فكيف يترك قسمة الرحمة بالعبد مع شرافته ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الآية 32] أوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الآية 32] ليستعمل بعضهم بعضاً في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف ينتظم بذلك نظام أعمالهم وأحوالهم لا لكمال في الموسع عليه ولا لنقص في المضيق عليه ثم الاعتراض لهم علينا في ذلك فكيف يكون فيما هو أعلى من هنالك ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ﴾ [الآية 32] يعني النبوة وما يتبعها من الإيمان والمعرفة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الآية 32] من حطام الدنيا وزخرفها فالعظيم من يرزق من الرحمة الخاصة لا من النعمة العامة.

قال ابن عطاء: اعتذار من الله لأنبيائه وأوليائه إنه لم يزد عنهم الدنيا إلا لأنها لا خطر لها ولا قدر عنده فيها وإنها فانية فآثر لهم العقبي التي هي

باقية انتهى. ويؤيده ما قال صلى الله عليه وسلم: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى منها كافراً شربة ماء»⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه العبارة إنه الحق سبحانه وتعالى لم يجعل/ قسمة السعادة والشقاوة إلى أحد من خلقه وإنما المردود في حكمه 143/أ وقضائه وقدره من رده والمقبول في حكمه من جملة عبادته من أراده ومن قبله قبله لا لعلّة وسبب ومن رده رده لا لأمر مكتسب إنما ذلك سبباً يتغير معلوله، وقضاؤه غير مردود ثم قسم لبعض عبادته النعمة والغناء وللبعض الفقر والعنا وجعل لكل واحد منهم سكناً يسكنون إليه ويشغلون به فللأغنياء وجود الأنعام وجزيل الأقسام فشكروا واستبشروا وللفقراء من هؤلاء شهود القسام فحمدوا وافتخروا فالأغنياء وجدوا النعمة واستغنوا واشتغلوا والفقراء سمعوا قوله نحن فاستقلوا وفي الخبر أنه عليه السلام قال للأنصار: أما ترضون أن يرجع الناس بالشاء والغنم وترجعون بالنبي إلى أهاليكم فقالوا: رضينا رضينا⁽²⁾.

وقوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الآية 32] أي لو كانت المقادير متساوية لتعطلت المعاش ولبقي كل على حاله فجعل بعضهم مخصوصاً بالترف والمال وآخرين بالفقر ورقة الحال حتى احتاج الفقير في حين حاجته إلى أن يعمل للغني ليرتفق من جهته فيصلح بذلك أمر الغني والفقير جميعاً انتهى. ولما كان هنا مظنة سؤال وإيراد إشكال وهو أن أكثر الأبرار فقراء وأكثر الفجار أغنياء فما الحكمة في ذلك وما النكتة لما هنالك ولم لم يعكس البلية مع أنه بها أيضاً يتم نظام القضية وأيضاً بمقتضى القسمة الإلهية أن تكون الدنيا جنة الكافر كما أنها سجن المؤمن فيوجب ذلك أن يكون الكافر بوصف يكون المؤمن هنالك قال تعالى.

﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الآية 33] لولا كراهة أن يرغبوا في

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (4/ 341) رقم (7847)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 560) رقم (2320)، والبيهقي في شعب الإيمان (7/ 325) رقم (10465).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (4330)، ومسلم في الصحيح (1061/ 139).

الكفر إذا رأوا الكفار في سعة ونعمة لحبهم الدنيا العاجلة وذهولهم عن العقبي الآجلة فيجتمعوا على الكفر والطغيان ولم يلتفتوا إلى الإيمان والعرفان ﴿لَجَمَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرْ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الآية 33] بناءً على حقارة الدنيا وحرمان الكافر عن نظارة 143/ ب العقبي ﴿لِيُثْبِتَهُمْ/ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ﴾ [الآية 33] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو سقفاً اكتفاءً بجمع البيوت ﴿وَمَعَارِجَ﴾ [الآية 33] مصاعد ﴿عَلَيْهَا يَطْهَرُونَ﴾ [الآية 33] يعلون السطوح.

﴿وَلِيُثْبِتَهُمْ أَتُونَا وَسُرَّرًا﴾ [الآية 34] أي من فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ﴾ [الآية 34] على أرائكهم.

﴿وَزُخْرَفًا﴾ [الآية 35] وزينة عطفاً على سقفاً أو ذهباً عطف على محل من فضة ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الآية 35] إن هي المخففة واللام على الفارقة وقرأ نافع وعاصم وهشام في رواية لما بالتشديد بمعنى ألا وإن نافية والمعنى أنه تمتع قليل عام للمؤمنين والكافرين ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الآية 35] خاصة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 35] لمن اتقى الكفر والمعصية وفيه إشارة إلى أن العظيم هو العظيم في العقبي لا في الدنيا وإشعار بما لأجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الإيمان وهو أنه تمتع يسير بالإضافة إلى ما لهم في الآخرة من أجر كثير مخل في الأغلب بالطاعات لما فيه من الآفات قلّ من يتخلص عنها ويسلم منها.

قال أبو بكر الوراق: التقوى سراج القلب يدلّه على موضع الخلل منه فيصلحه ومن لم يكن له تقوى لم يكن له في قلبه نظر ولا بصر ينفعه ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية 282].

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ [الآية 36] يتعام عن رؤية الآيات ويعرض عن الأذكار والدعوات ويتغافل عن وظائف الطاعات بسبب فرط اشتغال بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات ﴿نُقِصَّ لَهُ شَيْطَانًا﴾ [الآية 36] نقدره له ونسلطه عليه ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الآية 36] يوسوس له ويغويه في دوام الأوقات وتمام الحالات.

قال سهل: حكم الله تعالى أنه لا يرى قلب عبد يسكن إلى شيء سواه إلا أعرض عنه وسلط عليه الشيطان ليضله عن طريق الحق ويغويه عن سبيل الصدق.

وأفاد الأستاذ: إن من لم يعرف قدر الخلوة مع الله فحاد عن أذكاره العلية وأخلد إلى خواطره الردية قيص الله له من يشغله عن الله بالأموال الدنيوية فهذا جزاء من ترك الأدب في الخلوة الرضية وإذا اشتغل العبد في خلوته بربه فإذا تعرض له من يشغله عن ذكره صرف الحق/ عنه بأي وجه كان 144/أ وصرف دواعيه عن معالجته بما يشغله عن ربه ويقال: أصعب الشياطين نفسك الذي بين جنبيك والعبد إذا لم يعرف قدر فراغ قلبه للاشتغال بذكر ربه واتبع شهوته ومتمناه وفتح ذلك على نفسه بقي أسيراً في يد هواه لا يكاد يتخلص عنه إلا بعد مدة أرادها الله.

﴿وَأَنَّهُمْ لَيَصْدُوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الآية 37] عن الطريق الذي من حقه أن يسلك وجمع الضميرين لإرادة الجنسين من العاشي والشيطان المذكورين ﴿وَيُخَسِّبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الآية 37] أي يظن العاشون أن الشياطين مهتدون إلى الحق وهادون إلى الصدق.

وأفاد الأستاذ: أن الذي سولت له نفسه مرأً فيتهم أنه على صواب وإنه قصد خيراً ثم يحمل صاحبه على موافقته في باطله ويدعي أنه حق في أصله فقد أضر بنفسه وبغيره ثم أنه إذا انكشف غداً الغطاء تبين خيانة صاحبه وندم على صحبته حين لا ينفع في ندامته.

﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَنَا﴾ [الآية 38] أي العاشي مع قرينه أو كل واحد منهما وقرأ الحجازيان وابن عامر وأبو بكر جاءنا أي العاشي والشيطان ﴿قَالَ﴾ [الآية 38] أي العاشي للشيطان ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ [الآية 38] بعد المشرقين المشرق من المغرب فغلب المشرق وأضيف البعد إليهما ﴿فَيَأْسَ الْقَرَيْنُ﴾ [الآية 38] أنت على ما ظهر في هذا الحين.

﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ﴾ [الآية 39] أي ما أنتم عليه من التمني في العقبى ﴿إِذْ

ظَلَمْتُمْ ﴿[الآية 39] حين تبين ﴿أَنْكُكُمْ﴾ [الآية 39] ظلمتم أنفسكم في الدنيا وهو بدل من اليوم إنكم ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الآية 39] أي لأن حقكم أن تشركوا أنتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في أسبابه من أنواع الحجاب.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ﴾ [الآية 40] كلام الصدق ﴿أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى﴾ [الآية 40] إلى طريق الحق ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الآية 40] روي إنها نزلت حين كان صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء في قومه وهم لا يزيدون إلا جفاءً في حقه.

وقال الأستاذ: أي ليس يمكنك هداية من سددنا بصيرته ولبسنا عليه رشده ومن صببنا في مسامع أذنه رصاص الشقاء والحرمان فكيف يمكنك إسماعه القرآن وتفهمه الإيمان.

144/ ب ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ [الآية 41] فإمّا قبضناك قبل أن نصرناك ﴿فَإِنَّا/ مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾ [الآية 41] بعدك في الدنيا والأخرى.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ [الآية 42] أي أو إن أردنا أن نريك ما وعدناهم من عذابنا ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الآية 42] لا يفوتونا ولا يعجزونا.

وقال الأستاذ: يعني أن انقضى أجلك ولم يتفق لك شهود ما نتوعدهم بذلك فلا يتوهم أن صدق كلامنا يشوبه مین أن ما أخبرنا عنه فلا محالة سيكون له أين أثبتته على حد الخوف والرجاء ووقفه على وصف التجويز لاستبداده سبحانه بعلم الغيب وكذلك المقصود في الأمر من كل أحد أن يكون من جملة نظارة التقدير ويفعل الله ما يريد.

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ [الآية 43] من آيات القرآن وشرائع الإيمان ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 43] دين قويم.

قال ابن عطاء: أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بالاستمسك وهو لم يخل من التمسك بما أمر به لحظة لكنه خاطبه لرفع درجته وعظيم مرتبته لتكون أنت مبادراً بأداب التمسك والاقتداء ليتم لك باب الوصل والاهتداء

ويعلم ويعلم أن مثله إذا خوطب بمثل هذا الخطاب ما الذي يلزمك من الاجتهاد في هذا الباب.

وقال الأستاذ: أي اجتهد من غير تقصير وتوكل على الله من غير فتور وقف حيث ما أمرت بما أمرت من أمر قويم وفق بأنك على صراط مستقيم.

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ﴾ [الآية 44] لوعظ وتذكر ﴿لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الآية 44] لمن اتبعك ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الآية 44] عن قيامكم بحقه يوم ظهور حكمه.

قال ابن عطاء: إنه لشرف لك بانتسابك إلينا وشرف لقومك بالانتساب إليك لعظمتك لدينا.

﴿وَسَلِّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ [الآية 45] أي سل علماء دينهم وسائر أممهم ﴿أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الآية 45] هل حكمنا بعبادة الأوثان في ملة من مللهم والمراد الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والدلالة على أنه ليس ببدع من الرسل في مقام التفريد أو المراد بهذا الخطاب غيره ممن يتردد ويرتاب ولا يبعد أن يكون الأمر بالسؤال من الرسل والأنبياء في ليلة الإسراء لكنه عليه السلام لما كان في المقام الأكمل قال: «لا أشك ولا أسأل».

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 46] أي التسع من معجزاتنا ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 46] فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم وإشارة إلى أن دعوة موسى عليه لم تكن إلا إلى التوحيد والإسلام ورد لقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فإنه وأكثر الأنبياء لم يكونوا أغنياء بل كانوا فقراء وضعفاء وكذا أتباعهم وأشياعهم كما جرى به القضاء.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَصْحَكُونَ﴾ [الآية 47] فاجاؤوا وقت ضحكهم والمعنى استهزؤوا بها أول ما رأوها ولم يتأملوا فيها.

﴿وَمَا نُزِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الآية 48] أي إلا وهي

بالغة في الإعجاز أقصى درجاتها بحيث يحسب الناظر فيها أكبر مما يقاس إليها من الآيات تمامها والمراد وصف كل منها بالكبر في بابها ﴿وَأَخَذْنَهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ [الآية 48] كالسنين والطوفان والجراد ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 48] على وجه يرجى رجوعهم إلى طريق الرشاد.

﴿وَقَالُوا يَتَّيْنُهُ السَّاجِرُ﴾ [الآية 49] نادوه به في شدة حالتهم لفرط حماقتهم وغاية عداوتهم ﴿أَنْعُ لَنَا رَبِّكَ﴾ [الآية 49] ليكشف العقوبة عنا ﴿بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ﴾ [الآية 49] بعهده عندك من النبوة أو استجابة الدعوة ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الآية 49] بشرط أن تدعوا لنا ويكشف عنا.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ [الآية 50] فاجأ وانكث عهدهم بالاهتداء إلى طريق الصواب.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ [الآية 51] بنفسه أو مؤذنه ﴿فِي قَوْمِهِ﴾ [الآية 51] في مجمعهم أو فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمن بعضهم ﴿قَالَ يَفْقَوْمَ آلَيْسَ لِي مَلِكٌ مِّصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ﴾ [الآية 51] أي أنهار النيل ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر نيس ﴿يَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ [الآية 51] تحت أمري أو قعري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الآية 51] عزي وقدري.

﴿أَمْرًا أَنَا خَيْرٌ﴾ [الآية 52] أي بل أنا خير مع هذه المملكة والبسطة في الجاه والمال ﴿مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ [الآية 52] ضعيف فقير حقير الحال لا يستعد للرياسة ﴿وَلَا يَكَاذُ يُونُسُ﴾ [الآية 52] الكلام لما به من الرقة فكيف يصلح للسياسة.

وأفاد الأستاذ: أنه تعزز بملك مصره وجري النيل بأمره فكان هلاكه في 145/ ب قعره ليعلم أن من تعزز بشيء دون الله فحتمه وهلاكه/ فيه دون غيره واستصغر حديث موسى وعابه بفقره فسلطه على أمره وجعل هلاكه بيديه ليعلم أن أحداً ما استحقق أحداً إلا سلط عليه.

﴿فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ﴾ [الآية 53] قرأ حفص سورة ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الآية 53] أي فهلاً ألقى إليه مقاليد الملك إن كان صادقاً في الاقتدار إذا كان من عادتهم أنهم إذا سودوا رجلاً سوروه بالسوار ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلٰٓئِكَةُ مُقَرَّرِينَ﴾ [الآية 53]

مقرونين يعينونه بالإقرار.

﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمُهُ﴾ طلب الخفة منهم في مطاوعة أمره ﴿فَاطَاعُوهُ﴾ فيما أمرهم به ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ [الآية 54] خارجين عن نهج العقل وطوره.

﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ [الآية 55] أغضبونا بالإفراط في عنادهم وعصيانهم في بلادهم ﴿أَنقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 55].

قال ابن عطاء: إذا كان عصيان الرسل عصياننا فمن أسفهم أسفنا.

وقال الأستاذ: أي أغضبونا وإنما أراد أغضبوا أوليائنا وهذا أصل في باب الجمع أضاف إيسافهم أوليائه إلى نفسه وفي الخبر القدسي أنه يقول: «مرضت فلم تعدني»⁽¹⁾.

وقال في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ [الحج: الآية 27] والمعنى يأتونا أو بيتنا. وقال في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: الآية 80].

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ [الآية 56] قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدرون بهم في استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت بهم أو جمع سالف كخدم وقرأ حمزة والكسائي بضمين جمع سليف كرغف جمع رغيف ﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الآية 56] وعظة وعبرة للمتأخرين.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ [الآية 57] ضربه ابن الزبيري من المشركين قبل دخوله في الإسلام لما جادل النبي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: الآية 98] بأن قال النصراني أهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون أنه ابن الله فالملائكة أولى بذلك⁽²⁾ ﴿إِذَا

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (43/2569)، وابن حبان في الصحيح (503/1) رقم (269).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/416) رقم (3449)، والطبراني في المعجم الكبير (12/153) رقم (12739)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/340) رقم (31882).

﴿قَوْمُكَ﴾ [الآية 57] قريش ﴿مِنْهُ﴾ [الآية 57] من هذا المثل ﴿يَصُدُّونَ﴾ [الآية 57] يضجون ويصيحون فرحاً لظنهم أن الرسول صار به ملزماً وقرأ نافع وأبو عامر والكسائي بضم الصاد أي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل: وهما لغتان ومعناهما يضجون فرحاً.

﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ﴾ [الآية 58] أي عندك ﴿أَمْ هُوَ﴾ [الآية 58] أي عيسى/ فإن كان في النار فليكن آلهتنا معه ﴿مَا صَرَّوْهُ﴾ [الآية 58] أي هذا المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ [الآية 58] لأجل الخصومة والطغيان لا لتمييز الحق من البطلان ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الآية 58] شداد الخصومة حراس على لجاج المجادلة وتمام الجواب ما سبق في سورة الأنبياء من أن عيسى ونحوه ممن عبد من دون الله ليس داخلاً في ما تعبدون لما تقرر من أن ما لغير ذوي العقول وعلى تقدير عمومها استدرك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: الآية 101] ولعله اكتفى هنا عن تمام الجواب بقوله: ﴿إِنْ هُوَ﴾ [الآية 59] أي ما عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أُنَمِّئْنَا عَلَيْهِ﴾ [الآية 59] بالنسبة ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الآية 59] أمراً عجيباً وشأناً غريباً حيث خلقناه من غير أب وخلقناه إلينا قريباً.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ [الآية 60] بدلكم ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ [الآية 60] أي يعقبون ويترددون.

﴿وَإِنَّهُ﴾ [الآية 61] أي نزول عيسى ﴿لَعَلَّمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ [الآية 61] أي من أشراتها يعلم به دنوها وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها: افتق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح فيتأخر الإمام يعني المهدي فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصاري إلا من آمن به⁽¹⁾ ﴿فَلَا تَمْتَرْتُمْ بِهَا﴾ [الآية 61] فلا تشكن في حقيقة

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (2/ 79) رقم (1309)، وفي المعجم الصغير (1/ 69) رقم (84)، وأبو يعلى في المسند (10/ 279) رقم (5877)، وأحمد في المسند (2/ 394) رقم (9110)، وعبد الرزاق في المصنف (11/ 401) رقم (20845).

الساعة ووقوعها ﴿وَأَتَّبِعُونَ﴾ [الآية 61] واتبعوا شرعي أو رسولي ﴿هَذَا﴾ [الآية 61] الذي ادعوكم إليه ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 61] لا يضل سالك لديه.

﴿وَلَا يَصُدَّنْكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ [الآية 62] عن المتابعة ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الآية 62] ظاهر العداوة بأن أخرجكم من الجنة وأوقعكم في المحنة.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية 63] بالمعجزات أو بالشرائع الواضحات ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ [الآية 63] بالإنجيل والشرعة ﴿وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الآية 63] من أمر دينكم فإن الأنبياء لم يبعثوا إلينا أمر الدنيا ولذا قال عليه السلام أنتم أعلم بأمر دنياكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 63] فيما أنهاركم ﴿وَأَطِيعُوا﴾ [الآية 63] فيما أمركم.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ [الآية 64] بيان لما أمرهم من إطاعة الطاعة وهو اعتقاد التوحيد في الألوهية والتفريد في الربوبية والتعبد بأحكام الشريعة في العبودية ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الآية 64] طريق قويم.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ [الآية 65] / الفرق المتحزبة والطوائف 146/ ب المجتمع من بين النصارى أو اليهودي والنصراني من بين قومه المبعوث إليهم ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 65] أي ممن ثبت على ظلمه من المتحزبة ﴿وَمِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 65] يوم القيامة.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ [الآية 66] أي الظالمون اجتمعوا ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ [الآية 66] بدل والمعنى ما ينتظرون إلا إتيان الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ [الآية 66] فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 66] غافلون عنها لإنكارهم لها ولاشتغالهم بأمر الدنيا وما يتعلق بها.

﴿الْأَخِلَاءُ﴾ [الآية 67] الأحاباء ﴿يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الآية 67] ويكونون يومئذ كالأعداء ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 67] إلا المؤمنين الأتقياء فإن خلّتهم لما كانت في الله ومرضاته تبقى نافعة في السراء والضراء.

وأفاد الأستاذ: أن الأخلاء الذين اصطحبوا على مقتضى الأهواء يتبرأ

بعضهم عن بعض وأما الأخلاء في الله فيشفع بعضهم في بعض وشرط الخلّة في الله أن لا يستعمل بعضهم بعضاً في الأمور الدنيوية ولا يرتفق بعضهم ببعض في الأغراض الدنية حتى تكون الصّحبة خالصة للمولى لا نصيب لها في الدنيا ولا يجري بينهم مداهنة في المعاملة فبقدر ما يرى فيه من قبول طريق الله له يقبله فإذا علم منه شيئاً لا يرضاه الله لا يرضى من صاحبه فإذا عاد إلى تركه عاد إلى موته وإلا فلا يساعده على معصيته ثم يتقي بقلبه أن يسكن إليه لغرض دنيوي أو لطمع أو عوض دني.

﴿يَعْبَادُ﴾ [الآية 68] وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بغير الياء وأبو بكر بفتح الياء ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الآية 68] حكاية لما ينادي به المتقون المتحابون.

قال الصادق: لا خوف على من أطاعني في الفريضة واتبع رسولي في السنة وقيل: لا خوف في العقبى على من خافني في الدنيا وقيل: الخوف على القلب والحزن على القلب.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 69] صفة للمنادى ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الآية 69] أي مخلصين في إحسانهم وإيمانهم أو مستسلمين لقضائه ومنقادين لما فيه من رضائه.

وأفاد الأستاذ: أن يقال لهم غداً ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [الآية 68] مما يلقيه أهل الجمع من الأحوال ﴿وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الآية 68] فيما قصرتم فيه من الأعمال أما الذنوب فغفونها وأما الأحوال فكفيناها وأما المظالم فقضيناها فإذا قال المنادي / هذا الخطاب يطمع الكل ويقولون نحن عباده في هذا الباب 147/ فإذا قال الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين أيس الكفار وقوي رجاء الأبرار.

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ [الآية 70] نساؤكم المؤمنات قيل: وأشكالكم ومن هو في درجاتكم ﴿تُحَبَّرُونَ﴾ [الآية 70] تسرون أو تزينون أو تكرمون أو تفتون أو تبسطون.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الآية 71] أي من ذهب والصحاف جمع صحيفة والأكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له ﴿وَفِيهَا﴾ [الآية 71] وفي

الجنة ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ [الآية 71] وقرأ ابن عامر ونافع وحفص تشتهيه أي في معيشته ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الآية 71] بمشاهدته ﴿وَأَشْرَفَ فِيهَا فَلَدُونَ﴾ [الآية 71] دائمون فإن كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وما أحسن من قال:

أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالاً
قال جعفر: شتان بين ما تشتهي الأنفس وبين ما تلذ الأعين لأن جميع ما في الجنات من النعيم والشهوات في جنب ما تلذ الأعين أصعب يغمس في البحر لأن شهوات الجنة لها حد ونهاية وما تلذ الأعين في الدار الباقية من لقاءه لا حد له ولا صفة ولا غاية.

وقال الواسطي: الذي ذكر مما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ثواباً لأوليائه لم يقدر أحد أن يصفه فكيف يقدر أحد على وصف مثبه انتهى وكأنه أشار إلى معنى الحديث القدسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»⁽¹⁾.

وقال الأستاذ: لهم فيها ما تشتهي أنفسهم لأنهم قاسوا في الدنيا بحكم المجاهدة ألم الجوع والعطش وتحملوا وجوه المشاق في كل باب فيجازون في الجنة بوجوه من الثواب وأما أهل المعرفة والمحبة فلهم ما تلذ أعينهم من النظر إلى الله لطول ما قاسوه من شدة الفراق وفرط الاشتياق بقلوبهم وما علوه من الاحتراق لشدة غليلهم.

﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 72] أي هي التي أعطيتكم درجاتها بمقابلة أعمالكم وحسب مقامات أحوالكم. وأفاد الأستاذ: أن الخطاب لأصحاب الإخلاص في أعمالهم والصدق في أحوالهم.

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (3244)، ومسلم في الصحيح (4/2824).

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 73] بعضها تأكلون لكثرتها 147/ ب
ودوام أنواع نعمها.

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 74] كاملي الإجرام تاركي الإسلام ﴿فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [الآية 74] ثابتون دائمون.

﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ﴾ [الآية 75] لا يخفف من عقوباتهم ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الآية 75] آيسون من نجاتهم ومتحIRON في ظلماتهم.

قال الأستاذ: وأما أهل التوحيد فقد يكون قوم منهم في النار ولكن لا يخلدون فيها وقد يفتر العذاب عنهم بها وفي الخبر الصديق أنه يميئتهم الحق إماتة ولعل المراد بالإماتة الغشية أو الإنامة إلى أن يخرجهم من النار وذكر في الآية أن الكفار مبلسون والإبلاس الخيبة فدل على أن المؤمنين فيها لا يأس لهم فهم وإن كانوا في بلائهم فهم على وصف رجائهم يعدون أيامهم إلى أن تنتهي أشجانهم ولقد قال الشيوخ إن حال المؤمن في النار من وجه أروح لقلوبهم من حالهم في الدنيا لأن اليوم خوف الهلاك وغداً يقين النجاة ولقد أنشدوا:

عيب السلامة أن صاحبها متوقع لقواصم الظهر
وفضيلة البلوى ترقب أهلها عقب الرجاء ونومة الدهر⁽¹⁾

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ [الآية 76] لأنه من المحال ﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 76] على أنفسهم بما أورثهم سوء الحال.

﴿وَنَادَوْا بِمَلَائِكَةٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الآية 77] أي سل ربك أن يميئتنا وينجيننا من عقوبتنا ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوتٌ﴾ [الآية 77] لا خلاص لكم بموت ولا مناص لكم بفوت.

وأفاد الأستاذ: أنهم لو قالوا يا ملك بدل قولهم يا مالك لعله كان أحوالهم أقرب من الإجابة قلت: وكذا لو قالوا ليقتض علينا ربنا لعله كان أقوالهم أنسب إلى أدب الدعوة الموجبة لقرب الإجابة ولكن وقعوا في الحجاب فلم يروا آداب الخطاب.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (374/3).

﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 78] أي بيان طريق الصواب بالإرسال والإنذار
﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ [الآية 78] لما في اتباعه من إتعاب الأرواح وآداب
الأشباح.

﴿أَمْ أَمْرًا مَرًّا﴾ [الآية 79] في تكذيب الحق لمعاندتهم ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾
[الآية 79] أمراً في معاقبتهم.

وقال الأستاذ: بل أمورهم منقطعة عليهم قل ما يتمشى لهم ما دبروه
وقل ما يرتفع له من الأمور شيء على ما قدره.

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ [الآية 80] حديث أنفسهم بذلك ﴿وَنَجْوَئُهُمْ﴾
[الآية 80] وتناجيهم هنالك ﴿بَكَلٍّ﴾ [الآية 80] نسمعها ﴿وَرُسُلَنَا﴾ [الآية 80] الحفظة
مع هذا ﴿لَدَيْهِمْ﴾ [الآية 80] ملازمون لهم ﴿يَكْتُمُونَ﴾ [الآية 80] ما لهم وما
عليهم.

وقال الأستاذ: إنما خوفهم بسماع الملائكة/ وكتابتهم أعمالهم عليهم 148/ أ
لغفلتهم عن الله ولو كان لهم خبر عن الله لما خوفهم بغير الله ومن علم أن أعماله
تكتب عليه وبطال بمقتضى ما جرى لديه قل إمامه بما يخاف أن يسأل عنه.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ [الآية 81] في زعمكم ﴿فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 81]
الموحدين لله الذي لا يلتفتون إلى سواه.

﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الآية 82] من
كونه ذو إله أو صاحبة أو كفؤ ومماثلة.

﴿فَذَرَّهُمْ يُخَوِّضُوا﴾ [الآية 83] في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ [الآية 83] في دنياهم
﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الآية 83] أي القيامة ومنزلة الندامة وفيه دلالة
على أنهم مطبوع على قلوبهم في الدنيا معذبون على كفرهم في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن في هذا دليلاً على أنه لا ينبغي للعبد أن يغتر بطول
السلامة فإن العواقب غير مأمونة الملامة.

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الآية 84] مستحق لأن يعبد

فيهما وفيه نفى الآلهة السماوية والأرضية واختصاصه باستحقاق الألوهية ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الآية 84] كالدليل على اتصافه بالربوبية الموجبة للعبودية.

وأفاد الأستاذ: أن المعبود في السماء هو الله والمقصود في طلب الحوائج في الأرض هو الله فأهل السماء لا يعبدون غير الله وأهل الأرض لا يقضي أحد حوائجهم غير الله وهو الحكيم فيما قضى وأراد العليم بأحوال العباد.

﴿وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية 85] كالهواء أي بقدرته يظهر ملكهما إلا أنه يتعزز بظهورهما ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [الآية 85] التي تقوم فيها القيمة ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 85] للجزاء على الطاعة والمعصية وقرأ نافع وأبو عمر وابن عامر وعاصم بالخطاب وفيه وعد ووعد.

﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ [الآية 86] كما تتوهمون شفاعاة الآلهة ﴿إِلَّا مَنْ شِئِدَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 86] لكن من شهد بالتوحيد ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 86] حقيقة التفريد فله الشفاعاة في تلك الساعة.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية دليلاً على أن جميع المسلمين شفاعتهم غداً مقبولة.

﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ [الآية 87] أي المشركين ﴿مَنْ خَلَقَهُمْ﴾ [الآية 87] من خلق العابدين والمعبودين ﴿لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الآية 87] إذ ليس لهم جواب سواه إذ من فرط 148/ ب ظهوره / تعذر المكابرة في أمره ﴿فَأَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ [الآية 87] تصرفون من عبادته إلى عبادة غيره.

﴿وَقِيلَ لَهُ﴾ [الآية 88] أي ويعلم قوله رسوله وقرأ عاصم وحمزة بالجر وعنده علم قوله ﴿يَكْرَبُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 88] وعلى كفرهم مصرون. ﴿فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ﴾ [الآية 89] أعرض عن بهتانهم آيساً عن إيمانهم ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾ [الآية 89] في رد طغيانهم أين أمري تسلم منكم ومتاركة عنكم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 89] عقوبة ما يستوجبون وقرأ نافع وابن عامر بالخطاب وفيه تهديد شديد لهم بنزول العقاب.

سورة الدخان

[مكية]

وهي سبع⁽¹⁾ وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة من ذكرها نال في الدنيا والعقبى بهجته ومن عرفها بذل في طلبها مهجته كلمة إذا استولت على قلب عطلته عن كل شغل وإذا واظب على ذكرها عبد أمنت من كل هول.

﴿حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الآيتان 1، 2] الحاء يشير إلى حقه والميم يشير إلى محبته ومعناه بحق محبتي لعبادي وكتابي أن لا أعذب أهل محبتي بفرقتي وحجابي.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ [الآية 3] في ليلة القدر أو البراءة ابتدأ فيها إنزاله وأنزل فيها من اللوح جملة إلى السماء الدنيا ثم أنزل منجماً بحسب القضايا وبركتها لكثرة خير وجد فيها فإن نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والمصالح الدنيوية أو لما فيها من كثرة نزول الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وقسمة النعمة وفصل الأقضية قيل: أعظم الليالي بركة ليلة أقيمت فيها لربك مناجاته وأقلها عليك بركة ليلة غفلت فيها عن أذكاره وطاعته.

وأفاد الأستاذ: أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فيها كل سنة بمقدار ما كان جبريل ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم بنجومها وأشد الليالي بركة ليلة يكون العبد فيها حاضراً بقلبه مشاهداً لربه

(1) كذا في الأصل المخطوط.

يتنعم بأنوار الوصلة ويجد فيها نسيم القربة ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [الآية 3] أي ومبشرين كما يشير إليه قوله: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الآية 4] فإن كونها مفرق الأمور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة يستدعي أن ينزل فيها القرآن الذي هو من عظامها وكرائمها.

149/أ وقال/ الأستاذ: أي في هذه الليلة ينزل النسخة من السماء لما يحصل في السنة من أقسام الحوادث من الخير والشر والمحن والمنن والنصرة والهزيمة والخصب والجذب ولهؤلاء القوم من الحجب والجذب والفصل والوصل والوفاق والخلاف والتوفيق والخذلان والقبض والبسط فكم من عبد نزل له الحكم والقضاء بالشقاء والبعد وآخر ينزل حكمه بالولاء والرفد.

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾ [الآية 5] أي أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من لدنا على مقتضى حكمتنا ووفق إرادتنا ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الآية 5].

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 6] بدل من إنا كنا منذرين أي إنا أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتاب إلى عبادنا لأجل الرحمة عليهم كما تقتضيه الربوبية ليقوموا بحق العبودية أو المعنى لأن من شأننا أن نرسل رحمتنا فإن فصل كل أمر من قسمة الأرزاق وغيرها وصدور الأوامر الإلهية من باب الرحمة وإرادة النعمة ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية 6] لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 6] بأعمالهم وأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن رحمة هي رحمة نبي الأمة وفي الخبر: «أنا رحمة مهداة»⁽¹⁾. ويقال: إنا كنا مرسلين رحمة لقلوب أوليائنا بالتوفيق ولقلوب أصفائنا بالتحقيق إنه هو السميع لأنين المذنبين العليم بحنين المحبين.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية 7] أي هو خالقهما ومربي ما فيهما وقرأ الكوفيون بالجبر بدلاً من ربك ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ﴾ [الآية 7] أي مريدين اليقين

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (1/ 91) رقم (100)، والطبراني في المعجم الأوسط (3/ 223) رقم (2981)، والدارمي في السنن (1/ 21) رقم (15)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 325) رقم (31782).

فاعلموا ذلك فإنه النافع في الدين.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 8] أي لا خالق سواه ﴿يُخَيِّءُ وَيُمِيتُ﴾ [الآية 8] كما تشهدون في قضاياه.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه الكلمة الطبية نفي ما أثبتوه بجملة وإثبات ما نفوه بجدهم ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ [الآية 8] أي مربي أصلكم ونسلكم من الأولين والآخرين.

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ [الآية 9] في غفلة عن الدين وهو رد لكونهم موقنين.

﴿فَارْتَبِعْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 10] يوم شدة ومجاعة فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهية الدخان من ضعف الأبصار أو لأن الهواء يظلم عام القحط لقلّة الأمطار وكثرة الغبار وقد قحطوا حتى أكلوا جيف الكلب والحمار أو يوم/ ظهور الدخان المحدود في أشرط الساعة لما روي أنه عليه السلام لما قال أول الآيات الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر والدخان قال حذيفة وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية⁽¹⁾.

وقال سهل: الدخان في الدنيا قسوة القلب والغفلة عن ذكر الرب.

وأفاد الأستاذ: أن هذا من أشرط الساعة يتقدم عليها وقيامه هؤلاء معجلة وأما القوم فلهم يوم غيبة الاحتجاب وانسداد ما كان مفتوحاً لهم من الأنس بالأحباب.

﴿يَخْشَى النَّاسَ﴾ [الآية 11] يحيط بهم صفة للدخان وقوله ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 11] بيان لشأن ذلك الزمان.

(1) أخرجه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (266/3) رقم (1174)، وانظر ما أورده البغوي في تفسيره (230/7)، والرازي في تفسيره (7/14).

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 12] أي يقولون بلسان
القال أو بيان الحال.

﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ [الآية 13] من أين لهم أنهم يتذكرون بهذه الحالات ﴿وَقَدْ
جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 13] يبين لهم ما هو أعظم منها في إيجاب التذكر من
الآيات والمعجزات.

﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ [الآية 14] أعرضوا عن كلمته وأدبروا عن صحبتته ﴿وَقَالُوا
مُعَلَّمُونَ﴾ [الآية 14] في قراءته ﴿تَجْنُونَ﴾ [الآية 14] في دعوى رسالته.

وأفاد الأستاذ: أن القوم قد يستزيدوا العذاب على العذاب على عكس
أحوال أصحاب الحجاب فهم يسألون البلاء بدل ما يستكشفه الخلق من
الغطاء ويتمنون أنواع الغطاء وأما هم فيقولون:

أنت البلاء فكيف أرجو كشفه إن البلاء إذا فقدت بلائي

﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ [الآية 13] أي إن خالفوا سفرة قلوبهم من الخواطر التي ترد
من الحق عليهم عوقبوا في الوقت بما لا يتسع له وسعهم فإذا أخذوا في الاستغاثة
يقال لهم: أنى لكم ذكرى وقد جاءكم رسول على قلوبكم فخالفتكم أمري.

﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ [الآية 15] بدعاء نبينا فإنه دعانا برفع القحط والغلاء
﴿قَلِيلًا﴾ [الآية 15] زماناً قليلاً وهو ما بقي من أعمارهم ﴿إِنكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الآية 15]
إلى الكفر عقب كشف الضر ومن فسر الدخان بما هو من الأشرار قال إذا جاء
الدخان غوث الكفار بالدعاء لكشف البلاء فيكشف الله عنهم بعد أربعين وريثما
يكشفه عنهم يرتدون على عقبهم.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ [الآية 16] يوم القيامة أو يوم بدر أي نأخذهم
أخذة أكيدة ونؤاخذهم مؤاخذه / شديدة ﴿إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ [الآية 16] عموماً أو
خصوصاً.

وقال الأستاذ: أي نورثكم ذلك اليوم حزناً طويلاً ولا تجدون في ظل
انتقامنا مقيلاً.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 17] امتحناهم بإرسال موسى عليه السلام إليهم وأوقعناهم في الفتنة بالإمهال وتوسع الرزق عليهم ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 17] على ربه أو في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه.

﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ [الآية 18] بأن أدوهم إلي وأرسلوهم معي والمراد تخلية بني إسرائيل من استعباد فرعون واستسخار جنده ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ [الآية 18] من عنده ﴿أَمِينٌ﴾ [الآية 18] مؤتمن على وحيه.

﴿وَأَنْ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 19] لا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله ﴿إِنِّي بَسْطَلْنِي مُبِينٌ﴾ [الآية 19] برهان واضح على تحقيق نبوتي وتصديق رسالتي من أنواع المعجزات والأدلة الواضحات.

﴿وَلِي عِذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ [الآية 20] التجأت إليه وتوكلت عليه من أن تؤذوني ضرباً أو شتماً أو قتلاً.

﴿وَأَنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزُّونِي﴾ [الآية 21] فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ [الآية 22] بعد ما أصروا على تكذيبه ﴿أَنْ هَؤُلَاءِ﴾ [الآية 22] بأن هؤلاء السفهاء ﴿قَوْمٌ تُجْرِمُونَ﴾ [الآية 22] كاملون في الإجرام مستحقون سوء الانتقام.

﴿فَأَسْرِعْ بَعْدِي لَيْلًا﴾ [الآية 23] وقرأ الحرمان بهمز الوصل أي فقال تعالى: سر معي بني إسرائيل في ليل إلى جانب النيل ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ [الآية 23] يتبعكم فرعون وجنوده إذا علموا بخروجكم من عنده.

﴿وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ﴾ [الآية 24] أي بعد ما تتجاوزه ﴿رَهْوًا﴾ [الآية 24] مفتوحاً ذا فجوة واسعة أو ساكناً على هيئة مطمئنة ولا تضربه بعصاك ثانية ليرجع إلى حاله حتى يدخل فرعون مع جميع [آله] ﴿إِنَّهُمْ بِجُنتِهِمْ مُّشْرِكُونَ﴾ [الآية 24] وبعد إغراقهم محرقون.

﴿كَمْ تَرَكُوا﴾ [الآية 25] تركوا كثيراً تركوا ﴿مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْونِ﴾ [الآية 25] جارية.

﴿وَزُرُوعٌ﴾ [الآية 25] وافية ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الآية 26] محافل مزينة ومنازل مستحسنة.

﴿وَنَعْمَةٌ﴾ [الآية 27] وتنعم وسعة ﴿كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾ (٢٧) ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآيتان 27، 28] متنعمين متلذذين.

﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (٢٨) [الآية 28] ليسوا منهم في شيء من النسب والدين وهم بنو إسرائيل.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه فتنهم بعدما أصروا في جحودهم ولم يوجبوا إلى طريق الرشد من نفرة عنودهم وجاءهم رسول جليل طالبهم بإزالة الظلم 150/ ب عن بني إسرائيل واستبصر بالله وأظهر الحجة / من قبل الله ثم أمره بأن يسري بعباده المؤمنين وعرفه أنهم يستنقذون وإن عدوهم جند مغرقون وما خلفوه من أموالهم ورياشهم وبقي عنهم من أسباب معاشهم استلبناه عنهم وأورثناهم واسكننا قوماً آخرين في منازلهم ومبناهم.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الآية 29] مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم ونفي الاعتداد بوجودهم ومنه ما ورد في الأخبار أن المؤمن ليكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وفي حديث ما من مؤمن مات في غربة غابت منها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض وقيل: تقديره فما بكت عليهم أهل السماء والأرض ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الآية 29] ممهلين إلى وقت آخر أدنى حين قال الأستاذ: لم يكن لهم من القدر والخطر ما يتحرك في العالم بسببهم ساكن أو يسكن متحرك فلا الخضراء بفقدهم أغبرت ولا الغبراء بحينهم أحمرت لم يبق منهم عين ولا خبر ولم يظهر من قبلهم على قلب أحد من عبادنا أثر وكيف تبكي السماء بفقد من لم يستبشر في حياته من قبله فإن المؤمن الذي تسر السماء بصعود عمله إليها تبكي عند فقدته عليها.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (٣٠) [الآية 30].

﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 31] بذل مما قبله بحذف مضاف أو بدونه للمبالغة أي من استبعاد فرعون إياهم وقتله أبنائهم ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا﴾ [الآية 31] متكبراً في

الجبابرة ﴿مَنْ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية 31] في العتو والشرارة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نجاهم وأملكهم وأفنى عدوهم وأهلكهم.

﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الآية 32] عالمين بأنهم أحقأ بهذا الحال أو مع علم منا بأنهم يزيغون في بعض الأحوال ﴿عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 32] أي على عالمي زمانهم أو لكثرة الأنبياء منهم.

قال الواسطي: اخترناهم على علم منا بجنایاتهم وما يقتربون من أنواع مخالفاتهم فلم يؤثر في سابق علمنا فيهم أن الجنایات لا تؤثر في الرعايات.

وقال الأستاذ: أي اخترناهم وعلمنا ما يحتقبون من أوزارهم فرفعنا باختيارنا من أقدارهم ما وضعه فعلهم بتدنسهم بأوضاعهم ويقال: على علم بما نودع / عندهم من أسرارنا ومكاشفتهم به من حقائق أنوارنا.

151/أ

﴿وَأَنبَأْنَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ [الآية 33] كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى ﴿مَا فِيهِ بَلَدٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 33] نعمة جليلة أو بلية خفية.

وقال الأستاذ: من مطالبته بالشكر عند الرخاء والصبر عند الكد والعناء.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ [الآية 34] أي قومك من السفهاء ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ [الآية 34].

﴿إِنْ هِيَ﴾ [الآية 35] ما عاقبة الدهر ونهاية الأمر ﴿إِلَّا مَوْلَانَا الْأُولَىٰ﴾ [الآية 35] المزية للحياة الدنيوية ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ [الآية 35] بمبعوثين للحياة الأخروية.

﴿فَأَنبَأُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 36] الميتين ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 36] في أنا معذيين والخطاب لمن أوعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين.

﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ [الآية 37] في القوة والمنعة ﴿أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ﴾ [الآية 37] أي الحميري الذي سار بالمجوس وصير الحيرة وبنى سمرقند وقيل: هدمها وقد كان مؤمناً وقومه كافرين ولذا ذمهم دونه وعنه عليه السلام: «ما أدري أكان تبع نبياً أو

غير نبي»⁽¹⁾. ويقال لملوك اليمن: تبابعة لأنهم يتبعون ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 37] كعاد وشمود ونحوهم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [الآية 37] أي مع كثرة عدتهم، وشدة قوتهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [الآية 37] أي قومًا كافرين.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الآية 38] وما بين جنسيهما ﴿لَعِينِينَ﴾ [الآية 38] لاهين مبطلين وهو دليل على صحة الحشر والنشر كما مر مراراً.

﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الآية 39] إلا بسبب الحق الذي اقتضاه الدليل من الإيمان والطاعة أو البعث والجزاء بالمشوبة والعقوبة ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 39] لقلة نظرهم وتفكرهم وقصور تصورهم.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ [الآية 40] أي وقت فصل الحق من الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء الكامل ﴿مِيقَاتُهُمْ﴾ [الآية 40] وقت مواعدهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 40] قال بعضهم: يوم الفصل بين كل عامل وعمله فمن صحح له مقاله وأعماله قيل منه وجوزي عليه ومن لم يصحح له أعمالاً وأحوالاً كان عمله عليه أنكالاً وأثقالاً.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعِي مَوْلَى﴾ [الآية 41] من قرابة أو غيرها ﴿عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾ [الآية 41] من الإغناء أو من العناء ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الآية 41] بمساعدة الأولياء.

﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ﴾ [الآية 42] بالعفو عن جرمه أو قبوله الشفاعة في حقه ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَافِرُ﴾ [الآية 42] الغالب على من أراد انتقامه ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الآية 42] لمن شاء إنعامه.

151/ ب ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٣٧﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [الآيتان 43، 44] أي / كثير الإثم والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه.

﴿كَالْمُهْلِ﴾ [الآية 45] وهو ما يهمل في النار حتى يذوب قيل: وروي الزيت وقيل: النحاس المذاب ﴿يَقْلَى فِي الْبُطُونِ﴾ [الآية 45] وقرأ ابن كثير وحفص بالتذكير على أن الضمير للطعام أو للزقوم وقيل: للمهل وهو الأقرب وإن كان

(1) أخرجه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (270/3) رقم (1179).

الأولان أنسب.

﴿كَفَلِيَ الْحَمِيمِ﴾ [الآية 46] غلياناً مثل على الماء الحار.

﴿خُذُوهُ﴾ [الآية 47] يقال: للزبانية امسكوه ﴿فَاعْتَلَوْهُ﴾ [الآية 47] وقرأ الحجازيان وابن عامر بالضم أي فجروه ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الآية 47] أي وسط النار الموقدة.

﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ [الآية 48] أصله ثم صبوا فوق رأسه الحميم كما في سورة الحج ثم حول إلى صبوا فوق رأسه عذاباً هو الحميم للمبالغة ثم أضيف العذاب إلى الحميم تحقيقاً وزيد من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع.

﴿ذُقْ﴾ [الآية 49] أي العذاب الأليم ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الآية 49] عند قومك وأما عندنا فأنت الذليل المهين وقرأ الكسائي بالفتح أي لأنك والمعنى قولوا له ذلك تهكماً به وتقريعاً على ما كان في زعمه.

﴿إِنْ هَذَا﴾ [الآية 50] العذاب المعاین ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ [الآية 50] تشكون فيه.

﴿إِنْ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ [الآية 51] في موضع قيام وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم أي في موضع إقامة ﴿أَمِينٍ﴾ [الآية 51] يا من صاحبه عن آفة الزوال ومحنة الانتقال.

﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الآية 52] بدل من مقام جيء به للدلالة على نزهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب في إقامته.

﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ﴾ [الآية 53] ما رق من الحرير ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الآية 53] ما غلظ منه ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ [الآية 53] في مجالس قدسهم ومنازل أنسهم.

﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية 54] الأمر أو الأمر كذلك ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الآية 54] قرناهم بهن وأبحناهن لهم من غير تزويج وتزوج لهن والحوراء البيضاء والعيناء عظيم العين الحسناء والصحيح أنهن غير نساء الدنيا.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَكِهَةٍ﴾ [الآية 55] يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه في جميع الأحيان لا يتخصص شيء منها بزمان ولا مكان ﴿ءَامِينَ﴾ [الآية 55] من الضرر والنقصان.

وأفاد الأستاذ: أن الولي تمكن بهذه الأوصاف من هذه الألفاظ ثم قد تختطف قوماً من بين هذه الأسباب فيجزهم عن هذه الجملة وكما أن الزهاد وطن الدنيا عليهم قلبها فيخطفهم عنها كذلك في الآخرة / طمع الحور العين في صحبتهم فيسليهم عنها فالزاهد من الدنيا بحمية والعارف من الجنة بحمية.

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ [الآية 56] أي في الآخرة ﴿الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَ الْأَوَّلَ﴾ [الآية 56] وهي قبض أرواحهم في الدنيا وهي أول أحوال في العقبى قيل لجنيد أهل الجنة باقون ببقاء الحي قال: لا ولكنهم مبقون ببقاء الحي والباقي على الحقيقة من لم يزل ولا يزال باقياً ﴿وَوَقَّهْمَ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الآية 56].

﴿فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الآية 57] عطاء وتفضلاً من ربك الكريم ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الآية 57] لأنه خلاص عن المكاره الجلية وفوز بالمطالب العلية.

قال الواسطي: هو الفضل من كرمه ورحمته لا الاستحقاق بجهد العبد وكده وحركته.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [الآية 58] سهلناه حيث أنزلناه بلغتك وهو فذلكته السورة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 58] لعلهم يفهمونه فيتعظون به فلما لم يتذكروا به ولم يتفكروا فيه.

﴿فَارْتَقِبْ﴾ [الآية 59] فانتظر ما يحل بهم ﴿إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾ [الآية 59] منتظرون ما يحل بك ففيه وعيد لأعدائه ووعد لأحبابه.

قال ابن عطاء: فتح باب ذكره على من يشاء من عباده فلا يفتر عن ذكره بحال وأغلق باب ذكره على من يشاء من عباده فلا يقدر على ذكره بحال.

وقال الأستاذ فارتقب العواقب ترى العجائب أنهم مرتقبون ولكن لا يرون إلا ما يكرهون.

سورة الجاثية

[مكية]

وهي سبع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: وملك لا يستظهر بجيش أحد لا يستمسك بعيش، جبار ارتدى بكبريائه، قهار اتصف بعز سنائه.

﴿حَمْدٌ﴾ [الآية 1] أي بحياتي ومودتي لأوليائي لا شيء أعز على أحبائي من لقائي.

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ [الآية 2] بجلاله في أزاله ﴿الْحَكِيمِ﴾ [الأنعام: الآية 18] في أفعاله وحسن إقباله.

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 3] أي في خلقهما. وأفاد الأستاذ: أن شواهد الربوبية لائحة وأدلة الإلهية واضحة فمن صحا فكرته عن سكرة الغفلة ووضع مسيرته في منزلة العبرة حظي لا محالة بحقائق الصلة.

﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّةٍ﴾ [الآية 4] لتتميم معاشكم ﴿إِنَّكُمْ لَقَوْمٌ يُوفُّونَ﴾ [الآية 4] الجملة محمولة على محل إن واسمها وقرأ حمزة والكسائي بالنصب حملاً على اسمها.

وأفاد الأستاذ: أن العبد إذا أنعم/ نظره في استواء قده وقامته واستكمال عقله وتمام تمييزه وما هو مخصوص به في جوارحه وحوائجه ثم فكر فيما عداه من الدواب في أجزائها وأعضائها ووقف على اختصاصه وامتياز بني آدم

من بين البرية من الحيوانات في الفهم والعقل والتمييز والعلم ثم في الإيمان والعرفان ووجوه خصائص أهل الصفة من هذه الطائفة من فنون الإحسان عرف تخصيصهم بمناقبهم وانفرادهم بفضائلهم في مراتبهم فاستيقن أن الله كرمهم وعلى كثير من المخلوقين قدمهم.

﴿وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ [الآية 5] مطر وسماءه رزقاً لأنه سببه ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الآية 5] يسبها ﴿وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ﴾ [الآية 5] باختلاف جهاتها وأنواع صفاتها وقرأ حمزة والكسائي وتصريف الريح ﴿ءَايَتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 5] فيه القراءتان المتقدمان.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل العلوم الدينية كسببية مصححة بالدلائل العقلية والشواهد النقلية فمن لم يستبصر بها زلت قدمه عن الصراط المستقيم ووقع في عذاب الجحيم فاليوم في ظلمة الحيرة والتقليد وفي الآخرة في تخليد الوعيد.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية 6] الآيات السابقة ﴿ءَايَتِ اللَّهِ﴾ [الآية 6] علامات قدرته ودلالات حكمته ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 6] ملتبسة بالصدق ﴿فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 6] أي بعد حديثه وهو القرآن لقوله الله نزل أحسن الحديث ﴿وَأَيْنِئْهُ﴾ [الآية 6] المذكورة والمعنى إذا لم تؤمنوا بما ذكرنا فبأي دليل بعد آياته المتلوة وعلاماته المنصوبة ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 6] وقرأ الحجازيان وأبو عمرو وحفص بالغيبة.

وقال الأستاذ: من لم يؤمن بها فبأي حديث يعترف ومن أي بحر في التحقيق يغترف هيهات ما بقي للأشكال في هذا من المحال.

﴿وَيْلٌ﴾ [الآية 7] هلاك شديد وعذاب أكيد ﴿لِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ [الآية 7] مبالغ في الكذب ﴿أَثِيرٍ﴾ [الآية 7] كثير الذنب.

﴿يَسْمَعُ ءَايَتِ اللَّهِ تُلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ [الآية 8] يقيم على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ [الآية 8] عن سماع ذكره ﴿كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾ [الآية 8] أي كأنه لم يسمع آيات ربه ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ [الآية 8] تهكماً به ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 8] على إنكاره وإصراره.

وأفاد الأستاذ: أن كلاً من آياته سبحانه صامت ناطق صامت عن القول والكلام ناطق بالبرهان في الأحكام فمن استمع بسمع الفهم / واستبصر بنور التوحيد فاز بذخر الدارين وتصدى لعز المنزلين ومن تصامم بحكم الغفلة وقع في وهدة الجهل ووسم بكى الهجر.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا﴾ [الآية 9] أي وإذا بلغه شيء وعلم أنه منها ﴿اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ [الآية 9] مهزوءاً بها من غير أن يرمي فيها ما يناسب استهزاؤها ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [الآية 9] غاية الإهانة جزاء وفاقاً في المعاملة.

وقال الأستاذ: اتخذها هزواً أي قابله بالعناد أو ناوله على ما يقع له من وجوه المراد من دون تصحيح بإسناد فهو لاء ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [الآية 9] مذل بين العباد وقد يكشف العبد من بواطن القلب بتعريفات لا يتدخله فيها ريب ولا يتخالجه منها شك فيما هو به من حالة فإذا استهان بها وقع في ذل الحجة وهوان الفرقة فعند هذه الفقرة في وقت هذه المحنة فلا عذر يقبل منهم ولا خطاب يسمع عنهم ولهم عذاب الضعف ولا يردون إلى ما كانوا عليه من الكشف.

فخل سبيل العين بعدك للبكا فليس لأيام الصفاء رجوع
﴿يَنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الآية 10] أي من قدامهم لأنهم متوجهون إليها أو من خلفهم لأنه بعض القضاء آجالهم يوقعون عليها ﴿وَلَا يُفْنِي﴾ [الآية 10] لا يدفع عنهم ما كسبوا [الآية 10] من الأموال والأبناء ﴿شَيْئًا﴾ [الآية 10] من الإغناء أو من العذاب والعناء ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 10] أي من الأصناف ﴿أُولَئِكَ﴾ [الآية 10] على زعم أنهم شفعاء ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية 10] ليس له انتهاء.

﴿هَذَا هُدًى﴾ [الآية 11] هذا القرآن برهان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَائِدُ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 11] مع ظهور أنوارها وبيان أسرارها ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 11] على إنكارها وقرأ ابن كثير وحفص برفع الميم والرجز عذاب عظيم.

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ [الآية 12] أي سطح بحره ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية 12] بتسخيره وأنتم راكبون على ظهره ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾

[الآية 12] بالتجارة والصيد والغوص ونحوه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية 12] ربكم على نعمه.

وأفاد الأستاذ: أنهم يركبون البحر فربما تسلم السفينة وربما تغرق وكذلك العبد في فلك الاعتصام في بحار التقدير يمشي بهم في رياح العناية مرفوع لهم شراع التوكل مرسى في بحر اليقين فإن هبت رياح السلامة نجت السفينة وإن هبت نكبا الفتنة لم يبق بيد الملاح شيء من الحيلة فعند ذلك 153/ ب المقادير / غالبية وبلغت الحناجر قلوب أهل السفينة.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية 13] بأن خلقها نافعة لكم منه حال كون تسخر هذه الأشياء كائنة ﴿مِّنْهُ﴾ [الآية 13] أو هي منه منه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 13] في صنعته ويقومون بشكر نعمته.

قال أبو يعقوب النهرجوري: سخر لك الكون وما فيه لئلا يسخرك شيئاً منه وتكون مسخراً لمن سخر لك الكل.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سخر لكم ما خلق من وجوه الانتفاع فيهما إذ ما من شيء من الأعيان الظاهرة إلا ومن وجه للإنسان به انتفاع فالسمااء لهم بناء والأرض لهم مهاد إلى غير ذلك فمن الغبن أن يستسخر ما هو مسخر لك وليتأمل العبد في كل شيء إن لم يكن أي خلل كان يرجع إلى الخلق فلولا الشمس كيف كانوا يتصرفون بالنهار ولو لم يكن الليل كيف يسكنون فيه ولو لم يكن القمر كيف كانوا يهتدون إلى الحساب والآجال وكذلك جميع المخلوقات.

ونقل القطب الرباني عبد القادر الجيلاني في كتابه «فتوح الغيب» عن ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله: ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الآية 13] أي الكل منه فقال: في كل شيء اسم من أسمائه واسم كل شيء من اسمه فإنما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله باطناً بقدرته وظاهراً بحكمته ظهر بصفاته وبطن بذاته حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالأفعال وكشف العلم بالإرادة وأظهر الإرادة بالحركات وأخفى الصنع في الصنعة وأظهر الصنع بالأدوات هو باطن في غيبه

وظاهر في حكمته وقدرته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية 11].

قال الشيخ: ولقد أظهر الله في هذا الكلام من أسرار المعرفة ما لا يظهر إلا من مشكاة فيها مصباح أمره رفع يد العصمة بابتها: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل أنا لنا الله من بركتهم وحشرنا في زمريهم.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا﴾ [الآية 14] يغفوا ويصفحوا ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الآية 14] لا يتوقعون وقائعه بأعدائه أو لا يأملون الأوقات التي عينها الله لنصر أحبائه ﴿لِيَجْزِيَ﴾ [الآية 14] أي الله ﴿قَوْمًا يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 14] علة للأمر والقوم هم المؤمنون أو الكافرون والكسب المغفرة أو الإساءة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ﴿لِيَجْزِيَ﴾ [الآية 14] / بالنون.

أ/154

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ندبهم إلى حسن الخلق وجميل العشرة والتجاوز عن الجهلة والتنقي من كدورات البشرية ومضايقات الشح والحالات النفسية ويبيّن أن الله لا يفوته أحد فمن أراد أن يعرف كيف يحفظ أوليائه ويهلك أعداءه فليصير أياماً قلائل ليعلم كيف صارت عواقبهم.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [الآية 15] لها ثوابه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَلَعَلَّهَا﴾ [الآية 15] عقابه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 15] فيجازيكم على أعمالكم وفق أحوالكم. وقال الأستاذ: من عمل صالحاً فله مهناه ومن ارتكب سيئة قاسى بلواه ثم مرجعه إلى مولاه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾ [الآية 16] التوراة ﴿وَالْحُكْمَ﴾ [الآية 16] الملك والحكومة أو الحكمة العلمية والعملية ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الآية 16] إذ كثر الأنبياء فيهم ما لم يكثر في غيرهم أو علوم النبوة من حسن سيرتهم وسمت طريقتهم ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الآية 16] الحلالات من المستلذات ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 16] أي عالمي زمانهم بإنزال الآيات الواضحات.

﴿وَعَآيِنَاهُمْ يَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ [الآية 17] أدلة في أمر الدين وتندرج فيه

المعجزات ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ [الآية 17] في ذلك الأمر ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ﴾ [الآية 17] بحقيقة الحال وما يترتب عليه من المآل ﴿بَيِّنًا بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 17] عداوة وحسداً فيهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 17] بالمؤاخذه للعاصين والمجازاة للمحسنين.

قال سهل: فتحنا أسماعهم لفهم خطابنا وجعلنا أفئدتهم وعاءً لكلامنا وكتابنا وأعطيناهم فراسة صادقة يحكمون بها في عبادنا حكم حق وإخبار صدق في هذه البينات من الأمر.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ [الآية 18] واضحة ﴿مِنْ الْأُمَرِ﴾ [الآية 18] أمر الديانة ﴿فَاتَّبَعَهَا﴾ [الآية 18] اتبع شريعتك الثانية بالحجج البينة ﴿وَلَا تَسْمَعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 18] أو الجهال التابعة للهوى أو الشهوة.

قال سهل: على منهاج من كان قبلك من الأنبياء والأولياء فإنهم على منهاج الهدى وسراج الضياء والشريعة هو الشارع الممتد الواضح إلى طريق النجاة وسبيل الرشد والصفاء والوفاء.

وقال الأستاذ: أي أفردناك بلطائف فاعرفها وبيننا لك طرائق فاسلكها وأثبتنا لك حقائق فلا تتجاوزها ولا تجنح إلى متابعة غيرك فيها.

154/ ب ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا/ عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الآية 19] مما أراد بك من العطاء أو العناء ﴿وَأَنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الآية 19] إذ الجنسية علة الانضمام فلا توألم باتباع أهوائهم ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 19] فواله بالتقى واتباع الشريعة والهدى أو فكن من الأولياء المتقين وحزبهم في مقام اليقين.

قال سهل: من استغنى بغير الله تعالى فبغناه افتقر ومن تعزز بغيره سبحانه فبعزه ذل واحتقر، ألا ترى أن الله يقول: ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الآية 19].

وقال الأستاذ: إن أراد الله بك نعمة فلا يمنعها أحد وإن أراد بك فتنة فلا يصرفها عنك أحد فلا تعلق بمخلوق فكرك ولا تتوجه بضميرك إلى غير

ربك والتجئ إليه وتوكل عليه واستسلم لديه.

﴿هَذَا﴾ [الآية 20] القرآن ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ [الآية 20] بينات تبصرتم وجهه العرفان بعمومهم ﴿وَهُدًى﴾ [الآية 20] من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً﴾ [الآية 20] ونعمة في الدلالة ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الآية 20] يطلبون اليقين في الدين بخصوصهم.

وأفاد الأستاذ: أن أنوار البصيرة إذا تألأت انكشفت دونها تهمة التجويز وناظر الناس على مراتب من نظر بهجوم نجومه وهو صاحب عقل ومن ناظر بنور فراسته وهو صاحب ظن ومن ناظر بتقوية روح ولكنه من وراء ستر ومن ناظر بيقين علم بحكم برهان وشرط فكر ومن ناظر بعين إيمان بوصف اتباع ومن ناظر بنور بصيرة هو على نهار وشمسه طالعة وسماؤه مصحية.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الآية 21] بل أظن الذين اكتسبوا الكفار والمعاصي ﴿أَنْ يَجْعَلَهُمْ﴾ [الآية 21] نصيرهم ﴿كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 21] أي مثلهم وهو ثاني مفعولي نجعل وقوله ﴿سَوَاءٌ نَجْعَلُهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ [الآية 21] الجملة بدل من الكاف والضميران للموصول الأول إذا المعنى إنكار أن تكون حياتهم ومماتهم سيئين في البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الآية 21] قبح حكمهم ذلك أو يؤس شيئاً حكموا به هنالك.

وقال الأستاذ: أي أمن خفضناه في حضيض الضعة كمن رفعناه في هواء المنعة ومن أخذنا بيده فنعشناه كمن داسه الخذلان فرجمناه ومن بعد بذل جهد واستفراغ وسع وإسبال دمع واحتراق قلب عذرناه / فرحمناه كمن 155/أ بسط وقت وإنس حال وروح لطف خصصناه فرقيناه وشكرناه ثم قربناه وأدنيناه يؤس ما يحكم قوم لا ولا يخافون أن يتوجه عليهم لوم.

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 22] المقتضي للعدل والصدق المستلزم للفرق بين المسيء والمحسن في الخلق وإذا لم يكن في الحياة فلا بد أن يكون بعد الممات ﴿وَلَيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الآية 22] من الخير والشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية 281] بتنقيص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية

ذلك ظلماً مع أنه لو فعله لم يكن منه إلا عدلاً لأنه لو فعله غيره لكان ظلماً ففي العبارة استعارة كالاتلاء والاختبار.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ [الآية 23] مهواه بترك متابعة الهدي إلى مطاوعة الهوى فكأنه يعيده ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ﴾ [الآية 23] خذله ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الآية 23] مع علم بضلاله وفساد جوهر روحه في ماله ﴿وَوَخَّخَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ [الآية 23] فلا يبالي بمواعظه ولا يتفكر في آياته ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًّا﴾ [الآية 23] فلا ينظر بعين بصيرة وعبرة وقرأ حمزة والكسائي عشوة ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الآية 23] من بعد إضلاله أو من غيره ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 23] يتعظون بوعظه ويتمثلون بأمره.

وأفاد الأستاذ: إن من لم يسلك سبيل المتابعة ولم يستوف أحكام الرياضة ولم ينسلخ عن حكم هواه بالكلية ولم يؤد به إمام مقتدى به فهو ينجر في كل وهدة ويهيم في كل ضلالة خسارانه أكثر من ربحه ونقصانه أوفر من رجحانه أولئك في ضلال بعيد يعملون القرب على ما يقع لهم من نشاط نفوسهم زمامهم بيد هواهم أولئك قد مكروا واستدرجوا من حيث لم يشعروا.

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الآية 24] يموت بعضنا ويحيى بعضنا ﴿وَمَا يُمِلُّكَ إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الآية 24] مرور الزمان وانقلاب الدوران ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الآية 24] يعني في نسبة الحوادث إلى الدهر وإنكار الحشر والنشر ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الآية 24] إذ لا دليل لهم عليه وإنما قالوه بناء على التقليد والإنكار لما لم يحسوا بعين التأيد.

وأفاد الأستاذ: اغتروا بما وجدوا عليهم سلفهم وخلفهم وزجوا في 155/ ب البهيمية عيشهم وعمرهم وأغفوا عن كد النكرة قلوبهم فلا بالعلم / استبصروا ولا من التحقيق استمدوا رأس مالهم الظن وهم غافلون.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ [الآية 25] واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ [الآية 25] أي متشبثهم عند معارضتهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَأْتُونَا بِبَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 25] وإنما سماه حجة على حسابانهم

ومساقهم في معرض بيانهم أو المراد حجتهم الداحضة.

﴿قُلْ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية 26] أولاً ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ [الآية 26] ثانياً ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ [الآية 26] بأحبابكم ثالثاً في قبوركم مستمرين ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية 26] لا ينبغي أن يكون فيه شبهة فإن من قدر على الإبداء قدر على الإعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازات والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها وكان يمكن الإتيان بالآباء لكن الحكمة اقتضت أن يعادوا يوم الجمع للجزاء ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 26] لقلة تفكرهم وقصور نظرهم.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 27] تعميم للقدرة بعد تخصيصها في الجملة ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْضَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الآية 27] أي يظهر خسرانهم ويتبين بطلانهم.

﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الآية 28] باركة مستوقدة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ [الآية 28] صحيفة أعمالها وحسابها ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 28] بثواب أعمالكم وعقابها.

﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ [الآية 29] أضاف صحائف أعمالهم إلى نفسه لأن كتابة الكتب إنما كانت بأمره ولا يبعد أن يراد بالكتاب اللوح المحفوظ فالإضافة للتشريف ﴿يَطُوعٌ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الآية 29] يشهد عليكم بما عملتم على وجه الصدق من غير زيادة أو نقصان ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ﴾ [الآية 29] ستكتب الملائكة ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 29] أي أعمالكم العامة.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الآية 30] التي من جملتها نعيم جنته ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الآية 30] الظفر الظاهر على المرادات لخلوصه عن شوائب الكدورات.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَاتِي عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 31] أي فيقال لهم: ألم يأتكم رسلي أفلم تكن آياتي تنلى عليكم ﴿فَأَسْتَكْبِرْتُمْ﴾ [الآية 31] عن الإيمان بها ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الآية 31] بمخالفتها.

وقال الأستاذ: فأما الذين آمنوا فلقد فازوا وسادوا وأما الذين كفروا فهلكوا وبادوا.

156/ أ

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 32] كائن صدق ﴿وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الآية 32] إفراد للمقصود من الموعود وقرأ حمزة بالنصب عطف على اسم إن ﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ [الآية 32] أي شيء الساعة استغراباً لها واستهجاناً بأمرها ﴿إِنْ نَظُنُّ﴾ [الآية 32] في وقوعها ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ [الآية 32] ضعيفاً لا يفيد الإيمان بها ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ﴾ [الآية 32] بإمكانها.

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ﴾ [الآية 33] ظهر عندهم ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ [الآية 33] قبحها أو جزاؤها ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية 33] أي وباله ووخامة مآله.

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ﴾ [الآية 34] نتركهم في العذاب ترك ما ينسى ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الآية 34] كما تركتم استعداده وما هيأتم زاده ﴿وَمَا وَنَكُمُ النَّارُ﴾ [الآية 34] في دار البوار ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [الآية 34] أي من أعوان وأنصار.

وقال الأستاذ: ويقال لهم أنتم الذين إذا قيل لكم في حديث عتابكم كذبتهم مولاكم فالיום كما نيستمونا نسيناكم والنار مأواكم.

﴿ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ ءَايَتَ اللَّهِ هُزُوًا﴾ [الآية 35] استهزأتم بهم ولم تتفكروا فيها ﴿وَعَزَّيْتُمْ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا﴾ [الآية 35] أي مالها وجاهها فحسبتم أن لا حياة سواها ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ [الآية 35] وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَدُونَ﴾ [الآية 35] ولا يطالب منهم أن يعتبوا ربهم في عصيانه ويرضوه لفوات أوانه.

﴿فَلِلَّهِ الْخَلْدُ﴾ [الآية 36] على ما يبدئ وينشئ ويجري ويمضي ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 36] إذ الكل بعض نعمته الدال على كمال قدرته وجمال حكمته.

﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ﴾ [الآية 37] الرفعة والعلاء والعظمة والبهاء ﴿فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضُ ﴿[الآية 37] إذ ظهر فيهما آثارها وتبين أنوارها ﴿وَهُوَ الْمَزِيدُ﴾ [الآية 37] الغالب في مراده ﴿الْكَلِيمُ﴾ [الآية 37] فيما قدر ودبر لعباده فاحمدوه وكبروه في بلاده.

قال سهل: العلو والقدرة والعظمة والحول والقوة له في جميع المملكة فمن اعتصم به أيده بحوله وقوته ومن اعتمد على نفسه وكله الله إلى حاله وحركته.

سورة الأحقاف

[مكية]

وهي أربع⁽¹⁾ وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله كلمة للقلوب سالبة حكمة للقلوب غالبية واهبة ناهية للمطيعين واهبة ومن العارفين ناهية فالذين تهبهم فلهم لطفه والذين تنهاهم فمن محقه فهو عنه خلفه.

﴿حَمْدٌ﴾ [الآية 1] حميت قلوب أهل عنايتي فصرفت عنها خواطر التجويز وأثبتها في مشاهد اليقين بنور التحقيق فلاح فيها شواهد برهانهم فأضفنا إليها لطائف إحسانهم فكملنا منالهم من عين الوصلة وغذيناهم بنسيم الإنس في ساحات القربة.

156/ب / ﴿تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الآية 2] المعز للمؤمنين بإنزال كتابه عليهم المحكم لكتابته عن التبديل والتحويل لديهم.

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الآية 3] إلا خلقاً ملتبساً بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والعدل والصدق وقيل: دليل على وجود الصانع وحكمته وجوده وإشارة إلى البعث للمجازاة بمقتضى موعوده ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الآية 3] أي وبتقدير أجل معين ينتهي إليه الكل وهو يوم القيامة أو كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له في القسمة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا﴾ [الآية 3] من هول ذلك الوقت ونزول العذاب وحصول المقت ﴿مُعْرِضُونَ﴾ [الآية 3] لا يتفكرون في

(1) كذا في الأصل المخطوط.

أمره ولا يستعدون لحلوله.

قال ابن عطاء: خلق السماوات والأرض وأظهر فيهما بدائع صنعته وبوادي قدرته فمن نظر إليهما ورأى آثار الصنع فهو لنقصه من نظر وشاهد الصانع فهو لتحقيقه.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الآية 4] أي أخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل أن يكون لها مدخل في أنفسها في خلق شيء من أجزاء العالم سفلياتها وعلوياتها فتستحق العبادة لأجلها ﴿أَتُنْثِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا﴾ [الآية 4] الكتاب وهو القرآن فإنه ناطق بالتوحيد وطريق الصواب ﴿أَوْ أَتُفَرِّقُ مَنَّا عَلَى﴾ [الآية 4] أي من بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين الصادرة من نقول الأنبياء أو عقول الحكماء هل فيها على استحقاق العبادة للأصنام ونحوها ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 4] في دعوكم بالوحياتها وهو إلزام بعدم ما يدل على ألوهيتها نقلاً بعد إلزامهم بعدم ما يقتضيها عقلاً.

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 5] أي ما يعبد ما سواه ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ﴾ [الآية 5] حين دعاه ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية 5] أي في حين ومدة ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ﴾ [الآية 5] أي عبادتهم أو ندائهم ﴿غَافِلُونَ﴾ [الآية 5] لأنهم إما جمادات لا يعقلون وأما عباد مسخرون وبأحوالهم مشغولون.

وقال الأستاذ: وأي أثر منهم في الملك أو القدرة والمضرة إن كان لكم حجة فأظهروها أو دلالة فيبينوها وإذ قد عجزتم عن ذلك وعلمتم فهلا رجعتم عن غيكم وأقلعتم ومن أشد ضللاً ممن عبد الجماد الذي ليس له حياة ولا منة في النفع والضرر إثبات.

/ ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ﴾ [الآية 6] ليجازوا جزاء ﴿كَثُرُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ﴾ [الآية 6] 157/ أ يضررونهم ولا ينفعونهم كما ظنوا أنهم شفعاء ﴿وَكَاوُوا بِبِعَادِهِمْ كُفْرِينَ﴾ [الآية 6] مكذبين بلسان الحال أو بيان القول.

وقال سهل: هي نفوسهم التي أقادتهم إلى متابعتها.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٌ﴾ [الآية 7] واضحات أو مبينات ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾ [الآية 7] لأجل الأمر الحق وفي شأن القول الصدق ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [الآية 7] حين جاءهم من غير نظر في أمره وتأمل في حكمه ﴿هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 7] ظاهر بطلانه ومتحایل برهانه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [الآية 8] أفترى على الله كذباً على وفق مهواه ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ﴾ [الآية 8] فرضاً وتقديراً ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الآية 8] فلا تقدرون على دفع شيء مني ولو بالحيلة إن عاجلني الله بالعقوبة فكيف اجتري عليه بما يكون سبباً للمضرة ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [الآية 8] تندفعون به من القدح في آياته وتخوضون في معارضة بيناته ﴿كَفَىٰ بِهِ﴾ [الآية 8] بالله ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية 8] يشهد لي بالصدق وتبليغ الحق عليكم بالكذب والإنكار مع الإصرار ﴿وَهُوَ أَفْقَرُ الرَّحِيمِ﴾ [الآية 8] وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن منهم وإشعار بحكم الله مع عظم ما صدر عنهم.

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الآية 9] بديعاً منهم ادعوكم إلى ما لا يدعون إليه أو أقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الإتيان بالمقترحات لديه.

وقال الأستاذ: أي لست بأول رسول أرسلت ولا بغير ما جاؤوا في أصول التوحيد حيث إنما أمرتكم بالإخلاص في العبادة والصدق في العبودية والدعاء إلى محاسن الأخلاق البشرية ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [الآية 9] ما يفعل ربنا بنا في الدارين مفصلاً إذ لا علم لي بالغيب إلا مجملاً ﴿إِنْ أُنِجُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الآية 9] أي ما أتجاوز ما نزل علي وهو جواب عن استعجال المسلمين أن يتخلصوا من أذى المشركين ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 9].

قال الأستاذ: وفي الآية دليل على فساد قول أهل القدر أن إيلام البريء قبيح في العقل لأنه لو لم يجز ذلك لكان يقول أعلم قطعاً إنني رسول الله معصوم فلا محالة يغفر لي ولكنه قال ما أدري ما يفعل بي ولا بكم ليعلم أن الأمر أمره والحكم حكمه له أن يفعل بعباده وفق مراده.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [الآية 10] نزل من عنده على عبده

/ ﴿وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿[الآية 10] وهو عبدالله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ [الآية 10] وهو كونه من عند ربه ﴿فَتَأْمَنَ﴾ [الآية 10] بالقرآن ﴿وَأَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الآية 10] عن الإيمان ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 10] إلى سبيل الإتيان وطريق العرفان.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 11] لأجلهم وفي حقهم ﴿لَوْ كَانَ﴾ [الآية 11] الإيمان ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الآية 11] إذ عامتهم موالي وفقراء ورعاء الشاء قاله جماعة من قريش أو يهود كانوا عظماء وأغنياء ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ [الآية 11] ظهر عنادهم في حقه ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الآية 11] كما قالوا ما هذا إلا أساطير الأولين.

﴿وَمِن قَبْلِهِ﴾ [الآية 12] قبل القرآن وهو خبر لقوله ﴿كِتَابٌ مُّوسَىٰ﴾ [الآية 12] ناصب لقوله ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [الآية 12] على الحال ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ﴾ [الآية 12] أي لما بين يديه وقد قرئ به أن لما تقدمه من جميع كتب الله النازلة على رسله ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 12] حال من ضمير كتاب في مصدق ﴿لِنُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 12] علة مصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر والبرزي بخلاف عنه بالخطاب ﴿وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية 12] عطف على محله والمعنى إنذار للمسيئين وبشارة للمحسنين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [الآية 13] على ما أمره وقضاه جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلوم الدينية والاستقامة في الأمور التي هي منتهى الأعمال الأخروية وثم للدلالة على تأخر رتبة عمل الإحسان وتوقف اعتباره على معرفة التوحيد وعلم الإيمان ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 13] من لحوق مهروب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية 13] على فوات محبوب.

وأفاد الأستاذ: أن من خرج على الإيمان والاستقامة حظي بكل الكرامة ووصل إلى جزيل السلامة وقيل: السنين في الاستقامة للطلب وإن المستقيم هو الذي يبتهل إلى الله تعالى في أن يقيمه على الحق ويثبته على الصدق.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 14] من

اكتساب الفضائل العملية بعد حصول الفواضل العلمية.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الآية 15] وقرأ الكوفيون إحساناً قال بعضهم: أوصى الله تعالى العوام ببر الوالدين لما لهما عليهما من نعم التربية والحفظ فمن حفظ وصية الله / في الأبوين وفقه ببركة ذلك حفظ حرمت الله وكذلك رعاية سائر الأوامر والمحافظة عليها توصل بركاتها بصاحبها إلى محل الرضا والإنس ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الآية 15] ذات كراهة ومشقة وقرأ الحجازيان وأبو عمر وهشام بالفتح ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصَلُّهُ﴾ [الآية 15] ومدة حملة وفطامه ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الآية 15] كل ذلك بيان لزيادة ما تكابده الأم في تربيته الولد مبالغة في الوصية بها، ولذا قال عليه السلام: «بِرَّ أُمِّكَ ثُمَّ أُمِّكَ ثُمَّ أُمِّكَ ثُمَّ أَبَاكَ»⁽¹⁾ وقيل: دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه إذا حط عنه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ففي ذلك وتخصيص أقل الحمل وأكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [الآية 15] استحکم عقله وقوته ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الآية 15] وهو وقت كمال هدايته فقد قيل: لم يبعث نبي إلا بعد الأربعين ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ [الآية 15] ألهمني أو وفّقني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي﴾ [الآية 15] من النعم الدينية والدنيوية.

قال بعضهم: إنما الشكر المعرفة بالعجز عن الشكر وأن توفيق الشكر يوجب الشكر إلى ما لا نهاية لذلك ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [الآية 15] أي عملاً يصلح لقبوله ويستجلب رضاه.

قال ابن عطاء: العمل الصالح المرضي ما يصلح للعرض على الحق وقال أيضاً: وفقهم لصالح الأعمال ترضى بها عنهم.

وقال محمد بن علي: لا تجعل للشيطان والنفس والهوى عليهم سبيلاً ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الآية 15] واجعل لي الصلاح سارياً في ذريتي.

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (19/ 405) رقم (959)، وأبو داود في السنن (499/4) رقم (5141).

وقال سهل: اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حق ﴿إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ﴾ [الآية 15] عما لا ترضاه أو يشغل عنك ﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية 15] المنقادين المخلصين.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ [الآية 16] يعني طاعتهم فإن المباح حسن ولا يثاب عليه إلا عند تحسين نياتهم ﴿وَنَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [الآية 16] لتوبتهم أو محو خطيئتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما ﴿فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ [الآية 16] كائنين في عدادهم ﴿وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الآية 16] من قبل الحق.

﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِي﴾ [الآية 17] وقرأ هشام أتعداني بنون واحدة مشددة ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ [الآية 17] من القبور للبعث / والنشور ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ [الآية 17] فلم يرجع أحد منهم قبلي ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ [الآية 17] يقولان الغياث بالله منك ومن قولك ويسألانه أن يعيثن بالتوفيق للإيمان ﴿وَيْلَكَ ءَامِنٍ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 17] وأخباره صدق ﴿فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 17] أباطيلهم التي كتبها بعض المتقدمين.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ [الآية 18] بأنهم أهل النار ﴿فِي أَمْرِ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [الآية 18] بيان للآثم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ [الآية 18] في معاملتهم غير رابحين في تجارتهم خسروا في الدنيا والآخرة وضيعوا رؤوس أموالهم في مدة أعمارهم الذخرة حيث لم يصرفوها في تحصيل الأحوال الفاخرة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمر الإنسان برعاية حق والديه على جهة الاحترام لما عليه لهما من حق التربية والإنعام ورعاية حق الأم من حيث الشفقة والإكرام وإذا لم يحسن حرمة من هو من جنسه فهو أبعد من مراعاة حق سيده ولو لم يكن في هذا الباب إلا قوله صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخط الله في سخطهما لكان ذلك كافياً وللمقصود وافياً وقد وعد الله على بر الوالدين قبول الطاعة بقوله: أولئك الذين نتقبل عنهم

الآية فقبول الطاعة وغفران الزلة مشروط ببر الوالدين وقد ذم الذين اتصفوا في حقهما بالتأفيف وفي ذلك تنبيه على ما رواه في التعنيف فحكم أن صاحبه من أهل الخسران والخسران نقصان في الإيمان فسبيل العبد في رعاية حق الوالدين أن يصلح ما بينه وبين الله فحينئذ الله يصلح بينه وبين غيره وشر خصال الولد في رعاية حق الوالدين التبرم بطول حياتهما والتأدي بما يحفظ من حقهما وعن قريب يموت الأصل وقد يبقى النسل ولا بد من أن يتبع الأصل ولقد قالوا في هذا المعنى رويدك إن الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين فانتظر الدهر.

﴿وَلِكُلٍّ [الآية 19] مِنَ الْفَرِيقَيْنِ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ [الآية 19] مراتب لجزاء أعمالهم من الخير والشر في أحوالهم والدرجات مستعملة في المثوبات كما أن الدرجات / في العقوبات وهانها جاءت على أصل اللغة أو بحسب الغلبة 159/ أ ﴿وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ﴾ [الآية 19] جزاءها وقرأ نافع وابن ذكوان وحمزة والكسائي بالنون ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية 19] بنقض ثواب أو زيادة عقاب بل ليس هنالك إلا عدل أو فضل.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الآية 20] يعذبون بها كعرض الكتاب عليها ﴿أَذْهَبَتْ﴾ [الآية 20] أي يقال لهم أذهبتم وقرأ ابن كثير وابن عامر بالاستفهام ﴿طَبَّعَكُمْ﴾ [الآية 20] لذاتكم ﴿فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا﴾ [الآية 20] باستيفاء شهواتكم ﴿وَأَسْمَنْعُكُمْ بِهَا﴾ [الآية 20] فما بقي لكم شيء منها ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الآية 20] الهوان وقد قرئ به ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِفِرَ الْخَقِ﴾ [الآية 20] بغير استحقاق ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الآية 20] تخرجون عن طاعة الله من خلاف وشقاق.

قال الواسطي: من أسره شيء من الأكوان الفانية دق أو جل أو لاحظها بقلبه أو بعينه فقد دخل تحت قوله: ﴿أَذْهَبَتْ طَبَّعَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا﴾ [الآية 20].

وأفاد الأستاذ: أن سبيل العبد أن لا ينسى في كل حال معبوده حتى إذا

كان معه همه وسروره أو معه مناجاته في رجائه وبلائه فإن طاب له وقت أو اتفق أن يحصل له أنس أو يغلب عليه رجاء وبسط أو يهجم على قلبه قبض أو يمسسه حزن فخطابه ربه فيه فلا يكون من جملة من يقال له: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ [الآية 20].

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ [الآية 21] أي هود عليه السلام ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ [الآية 21] جمع حقف بالكسر وهو رمل مستطبل مرتفع فيه انحناء وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشجر من اليمن ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْبُحُورُ﴾ [الآية 21] أي الرسل ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ [الآية 21] قبل هود وبعده ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الآية 21] أي لا تعبدوا سواه ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 21] بسبب إصراركم على أشر الحكم.

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَّكِفَ عَنْ آلِهَتِنَا﴾ [الآية 22] لتصرفنا عن عبادتها ﴿فَأَنزَلْنَا بِمَا نَعْبُدُونَ﴾ [الآية 22] من العقوبة على إشراكها ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الآية 22] في دعوى نزولها.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 23] لا علم لي بوقت عذابكم وإنما علمه عند ربي فيأتيكم به في وقته قدر لكم ﴿وَأُتِلَّكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ [الآية 23] إليكم وما علي إلا تبليغ ما وجب عليكم ﴿وَلَكِنِّي / أَرْكُزُ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [الآية 23] فيما اخترتم لديكم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ [الآية 24] أي العذاب ﴿عَارِضًا﴾ [الآية 24] سحاباً عرض ونشأ في أفق من السماء ﴿مُسْتَقِيلًا أَوْدِيْنِهِمْ﴾ [الآية 24] متوجهاً من سائر جهاتها ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الآية 24] ممطر لنا ﴿بَلْ هُوَ﴾ [الآية 24] أي قال هود ليس كما تظنون أنه السحاب بل هو ﴿مَا أَسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ [الآية 24] من العذاب ﴿رِيحٌ﴾ [الآية 24] أي هو ريح عقيم ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 24].

﴿تُدْمِرُ﴾ [الآية 25] أي تهلك وقد قرىء به ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 25] من نفوسهم وأموالهم ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الآية 25] إذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون إلا بمشيئته ووفق حكمته ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى﴾ [الآية 25] أيها المخاطب لو

حضرت في مكانهم وزمانهم ﴿إِلَّا مَسْكَنُهُمْ﴾ [الآية 25] خالية عن أعيانهم وقرأ عاصم وحمزة بالياء المضمومة ورفع مسكنهم ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 25] أي وننجي المؤمنين فقد روي أن هود عليه السلام لما أحس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فأملت الأحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وفرقهم من البر في البحر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن قصة هود وقومه عاد وما جرى بينهم من الخطاب وما توجه عليهم من العقاب وأخذهم بأليم العقاب.

﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيْمَا إِن مَكَّنَّكُمْ فِيهِ﴾ [الآية 26] إن نافية وهي أحسن موقعاً من هنا لأنها توجب تكرير المبنى وما موصولة أو موصوفة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً﴾ [الآية 26] ليعرفوا تلك النعم بأسرها ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها ويداووا في فكرها وذكرها فلم يلتفتوا إليها واغتروا بها وطغوا لديها ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 26] أي ما دفع عنهم شيئاً من الإغناء أو العناء ﴿إِذْ كَانُوا يَمْجَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية 26] المنزلة أو بحجج أنبيائه المرسله ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية 26] من العقوبة الموعودة.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾ [الآية 27] يا أهل مكة ﴿مِنْ الْقُرَى﴾ [الآية 27] كحجر ثمود وقرى قوم لوط عليه السلام ﴿وَصَرَفْنَا أَلْيَتِ﴾ [الآية 27] بتكريرها وزيادة تقديرها ﴿لَهُمْ يَرْجِئُونَ﴾ [الآية 27] عن إنكارها.

﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءِلَهَةً﴾ [الآية 28] بدل أو عطف بيان والمعنى / فهلا منعهم من إهلاكهم آلهتهم الذين يتقربون بهم إلى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴿بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ﴾ [الآية 28] غابوا عن نصرهم بل ولم يدروا عن أمرهم من نفعهم وضرهم ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ [الآية 28] أي أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [الآية 28] من أنواع الجهالة وأصناف الضلالة فلن يغني عنهم ما أتيناهم حين ما أهلكناهم.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا﴾ [الآية 29] أملنا ووجهنا ﴿إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمُونَ أَلْقُرَّانَ﴾ [الآية 29] حال ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ [الآية 29] أي القرآن أو الرسول ﴿قَالُوا﴾ [الآية 29] أي بعضهم لبعض ﴿أَنْصِتُوا﴾ [الآية 29] اسكتوا لتسمعة ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ [الآية 29] فرغ من قراءته ﴿وَلَوْأَ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الآية 29] مخوفين إياهم بما سمعوا من هداهم روي أنهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده أو يصلي بأصحابه الفجر على ما رواه الشيخان⁽¹⁾.

قال محمد بن سليمان: ليس في مقام الحضرة إلا الخمول والذبول والسكون تحت موارد الهيبة مع الذلول.

وقال النصرآبادي: هيبة المشاهدة إذا طالعت السرائر بحقائقها أخرست الألسن عن النطق في مشهدها كالجن لما حضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد أن يقرأ عليهم أوصى بعضهم بعضاً بالإنصات تأدباً لديه.

وأفاد الأستاذ: أن الصيحة على الباب وفي البساط هيبة لأولي الألباب لما حضر الجن بساط خدمته عليه السلام تواصلوا فيما بينهم بحفظ أدب المقام فلما حضروه ﴿قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ [الآية 29] فأهل الحضور صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوقار وأما الثوران والانزعاج فيدل على غيبة أو غفلة أو قلة تيقظ أو نقصان اطلاع من الحضرة.

﴿قَالُوا يَفْقَهُمُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ [الآية 30] من العقائد اليقينية ﴿وَالْكَ طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 30] من الشرائع الدينية.

وقال ابن عطاء يهدي إلى الحق في الباطن وإلى طريق مستقيم في الظاهر.

﴿يَقُولُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الآية 31]

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (2/ 495) رقم (3701) وأورده البيضاوي في تفسيره (1/ 185).

160/ ب بعضها وهو ما يكون في خالص حق الله فإن المظالم كالقصاص لا تغفر/ بالإيمان كذا في التأويلات ذكره صاحب المدارك ﴿وَيُجْزَكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الآية 31] مما هو معد للكفار واحتج أبو حنيفة وحده رحمه الله باقتصارهم على المغفرة والإجازة على أن لا ثواب لهم في الآخرة والأظهر كما عليه الأكثر أنهم كبني آدم كما يدل عليه ما في سورة الرحمن من مشاركتهم للإنسان فيما ذكر من نعيم الجنان.

﴿وَمَنْ لَا يُجِيبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 32] إذ لا ينجى منه مهرب ﴿وَلَيْسَ لَكُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ [الآية 32] يمنعونه من عذاب ربه ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 32] حيث أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه ولم يلتفتوا إلى طاعة من هذا سلطانه.

قال سهل: لا يجيب الداعي إلا من سمع النداء ووفق لجواب الدعاء وإلا فمن يقدر أن يجيب هذه الدعوة وقال أيضاً: في قلب كل مؤمن داع يدعو إلى رشده والسعيد من سمع دعاء الداعي وتبعه في حكمه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ [الآية 33] ألم يتفكروا ولم يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَئْتِ بِخَلْقِهِنَّ﴾ [الآية 33] ولم يتعب ولم يعجز في إبدائهن وإبقائهن فإن قدرته واجبة لا تنقضي بالإيجاد ولا تنقطع بالإمداد ﴿بِقَدِيرٍ﴾ [الآية 33] الباء مزيدة لتأكيد النفي أي قادر ﴿عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [الآية 33] انتهاء كما قدر على أحبابهم ابتداء ﴿بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 33] تقدير للقدرة على وجه العام فيكون كالبرهان على المقصود التام.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الآية 34] أي يقال لهم ﴿أَلَيْسَ هَذَا الْعَذَابُ﴾ [الآية 34] الثابت في الكتاب ﴿قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾ [الآية 34] رب الأرباب ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية 34] في مقام الحجاب.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الآية 35] أولوا الشبث والجد والحزم منهم فإنك من جملة بل ومن أجلتهم ومن للتبيين أو للتبعض وأولوا العزم أصحاب الشرائع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها

وتكريرها ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام أو المراد بهم الصابرون على بلائه كنوح صبر على أذى قومه وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على ذبحه ويعقوب على مفارقة/ ولده 161/أ وفقد بصره ويوسف على محنة حبه ومشقة سجنه وأيوب على ضره وموسى على طغيان فرعون وشره وداود بكى على خطيئته أربعين سنة من عمره وعيسى لم يضع لينة على لينة في دهره وقال: إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال تعالى في آدم: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عِزًّا﴾ [طه: الآية 115]، وفي يونس: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْأُتُوْتِ﴾ [القلم: الآية 48]. وفي «تفسير السلمي»: أن الدنيا أسست على المحن والبلوى وليس لها دواء إلا الصبر في العناء.

وقد قال ابن عطاء الله: ما دمت في هذه الدار لا تستغرب وقوع الأكرار.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر هو الوقوف لحكم الله والثبات من غير بث ولا استكراه ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ هُمْ﴾ [الآية 35] لكفار قريش بالعذاب وأمهلهم فإنه لا محالة نازل بهم في وقت عين لهم ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ [الآية 35] من آثارنا ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾ [الآية 35] استقصروا من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى تحسبوها ساعة في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن مدة الخلق من مبتدأ وقتهم إلى منتهى أجلهم بالإضافة إلى الأزلية كلحظة بل هي أقل من لمحة إذ الأزل لا ابتداء له ولا انتهاء وأي خطر لما حصل في لحظة خيراً كان أو شراً بلاغ هذا القرآن أو هذه السورة ﴿بَلِّغْ﴾ [الآية 35] أي كفاية لمن قدر له هداية ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الآية 35] الخارجون عن الطاعة من البداية أو في النهاية.



[مدنية أو مكية]
وهي ثمان وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: من ذكر بسم الله جلّت رتبته، ومن عرف بسم الله صفت حالته، ومن أحب بسم الله استكملت قضيته، ومن صحب بسم الله امتحنت أنانيته وتلاشت بالكلية جملته.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 1] أي ومنعوا غيرهم عن سلوك طريق فيه خيرهم ﴿أَصْلَحَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الآية 1] جعل مكارمهم كصلة الأرحام وفك الأسارى وشفقة الأيتام ضائعة لامتناعهم عن الإسلام.

وقال الأستاذ: ﴿كَفَرُوا﴾ امتنعوا ﴿وَصَدُّوا﴾ ومنعوا فلأنهم امتنعوا عن الله استوجبوا العقوبة ولأنهم منعوا الخلق عن الله استحقوا الحجة والغيبة.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 2] يعم المجاهدين والأنصار 161/ ب ﴿وَعَامِنُوا﴾ [الآية 2] من أخيار الأحرار ﴿بِمَا نَزَّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ [الآية 2] تخصيص / للمنزل عليه مما يجب الإيمان به تعظيماً له وإشعاراً بأن الإيمان لا يتم دونه ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 2] أي الثابت الذي لا نسخ بعده ﴿كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [الآية 2] محا عنهم ما صدر منهم من مساوئ أعمالهم ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [الآية 2] حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد في غالب أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: إن الكفر للأعمال محبط والإيمان للتخليد في العذاب مسقط ويقال: [الذين اشتغلوا] بطاعة الله ولم يعملوا شيئاً مما خالف الله فلا

محالة نقوم بكفاية أشغالهم لله .

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 3] ما ذكر من الإضلال والتكفير والإصلاح ﴿يَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 3] وهو تصريح بعد تلويح في بيان أمرهم.

قال ابن عطاء: أتباع الأوامر والسنن وأتباع الباطل ارتكاب الشهوات أو ما في النفس ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ [الآية 3] يبين لهم أحوالهم والمعنى يضرب أمثال هؤلاء لسيئاتهم وأمثال هؤلاء لحسناتهم.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 4] في المحاربة ﴿فَضْرِبَ الرِّقَابِ﴾ [الآية 4] أي فاضربوا ضرب الرقاب أو فالزموه فإنه أنفع هذا الباب ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَرَقُونَهُمْ﴾ [الآية 4] أكثرتم قتلهم وأغلظتم فشلهم ﴿فَشُدُّوا أَلْوَتَاقَ﴾ [الآية 4] فأسروهم واحفظوهم بالوثاق ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [الآية 4] فأما تمنون مئاً أو تفدون فداء والمراد والتحية بعد الأسر بين المن والإطلاق وبين أخذ الفداء وهو ثابت عند الشافعية فإن الذكر الحر المكلف إذا أسر تخير الإمام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق ومنسوخ عند الحنفية أو مخصوص بحرب بدر فإنهم قالوا يتعين القتل والاسترقاق.

وأفاد الأستاذ: في بيان المراد أنه إذا حصل الظفر بالعدو فالفدوا عنهم وترك المبالغة في النكير عليهم موجب للندامة وتضييع للفرضية بل الواجب إزهاق نفوسهم واستئصال أصولهم وكذلك العبد إذا ظفر بنفسه فلا ينبغي أن يبقى في انتقاش شوكها بقية ولا في قلع شجرها شظية فالحية وإن بقيت من الحياة بقية فيها فمن وضع عليها أصبعاً بثت فيه سمها لكن إذا رأى في حال المجاهدة مع النفس أن في إغفاء ساعة وإفطار يوم ترويح لها من الكد وقوة لها على الجهد فيما يستقبل له من الأمر فذلك على ما يحصل به الاستصواب/ من لسان شيخ أو فتوى بيان وقت أو فراسة صاحب مجاهدة 162/أ ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [الآية 4] آلتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها كالسلاح والكرع ونحوها والمعنى حتى تنقضي الحرب ولم يبق إلا مسلم أو مسلم

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 4] أي الأمر فيهم ﴿وَلَوْ بَشَاءَ اللَّهِ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ [الآية 4] لانتقم منهم باستئصالهم ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [الآية 4] ولكن أكرمكم بقتالهم ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم لهم والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن كفرهم ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 4] أي جاهدوا في طريق رضاه وقرأ أبو عمرو وحفص قتلوا أي استشهدوا ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الآية 4] فلن يضيعها بل يعطيها آمالهم ويعظم ثوابهم ويكرم ما بهم.

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ [الآية 5] سيثبت هدايتهم ﴿وَيُضِلُّجَ بَالَهُمْ﴾ [الآية 5] شأنهم وحالهم. ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ [الآية 6] في الدنيا حتى اشتاقوا إليها فعملوا ما به استحقوها أو بينها لهم في العقبى بحيث يعلم كل أحد مسكنه ويهدي إليه كأنه كان ساكنه.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَصُرُّوهُمُ﴾ [الآية 7] دينه ورسوله ﴿يَضُرُّكُمْ﴾ [الآية 7] على عدوكم ﴿وَتُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ﴾ [الآية 7] في القيام بحقوق إسلامكم والمجاهدة مع مخالف نظامكم.

وقال الحكيم الترمذي: إن أكرمتهم أوليائي أكرمكم.

وأفاد الأستاذ: أن نصره الله من العبد نصره دينه بإيضاح الدليل وتبيينه ونصرة الله للعبد بإعلاء كلمته وقمع أعداء ملته.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ﴾ [الآية 8] فعثاراً ودماراً حاصلًا لهم وخاصاً بهم.

وقال الأستاذ: لعناً وطرذاً وقمعاً وبعداً وانتصابه بفعله الواجب إضماره سماعاً ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الآية 8] ضيع أحوالهم وأبطل آمالهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ [الآية 9] من القرآن لما فيه من التكاليف المخالفة لما ألفه طباعهم ﴿فَأَحْطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الآية 9] حيث لم تكن على وفق هداهم بل كانت على طريق هواهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما زاغوا بقلوبهم أزاغوا بالتلبيس في معاملاتهم

أحبط الله أعمالهم وهتك أستارهم وأظهر للمؤمنين أسرارهم وأحمد نارههم.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 10] بأبدانهم أو بأبصارهم ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 10] أي مآل حال كفارهم ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 10] استأصل ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم وديارهم وآثارهم ﴿وَاللَّكَفِرِينَ أَمْثَلَهَا﴾ [الآية 10] أشباه تلك العاقبة من العقوبة والمهلكة.

﴿ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 11] ناصرهم على أعدائهم ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [الآية 11] يرضى عنهم فيدفع العذاب منهم.

قال أبو عثمان: هو معين من أقبل عليه وناصر من استغاث لديه.

وأفاد الأستاذ: أن المولى قد يكون بمعنى المحب فهو ﴿مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي يحبهم ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [الآية 11] لا يحبهم ويصح أن يقال هذه أرجى آية في القرآن حيث لم يقل مولى الزهاد والعباد وأصحاب الأوراد وأرباب الاجتهاد بل قال: ﴿مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 11] والمؤمن وإن كان عاصياً فهو من جملة الذين آمنوا لا سيما وآمنوا فعل والفعل لا عموم له.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ﴾ [الآية 12] ينتفعون بمتاع الدنيا من الحرام ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ [الآية 12] حريصين غافلين عن عاقبة الأيام ووخامة الآثام ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [الآية 12] منزل ومقام على الدوام.

وأفاد الأستاذ: أن الأنعام تأكل بلا تمييز بين الحلال والحرام كذلك الكافر غفول والأنعام ليس وقت لأكلها بل تأكل في كل وقت حصل لها كذلك الكافر أكل.

وفي الخبر: «أن الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن في معى واحد»⁽¹⁾. ويقال: هي تأكل على الغفلة فمن كان في حال أكله ناسياً لربه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (5393)، ومسلم في الصحيح (182/2060).

فأكله كآكل الأنعام في وصفه .

﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ [الآية 13] أي على حذف المضاف وهو الأهل وإجراء أحكامه على المضاف إليه مجازاً والإخراج باعتبار التسبب ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [الآية 13] بأنواع العذاب ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [الآية 13] يكشف عنهم الحجاب قال بعضهم: لم يخرج النبي صلى الله عليه وسلم خوفاً منهم كما خرج موسى عليه السلام ولكنه خرج حين أُخْرِجَ ألا ترى أن الله يقول أخرجتك ولم يقل خرجت ولا فررت ولا نزعت لأنه بالله والله في جميع أوقاته فلم يجز عليه الالتفات إلى غير ذات الله ومشاهدة صفاته.

163/ أ

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الآية 14] حجة من عنده وبيان وهو القرآن أو ما يعمه من البرهان ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ [الآية 14] من الشرك والعصيان ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الآية 14] من غير شبهته لهم فضلاً عن حجة عندهم .

وأفاد الأستاذ: أن البينة الضياء والحجة والاستبصار بواضح المحجة فالعلماء في ضياء برهانهم والعارفون في صفاء بيانهم فهؤلاء بأحكام أدلة الأصول يبصرون وهؤلاء بحكم الإلهام والوصول يستبصرون .

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الآية 15] أي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وحالتها الغريبة أو صفتها ما يذكر منها أن ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [الآية 15] وقرأ ابن كثير أسن بالقصر أي غير متغير طعمه ولونه وريحه ﴿وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ [الآية 15] لم يصر قارصاً ولا حامضاً ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [الآية 15] لذيدة لهم لا كراهة طعم وريح في ابتدائها ولا غائلة سكر وخمار في انتهائها ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصًّى﴾ [الآية 15] لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وأمثالها والمعنى أن في العقبى جميع ما يستلذ منها في الدنيا مجرداً عما ينقصها وينغصها ومعدداً لأهلها بكثرتها واستمرار مدتها ﴿وَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الآية 15] صنف شريف ونوع لطيف خارج عن جنس المشاهدات ﴿وَمَقْفَرَةٌ مِّن رَّيِّهِمْ﴾ [الآية 15] عن السيئات والغفلات ﴿كَمَنْ هُوَ خَلَدٌ فِي النَّارِ﴾ [الآية 15] أي أفمن هو خالد في هذه الجنة كم هو خالد في العقوبة ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً﴾ [الآية 15]

مكان تلك الأشربة ﴿فَقَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [الآية 15] من فرط الحرارة.

وقال الأستاذ: كذلك اليوم للأولياء لهم شراب الوفاء ثم شراب الصفاء ثم شراب الولاء ثم شراب في حل اللقاء ولكل من هذه الأشربة محمل ومحو ولصاحبه سكر وصحو فمن تحسى شراب الوفاء لم ينظر في أيام غيبته عن أحبائه إلى أحدكما قال قائلهم:

وما سر صدري منذ شطت بك النوى أنيس ولا كأس ولا متصرف⁽¹⁾

ومن شرب كأس الصفاء خلص له عن كل شوب فلا كدورة في عهده فهو في كل وقت صاف عن نفسه خال عن مطلوباته قائم به بلا شغل في الدنيا والآخرة ولا حاجة من حاجاته ومن شرب كأس الولاء عدم فيه القرار ولم يغب سره لحظة لا في الليل ولا في النهار ومن شرب في حال اللقاء أنس/ على الدوام ببقائه فلم يطلب مع بقاءه شيئاً آخر لا من عطائه ولا من لقاءه لاستهلاكه في علائه عند سطوات كبريائه.

﴿وَمِنْهُمْ﴾ [الآية 16] من المنافقين ﴿مَنْ يَسْتَعِزُّ إِلَيْكَ﴾ [الآية 16] ليعلم ما نزل عليك أو وقع من الكلام لديك ﴿حَقَّ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [الآية 16] من علماء الصحابة ﴿مَاذَا قَالَ عِافَاءً﴾ [الآية 16] أي شيء الذي قال في هذه الساعة استهزاء في أنفسهم وقرأ البزي بقصر الهمزة بخلاف عنه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الآية 16] ولذا أظهروا استهزاءهم.

﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا﴾ [الآية 17] من أهل الإسلام ﴿زَادَهُمْ﴾ [الآية 17] بالتوفيق والإلهام ﴿هُدًى﴾ [الآية 17] هداية شاملة للأحكام ﴿وَوَإِنَّهُمْ لَقَوْلُهُمْ﴾ [الآية 17] أعطاهم أسبابها وأعانهم على اكتسابها.

قال ابن عطاء: الذين تحققوا في طلب الهداية أوصلناهم إلى مقام الهداية وزدناهم هدى بالوصول إلى الهادي وهو المقصود في البداية والنهاية. وقال الأستاذ: ﴿أَهْتَدَوْا﴾ بأنواع المجاهدات فزادهم هدى بأنوار

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 268).

المشاهدات و﴿أَهْتَدُوا﴾ بتأمل البرهان فزادهم هدى بروح البيان و﴿أَهْتَدُوا﴾ بعلم اليقين فزادهم هدى بحق اليقين.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾ [الآية 18] أي ما ينتظرون غيرها ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ [الآية 18] بدل اشتغالهم من الساعة وقوله ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [الآية 18] كالعلة له أي لأنه ظهر بعض إماراتها كمبعث خاتم الأنبياء وانشقاق القمر في السماء ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [الآية 18] فكيف لهم تذكرهم بالطاعة إذا جاءتهم الساعة فحينئذ لا هي تدفع ولا طاعة تنفع فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الآية 19] في جميع الكائنات ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الآية 19] أي إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاء الكافرين فاثبت على ما أنت عليه من العلم اليقين بالوحدانية الإلهية وتكميل النفس الإنسانية بإصلاح أعمالها وإنجاح أحوالها ويضمها بالاستغفار لما صدر من الزلات في حالة الغفلات منك ومن أتباعك وإن كان تفاوت بين السيئات فإن حسنات الأبرار سيئات الأحرار ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ [الآية 19] في الدنيا فإنها مراحل لا بد من قطعها ﴿وَمَثُوكُمْ﴾ [الآية 19] في العقبى فإنها / دار إقامتكم فلا بد من دوامها.

164/أ

قال جنيد: أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الخلق عن الأصنام والأوثان إليه فدعاهم فمنهم مجيب ومنهم منكر لديه ودعاه سبحانه إليه من نفسه ومن الأكوان والخلق وأنسه فقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الآية 19] أي الذي اصطفاك على البشر ليس غيره يستحق الألوهية ويقتضي العبودية.

وقال ابن عطاء: عالم قول ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ محتاج إلى أربعة أشياء تصديق وتعظيم وحلاوة وحرمة فمن لم يكن له تصديق فهو منافق ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع أي غافل جاهل ومن لم يكن له حلاوة فهو مرء غير مخلص ومن لم يكن له حرمة فهو فاسق لأن حرمة هذه الكلمة القيام بما يقتضيه من الطاعة.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام كان عالماً بأنه لا إله إلا الله وأمره

باستدامة العلم واستزادته وكذلك في الثاني من حالته من أول العلم وبدايته لأن العلم أثر ولا يجوز البناء على الأثر فكل لحظة يأتي بها ويقال: كان له علم اليقين فأمر بعين اليقين أو كان له عين اليقين فأمر بحق اليقين ويقال: إنما أمره بالانقطاع إليه من الخلق ثم بالانقطاع منه إلى الحق وإذا قال العبد: هذه الكلمة على العادة والغفلة عن الحقيقة فليس لهذا القول كبير قيمة وهكذا إذا تعجب من شيء فتذكر هذه اللفظة ليس له قدر ولا مرتبة وإذا قاله مخلصاً فيه ذاكراً لمعناه متحققاً بحقيقة مبناه فإن قاله بنفسه فهو في وطن التفرقة.

وعندهم هذا من الشرك الخفي وإن قاله بالحق فهو الإخلاص الجلي والعبد يعلم أولاً ربه بدليل وحجة، فعلمه بنفسه ضرورة وهو أصل الأصول وعليه يبنى كل علم استدلالي ثم تزداد قوة علمه بزيادة البيان وزيادة الحجاج من أنواع البرهان ويتناقض علمه بنفسه لغلبات ذكره الله بقلبه فإذا انتهى إلى حال المشاهدة واستيلاء سلطان الحقيقة عليه صار علمه في تلك الحالة ضرورياً ويقال: الذي في البحر غلب عليه ما يأخذه في الرؤية للبحر عن ذكر نفسه فإذا ذكر البحر قوى هذه الحالة فإذا غرق في البحر فلا إحساس له بشيء سوى ما هو مستغرق فيه مستهلك وإذا علمت أنك علمت فاستغفر لذنبك من علمك فإن الحق على جلال قدره لا يعلمه غيره.

﴿وَيَقُولُ/ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ [الآية 20] هلا نزلت سورة في أمر 164/ ب
 الجهاد ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ تُحْكَمُ﴾ [الآية 20] مبينة ﴿وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ [الآية 20]
 أي الأمر به ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [الآية 20] ضعف في اليقين ونفاق في
 الدين ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ [الآية 20] على وجه الكراهة ﴿نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ
 الْمَوْتِ﴾ [الآية 20] جبناً ومخافة ﴿فَأَوَلَىٰ لَهُمْ﴾ [الآية 20] دعاء عليهم بمكروه يقع
 لديهم يؤول إليه أمرهم.

﴿طَاعَةٌ﴾ [الآية 21] أي أمرهم طاعة ﴿وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [الآية 21] أو حكاية
 قولهم لقراءة أبي يقولون طاعة أي أمرنا طاعة أو أولى لهم طاعة منهم الله ورسوله
 وقول معروف بالإجابة لما أمروا به من الجهاد وغيره أو طاعة وقول معروف خير

لَهُمْ ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [الآية 21] أي جد أصحابه ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 21] فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو الإيمان ﴿لَكَانَ﴾ [الآية 21] الصدق ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الآية 21].

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ [الآية 22] توقعتم من أنفسكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [الآية 22] أمور العام وتأمرتم عليهم في الأحكام أو أعرضتم وتوليتهم عن الإسلام ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 22] بالظلم والعدوان أو بالكفر والعصيان ﴿وَتَقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [الآية 22] حرصاً على الولاية وتجاوزاً للإمارة.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية 23] أبعدهم عن رحمته وطردهم عن جنته لإفسادهم وقطع أرحامهم ﴿فَأَصْمَهُمْ﴾ [الآية 23] عن استماع الحق ﴿وَأَعَمَّ أَبْصَرَهُمْ﴾ [الآية 23] فلا يهتدون سبيل الصدق.

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الآية 24] ألا يتأملون ما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يتحسروا على الكبائر ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [الآية 24] فلا يصل إليها ذكر ولا ينكشف لها أمر.

قال سهل: إن الله تعالى خلق القلوب وأقفل عليها بأقفالها وجعل الإيمان مفاتيحها فلم يفتح على التحقيق إلا قلوب الأنبياء والمرسلين والصديقين وأما سائر الناس فيخرجون من الدنيا وقلوبهم مقفلة كالزهاد والعلماء والعباد لأنهم طلبوا مفتاحها من القفل فضلوا الطريق ولو طلبوا من باب الفضل وجهة التوفيق لفتح أقفال قلوبهم للتحقيق ومفتاح القلوب إن الله قائم عليك رقيب على جوارحك والعلم بأن العمل لا يكمل إلا بالإخلاص.

وقال الأستاذ: أي إن تدبروا القرآن أفضى بهم إلى حسن العرفان وخلص أرواحهم عن ظلمه التحير في وادي الطغيان.

أ/ 165 ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ [الآية 25] إلى ما كانوا عليهم من إنكارهم وإصرارهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ [الآية 25] بالدلائل اللاتعة والمعجزات الواضحة ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ [الآية 25] سهل لهم اقتراح السيئات وحملهم على أتباع الشهوات ﴿وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ [الآية 25] ومد لهم في آمالهم وأمانهم

أو أمهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لمعاصيهم وقرأ أبو عمرو وأملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير لهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ [الآية 26] أي اليهود أو المنافقين ﴿قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ [الآية 26] للمشركين ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ [الآية 26] في بعض أموركم ولو كان مخالفاً للدين ﴿وَاللَّهُ يَكْمُرُ إِسْرَارَهُ﴾ [الآية 26] ومنها قولهم هذا الذي أنشأه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالكسر على المصدر.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [الآية 27] فكيف يعلمون ويحتالون حينئذ حال كونهم ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [الآية 27] بمقامع من حديد فيها بأس شديد.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْحَبَ اللَّهُ﴾ [الآية 28] من الكفر ومعصيته الأمر وإظهار الشر ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [الآية 28] ما يرضاه من الإيمان وطرق الخير ﴿فَلَحَبَطْ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الآية 28] وضع أحوالهم وأبطل آمالهم.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [الآية 29] ضعف دين أو قلة يقين ﴿أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ﴾ [الآية 29] لن يظهر لرسوله والمؤمنين ﴿أَصْفَنَّهُمْ﴾ [الآية 29] أحقادهم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ [الآية 30] لعرفناكم بدلائل تعرفهم بأعيانهم ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ [الآية 30] بعلاماتهم التي يسمهم بها واللام لجواب لو كررت في المعطوف للمبالغة ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [الآية 30] جواب قسم محذوف ولحن القول أسلوبه الدال على انحراف الفعل من تعريض وتورية في العبادة وغمز ورمز في الإشارة كما يعرف بالفراسة والكياسة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الآية 30] فيجازيكم على حسب أحوالكم.

قال القاسم: إن الأكابر والسادة يعرفون صدق المريد من كذبه في سؤاله وكلامه لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [الآية 30].

وأفاد الأستاذ: في لحن القول أي في معنى الخطاب وأن الأسرة تدل

على السريرة وما يخامر القلوب فعلى الوجوه يلوح أثره كما قيل:

لست ممن ليس يدري ما هوان من كرامة
إن للحب وللغضب على الوجه علامة

ب/165 والمؤمن ينظر بنور الفراسة والعارف/ ينظر بنور التحقيق والموحد ينظر بالله فلا يستتر عليه شيء ويقال: بصائر الصديقين غير مغطاة ففي الخبر: «سدوا كل خوخة غير خوخة أبي بكر»⁽¹⁾.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ [الآية 31] بالأمر بالجهد وسائر التكاليف الشاقة المحتاجة إلى المجاهدة ﴿حَتَّى تَمَّارَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ [الآية 31] حتى نميزهم ﴿مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ﴾ [الآية 31] على مشاقها من الواقعين في شقاقها ﴿وَنَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [الآية 31] ما يخبر به عن أعمالكم فتظهر حسناتها وقبحها من أحوالكم وقرأ أبو بكر الأفعال الثلاثة بالياء لموافقتها ما قبلها.

وأفاد الأستاذ: أن الابتلاء والامتحان يتبين جواهر الرجال في اختلاف الأحوال فيظهر المخلص الموافق ويفتضح الممارق وينكشف المنافق إن الذين آمنوا وأخلصوا نجوا وتخلصوا والذين كفروا ونافقوا وقعوا في الهوان وذلوا ووسموا بالشقاوة وقطعوا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 32] جمعوا بين الضلال والإضلال ﴿وَشَاقُواْ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ [الآية 32] وخالفوه بعدما ظهر لهم سبيل أهل الكمال ﴿لَنْ يَضُرُّواْ اللَّهَ شَيْئاً﴾ [الآية 32] بما صدر عنهم من الأفعال ﴿وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ﴾ [الآية 32] ثواب حسنات أعمالهم الصورية في نظر العوام أو مكائدهم التي نصبوها في مشاقة الرسول وأصحابه الكرام.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ﴾ [الآية 33] في أمره ﴿وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ﴾ [الآية 33] في حكمه ﴿وَلَا تُبْطِلُواْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الآية 33] بالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والأذى.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (467).

قال الواسطي: أطيعوا الله في حرمة رسول الله وأطيعوا الرسول في تعظيم الله ولا تبطلوا أعمالكم برؤيتها وطلب النجاة منها.

قال الأستاذ: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [الآية 33] بالمساكنة إليها أو بطلب الأَعْوَاض عليها أو بتوهمكم أنه يجب بها شيء دون فضل الله لديها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [الآية 34] عام في كل من مات على كفره وإن صح نزوله في أصحاب القلب ونحوه ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر أمره.

﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ [الآية 35] فلا تضعفوا في الجهاد ﴿وَدَعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ [الآية 35] ولا تدعوا إلى الصلح في البلاد ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [الآية 35] الأغلبون من العباد ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [الآية 35] ناصركم في مالكم / ﴿وَلَنْ يَرْكُمَ أَعْمَالَكُمْ﴾ [الآية 35] لن 166/أ ينقصكم أعمالكم ولن يضيع أحوالكم.

وقال الأستاذ: لا تميلوا إلى الصلح مع الكفرة وأنتم الأعْلَوْنَ بالحجة والنصرة والله معكم يراكم ومن علم أن سيده يراه في طاعته يتحمل كل مشقة برؤيته.

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمِزٌ وَلَهُوَ﴾ [الآية 36] لا ثبات لها ولا بقاء بها ﴿وَأَنْ تَزُومُوا وَتَنْفُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ﴾ [الآية 36] ثواب إيمانكم وتقويكم ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ [الآية 36] جميعها بل يقتصر على جزء يسير منها كربع العشر ونحوها.

﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ [الآية 37] فيجهدكم بطلب كلها ﴿تَبَخَّلُوا﴾ [الآية 37] في إعطائها ﴿وَيُخْرِجْ أَصْفَانَكُمْ﴾ [الآية 37] أي يظهرها الله أو البخل أنواع، حقدكم وأصناف حسدكم وأجناس كيدكم لرسوله صلى الله عليه وسلم وأتباعه.

وأفاد الأستاذ: أن هذا إنما يقوله لمن لم يوق شح نفسه وأما الأحرار ومن علت ربتهم في باب حرية القلب فلا يسامحون في استيفاء ذرة لمرضاة الرب ويطالبون ببذل الأرواح والتزام الغرامات في الأشباح.

﴿هَآتَيْتُمْ﴾ [الآية 38] المخاطبون ﴿هَؤُلَاءِ﴾ [الآية 38] الموصوفون ﴿تُدْعَوْنَ﴾
لِنُسْفُوهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 38] طريق رضاه ﴿فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ﴾ [الآية 38] في
إنفاق ماله مع أن فيه كماله ونظام ماله ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ﴾
[الآية 38] لأنها محل وباله في سوء حاله ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ [الآية 38] عنكم وعن
عبادتكم ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ [الآية 38] إلى رحمته في دنياكم وآخرتكم أو في
بدايتكم ونهايتكم فيما يأمركم به فهو لحاجتكم فإن امتثلتم فلكم نفعه وإن توليتم
فعليكم ضرره.

قال جنيد: لأن الفقر يليق بالعبودية والغنى بالربوبية.

وأفاد الأستاذ: أن الفقير الصادق من يشهد افتقاره إلى الله وصدق الفقر
شهود فقره إلى الله ومن افتقر إلى الله استغنى بالله ومن افتقر إلى غير الله وقع
في الذل والهوان من جهة مهواه ﴿وَلَيْتَ تَتَوَلَّوْا﴾ [الآية 38] عطف على وإن تؤمنوا
أي وإن تعرضوا عن طاعته وعن الإيمان به ومتابعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾
[الآية 38] أشد منكم طاعة وأصدق منكم عبادة والمعنى هو قادر على أن يخلق
أشكالكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [الآية 38] في العصيان والإعراض عن الإيمان
وترك الشكر بالإحسان بل يكونوا خيراً منكم في أعمالكم وأحوالكم وهم الفرس
166/ ب لأنه يسأل عليه السلام عنهم وكان سلمان رضي / الله عنه إلى جنبه فضرب فخذ
وقال: هذا وقومه⁽¹⁾.

وقال بعضهم: لا يستقر على بساط العبادة إلا أهل السعادة وقد يطأ
البساط المترسمون بالعبودية أوقاتاً ثم لا يستقرون عليه ثباتاً ويبدل الله مكانهم
فيه منه من أوجب السعادة له ألا ترى أن الله يقول: ﴿وَلَيْتَ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [الآية 38].

(1) أخرجه ابن حبان في الصحيح (62 / 16) رقم (7123)، والترمذي في الجامع الصحيح
(383 / 5) رقم (3260)، والطبراني في المعجم الأوسط (8 / 349) رقم (8838).



[مدنية]

وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: بسم الله يشير إلى سموه في أزلّه وعلوه في أبدّه فمعرفة سموه توجب للعبد سموّاً ومعرفة علوه توجب للعبد علواً.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الآية 1] الجمهور على أن المراد بالفتح صلح الحديبية وقال بعضهم فتح مكة المكرمة ويؤيد الأول ما روى محيي السنة إنه لما نزلت في طريق الرجوع إلى المدينة سنة ست من الهجرة قال عمر رضي الله عنه: أو فتح هو يا رسول الله قال: «نعم والذي نفسي بيده وهو صلح بسببه خير الدنيا والآخرة»⁽¹⁾. وفيه بيعة الرضوان وظهور الإسلام وانتشار العلم.

قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية اختلط المشركون بالمسلمين وسمعوا أخبارهم وأسرارهم وشاهدوا أنوارهم وتمكن الإسلام في قلوبهم وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير منهم ومن هنا استقبل فتح خبير على أيدي أهل الحديبية من غير مشاركة لغيرهم انتهى.

والمعنى أنه سمي فتحاً لأنه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب

(1) أورده البغوي في تفسيره (7/ 198) والطبري في تفسيره (22/ 202). وورد بلفظ آخر، انظر ما أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (4/ 120) رقم (3766)، وفي المعجم الكبير (19/ 445) رقم (1082)، والبيهقي في السنن الكبرى (6/ 325) رقم (12648).

فغزاهم وفتح مواضع من مأويهم ولا يبعد أن يكون الفتح بمعنى القضاء أي قضينا لك أنواعاً من الفتوحات المكية وغيرها مما جرى على يديه في وقته أو بعده على أتمه فتحاً مبيناً أن بعظمتنا فتحنا لأجل قدرك في حضرتنا ظاهراً معيناً لكونه سبحانه له ناصرأ ومعيناً.

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ [الآية 2] المسمى بالاسم الجامع لصفتي الجمال والجلال ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الآية 2] جميع ما فرط منك مما يصح أن يتعاتب عليه لكونه نقصان في مقام الكمال ﴿وَيُتِمُّ بِرَحْمَةٍ مِّنْ عَيْنِكَ﴾ [الآية 2] بإعلاء كلمة الملة وضم الملك إلى النبوة ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الآية 2] في تبليغ الرسالة / 167 أ وإقامة مراسيم الرياسة.

﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية 3] نصراً فيه عزة ورفعة وقوة ومنعة وإنما جعل المغفرة علة للفتح والنصرة لأنه مسبب عن جهاد الكفرة والسعي في إزاحة الفجرة وتخليص الضعفة عن أيدي الظلمة وقيل تعليم للأمة بحملهم على طلب المغفرة.

وقال بعضهم: ما تقدم أي ذنوب أبويك آدم وحواء بحرمتك وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك.

وعن عطاء الخراساني: ما تقدم في الجاهلية وما تأخر ما لم يعمل في القضية والمعنى قد استوى ما عملت وما لم تعمل في عموم المغفرة وهذا من أوفى المنة وأصفى العطية.

وقال ابن عطاء: كشف الله تعالى ذنوب الأنبياء حتى نادوا على أنفسهم وستر ذنب محمد عليه السلام بقوله: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقال جعفر الصادق: من تمام النعمة على نبيه صلى الله عليه وسلم أنه جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ به شرائع رسله وعرج به إلى المحل الأدنى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ بصره وما طغى وبعثه إلى الأسود والأبيض وأحل له ولأتمته الغنائم وجعله شفيعاً مشفعاً وجعله سيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وهذا تمام نعماءه.

وقال الأستاذ: أي ينصرك على هواك ونفسك وينصرك على حسن خلقك ومقاساة الأذى عن قومك نصراً معزاً من آمن بك.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ [الآية 4] السكون الطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 4] كما أنزل على الصحابة يوم الحديبية فاطمأنت قلوبهم بالصلح في القضية وقيل: السكينة ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه كما روي أن السكينة لتتلق على لسان عمر.

وروى السلمي عن ابن عطاء: أن السكينة نور يقذف في القلب يبصر به مواقع الصواب في طريق الرب.

وأفاد الأستاذ: أن السكينة ما سكن إليه القلب من البصائر والحجج فيرتقي القلب بوجوده عن حد الفكرة والسير في روح اليقين وثلج الفؤاد فيصير العلوم ضرورية وهذا للخواص من المسلمين ﴿لِيَزَادُوا إيمَانًا مَعَ إيمَانِهِمْ﴾ [الآية 4] إيقاناً مع إيقانهم وإحساناً مع إحسانهم وعرفاناً مع عرفانهم وهكذا مترقياً في جميع شأنهم.

وقال الأستاذ: سكوناً مع سكونهم / تطلع أقمار عين اليقين على نجوم علم اليقين ثم يطلع شمس حتى اليقين على بدر عين اليقين ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 4] يدبر أمرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوضع فيهما بينهم السلم منه كما تقتضيه منيع حكمته وبديع معيشته وقيل: المراد بالجنود جميع لمخلوقات الدالة على وحدانيته.

وأفاد الأستاذ: إن ما سلطه الحق على شيء فهو من جنوده سواء سلطه على وليه في الشدة والرخاء أو سلطه على عدوه في الراحة والبلاء ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا﴾ [الآية 4] فيما يدبر ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 4] فيما يقدر.

﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية 5] أي قدر ما قدر ودبر ما دبر من نصرة المؤمنين ليعرفوا نعمة الله ويشكروها بعباداتهم فيدخلوا مراتب الجنة على قدر حسناتهم ﴿وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ قَوْلًا عَظِيمًا [الآية 5] لأنه منتهى ما يطلب من جلب خير ودفع ضرر.

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُتَفَقِّينَ وَالْمُتَفَقِّدِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ [الآية 6] بحسب مراتبهم في الدرجات ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّكَ السُّوءُ﴾ [الآية 6] ظن الأمر السوء هو أن لا ينصر رسوله ولا يعطيه سؤله، واكتفى عن ذكر الظاننات إمّا تغليباً لإيجاز المقامات أو إشعاراً بأن ظن السوء كان غالباً على رجالهم في أغلب أحوالهم ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ﴾ [الآية 6] أي عليهم خاصة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا تتخطاهم شيء منها ويحيط بهم إحاطة الدائرة بما فيها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دائرة السوء بالضم ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 6] فطردهم عن رحمته ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ [الآية 6] أبعدهم عن جنته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ [الآية 6] مكان نعمته ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الآية 6] وقبحت مصيراً.

قال الأستاذ: في العاجل بكفرهم ونفاقهم وفي الآجل بعذابهم وسوء عقابهم فكفروا بغضبه وغضبه إرادة العقوبة بهم في العقبي وكون الشرك والنفاق في الدنيا ولعنهم وحقّ فيهم كلمته وسبقت لهم من الله بالشقاوة قسمته.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 7] باطناً وظاهراً وأولاً وآخرًا ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ [الآية 7] غالباً على مراده ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 7] فيما دبر من أمر عباده. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ [الآية 8] على أمتك يوم القيامة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ [الآية 8] للمحسنين بالجنة على الطاعة ﴿وَنَذِيرًا﴾ [الآية 8] للمسيئين بالعقوبة على المعصية.

168/أ وقال سهل: شاهد بالتوحيد والمعرفة / ومبشراً لهم بالمغفرة ونذيراً محذراً إياهم البدعة والضلالة.

وقال الأستاذ: شاهداً بوحدانيتنا ورسوله ويقال: شاهداً من قبلنا ومبشرات، بأمرنا عنا ونذيراً من جانبنا ولنا ومنا ويقال: أقمناك لتبلغ إليهم عنا بنا ولنا ومنا.

﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [الآية 9] الخطاب للنبي والأمة ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ [الآية 9] تقووه بتقوية دينه وتنصروه ﴿وَتُوَفِّرُوهُ﴾ [الآية 9] تعظموه ﴿وَتُسَيِّحُوهُ﴾ [الآية 9] تنزهوه أو

تصلّوا له ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الآية 9] دائماً أو غدوة وعشيّاً وقرأ ابن كثير وأبو عمرو الأفعال الأربعة بالغنية.

وأفاد الأستاذ: أن تعزيره إيثاره بكل وجه على نفسك وتقديم حكمه على حكمك وتوقيره باتباع سنته والعلم بأنه سيد بريته.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الآية 10] في الحديبية وهيبيعة الرضوان حين أرسل عليه السلام عثمان بن عفان إلى قريش ليعلمهم أنهم جاؤوا معتمرين لا محاربين فأخبر بقتل عثمان فبايعوا على الصبر إلى أقصى الجهد والإمكان ولذا قالوا إنا بايعنا على الموت⁽¹⁾ ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُوكَ اللَّهَ﴾ [الآية 10] لأنه المقصود ببيعته والمراد أن عند الميثاق مع رسوله كعقد الميثاق مع ربه من غير تفاوت في حكمه فكان وساطة الرسول مرتفعة عن نظره.

وقال الأستاذ: أي عقدك عليهم هو عقد الله إليهم ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية 10] استئناف مؤكد له على سبيل التمثيل والمعنى أن يد رسوله يده وهو منزّه عن اليد والأسلم عدم التأويل فلله سبحانه يد مناسب لذاته الأقدس وصفاته الأنفس وعن كثير من السلف نعمة الله عليهم بالهداية فوق ما صنعوا من البيعة للطاعة وقيل: قدرة وقوته فوق قوتهم وحركتهم.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه الآية إشارة إلى الجمع كما قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكَرَّكَ اللَّهُ رَمًى﴾ [الأنفال: الآية 18].

﴿فَمَنْ نَكَتَ﴾ [الآية 10] نقض عهده في مقام وعده ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الآية 10] فلا يعود ضرر نكثه إلا على نفسه ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ [الآية 10] أي قام بما عاهد على التمام في البيعة ﴿فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية 10] هو الجنة وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر فسنوفيه بالنون.

وأفاد الأستاذ: أن العبد إذا كان بوصف إخلاصه يعامل الله/ في شيء 168/ ب

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (2958)، وابن أبي شيبة في المصنف (7/ 386) رقم (36852).

وهو به متحقق وله بقلبه مشاهد فالوسائط التي عليها أمارأت التفريعات محو عن أسرارهم والحكم راجع إلى الواحد.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ [الآية 11] الذين واعدوا أن يرافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوافقوا في مسيره إلى مكة عام الحديبية وهم أسلم وجهينة ومزينة وغفار فاخلفوا الوعد واعتلوا بالشغل بأموالهم وأهاليهم وإنما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة في الإيمان والخوف عن مقاتلة قريش أن صدوهم عن ذلك المكان ﴿شَغَلَتْنَا﴾ [الآية 11] عن الوفاء بعهدنا ﴿أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الآية 11] إذ لم يكن لنا من يقوم بأمرهم إذا خرجنا ﴿فَأَسْتَغْفِرُ لَنَا﴾ [الآية 11] من الله على تخلفنا ﴿يَقُولُونَ بِالسَّيِّئَةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية 11] تكذيب من الله لهم في الاعتذار والاستئناس ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الآية 11] فمن يمنعكم من مشيئته ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ [الآية 11] نوع مضرة قتل أو هزيمة أو خلل في مال وأهل وعقوبة على مخالفة وقرأ حمزة والكسائي بالضم ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ [الآية 11] نوع منفعة كنصرة وغنيمة وسعة رحمة ودوام عافية والمعنى لا أحد يدفع ضره ولا نفعه فليس الشغل بالأهل والمال عذراً فلا ذاك يدفع الضر إن أرادته ولا ملاقات العدو تمنع النفع إن أرادته ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الآية 11] فيعلم تخلفكم مع اقتداركم وقصدكم في اعتذاركم.

قال بعض السلف: ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو شؤم عليك.

وأفاد الأستاذ: أن عذر المماذق وتوبة المنافق كلاهما ليس له حقائق.

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ آلِهِمْ أَبَدًا﴾ [الآية 12] لظنكم أن المشركين يستأصلونهم ﴿وَرَزَيْتَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية 12] حتى أجبتم أن لا يرجعوا إلى أوطانهم ﴿وَوَظَنْتُمْ ظُرُقَ السَّوْءِ﴾ [الآية 12] بأنهم أكلة رأس لقريش وإخوانكم ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الآية 12] هالكين لسوء عقيدتكم وفساد نيتكم.

وأفاد الأستاذ: أن العدو إذا لم يقدر أن يكيد بيده تمنى ما يتقاصر عنه مكنت بقلبه وذلك صفة كل لئيم ونعت كل ملهم ثم الله تعالى يعكس ذلك

عليه في أمره حتى لا يقع على مراده ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: الآية 43].

﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ [الآية 13] لمن يموت على كفره ﴿سَعِيرًا﴾ [الآية 13] ناراً موقدة وعقوبة مؤبدة.

/ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 14] له الاختيار المطلق في الأشياء 169/أ
ويدبر في ملكه ما يشاء ﴿يَقْضِي لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 14] مغفرته ﴿وَيَضْرِبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 14] عقوبته إذ لا وجوب عليه في بريته ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ [الآية 14] لمن تاب ﴿رَحِيمًا﴾ [الآية 14] لمن آب فالغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض في كائناته ولهذا جاء في الحديث القدسي: «سبقت رحمتي غضبي»⁽¹⁾.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ [الآية 15] أي المذكورون ﴿إِذَا أُنْظِلَّتْ إِلَيْكَ مَفَازٌ﴾ [الآية 15] إلى جهة فيها غنائم ﴿لِتَأْخُذُوهَا﴾ [الآية 15] وهي غنائم خيبر فإنه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي الحجة سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالاً كثيرة فخصها بهم دون غيرهم ﴿ذَرُونَا نَتَبَكَّمْ﴾ [الآية 15] في خروجكم إلى خيبر وحربهم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الآية 15] أن يغيروه وهو وعده لأهل الحديبية أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر لا شريك لهم فيها والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كَلِمَ الله وهو جمع كلمة ولعل المراد بها قضاياه ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ [الآية 15] في سفر خيبر قيل: نفي معناه نهى ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 15] قبل أن تسألوا الخروج معنا ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ [الآية 15] أن نشارككم في الغنائم وليس فيه أمر من الله جازم ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الآية 15] لا يفهمون إلا فهماً قليلاً وهو فهمهم لبعض أمر دنياهم.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3194)، ومسلم في الصحيح (15/2751).

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ [الآية 16] كرر ذكرهم مبالغته في ذمهم
 ﴿سَدَّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ﴾ [الآية 16] حرب ﴿شَدِيدٌ﴾ [الآية 16] أي هوازن
 وثقيف وذلك في عهده عليه السلام أو بني حنيفة وأصحاب مسيلمة وذلك في
 خلافة أبي بكر رضي الله عنه أو أهل فارس وذلك في خلافة عمر رضي الله عنه
 قال صاحب البحر هذه الأقوال تمثيلات للأعلام بل أخبر الله تعالى بذلك على
 وجه الإبهام دلالة على قوة الإسلام وانتشار دعوته عليه السلام ﴿فَقَتِلُواهُمْ أَوْ
 يُسْلَمُونَ﴾ [الآية 16] أي يدخلون في الإسلام وينقادون تحت الأحكام والجملة
 استئناف ﴿فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الآية 16] هو الغنيمة في الدنيا
 والجنة في العقبى ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ تتخلفوا ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ﴾ [الآية 16] عن القضية ﴿وَمِنْ
 قَبْلُ﴾ [الآية 16] أي عام الحديبية ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 16] / في الأولى
 169/ ب والأخرى.

وأفاد الأستاذ: أنه جاء في التفسير أن أهل الإمامة أصحاب مسيلمة
 دعاهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه فالآية تدل على صحة إمامته وقيل
 فارس: ودعاهم إليه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فعلمت أن الآية
 تدل على صحة خلافته، وإمامته تدل على صحة إمامة أبي بكر رضي الله
 عنهما والمعنى أن أطعتم استوجبتم الثواب وإن تخلفتم استحققت العقاب
 ودلت الآية على أنه يجوز للعبد بداية غير مرضية ثم يتغير بعدها إلى حالة
 بهية كما كان لهؤلاء ولقد أنشدوا:

إذا فسد الإنسان بعد صلاحه فرج له عود الصلاح لعله⁽¹⁾
 ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [الآية 17]
 لما أودع للمخلفين نفي الحرج عن هؤلاء المعذورين.

وأفاد الأستاذ: إنه كذلك من كان له عذر في المجاهدة مع نفسه فالله
 يحب أن تؤتى رخصه كما يجب أن تؤتى عزائمه.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (7/ 284).

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
[الآية 17] في دار القرار ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ [الآية 17] يعرض عن الطاعة ﴿يُعَذِّبُهُ عَذَابًا
أَلِيمًا﴾ [الآية 17] في دار البوار وقدم الترغيب عن الترهيب لسبق رحمته على
غضبه وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون فيهما.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الآية 18] وكانوا
ألفاً وأربعمائة وقيل وثلاث مائة وقيل وخمسمائة وكانوا قصدوا دخول مكة وهم
محرمون فصدّهم المشركون فبايعهم على أن يقاتلوا قريشاً ولا يفرّوا عنهم وكان
جالساً تحت سمرة أو سدرة ثم صالحوه على أن يخلوا له مكة من القابل ثلاثة
أيام وكان عليه السلام قد رأى في المنام أنهم يدخلون المسجد⁽¹⁾ الحرام آمين
وبشر به المؤمنين فلما صدّهم المشركون خامر قلوبهم شبهة وعناداً في قلوب
بعضهم تهمة حتى قال الصديق لم يقل عليه السلام في هذا العام فسكنت
قلوبهم واطمأنت نفوسهم ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية 18] من الهم والأنفة لديهم
﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَبَهُمْ فَتَحَا قَرِيبًا﴾ [الآية 18] وجازاهم فتح خيبر عقب
انصرافهم من هذا السفر وقيل مكة أو هجر.

﴿وَمَغَانِمَ/ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ [الآية 19] يعني عقار خيبر وأموالها ﴿وَكَانَ اللَّهُ
عَزِيزًا﴾ [الآية 19] غالب القدرة والإرادة ﴿حَكِيمًا﴾ [الآية 19] مراعيًا مقتضى الحكمة.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية دلالة على أنه قد يخطر ببال الإنسان
خواطر مشكّة وفي الريب موقعة ثم لا عبرة بها فإن الله سبحانه إذا أراد بعبد
خيراً ألزم التوحيد قلبه وقارن التحقيق سره فلا يضره كيد الشيطان ومكره قال
تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ
مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية 201].

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ [الآية 20] هي الفتوحات إلى يوم القيامة
﴿تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الآية 20] أي مغانم خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾

(1) مكرر مرتين في المخطوطة.

[الآية 20] أي أيدي أهل خيبر وحلفائهم من بني أسد وغطفان فإن المسلمين لما أخرجوا إلى خيبر همت اليهود أن يغيروا على عيال المسلمين بالمدينة فكدف الله تعالى الرعب في قلوبهم فانكفوا عن همهم ﴿وَلْيَكُونَنَّ﴾ [الآية 20] هذه الكفة أو الغنيمة ﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 20] علامة لهم على صدقك في مقام اليقين أو دلالة للمؤمنين يستدلون بها على حراسة الله للمسلمين ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الآية 20] هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه وتفويض الأمور إليه.

وقال الأستاذ: معنى كف أيدي الناس عنكم هو أن يرزق العبد من حيث لا يحتسب لئلا يحتاج أن يتكفف على الناس بل يتعفف عنهم في الاستئناس.

﴿وَأُخْرَى﴾ [الآية 21] مبتدأ ﴿لَمْ تَقْدَرُوا عَلَيْهَا﴾ [الآية 21] صفته وخبره ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ [الآية 21] أي ومغانم أخرى لم تقدروا عليها بعد لما كان لهم فيها من قوة الجولة ولكم من قلة الشوكة والحيلة ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ [الآية 21] علماً وقدره فيفتحها لكم وقت تعلق المشيئة وهي مغانم هوازن أو فارس أو الروم أو جميعها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الآية 21] فلا تعلقوا بغيره قلوبكم لا كثيراً ولا يسيراً فإن من عداه لا يتصور أن يكون لكم نصيراً.

﴿وَلَوْ قَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 22] من أهل مكة عام الحديبية ولم يصلحوا في القضية ﴿لَوَلَوْ أَلْدَبَرْ﴾ [الآية 22] لا نهزموا بالكلية ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوكَ وَلِيًّا﴾ [الآية 22] يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ [الآية 22] ينصرهم في القضية.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 23] سن الله سنة الأنبياء المتقدمة 170/ ب إن عاقبة أعدائهم الخزي / والهزيمة ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الآية 23] تغييراً أو تحويلاً.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ [الآية 24] أي أيدي كفار مكة عن قتالكم ﴿وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [الآية 24] في شدة حالكم ﴿بِطَّنِ مَكَّةَ﴾ [الآية 24] كائنين في داخل مكة معهم ﴿مَنْ بَعْدَ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 24] أي أظهركم وغلبكم لديهم وذلك إن سبعين أو ثمانين أو ثلاثين رجلاً متسلحين هبطوا من جبل التنعيم

يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم فدعا عليهم فأخذوا وعفا عنهم⁽¹⁾
فأطلقوا.

وأما ما رواه ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم وتبعه جمع كالقاضي من
أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة يوم الحديبية فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم
عاد⁽²⁾.

ففيه أن خالد بن الوليد لم يكن أسلم يومئذ بل كان طليعة للمشركين
كما ثبت في صحيح البخاري وغيره⁽³⁾ اللهم إلا أن يراد بذلك يوم الفتح
ويحمل الكف بصيغة الماضي على تحقق وقوعه لعدم تخلف إخباره سبحانه
في وعده ووعيده.

﴿وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 24] من حربكم أولاً لإطاعته نبيه وكفكم
ثانياً لتعظيم بيته ﴿بَصِيرًا﴾ [الآية 24] عالماً خبيراً فيجازيكم عليكم قليلاً وكثيراً
وقرأ أبو عمرو بالغيبة.

قال سهل: المؤمن على الحقيقة من لا يغفل عن نفسه وقلبه ساعة من
ساعاته فيفتش حالاته ويراقب أوقاته فرأى نقصانه من زياداته فيشكر عند رؤيته
الزيادة ويتضرع عند المنقصة هؤلاء بهم يدفع الله البلاء والمؤمن من لا يكون
متهاوناً بأدنى التقصير فإن التهاون بالقليل يستجلب الكثير.

وأفاد الأستاذ: أن الكفار كفوا أيديهم رعباً وخوفاً وأما المسلمون فهيأ
من قبل الله لما في أصلابهم من المؤمنين ولما علم قوماً منهم يصيرون مسلمين

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (133/1808)، والبيهقي في السنن الكبرى (318/6) رقم
(12611)، والترمذي في الجامع الصحيح (386/5) رقم (3264)، والنسائي في
السنن الكبرى (202/5) رقم (8667).

(2) انظر تفسير الطبري (238/22) وتفسير ابن أبي حاتم (232/12).

(3) أخرجه البخاري في الصحيح (12731)، وابن حبان في الصحيح (216/11) رقم
(4872)، وابن أبي شيبة في المصنف (387/7) رقم (36855).

والإشارة في الآية أن من الغنيمة الباردة أن يسلم الناس منك وتسلم منهم وإنما يفعل الله هذا بأوليائه فلا من أحد عليه حيف ولا منه على أحد جور ولا حساب ولا مطالبة ولا صلح ولا معاتبة ولا صداقة ولا عداوة وأنشدوا:

فلم يبق لي وقت لذكر مخالف ولم يبق لي قلب لذكر موافق

171/أ

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا/ وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية 25] منعوكم عن الزيارة بالعمرة ﴿وَالْهَدْيِ﴾ [الآية 25] ومنعوا الهدى وكان سبعين بدنة ﴿مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُ﴾ [الآية 25] أي حال كون الهدى محبوساً ومحصوراً من أن يصل مكانه المعهود للمعتمرين وهو المروة ثم بين حكمة المصالحة بقوله ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ [الآية 25] من المستضعفين بمكة ﴿لَرَّ تَعْلَمُوهُمْ﴾ [الآية 25] لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين في بنيانهم ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ [الآية 25] أن توقعوا بهم وتقتلوهم في أثناء قتال أعدائهم ﴿فَتُصِيبُكُمُ﴾ [الآية 25] جواب النفي أو عطف على تطوهم ﴿مِنْهُمْ﴾ [الآية 25] من جهة مضرتهم ﴿مَعَرَّةٌ﴾ [الآية 25] ندامة وملامة إذ لا إثم ولا دية في قتل مؤمن مستور بين أهل المحاربة ﴿يَفْتَرِ عَلِيمٌ﴾ [الآية 25] أي حال كونكم غير عالمين أو حال كونهم غير معلومين وهو حال مؤكدة لقوله لم تعلموهم وجواب لولا محذوف لدلالة صدر الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا ناساً مؤمنين بين أظهر الكافرين جاهلين أو مجهولين فيصيبكم بإهلاكهم مكروه ومضرة من قبلهم لما كف أيديكم عنهم وقد تؤخر لعقوبة عن الكفرة منهم ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 25] ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين وليرجع كثير منهم إلى دين المسلمين ﴿لَوْ تَزَكَّيْوْا﴾ [الآية 25] أي تفرقوا أو تميزوا ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية 25] في الدنيا فإن عدم التمييز لا يوجب عدم عذاب العقبي.

وأفاد الأستاذ: إن في هذا تعريفاً للعبد أن أموراً تتعلق وتفسر فيضيق الإنسان بها قلبه والله في ذلك سر ولأمر ما لا يجري كما يريد العبد كما قالوا:

كم مرة مرت بك المكاره خار الله لك وأنت كاره

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ [الآية 26] الأنفة ﴿حَمِيَّةٌ﴾

الْبَهْلِيَّةُ ﴿[الآية 26] التي تمتع إذعان الحق وقبول قول الصدق.

قال ابن عطاء: الحمية متابعة النفس الدنية في الانتقام من البريء في القضية ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَةً عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 26] وذلك ما روي أنه عليه السلام لما هم بقتالهم بعثوا جمعاً ليسألوه أن يرجع من عامه على أن يخلوا له مكة من قابل ثلاثة أيام فأجابهم وكتبوا بينهم كتاباً فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب / بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا: وما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال: اكتب هذا ما صالح رسول الله أهل مكة فقالوا: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد ابن عبدالله فقال عليه السلام: «اكتب ما يريدون فإني أشهد أني رسول الله وأنا محمد بن عبدالله فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك»⁽¹⁾. وأن يبسطوا عليهم هنالك فأنزل الله السكينة عليهم فتوفروا وتحملوا وتحلموا لديهم ﴿وَالْزَمَهُمْ﴾ [الآية 26] أي اختار لهم الله ﴿كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الآية 26] كلمة الشهادة كما صرح بذلك النبي صلى الله عليه وسلم على ما رواه الترمذي وغيره⁽²⁾. وإضافة الكلمة إلى التقوى لأنها سببها أو لكونها سبب الوقاية من نار العقوبة ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾ [الآية 26] من غيرهم في حقها ﴿وَأَهْلُهَا﴾ [الآية 26] المستأهل لها ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِمًا﴾ [الآية 26] فيعلم أهلها ومن أولى بها.

قال أبو عثمان: كلمة التقوى كلمة المتقين وهي شهادة أن لا إله إلا الله ألزمها الله السعداء من أوليائه المؤمنين بها وكانوا أحق بها في علم الله إذ خلقهم لها وخلق الجنة لأهلها.

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (226 / 9) رقم (18610)، وابن حبان في الصحيح (214 / 11) رقم (4870)، وأبو يعلى في المسند (69 / 6) رقم (3323)، وأحمد في المسند (342 / 1) رقم (3187)، وابن أبي شيبه في المصنف (385 / 7) رقم (36851).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (67 / 2) رقم (1272)، وفي المعجم الكبير (199 / 1) رقم (536)، والترمذي في الجامع الصحيح (386 / 5) رقم (3265)، وابن حبان في الصحيح (451 / 1) رقم (218).

وقال الواسطي: كلمة التقوى صيانة النفس عن مطالعة غير المولى ظاهراً وباطناً.

وأفاد الأستاذ: أن كلمة التقوى هي التي معها الالتقاء من شرك السوي ويقال: هي سؤالك من الله أن يحرسك من المطاعم فيما سواه ويقال: هي التواصي بينهم بحفظ حقوق الله لهم وكانوا أحق بها في سابق حكمه وقديم علمه وهذا إلزام إكرام ولطف لا إلزام إكراه وعنف وإلزام برّ لا إلزام جبر.

وكم باسطين إلى وصلنا أكفهم لم ينالوا نصيباً⁽¹⁾

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ [الآية 27] في المنام إذ رأى عليه السلام أنه وأصحابه الكرام دخلوا المسجد الحرام آمنين فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا في بابه وحسبوا أن ذلك يكون في عامه فلما تأخر قال بعضهم: والله ما رأينا البيت ولا حلقنا ولا قصرنا فنزلت: والمعنى صدقه في رؤياه بالحق ملتبسة بالصدق فإن ما رآه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [الآية 27] جواب قسم محذوف / إن شاء الله تعليق للعدة بالمشيئة تعليمًا للعباد وتنبهًا على أنه لا يجب عليه شيء فيما أرادوا قيل: إن بمعنى إذ وهو معنى لطيف وقيد شريف وسئل سهل عن هذا الاستثناء قال تأكيداً في الافتقار إليه وتأديباً لعباده في كل حال ووقت لديه وتنبهًا إن الحق إذا استثنى مع كمال علمه لا يجوز الحكم لأحد من غير استثناء مع قصور فهمه آمنين حال من الواو والشرط معترض ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الآية 27] حال مقدرة أي محلقاً بعضكم ومقصر آخرون ﴿لَا تَخَافُوكَ﴾ [الآية 27] أي غير خائفين حال مؤكدة لقوله آمنين ﴿فَلَيْمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ [الآية 27] من الحكمة في تأخير المدة ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ [الآية 27] من دون دخولكم المسجد الحرام أو فتح مكة ﴿فَتَمَّ قَرِيبًا﴾ [الآية 27] هو صلح الحديبية أو فتح خيبر ليستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الموعود فيما قدر له من الحين.

172/أ

(1) نسب إلى العباس. انظر الشعر والشعراء (1/ 180).

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾ [الآية 28] ملتبساً به أو بسببه ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [الآية 28] وبدین الإسلام وظهور أمره ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الآية 28] يغلبه ويعليه على جنس الدين جميعه بنسخ ما كان حقاً وفساد ما كان باطلاً ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الآية 28] على نبوته بإظهار معجزته.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الآية 29] جملة تامة مبينة للمشهود به ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الآية 29] من أصحابه ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 29] أي يغلظون على من خالف دينهم ويتزاحمون من وافق يقينهم كقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 54] أي متواضعين أعزة على الكافرين أي متكبرين ﴿تَرَبَّيُّهُمْ رُكَّاءَ سُدَجَاءُ﴾ [الآية 29] أي مصلين في وقت وحين ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية 29] بالعفو عن تقصراتهم ﴿وَرِضْوَانًا﴾ [الآية 29] بقبول طاعاتهم ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الآية 29] أي علامتهم يوم القيامة كونهم منوري الوجوه محجلي الجباه أو المراد خشوعهم وخضوعهم أو صفائهم وضيائهم من أثر انقيادهم.

وأفاد الأستاذ: أن الآية في المؤمنين عامة وفي التفسير ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أبو بكر ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ عمر ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ عثمان ﴿تَرَبَّيُّهُمْ رُكَّاءَ سُدَجَاءُ﴾ [الفتح: الآية 29] علي، رضوان الله عليهم أجمعين. ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 29] إشارة إلى الوصف المذكور ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ [الآية 29] أي صفتهم العجيبة المذكورة فيها ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ [الآية 29] مبتدأ خبره ﴿كَزَرَخَ أَخْرَجَ شَطْرَهُ﴾ [الآية 29] / فراخه وفروعه ﴿فَنَازَرُوهُ﴾ [الآية 29] فقواه وعاونوه وقرأ ابن ذكوان بالقصر كأجر في أجر ﴿فَاسْتَقَالُوا﴾ [الآية 29] فصار من الدقة إلى الغلظة ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُقُوءٍ﴾ [الآية 29] فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سوقه بالهمز ﴿يُعْجِبُ الزَّرَّاعُ﴾ [الآية 29] بكشافته وقوته وغلظته وحسن بهجته وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابه الكرام قلوا في بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا في بناء الأحكام بحيث أعجب الأنعام ﴿لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾ [الآية 29] علة لتشبيهم بالزرع في زكائه واستحكام بنائه ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً﴾ [الآية 29] لسيئاتهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الآية 29] لحسناتهم ومن للبيان لا للتبعيض كما توهم أهل العدوان إلا أن يراد به من ختم منهم بالإيمان.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شبه النبي صلى الله عليه وسلم بالزرع حين يخرج طاقة واحدة حتى يثبت أصوله فيشتد كذلك كان عليه السلام وحده وقوى بالمسلمين دينه فمنهم مَنْ حمل الآية على الصحابة خاصة فمن أبغضهم دخل في الكفر لأنه قال: ليغيظ بأصحابه الكفار ومن حملها على المسلمين عامة ففيه حجة للإجماع لأن من خالف الإجماع فالله يغيظ بهم الكفار فمخالف الإجماع كافر مخلد في النار.

فهرس المحتويات

3 سورة الشعراء
33 سورة النمل
70 سورة القصص
112 سورة العنكبوت
141 سورة الروم
164 سورة لقمان
177 سورة السجدة
189 سورة الأحزاب
222 سورة سبأ
240 سورة فاطر
263 سورة يس عليه السلام
289 سورة الصافات
317 سورة ص
340 سورة الزمر
372 سورة غافر (المؤمن)
402 سورة فصلت
423 سورة الشورى
444 سورة الزخرف
465 سورة الدخان
475 سورة الجاثية
486 سورة الأحقاف
498 سورة محمد ﷺ
511 سورة الفتح

TAFSİR AL-MULLĀ 'ALĪ AL-QĀRĪ

AL MULLA ALI AL-QARI'S EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN

by
Al-Molla Ali Al-Qari
(D. 1014 H.)

edited by
Dr. Naji As-souwayd



دار الكتب الحميمية
Dar Al-Kutub Al-Himiyah

DKI

أسستها محمد باي دؤن سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban